جولة في عالم النور

ما وراء الزمكان

الجزء السادس من مجموعة من نحن؟

ترجمة وإعداد

علاء الحلبي

دلفي

Delphi

الفترة الذهبية لمعابد النبوءة الإغريقية

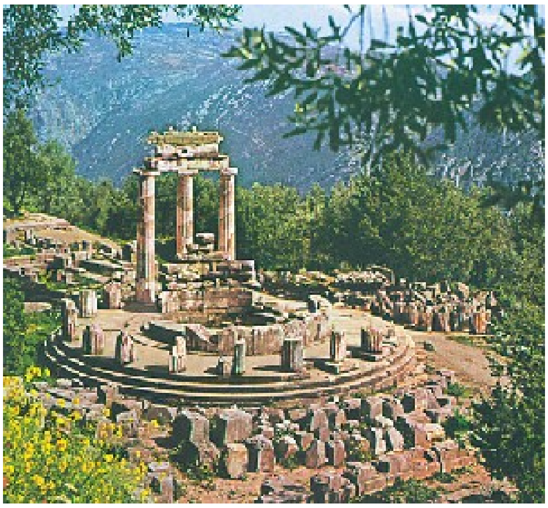

".. بينما كان "منيسارخوس" Mnesarchus، والد "فيثاغورث" Pythagoras، في مدينة "دلفي" بخصوص مسائل تتعلّق بأعماله كتاجر، قرّر هو وزوجته "بارثنيس" Parthenis زيارة المعبد الشهير في "دلفي" سعياً للاستشارة إن كانت رحلة عودتهم موفّقة إلى سورية. عندما جلست العرّافة (كاهنة معبد دلفي) على المقعد الذهبي ثلاثي القوائم فوق الفجوة الغائرة لمهبط الوحي، لم تجب على السؤال الذي طرحهما، لكنها قالت لـــ"منيسارخوس" بأن زوجته تحمل جنيناً في أحشاءها وسوف تُنجب ولداً قُدر له أن يفوق باقي الرجال من حيث الجمال والحكمة، وسوف يساهم طوال حياته في تقديم الكثير لصالح البشرية. تأثّر "منيسارخوس" كثيراً بهذه النبوءة لدرجة أنه غيّر اسم زوجته ليصبح "بايثاسيس" Pythasis تيمناً بكاهنة معبد دلفي (التي يُشار إليها باسم "بايثيا" Pythia). وعندما وُلد الفتى المعهود في "صيدا" بفينيقيا (لبنان)، كانت النبوءة قد تحققت، فأطلق الزوجان على ابنهما اسم "بايثاغوراس" Pythagoras (فيثاغورث) لاعتقادهما بأن مصيره تقدّر مُسبقاً من قبل إله المعبد.."

مانلي بالمر هول، "التعاليم السرّيّة لكل العصور"

الفصل الثالث عشر ــ "حياة فيثاغورث وفلسفته"

يُعتبر "وسيط الوحي" oracle في الأزمنة القديمة شخص أو مجموعة أشخاص (كهنة يعملون بالوكالة عن إله معيّن في معبد) يعتبرون وسطاء مصدر ماورائي لمشورة حكيمة أو رأي نبوئي أو تنبؤات عامة لأحداث مستقبلية، تم استلهامها من الآلهة. وكانت تُعتبر إحدى الوسائل المجدية للتنبؤ بالمستقبل، والوحيدة التي تم تبنيها رسمياً من قبل الدولة. أي وفقاً للمعايير العصرية، يمكن اعتبار معبد "دلفي" مثلاً مركز حكومي للتنبؤ بالمستقبل.

جاءت كلمة "أوراكل" oracle من المصطلح اللاتيني *ōrāre* أي "أن يتلفّظ شيئاً" وتُستخدم هنا تحديداً إلى النبوءة التي يتلفظها الكاهن أو الكاهنة خلال دخوله في حالة شبه غيبوبة أو غشية. لكن امتدّ استخدام هذه الكلمة للإشارة إلى موقع وجود هذا الكاهن أو الكاهنة، أو مهبط الوحي إذا صحّ التعبير. كما تُستخدم الكلمة للإشارة إلى النبوءة التي يتلفّظها الكاهن أو الكاهنة، والتي تُسمى أيضاً "كريشموي" khrēsmoi (χρησμοί) باللغة الإغريقية.

اعتُبرت هذه المراكز، أي مهابط الوحي، بأنها نوافذ تجاوزية مكنت الألهة من الحديث مباشرة مع الإنسان. بهذا المعنى كانت هذه المراكز (المعابد) تتميّز عن العرّافين العاديين والذين يُشار إليهم بالإغريقية باسم "مانتيس" manteis. وكان العرافون الإغريق يشتهرون بقراءة الإشارات المستوحات من الطيور، أحشاء الحيوانات، ضرب الرمل، الودع، وغيرها من وسائل مختلفة.

من بين مهابط الوحي الأكثر أهميّة في الزمن الإغريقي كان معبد "دلفي" الذي قبعت فيه كاهنة الإله "أبوللو" Apollo والمعروفة باسم "بايثيا" Pythia. وهناك أيضاً معبد "دايون" Dione و"زيوس" Zeus في مدينة "دودونا" Dodona في مقاطعة "إيبيروس" (شمال غربي اليونان العصرية). هناك معابد وحي أخرى للإله "أبوللو" موزّعة في جميع نواحي البلاد، مثل مدينة "ديديما" Didyma على سواحل آسيا الصغرى (تركيا)، ومدينتا "كورينث" Corinth و"باساي" Bassae في شبه جزيرة "بيلوبونيز" (جنوبي اليونان). بالإضافة إلى معابد أخرى موزّعة

في الجزر اليونانية، مثل جزيرة "ديلوس" Delos و"أيجينا" Aegina في بحر "إيجه" (بين اليونان وتركيا).

يقع موقع "دلفي" الأثري بالقرب من مدينة "دلفي" العصرية، على العتبة الجنوبية الغربية لجبل "بارناسوس" Parnassus، مطلاً على وادي "بليستوس" Pleistos في وسط اليونان الحديثة.

موقع "دلفي" الأثري لازال يحتوي على بعض أطلال المعبد القديم، والذي تمتع بفترة ذهبية دامت آلاف السنوات قبل أن يندثر إلى الأبد في القرون الأولى للميلاد.

من أجل تكوين صورة ملوّنة عن تلك المعابد التي كانت قائمة في ذلك الزمن البعيد، أعتقد بأن الوصف التالي لـــ"بالمر هول" يفي بالغرض، وهو مُقتبس من الفصل الحادي عشر ("عجائب الزمن القديم") من كتابه "التعاليم السريّة لكل العصور":

مراكز الوحي الإغريقية
THE GREEK ORACLES

شملت عبادة "أبولو" Apollo تشييد وصيانة مراكز تنبؤ تلعب دور المنافذ التي تجعله ممكناً للآلهة التواصل مع البشر للكشف عن معلومات مستقبلية لكل من يستحقّ هذه النعمة. يزخر تاريخ اليونان القديم بروايات تتحدث عن الأشجار المتكلّمة، وكذلك الأنهار والتماثيل والكهوف المتكلّمة أيضاً حيث تُعزى هذه الأعاجيب إلى كونها مسكونة من قبل الجنّ، الشياطين، الحوريات، الآلهة وغيرها من كائنات غيبية، وهذه الأخيرة هي المسؤولة بطريقة أو بأخرى عن مصدر الوحي التنبؤي. في الوقت الذي جاهد فيه رجال الكنيسة لإثبات حقيقة أن مصادر الوحي هذه هي من أعمال الشيطان تهدف إلى تضليل البشرية، لم يتجرؤوا على محاولة تكذيب نظرية علم الغيب بالمطلق، وذلك بسبب الذكر المتكرر لهذه الظاهرة في نصوصهم المقدسة. إذا كان صحيحاً أن أحجار العقيق اليماني على كتفي الكاهن الأعلى لإسرائيل لمعت تعبيراً عن إرادة "يهوة" Jehovah، فهذا

يجعله صحيحاً أيضاً بأن الحمامة السوداء في معبد "جوبيتر/آمون" مُنِحت قدرة على الكلام لفترة وجيزة مكنتها من التلفّظ بنبوءة. إذا كان صحيحاً أن ساحرة "عين دارة" استطاعت استحضار شبح "صاموئيل" Samuel الذي أوحى تنبؤات مستقبلية لـــ"شاوول" Saul، لماذا لا يكون صحيحاً أيضاً أن كاهنة "أبوللو" تستطيع استحضار شبح مولاها للتنبؤ بمصير اليونان؟

مراكز الوحي الأشهر في الزمن القديم كانت تلك الموجودة في "دلفي" Delphi و"دودونا" Dodona و"تروفونيوس" Trophonius و"لاتونا" Latona، وكانت أشجار البلّوط المتكلّمة في "دودونا" الأقدم بين هذه المراكز. يستحيل تتبّع أصول نظرية الوحي التنبؤي، ومعروف جيداً أن عدد كبير من الكهوف والشقوق الأرضية التي قدسها الإغريق بصفتها مراكز للوحي كانت تُعتبر مُقدّسة أصلاً قبل ظهور الحضارة الإغريقية بزمن بعيد.

يبقى مركز وحي "أبوللو" في "دلفي" أحد الألغاز الغامضة للعالم القديم. يشتقّ "ألكساندر وايلدر" Alexander Wilder الاسم "دلفي" من كلمة delphos أي "رحم". اختار الإغريق هذا الاسم لأنه يوصف شكل الكهف والممر المؤدّي إلى باطن الأرض. الاسم الأصلي لمركز الوحي كان "بايثو" Pytho، وسمي كذلك لأن فجواته الأرضية كانت مقبعاً للأفعى العملاقة ("بايثون" Python)، وكانت مخلوق مخيف يتسلّل من بين الوحل الناتج من آثار الطوفان العظيم الذي دمّر البشرية ما عدا "ديوكاليون" Deucalion و"بايرها" Pyrrha (الرجل والمرأة الذين وفقاً للأسطورة أعادا خلق البشرية من جديد). تسلّق "أبوللو" سفوح جبل "بارناسوس" وذبح الأفعى بعد معركة شرسة، ورمى جثّتها إلى باطن الشقّ الأرضي في موقع دلفي. منذ تلك الفترة راح إله الشمس، المُلقّب بـــ"أبوللو بايثيان" (قاتل الأفعى)، يمنح التنبؤات عبر الشقّ الأرضي لمعبد "دلفي"، وتشارك مع الإله "دايونيس" Dionysos بشرف رعاية هذا المعبد. بعد هزمه من قبل "أبوللو"، بقيت روح المخلوق في دلفي مُستخدمة كممثّل للإله المنتصر، وبمساعدة بخائره استطاعت الكاهنة المحافظة على تواصل مع الإله. من المفروض أن تكون البخائر الصاعدة

من الصدع الأرضي للمعبد قادمة من جسد الأفعى المتلاشي. الاسم "بايثيا" Pythia، الممنوح للكاهنة في المعبد، يعني حرفياً "الذي يدخل في نوبة روحية من خلال تنشّق الروائح الصاعدة من مواد متعفّنة". من الجدير الذكر بأن الإغريق اعتقدوا بأن مركز دلفي يمثّل صرّة الأرض، وهذا يعنى أنهم اعتبروا كامل الكرة الأرضية بأنها كائن بشري عملاق. الرابط بين مبدأ الوحي التنبؤي والمعنى العلمي التجاوزي الذي تمثّله الصرّة يبقى من بين الأسرار الهامة التي تحتفظ بها المدارس السريّة.

مهما كان الأمر، مركز الوحي في "دلفي" هو أقدم بكثير مما تشير إليه المراجع. ربما تم ابتكار روايات خرافية كهذه من قبل الكهنة بهدف تفسير الظاهرة لأولئك الفضوليين الذين اعتبروهم غير جديرين بالتنوير بخصوص الطبيعة التجاوزية لمركز الوحي وما تتضمنه من معاني باطنية. يعتقد البعض بأن الصُدع في "دلفي" اكتُشف من قبل أحد الكهنة "الهيبوبوريين" (حضارة هيبوبوريا Hypoboria وهي معاصرة لأطلنطس)، لكن مهما رجعنا بالتاريخ إلى الوراء سنجد بأن الكهف كان مقدساً، وكان الناس يأتون إلى الموقع من كل أنحاء تلك البلاد ومحيطها لاستشارة الكائن الغيبي الذي يسكن في عنق الكهف الموجود في هذا الموقع. لقد تناوب على حراسته الكهنة بحرص وحذر وخدموا الروح القابعة هناك والتي نوّرت الإنسانية عبر موهبة التنبؤ.

على مدى قرون عديدة من تاريخه القديم، كانت الفتيات العذارى تكرّسن حياتهنّ في خدمة المعبد بصفة كاهنات. كانوا يسموا الكاهنة "بايثيا"، ومن هذا التقليد القديم ظهر النظام الكهنوتي الشهير المعروف عبر التاريخ باسم "الكهنوتية البايثية" Pythian priesthood. من الممكن أن الاختيار كان يقع على النساء لتحمّل هذه المسؤولية (تلقي الوحي) لأسباب تتعلّق بالطبيعة الأنثوية حيث الدرجة العالية من الحساسية والعاطفة التي تساهم في الاستجابة سريعاً وبشكل كامل لهذه العملية التجاوزية *(مُعظم العرافين المشهورين عالمياً اليوم هم نساء)*. قبل بثلاثة أيام من موعد الاتصال مع "أبوللو" لتلقي الوحي، تخوض الكاهنة العذراء في ما يُسمى "طقس

التطهير". كانت تستحم في بئر "كاستاليا" (بئر الإلهام)، وتمتنع عن الطعام، وتشرب فقط من نبع "كاسوتيس" الذي جُلبت مياهه إلى الموقع عبر أنابيب معزولة تماماً، وقبل جلوسها على المقعد ثلاثي القوائم بفترة قصيرة، كانت تمضغ أوراق من شجرة الغار المقدّسة. قيل بأنه كان يُضاف إلى المياه مواد مخدّرة من أجل تحفيز حالة الغشية الروحية، وهناك من زعم بأن كهنة المعبد كانوا يصنعون غاز خاص لتحفيز هذه العملية حيث مرروه عبر أنابيب سريّة تحت أرضية ليتصاعد عبر الصدع الأرضي. لكن ما من هذه النظريات تم برهنتها عبر الدلائل، وحتى لو تم ذلك، فهي لا تستطيع تفسير دقّة التنبؤات التي تتلفظها الكاهنة. *(سوف نتحدث في الصفحات القادمة عن سبب التشويه الذي حصل لاحقاً للحقائق المتعلقة بهذه المراكز).*

"أبوللو بايثيان" PYTHIAN APOLLO (قاتل الأفعى)

وفقاً للأسطورة، أبوللو هو شقيق ديانا وابن جوبيتر ولاتونا. تقول الأسطورة أيضاً بأن أبوللو جاء إلى الحياة بالغاً راشداً منذ لحظة ولادته. اعتُبر أوّل الأطباء، وأوّل من ابتكر الموسيقى والغناء. كما هلّل له الإغريق بصفته والد القوس النشّاب. تم بناء معبد أبوللو في دلفي خمس مرات. شُيّد المعبد الأوّل من أغصان الغار فقط، والثاني بُني بطريق مماثلة تقريباً، والثالث كان من نحاس، والرابع والخامس كان من رخام وبحجم ضخم وجمال عظيم. ليس هناك أي معبد في اليونان

يضاهي روعة وفخامة وقوة الدلفي. وصف العديد من الكتاب كيف كان يحتوي هذا المكان على عدد لا يُحصى من تماثيل الذهب والفضّة، وزخرفة رائعة، وكيف استخدمت فيه مواد مصنوعة بأعلى درجة من الحرفية، كلها مُقدمة كعطايا من الملوك والأمراء الذين جاؤوا من كل أنحاء العالم المتحضّر لاستشارة روح أبوللو الساكنة في حرم المعبد.

بعد انتهاء الكاهنة الفتيّة من إجراء شعائر التطهير، كانت تكتسي ثياب مقدّسة وتُقاد إلى المقعد ثلاثي القوائم (tripod) الذي تجلس عليه مُحاطة بأبخرة تتصاعد من الصدع الأرضي. تتنشّق الروائح تدريجياً إلى أن يطرأ على حالتها تغيير جذري. يبدو وكأنها استُحوذت بروح مختلفة تماماً. تبدأ بالتخبّط محاولة مقاومة التغيير، ممزّقة ثيابها وصارخة متلفّظة بكلمات عديمة المعنى، لكن دون جدوى. بعد فترة من هذا التخبّط تهدئ حالتها أخيراً. بعد هذا السكون مباشرة تبرز على ملامحها شخصية مستقرّة ذات جلالة عظيمة. مع عيون محدقة في الفراغ وجسد متخشّب، تبدأ بتلفّظ كلمات تنبؤية.

الكاهنة في معبد دلفي كما يصوّرها الفنانون بالاعتماد على أوصاف المراجع

عادة ما تكون التنبؤات على شكل مقاطع شعرية سداسية، لكن غالباً ما تكون الكلمات غامضة وملتبسة مما يجعلها غير مفهومة. كل صوت تصنعه، وكل حركة من جسمها كانت تُسجّل فوراً من قبل الـ"هوسي" Hosii وهم الكهنة الخمسة الذين عُيّنوا ككُتاب لتدوين أدق تفاصيل كل نبوءة. كان الـ"هوسي" يُعيّنون لمدى الحياة، ويُختارون من السلالة المنحدرة من "ديوكاليون" Deucalion (والد البشرية بعد الطوفان).

في أطروحته حول "المدارس السريّة"، يصف الفيلسوف الأفلاطوني "إيامبليكوس" Iamblichus *(مؤسّس الفرع السوري للمدرسة الأفلاطونية)* كيف تستحوذ روح المعبد (الكائن الغيبي أو حتى أبوللو ذاته) على الكاهنة ويتجسّد عبرها، فيقول: *".. لكن الكاهنة العرافة في دلفي، إن كانت تقدم التنبؤات للبشرية عبر شبح أو روح منبعثة من فُتحة الكهف تحت الأرضي، أو من خلال جلوسها وسط الحرم المقدس على المقعد النحاسي ثلاثي القوائم أو حتى أربعة لتصبح مقدسة بعين الإله، مهما كانت الأحوال فهي بالنهاية تسلّم نفسها للروح المقدسّة وتتنوّر بأشعّة نار إلهية. وعندما تغمرها الأبخرة الكثيفة الصاعدة من الفتحة الأرضية، تصبح مُشبعة عبرها بروعة إلهية. وعندما تجلس على مقعد الإله وسط حرم المعبد، تكون قد وصلت نفسها مع قواه التنبؤية. وخلال هذين الإجراءين التحضيريين تصبح مُستحوذة كلياً من قبل الإله. لكنه في النهاية يكون حاضراً معها ومن خلالها بطريقة أخرى مختلفة تماماً، وهذه الطريقة لا علاقة لها بالأبخرة أو الروح أو المقعد المناسب أو غيرها من عناصر شكلية ظاهرة للعيان، إن كانت مقدسة أو دنيوية.."*

ملاحظة: يقصد الفيلسوف "إيامبليكوس" القول بأن ما يجري من طقوس وشعائر قبل دخول الكاهنة في حالة استعداد لتلقي الوحي هي مجرّد مسرحيات ذهنية تعمل على تحفيز هذا الجانب الكامن في الفتاة، وهو في الحقيقة موجود في كل إنسان رغم تفاوت درجاته. (سوف أتناول هذا الموضوع بإسهاب في أحد الإصدارات القادمة).

من بين المشاهير الذين زاروا معبد "دلفي" كان الشهير "أبوليونوس التياني" Apollonius of Tyana وتلميذه "داميس" Damis. قدم عطاياه وبعد تتويجه بإكليل من الغار وإعطائه غصن من نفس النبتة ليحمله بيده، مرّ من خلف تمثال "أبوللو" الذي وقف أمام مدخل الكهف، ثم نزل إلى الحرم المقدس للمعبد. كانت الكاهنة متوّجة أيضاً بالغار ورأسها معصوب بشريط من الصوف. سأل "أبوليونوس" وسيطة الوحي النبوئي إذا كان سيبقى اسمه خالداً في ذاكرة الأجيال القادمة. أجابت الكاهنة بالإيجاب، لكن أضافت بأن ذكره سيكون ملطخاً دائماً بالتشهير وسوء السمعة. غادر "أبوليونوس" الكهف بغضب شديد، لكن أثبت الزمن مدى دقّة النبوءة، حيث كرّس رجال الكنيسة، على مدى قرون، كل وسائل دعايتهم للتشهير بهذا الرجل الجليل على أنه من عملاء الشيطان.

الرسائل التي تتجلّى عبر الكاهنة العذراء كانت تمرّ أولاً إلى الكهنة الفلاسفة في المعبد (الـ"هوسي" Hosii)، والذين مهمتهم ترجمتها وتنقيحها لغوياً قبل تسليمها إلى الكهنة الشعراء، الذين يحوّلون بدورهم هذه الرسالة إلى قصيدة شعرية أو غنائية. بعدها تصبح رسالة "أبوللو" جاهزة للتسليم إلى العامة.

رسم معبّر عن مجريات هبوط الوحي النبوئي. الكاهنة "بايثيا" تتلقى الوحي، والـ"هوسي" الخمسة يقفون خلفها لترجمة النبوءة إلى لغة مفهومة قبل تسليمها للمستشيرين.

بالرغم من أن الكاهنات الأوليات كنّ فتيات عذراوات، حيث بعضهن كان في سن المراهقة، إلا أنه صدر لاحقاً قانون صارم يمنع ممارسة الكهنوتية النبوئية في دلفي إلا إذا تجاوزت المرأة سن الخمسين. ارتدين هؤلاء النساء الكبار ذات الألبسة التي ارتدتها العذراوات الصغار وخضعن لنفس الطقوس والإجراءات التطهيرية. من الممكن أن هذا التغيير الجذري في المعبد جاء نتيجة سلسلة من الاعتداءات على الفتيات من قبل الدنيويين، وذلك خلال دخولهن في حالات غشية أو غياب الوعي.

من المؤكّد عموماً أن لمعبد دلفي تأثير عميق على الثقافة الإغريقية، وكان على الأغلب بطريقة بناءة وإيجابية. استخلص "جيمز غاردنر" James Gardner تأثير هذا المعبد بالكلمات التالية: ".. كشفت إجاباته النبوئية الوشاح عن الكثير من الطغاة وتكهّنت بمصيرهم. بواسطته أُنقذ من الدمار الكثير من التُعساء، وأرشد الكثير من المُربكين التائهين نحو طريق الصواب. شجّع على مؤسسات مفيدة، وعزّز تقدم الاكتشافات المهمة. تأثيره الأخلاقي كان دائماً يميل نحو الفضيلة، وتأثيره السياسي كان لصالح تقدم الحرية المدنية.." *(من كتاب "معتقدات العالم" The Faiths of The World)*

أما مركز الوحي فس "دودونا" Dodona فكان محكوماً من قبل الإله "جوبيتر" Jupiter، الذي تلفّظ بالنبوءات من خلال الأشجار، الطيور، وأواني النحاس. لاحظ الكثير من الكتاب التشابه بين الطقوس الجارية في "دودونا" وتلك التي أجراها كهنة "الدرويد" Druid في بريطانيا وبلاد "الغال" Gaul *(وتشمل فرنسا وبلجيكا وهولندا والمانيا قديماً)*. الحمامة النبوئية الشهيرة في "دودونا"، التي تهبط على أغصان شجر البلوط المقدّس، لا تتحدث بلسان إغريقي بأمور دينية وفلسفية فحسب، بل تجيب أيضاً على تساؤلات الذين يأتون من بلاد بعيدة لاستشارتها.

وقفت الأشجار البلوط "المتكلّمة" معاً مشكّلة أيكة مقدّسة. عندما رغب الكهنة بأجوبة لتساؤلات مهمة يلجؤون إلى الأيكة المقدسة، لكن بعد إجراءات تطهيرية

حذرة ووقورة. يتوجهون إلى الأشجار بمبادرة الكلام، متوسّلين إلى إجابة من الإله الذي يقبع بينها. بعد التصريح بأسئلتهم، تتكلّم الأشجار بأصوات بشرية، كاشفة للكهنة عن المعلومات المطلوبة. البعض يؤكّد على أن شجرة واحدة فقط تتكلم، وهي شجرة بلوط أو زان تقبع في وسط الأيكة. لأنه كان يُعتقد بأن "جوبتر" يقبع في هذه الشجرة، كانوا يشيرون إليه أحياناً بالاسم "فيغونويوس" Phegonæus، أي "الذي يعيش في شجرة الزان".

"جوبيتر الدودوني" THE DODONEAN JUPITER

سُمي "جوبيتر" بـــ"الدودوني" نسبة إلى مدينة "دودونا" في "أبيروس". بالقرب من المدينة كان هناك تلّة يكسوها غطاء كثيف من أشجار البلوط والتي تُعتبر مقدسة لجوبيتر منذ أزمنة قديمة. نال هذا الحرش المزيد من التوقير بسبب الاعتقاد السائد بأن أعماقه مسكونة من قبل الجن والعفاريت والحوريات وغيرها من كائنات خرافية. من أشجار البلوط والزان العريقة تدلّت سلاسل كثيرة من أجراس البرونز الصغيرة والتي كانت ترنّ ليلاً نهاراً مع جريان الرياح عبر الأغصان. البعض أكّد على أن الحمامة المتكلّمة في دودونا كانت في الحقيقة امرأة، لأنه في مقاطعة "ثيسالي" Thessaly في اليونان يُشار إلى العرافة والحمام بذات الاسم وهو "بلياداس" Peleiadas. يُفترض بأن أوّل معبد في دودونا شُيّد من قبل "ديوكاليون" والذين نجو معه من الطوفان العظيم. لهذا السبب يُعتبر مركز الوحي في دودونا الأقدم في اليونان.

أكثر الوسائل التنبؤية عجباً في "دودونا" هي الأواني (أو الأباريق) المتكلمة. كانت مصنوعة من النحاس ومُصممة بطريقة بحيث إذا طُرقت تبقى مصدرة صوتاً لساعات طويلة. وصف بعض الكتاب وجود صف كامل من هذه الأواني وأكدوا بأنه إذا طُرقت إحداها سوف تنتقل الاهتزازات إلى باقي الأواني فيتشكّل صوت دندنة مرعبة. وكتاب آخرين وصفوا وجود آنية واحدة كبيرة، واقفة على عمود، وبجانبها عمود آخر يقف عليه تمثال طفل صغير يحمل بيده سوط. في نهاية السوط يوجد خيوط متأرجحة معلق في نهاياتها كرات معدنية صغيرة، والريح الذي يجري بحريّة في الموقع المفتوح يسبب هذه الكرات الصغيرة بالتأرجح وطرق الآنية النحاسية الكبيرة. يتم تسجيل عدد وقوة الطرقات وارتدادات صدى الآنية، وبهذه الطريقة الحسابية كان الكهنة يحصلون على النبوئة.

بعد اختفاء الكهنة الأصليين لمعبد "دودونا" بطريقة غامضة (يدعونهم السيلوي Selloi)، أصبح يخدم فيه بعدها ولقرون طويلة فريق مؤلف من ثلاث كاهنات يعملن على ترجمة نبوءات الآواني واستنطاق الأشجار في منتصف الليل. كان على زائري المعبد أن يجلبوا معهم العطايا وتقديم التبرعات.

هناك موقع نبوئي آخر شهير وهو كهف "تروفونيوس" Trophonius، الواقع على جانب تله مع مدخل صغير جداً بحيث يبدو مستحيلاً على الأنسان دخوله. بعد أن قدم الزائر عطاياه عند تمثال "تروفونيوس" وارتدى عباءة الحرم، يتسلّق التلة إلى حيث الكهف حاملاً بيده كعكة من العسل. جالساً على حافة فتحة الكهف الضيّقة، يُنزل رجليه أولاً إلى المغارة، ثم يُسحب جسمه بالكامل إلى الأسفل بطريقة خشنة، فينزل إلى فجوة الكهف، والتي وصفها الزائرين بأن حجمها لا يتجاوز حجم المخبز العادي (بيت النار في الفرن). بعد الانتهاء من الجلسة النبوئية يحين وقت الصعود من جديد، فيُجبر الزائر، الذي يكون عادةً في حالة هذيان، على الخروج من المغارة رجليه أولاً. بالقرب من الكهف يوجد ينبوعين يبقبقان من باطن الأرض ويفصل بينهما عدة أقدام. كان على الزائرين الشرب منهما قبل دخول المغارة، حيث كان يُعتقد بأن مياهها تحوز على قوى سحرية. الينبوع الأوّل

يحتوي على ماء "النسيان" بحيث كل من شرب منها ينسى مآسيه الدنيوية. ومن الينبوع الثاني تدفقت الماء المقدسة لـــ"منيموسين" Mnemosyne، وهي ماء التذكّر، وهي تساعد الشارب منها على تذكّر كل ما اختبره خلال وجوده داخل المغارة.

رغم أن مدخله كان مزيّناً بمسلّتين من البرونز (بهيئة المسلّة المصرية)، ومُحاطاً بجدار من الحجارة البيضاء ومحجوب داخل مجموعة من الأشجار المقدسة، إلا أنه لم يستعرض أي مظهر مهيب. ما من شكّ أن من دخله اختبر تجربة غريبة، حيث كان على الزائرين ترك سجلّ مفصّل عن ما اختبروه داخل الكهف قبل ترك المعبد. أي وجب عليهم رواية ما شاهدوه وسمعوه بينما كانوا في غيبوبة نبوئية داخل المغارة. كانت النبوئة تأتي للسائل بهيئة أحلام ورؤيا، وكانت مصحوبة بآلام مبرحة في الرأس، وحتى أن البعض لم يبرأ تماماً من الردود العكسية لهذه الحالة الانفعالية. مراجعتهم المُربكة لما اختبروه في منامهم كانت تُترجم من قبل الكهنة بحيث تتوافق مع السؤال المطروح.

ربما استخدم الكهنة عشبة سريّة معيّنة لخلق الحالة الحلمية أو الرؤيا التي يختبرها الزائر في المغارة، لكن الوسيلة المُتبعة في ترجمة هذه الرؤيا كانت ماورائية بامتياز (ليس لها أساس منطقي). قبل كل استشارة، كان على الزائر تقديم حمل كذبيحة للكائن الغيبي القابع في المغارة، وكان الكهنة يقررون إذا كان الوقت مناسب للاستشارة أم لا، وذلك من خلال قراءة العلامات في أحشاء الذبيحة (وهي وسيلة معروفة لدى العرافين القدماء وتُسمى "هيرومانسيا" hieromancy).

انتهى الاقتباس من كتاب "بالمر هول"

نهاية العصر الذهبي لمعبد دلفي

والمعابد النبوئية الأخرى

كان لهذا المعبد تأثير كبير على العالم اليوناني القديم، وكان يُستشار من قبل رجال الدولة قبل أتخاذ اتخاذ أي خطوة مهمة، كل الحروب، أنشاء المستعمرات، الصفقات الديبلوماسية، وغيرها. كان احترامه وهيبته يتجاوزان المجتمع الإغريقي المحلّي ليشمل كافة البلاد المتأثرة بالثقافة الإغريقية، مثل "ليديا" و"كاريا" (في تركيا الآن) وحتى مصر.

استفاد المعبد من ملوك "مقدونيا" بشكل كبير. وقد وُضع لاحقاً تحت حماية دولة "أيتوليا" Aetolia. بعدها بفترة وجيزة راح التأثير الروماني يبرز في المنطقة، وقد حمى الرومان هذا المعبد من هجمات بربرية خطيرة في العام ١٠٩ ق.م. و في العام ١٠٥، تم إصدار مرسوم يبت بإجراءات تنظيمية شاملة للمعبد، لكنه تأجّل بسبب نشوب الحروب الميثرادية (نسبة للملك "ميثراديتوس" mithridates) وحروب الامبراطور "سولا" Sulla (حرب أهلية داخل روما)، وقد سلب هذا الأخير الكثير من العطايا الثمينة من المعبد. تعرّض المعبد لحريق مدمّر بعد هجوم بربري كاسح، وكان قد تعرّض لدمار جزئي بعد زلازال كبير في العام ٨٣ ق.م. فشهد المعبد البوادر الأولى لفترة التلاشي، ووقعت المنطقة المحيطة في حالة فقر وعوز. مهما حاول السكان المحليين في محاولاتهم لإعادة إحياء التقليد عبر تعيين عرافين شعبيين لكن محاولاتهم ذهبت هباء. لقد مرّت فترة على المعبد أصيب فيها بسوء السمعة بسبب فشله في توفير تنبؤات صحيحة (بسبب تدخّل عامل السياسة) ففقد شعبيته الكبيرة. عندما جاء الامبراطور الروماني "نيرون" إلى اليونان في العام ٦٦ ميلادي، أخذ معه من المعبد ٥٠٠ من أفضل التماثيل إلى روما. ساهم الأباطرة المتعاقبين من السلالة "الفلافيانية" Flavian dynasty (سلالة الامبراطور "فسبسيان" Vespasian) بدرجة كبيرة للمحافظة على تقليد المعبد وإعادة إحيائه. وقد وفّر الامبراطور "هدريان" استقلال ذاتي لهذا المكان. وقد ساهم حضور المؤرّخ الروماني البارز "بلوتارش" Plutarch بصفته كاهن أعلى

في المعبد بهذه المحاولات الحثيثة لاسترجاع مجده، لكن دون جدوى. الغزوات البربرية المتعاقبة على هذا الموقع في عهد الامبراطور "ماركوس أوريليوس" Marcus Aurelius، وكذلك إزالة كافة التماثيل والتُحف الفخمة من الموقع بأمر من الامبراطور "قسطنطين الأوّل" Constantine I ساهمت كثيراً في اقتراب أجله. مهما حاول الامبراطور "جوليان" Julian في إعادة إحياءه لكنه فشل في مسعاه. الضربة القاضية التي أدت إلى زواله تماماً من ذاكرة التاريخ جاءت من الامبراطور "ثيودوسيوس الأوّل" Theodosius I (٣٩٥ ميلادي) الذي أمر بإقفال هذا المكان الذي يمثّل معقل الشياطين. هُجر الموقع لمدة قرن كامل تقريباً، حتى بدأ المسيحيون يهاجرون إلى المنطقة ويستقرون هناك بشكل دائم.

في فترة سيطرة المؤسسات الدينية على البلاد إبان العصور الوسطى، استُبدلت صورة الكاهنة الجميلة العذراء التي تخدم إله المعبد بصورة مختلفة تماماً تدعو للإشمئزاز والرعب تمثّل الساحرة الشمطاء. أفضل من عبر عن هذه الحالة هو المؤرّخ الفرنسي "جول ميشيليه" Jules Michelet (القرن التاسع عشر) الذي نسب أصول تقليد الساحرات في أوروبا إلى ديانة "السيبيل" sibyls، كاهنات معابد التنبؤ الإغريقية. كتب يقول في مقدمة كتابه "الشعوذة" La Sorcière (١٨٦٢):

".. بدأت الديانة الوثنية الإغريقية راسخة وقويّة، متمحورة حول السيبيل sibyl، وانتهت متمحورة حول الساحرة witch. الأولى، عذراء جميلة مُفعمة بنور النهار، هزّت مهده ومنحته الفتنة والمجد. والأخيرة، شخصية مصروعة ومنحلّة أخلاقياً أكثر عتمة من ظلام العصور الوسطى، نشطت ليلاً في ظلمة المروج والغابات، تمثّلت بالمشعوذة الشريرة الشمطاء.."

التقليد الديني النبوئي

أصوله ومدى انتشاره

ورد في الكثير من الأبحاث التاريخية أوصاف لمؤسسات نبوئية تعود إلى ممالك قديمة جداً سابقة للحضارة اليونانية. لاحظ "والتر بوركرت" Walter Burkert مثلاً وجود ذكر لـ"كاهنات مسعورات تهذي بنبوءات الآلهة" حتى في حضارة "ماري" Mari (في سوريا الآن) العائدة إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وفي المملكة الآشورية العائدة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد. وفي مصر القديمة، صُوّرت الإلهة "وادجت" Wadjet (عين القمر) على شكل امرأة ذات رأس أفعى أو امرأة لها رأسي أفعى. كانت تقبع في معبد "بوتو" النبوئي الشهير بمصر الدنيا (الدلتا). يُعتقد بأن هذا المعبد بالذات هو أصل تقليد المعابد النبوئية التي انتشرت لاحقاً في المنطقة لتشمل اليونان. وحتى رمزية الأفعى المنتشرة في كل مكان، والمرتبطة بهذه الحرفة بطريقة أو بأخرى، يُعتقد بأنها جاءت من هذا المعبد في مصر. وحتى الأسطورة التي تروي أحداث المعركة بين أبوللو والأفعى في دلفي، يُعتقد بأنها ترمز إلى تغلّب نظام كهنوتي جديد على نظام قديم كان قائم سابقاً ويتمحور حول تقليد له علاقة برمزية الأفعى. يؤكّد على هذه الحقيقة "هـ.و. بارك" H.W. Parke الذي كتب بأن أصول تقاليد معبد دلفي النبوئي تعود إلى ما قبل التاريخ المكتوب، وهي بكل تأكيد غامضة ومجهولة.

هذه المؤسسات "النبوئية" لا تقتصر على الحضارة اليونانية بل كانت قائمة في كافة الحضارات الأخرى. في الصين مثلاً، يعود استخدام "العظام النبوئية" في المعابد إلى فترة حكم سلالة "شانغ" (١٦٠٠ ــ ١٠٤٦ ق.م). منظومة الـ"أي تشينغ" I Ching، أو كتاب المتغيّرات (وهي مجموعة من الخطوط والنقاط المستخدمة للتنبؤ) يعود إلى تلك الفترة أيضاً. صحيح أن أصول منظومة "أي تشينغ" تعود إلى فترة تاريخية أقدم بكثير، لكنها اتخذت هيئتها الحديثة (المستخدمة حالياً) بين العامين ١٠٤٦ و١٠٤٣ ق،م، وذلك على يد الملك "وو" Wu. بالإضافة إلى قدرتها التنبؤية، كان لمنظومة "أي تشينغ" تأثير كبير على الفلسفة الصينية وثقافتها

وبالإضافة إلى ممارسة السياسة وفن الحكم، وذلك منذ فترة سلالة "زهو" Zhou (١١٢٢ ق.م ــ ٢٥٦ ميلادي).

في الديانة "السلتية" متعددة الآلهة Celtic polytheism *(في بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والمانيا قديماً)*، كانت العرافة تُمارس من قبل الطبقة الكهنوتية (كهنة "الدرويد" Druid). أما في ديانة "النورس" (الشعوب الاسكاندنيفية قديماً) فكان الكهنة يمارسون العرافة بواسطة "الرونز" Runes، وهي وسيلة يُستخدم فيها قطع محفور عليها أحرف أبجدية أقرب إلى كونها هيروغليفية.

في الهند القديمة، كانت النبوءة معروفة في الديانة الهندوسية باسم "أكاشواني" Akashwani، وتعني حرفياً "صوت من السماء" ومتصلة بشكل وثيق بمفهوم رسالة من الله. لعبت النبوءات أدوار رئيسية في الكثير من الأحداث الرئيسية بملحمتي "ماهابارتا" Mahabharata و"رامايانا" Ramayana. لازال في الهند اليوم بعض مراكز النبوئة المتوفرة للعامة والتي صمدت عبر العصور، مثل معبد "سري أتشيوثا" Sri Achyutha.

في "التبت" Tibet، حيث الديانة البوذية التبتية، كانت ولازالت النبوءات تلعب دوراً مهماً في النشاطات الدينية وكذلك الحكومية. صيغة التنبؤ التي يأخذ بها التبتيون هي تلك التي تستحوذ فيها إحدى الأرواح على أحد الرجال أو النساء الذين يلعبون دور الوسطاء بين العالم التجاوزي والعالم المادي. يُشار إلى هؤلاء الوسطاء باسم "كوتن" kuten، ويعني حرفياً "القاعدة الدنيوية" (أي النافذة الدنيوية للعالم الروحي، أو يمكن اعتبارها "محطة استقبال الإشارات الروحية"). لازال الدلاي لاما Dalai Lama الذي يعيش في منفاه بشمال الهند يستشير الوسيط النبوئي الموجود في معبد "نيتشونغ" Nechung، ويُعتبر المركز النبوئي الرسمي للحكومة التبتية. وفقاً للتقليد الذي يعود إلى آلاف السنوات، وجب على الدلاي لاما استشارة وسيط هذا المعبد خلال مهرجان "لوسار" الاحتفالي. معبد "نيتشونغ" وكذلك معبد "غادهونغ" Gadhong هما المركزان الرئيسيان للاستشارة. بينما

المعبدين السابقين "كارماشار" Karmashar و"داربولينغ" Darpoling لم يعودا مناسبين للاستشارة خلال وجود الدلاي لاما في المنفى بسبب الاحتلال الصيني للبلاد. هناك معبد نبوئي آخر يلجأ إليه الدلاي لاما أحياناً للاستشارة وهو معبد "تنما" Tenma، حيث تلعب فيه امرأة تبتية دور الوسيطة للإلهة. في كتابه الذي بعنوان "الحرية في المنفى" Freedom in Exile، يقدم الدلاي لاما وصفاً تفصيلياً لعملية الاستشارة هذه، وكيف يدخل الوسيط في غيبوبة ومن ثم يستحوذ عليه الكائن الغيبي (الروح) فيبدأ بعدها بالكلام النبوئي.

معظم ديانات حضارات أمريكا الجنوبية كانت نبوئية، أي كهنتها كانوا يمتهنون العرافة بصيغة أو بأخرى. معروف مثلاً أن مدينة "تينوتشتيتلان" (مدينة "مكسيكو" Mexico الحالية) أنشأت أصلاً بسبب نبوءة. في حضارة المايا، كان يُشار إلى الكهنة العرافين باسم "تشيلانيس" chilanes، ويعني حرفياً "أفواه الآلهة". النبوءات المكتوبة، والمجموعة في كتب الـ"شيلام بالام" Chilam Balam، منسوبة إلى أحد الكهنة العرافين، وقد تمكن هذا الأخير أن يتنبأ بكل ما حصل ولازال يحصل في أمريكا الجنوبية، أشهر نبوءاته هي تلك المتعلّقة بمجيء الغزاة الأسبان وما تبعه من كوارث وانحطاط وانحدار يصيب البلاد.

كما حالة أمريكا الجنوبية، معظم الديانات الوثنية لأفريقيا السوداء كانت نبوئية وتشمل تقاليد مختلفة للعرافة. شعب الـ"إيغبو" Igbo مثلاً (جنوب نيجيريا والكامرون) يحكمه تقليد ديني عريق يتمحور حول العرافة. كافة القُرى تحتوى على مراكز نبوئية، والذي يلعب دور الوسيط هو كاهنة أنثى مكرسة لخدمة أحد الآلهة (وهي كثيرة في ديانة الإيغبو). غالباً ما تسكن الكاهنة في كهف أو مكان معزول بعيد عن المناطق المدنية. التقاليد المُتبعة هنا تشبه إلى حد كبير تلك التي كانت سائدة في اليونان القديمة. كانت الكاهنة تقدم نبوءاتها للزائرين عبر دخولها في حالة غشية. بالرغم من تحوّل مُعظم هذا الشعب إلى الديانة المسيحية لكنهم لازالوا يمارسون العرافة بانتظام. أشهر المراكز النبوئية هي تلك الموجودة في

معبد "أغبالا" Agbala في مدينة "أوكا"، ومعبد "تشوكوا" Chukwu في مدينة "أروشوكوا".

هناك أيضاً تقليد "إيفا/أوريشا" Ifa/Orisha tradition لشعب "اليوروبا" Yoruba (غرب أفريقيا). صحيح أن هذا التقليد نبع من ثقافة شعب "اليوروبا" لكن ليس جميعهم يمارسونها أو منخرطون في شعائرها ومعتقداتها بسبب اعتناقهم للديانات السماوية أيضاً. هذا التقليد يتمحور حول مجموعة نصوص "إيفا" Ifa المقدسة التي أوحيت إلى النبيّ "أورونميلا" Orunmila قبل أكثر من أربعة آلاف سنة. كانت تعاليم "أورونميلا" موجّهة إلى شعب "اليوروبا" والتي تمحورت حول وسائل التنبؤ بالمستقبل، الصلوات، الرقص الشعائري، الحركات الإيمائية، الارتقاء الروحي (البحران) الفردي والجماعي، الحمامات الروحية، التأمّل، وعلم الأعشاب. الكاهن الذي يحترف التنبؤ بالمستقبل يُسمى "بابالاو" babalawo.

البابالاو يستخدم لوحة "أورناميلا" للتنبؤ بالمستقبل (تشبه صيغة "الودع" بالمفهوم العربي)

كافة الديانات الوثنية المنتشرة في جزر المحيطات حول العالم هي نبوئية. في "هاواي" Hawaii مثلاً، يمكن إيجاد مراكز نبوئية في بعض المعابد ("هياو" heiau) تكون هذه المراكز التي يتلقى فيها الكهنة "إرادة الآلهة"على شكل أبراج مغطاة بأغطية بيضاء (تُسمى "آنوو" 'Anu'u).

ملاحظة: هذا الموضوع السابق يتناول عيّنات عن أديان قائمة بذاتها وتتمحور حول العرافة والتنبؤ. لكن إذا أردنا تناول موضوع "العرافة" من حيث النشاطات الفردية سوف لن ننتهي أبداً، لأن هذه الظاهرة منتشرة بشكل واسع رغم تعرّضها للتجاهل المقصود رسمياً وشعبياً. سوف أتناول في أجزاء قادمة وساءل مختلفة للعرافة التي كانت منتشرة في العالم القديم والمفهوم الجوهري الذي ترتكز عليه.

إذا واجهك أحدهم بسؤال، هل تعتقد بقدرة التنبؤ بالمستقبل؟ وكنت شخص متديّن، لا بد بأن جوابك البديهي هو استبعاد هذه الفكرة وبطريقة تحريمية مرتبطة بالشيطان وعملاءه. لكن إذا كنت علماني/مادي، وواجهت ذات السؤال، فسيكون الأمر أصعب بكثير، حيث من المؤكّد أنك ستجيب بطريقة سلبية. لكن إذا كان مزاجك حاضراً وأبديت بعض الانفتاح، سوف تأتيها بطريقة فيزيائية معقّدة على طريقة أينشتاين ومعادلاته الرياضية التي توصف الفضاء الفوقي، متجاهلاً تماماً أي حقيقة أخرى تدعم هذه الظاهرة بطريقة فعلية ومباشرة، كالظواهر التي ستتعرف عليها في الفصول التالية من هذا الكتاب. لكن في كل الأحوال، مهما كانت نظرتك تجاه هذا المجال، قبل أن تبدي كل هذه الثقة في جوابك، أرجو أن تتريّث قليلاً لأنك ستُصاب بالصدمة بعد الاطلاع على حقائق مذهلة عن نفسك، كتلك التي تثبت بأننا: كائنات بيولوجية تتجاوز حاجز الزمن في كل ثانية وكل لحظة من حياتنا، ولولا هذا المظهر لما استطعنا البقاء أحياء! هل صُدمت من هذه الحقيقة؟ ماذا ستفعل إذاً بعد أن تتعرف على عدد كبير من المعلومات المذهلة الأخرى عن نفسك؟ أنصحك بأن تحاول جاهداً في تحضير نفسك لتقبّل هذه "الفكرة الشيطانية!" ابتداء من الآن.

الفكرة العامة التي تسود في الوقت الحالي بخصوص المراكز النبوئية القديمة والكهنة العرافين تختلف تماماً عن ما كان قائماً في الماضي ولازال كذلك في بعض المناطق حول العالم. لازالت المراجع الرسمية ترسّخ فكرة خاطئة وحتى ظالمة بحق هذه الممارسة، حيث جميع المقالات والأبحاث التي تتناول موضوع "معابد النبوءة في الزمن القديم"، مهما كان الاختصاص أو وجهة النظر، دينية أو علمانية، الأمر يبقى ذاته، حيث يُختم المقال بفكرة نهائية يمكن تلخيصها بالفقرة التالية (مأخوذة من مقال يتحدث عن الكهنة العرافين في كل من اليونان وروما):

".. كان الكهنة العرافين الذين عملوا في معابد النبوءة شخصيات مثيرة للجدل في الأديان الإغريقية والرومانية، لأنه في مناسبات كثيرة كانت تنبؤاتهم وتوقعاتهم تُخطئ أو تفشل تماماً، وأثبتت أكثر من مرّة بأنها غير معصومة. رغم ذلك كله، بقيت تُعتبر عناصر محورية في أديان ومُعتقدات بعض أعظم الحضارات في تاريخ البشرية. كانت هذه المراكز رائجة شعبياً في تلك الحضارات العظيمة لدرجة أن الناس يحجّون إليها من بلاد بعيدة جداً فقط من أجل الحصول على جواب لسؤال واحد. السؤال حول إن كانت تنبؤاتهم مستوحاة من أصول إلهية أو مجرّد هلوسة ناتجة من تناول مواد مخدّرة سيبقى لغزاً قائماً حتى إشعار آخر.."

كل الآراء المتعلّقة بهذه الممارسة القديمة تحمل في طياتها تناقضات كبيرة لدرجة أن تجاهلها مُستغرب فعلاً. وسبب هذا التجاهل (المقصود طبعاً) يعود إلى محاولة حثيثة للمحافظة على ترسيخ الرأي السائد، أو التملّق للسلطات التي ترسّخ هذا الرأي السائد. لكن السؤال الذي عجزت السلطات المعنية عن إيجاد جواب شافي له هو: كيف يمكن المزج بين حضارات عظيمة، حيث التقدم الفكري والفلسفي، وبين الإيمان بممارسات ماورائية غير مجدية؟! ماذا سيكون موقف هذه السلطات المعنية بعد معرفة أنه حتى معابد النبوءة التي شهدت قمّة مجدها في زمن الحضارة الإغريقية، مثل "دلفي"، هي في الحقيقة مجرّد بقايا أشلاء المؤسسات العظيمة التي قامت في زمن الحضارات الجبارة قبل الطوفان؟

بكل تأكيد، هذه الممارسة لا تخلو من الدجالين الذين ساهموا بشكل كبير في تشويه صورة هذا المجال، لكن هذا لا يمنع إبراز جوانبه الإيجابية التي هي أكثر من السلبية بكثير، مثل استناده على أسس منطقية يعترف بها العلم الحديث (الطبيعة الفيزيائية للزمن وأبعاد الفضاء الفوقي)، بالإضافة إلى تمحوره حول قدرة طبيعية يتمتع بها الإنسان وكل مخلوق في هذا الكون الهولوغرافي وهي قدرة العقل على تجاوز حاجز الزمن. هذه القدرة الفطرية التي لا تبرز بوضوح في الحالة العادية لكن يمكن تنشيطها عبر التدريب (كما كان يفعل الكهنة في الماضي عبر وسائل وإجراءات مختلفة). أما في الوقت الحالي، فهناك عقبات كثيرة تمنع ظهورها لدى الإنسان العصري، عقبات بيولوجية، نفسية، فكرية.. إلى آخره، لكن العقبة الأكثر تأثيراً هي "الإيمان بعدم وجود هذه القدرة أصلاً"، هذه الحالة وحدها تمنع الإنسان من إحياءها بداخله بسبب استبعاده لوجود الظاهرة أساساً.

إذا أزلنا كافة الشوائب المتعلقة بهذه الممارسة، مثل الطقوس والشعائر والمعتقدات الخرافية والخزعبلات الماورائية.. إلى آخره، ماذا يبقى لدينا؟ الجواب واضح وبسيط: في هذا الكون الهولوغرافي، حيث يستطيع الإنسان تجسيد الوعي الديناميكي لديه في أي مكان وزمان، أصبح منطقياً بالتالي أنه يستطيع الحصول على معلومات متجاوزة للزمن.. من الماضي الحاضر والمستقبل. في الحالة العادية، تكون هذه القدرة متطورة لدى البعض بينما تتراجع لدى البعض الآخر، لكنها موجودة على أي حال. خلال السعي إلى تكذيب هذه الظاهرة (قدرة التنبؤ) كان المكذّبين يتناولون الممارسات الشنيعة التي تتم من أجل تجسيد الظاهرة والتي هي من صنيعة الدجالين والمغرضين، لكنهم لم يجرؤوا على تناول الظاهرة بذاتها. لأن العلم الحديث اعترف بها ولو مُرغماً وبشكل خجول.

قبل تناول هذه الظاهرة وفق المفاهيم العلمية ونظرياتها والتعرف على بعض الظواهر الطبيعية الداعمة لصحّة وجودها، أعتقد أن علينا أولاً إزالة بعض الشوائب الراسخة منذ آلاف السنين والتي تُكذّب الممارسة التي كانت تجري في المعابد القديمة مثل "دلفي". فيما يلي اقتباس يساعدنا كثيراً على تكوين صورة

شاملة للظروف التي أدّت إلى حالة التشكيك هذه، إذ يبيّن مكمن الخلل الذي أدى إلى رسوخ اعتقادنا الخاطئ بعدم وجود هذه الظاهرة والنظر إلى ما كان يُمارس في الماضي على أنه شعوذة وثنية لجأ إليها الدجالون لخداع الرعايا. سوف نكتشف بأن الأسباب الفعلية هي سياسية واجتماعية أكثر من كونها ماورائية وميتافيزيقية. الاقتباس التالي مأخوذ من كتاب بعنوان "الديانات الشعبية الإغريقية" Greek Religion Popular (١٩٤٠م)، لمؤلفه "مارتن.ب. نلسون" Martin P. Nilsson. صحيح أن الكاتب تناول موضوع معابد النبوءة بنظرة متشككة، لكنه أفادنا كثيراً، دون قصد منه طبعاً، من خلال إلقاء الضوء على أسباب مهمة جداً أدت إلى رسوخ هذه الفكرة المتشككة في نفوس الناس منذ ذلك الزمن القديم.

العرافون والمتنبؤون
SEERS AND ORACLES

بقلم "مارتن.ب. نلسون"

الفصل السابع من كتاب الديانات الشعبية الإغريقية

كانت الحالة الدينية في اليونان معقّدة في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وهذا لا يستثني الديانات الشعبية. كان الأمر بسيطاً في أرياف المقاطعات المتخلفة، حيث ساد الإيمان دون أي إزعاج وحافظ الناس على تقاليدهم الريفية البسيطة من خلال ممارسة شعائرهم الاحتفالية الفلكلورية وتبجيل آلهتهم وأبطالهم دون أن يشغلوا أنفسهم كثيراً في التفكير بالآلهة الكبار عبر الانخراط في التنظير الفقهي واللاهوتي. الخلفية التي يستند عليها هذا الإيمان البسيط لازالت قائمة حتى اليوم في أرياف كافة الدول. لكن الوضع كان مختلفاً في مكان آخر، خصوصاً في المدن، حيث كان على الدين مواجهة الحياة السياسية وحركات التنوّر المتجدّدة على الدوام. عزى الناس عظمة الدولة ومجدها، حريتها واستقلالها، إلى الآلهة العظيمة. لقد تمتعوا بولائم الذبائح التي قدمتها الدولة للآلهة، واجتمعوا يحتفلون ببهجة وفرح في المهرجانات السنوية المكرّسة لكل من هذه الآلهة. لكن عبادة هذه الآلهة كانت باردة جداً. هذه الآلهة لم تقدم أي مساعدة خلال اللجوء إليها، ولم تواسي أي من القلوب المكسورة. صلات الوصل بين الدولة والعائلة أنحلّت تدريجياً، وأصبح الفرد أكثر وعياً تجاه ذاته. بقيت الدولة تدعي سلطتها المطلقة كما كانت دائماً، لكن سوء استخدام الديمقراطية جعل الناس يتمردون على هيبتها ويذهبون إلى البحث عن المنافع والمسرات بطرق أخرى. لم يعد الإنسان ملكاً لآلهته كما كان في السابق. أصبح يرغب في إيجاد آلهته الخاصة بنفسه. فلجأ إلى الآلهة التي تستطيع مساعدته فعلياً. لجأ إلى "أسكليبيوس" Asclepius، إله الدواء والعلاج. ولجأ إلى مجموعة "كابيري" Cabiri *(آلهة الخصوبة والبحر)* للحماية من الكوارث البحرية. لجأ إلى الآلهة التي تستطيع تهييج مشاعره الدينية بعمق، كما فعل الإله "سابازيوس" Sabazius (البديل للإله "باخوس" في العصر الروماني).

في هذه الحركة التمردية كان للنساء دور مهم جداً. انتقاد المعتقدات الدينية من قبل "السفسطائيين" Sophists والنكات البذيئة التي تداولها الناس عن الآلهة، والتي أطلقها رجال مثل "أريسطوفين" Aristophanes، فعلت فعلها بالجماهير. الساحة لم تخلو من الملحدين في تلك الفترة، كما أنها لم تخلو أيضاً من الوصوليين الذين استخدموا الدين كوسيلة لتحقيق مآربهم الشخصية. لقد اهتزّ إيمان الجماهير بقوة، لكنه لم ينهار أو يتلاشى.

كانت الأوضاع تنفجر بعُنف في مناسبات عديدة، حيث كان يتملك الناس نوع من الهستريا الدينية بعد إيمانهم بأن رفاهيتهم وتلك العائدة للدولة مهددتين بسبب انتشار الكفر وعدم التقوى، خصوصاً تلك الانتقادات المتطاولة على الآلهة. المحاكمات الدينية التي أجريت في "أثينا" مشهورة عبر التاريخ. وكان واضحاً أن محاكمة زوجة "بريكلز" Pericles *(رجل دولة وجنرال أثيني)*، "أسباسيا" Aspasia، وصديقه الفيلسوف "أناكساغوراس" Anaxagoras، لها خلفيات سياسية. وكانت هذه الخلفية واضحة أيضاً في محاكمة "ألسيبياديس" Alcibiades *(سياسي وقائد عسكري بارز)* بتهمة تدنيس وانتهاك حرمة "التقاليد الإليوسية" Eleusinian Mysteries *(تقليد ديني مقدّس يتمحور حول عبادة "ديميتر" و"بيرسوفون")*. كانت الخلفية السياسية ظاهرة أيضاً في المحاكمة الشهيرة باسم "تكسير الهرمزيات" *(أحداث العام ٤١٥ ق.م، تمحورت حول جريمة تحطيم حجارة مقدّسة تمثّل الإله هرمز)*. في هذه المناسبة الأخيرة حصلت هستيريا دينية واسعة النطاق، والأمر المريب هو أن الأحداث تزامنت مع انطلاق الأسطول البحري باتجاه "ساراكيوز" Syracuse *(جنوب شرقي جزيرة صقلية)*. خاف الناس من غضب الآلهة التي قد تعبر عن انتقامها من خلال إحداث كارثة في هذه الرحلة البحرية المهمّة، أو على الأقلّ وجدوا نذير شؤم في الأحداث. في نفس الوقت تقريباً، تم إدانة السفسطائي "بروتاغوراس" Protagoras والملحد "دياغوراس" Diagoras بتهمة الكفر والإلحاد. أشهر المحاكمات هي تلك التي أدانت وأعدمت "سقراط". أدين هذا الأخير بتهمة إغراء الشباب واستدراجهم، بالإضافة إلى الانتماء إلى عبادة آلهة أخرى غير آلهة الدولة. الذين اتهموه وأدانوه كانوا مواطنين صالحين غايتهم محاولة رأب الجروح العميقة التي خلفتها الحرب

وإرهاب "الطغاة الثلاثين" *(مجموعة من الأقليّة الاسبارتية التي حكمت أثينا مدة عام واحد بعد الحرب البيلوبونيزية)*، وكانوا يؤمنون بصدق بأنهم سينجحون في مسعاهم هذا من خلال إزالة عدو الإيمان الأساسي والتقليد القديم. لكنهم في الحقيقة اقترفوا خطأً فظيع، لأنهم قضوا على الرجل الذي ساعد في التغلّب على الانتقادات السفسطائية. أقيمت هكذا محاكمات (دينية) لاحقاً، وحتى أرسطو هُدّد بالخضوع لواحدة منها.

باستثناء الشعائر الدينية البسيطة التي يقيمها الرعايا الساذجين في الأرياف الهادئة، قُدر للديانة اليونانية أن تتفاعل مع الحياة السياسية إلى حد الاندماج. علينا أن نتذكّر بأن الناس الذين نتحدث عن ديانتهم صاغوا نظام الجمعية التشريعية، وهذه الجمعية السياسية خرجت بالكثير من القرارات المتعلّقة بالشؤون الدينية، لكن هذا لم يمنعهم من التسليم بوجود سلطة ماورائية واللجوء إلى معبد "دلفي" أو غيره من معابد نبوئية سعياً للنصيحة. هذا التمازج بين الدين والسياسة واضح جداً في مجال ديني آخر كان له أهمية عظيمة في الحياة العملية. أقصد بذلك ممارسة "العرافة" أو التنبؤ بالمستقبل. لا يمكن تصوّر مدى أهمية هذا المجال في الحياة الشخصية والعامة لشعوب تلك الفترة. وأعتقد شخصياً أنه يُمثّل الجانب الديني الأكثر أهمية في تلك الحقبة.

كان سكان المدن يلجؤون إلى معابد النبوءة سعياً للنصائح، ليس في مسائل الدينية فحسب بل مسائل أخرى أيضاً، وكان الأفراد يقومون بذلك في كل المناسبات وكلما سنحت الفرصة. بالإضافة إلى ذلك، كانت المعلومات النبوئية تُستخلص من أحشاء الذبائح، مراقبة سلوك الطيور، الأحلام، ونذائر أخرى. يمكننا تناول "كزينوفون" Xenophon كمثال واضح على ذلك *(كان جنرال ومؤرّخ يوناني بارز، وأحد تلاميذ سقراط)*. كان هذا الأخير رجل شجاع وعالي التعليم، ضابط محترف، وكاتب موهوب، لكن يبدو أنه يفتقر إلى المعرفة الفلسفية العميقة. كانت نظرته الدينية مماثلة لأي فرد ينتمي للطبقة الوسطى في أثينا. كان يلجأ إلى العرافين ومعابد النبوءة في كل المناسبات. قبل انطلاق "كزينوفون" إلى آسيا للانضمام للحملة العسكرية ضدّ "سايروس" Cyrus لجأ إلى معبد "الدلفي" لمعرفة أي إله سينذر له

الذبيحة لكي يعود من هذه الرحلة بسلام. وعند نشوب خلاف في أوساط الحملة المؤلفة من عشرة آلاف عسكري، قدم ذبيحة للآلهة وسائلهم إذا كان عليه العودة إلى الوطن. لكنه لم يفعل ذلك بعد تسلّمه منصب قيادة الحملة وكان يفكّر باستقرار الجيش في "كوتيورا" Kotyora. كان يؤمن بعمق أنه يُرشد من قبل البشائر والنذائر. الحلم الذي رأى فيه صاعقة تضرب منزل والده كان السبب المباشر لجمع ضباطه بعد موت "سايروس" لاستشارتهم حول الوضع الإشكالي للجيش. وهناك حلم آخر أرشده كيف يعبر نهر دجلة بعد أن حوصر الجيش بين النهر والجبال. عندما كان منطلقاً من "إيفيسوس" Ephesus للقاء "سايروس"، سمع صرخة غريبة صادرة من نسر قابع على جهته اليمين، وقال "العراف" المرافق له بأنها إشارة المجد لكن بعد مصاعب كثيرة. وأخيراً، عندما عطس أحد الحاضرين خلال إلقاءه خطاب وعضي أمام الجنود بعد مقتل "كليرتشوس" راح الجنود يكبّرون الآلهة.

لقد آمن "كزينوفون" بالنذائر بشكل جذري، وعندما فشلت بعضها من التحقّق كان يبذل جهود مضنية لشرحها بطريقة التفافية لإثبات صحتها على أي حال. هناك الكثير من النذائر والنبوءات المشابهة المنسوبة إلى "هيرودوتوس" Herodotus.

لطالما كانت الرغبة في استراق لمحة من المستقبل كامنة لدى الإنسانية. حتى في يومنا هذا يمكننا إيجاد الكثير من البصارين والعرافين، والكثير من الناس لازالوا يؤمنون بنبوءة الأحلام والنذائر. لا عجباً إذاً بأن القدماء فعلوا ذلك أيضاً. لكن وجب الأخذ بالحسبان بأنه في الوقت الذي نجد فيه هذا المجال (العرافة) ممقوت من قبل المتعلمين والمثقفين الذين ينسبونه إلى ماورائيات غير مجدية، نجد بأنه نال احترام كبير بين شريحة واسعة من المتعلمين والمثقفين الإغريق بالإضافة إلى كونه يمثّل جانب مهم ومُسلّم به في الديانة الإغريقية. الشعبية الواسعة لمعبد "دلفي" جاءت بمُعظمها من قدرتها المزعومة على التنبؤ بالمستقبل. كان هناك عدد كبير من معابد النبوءة في اليونان، ووفقاً للمؤرّخ "هيرودوتس"، ازدهرت بشكل كبير قبل وخلال الحروب الفارسية. لكنها كانت تُقصد في الحقبة اللاحقة أيضاً، لكن

هيبتها ضعُفت ليس لشيء سوى أن الإغريق توجّهوا إلى استشارة المعابد الأجنبية، خصوصاً معبد "آمون" Ammon الواقع في الواحة العُظمى (ليبيا الآن) *(وهو مركز نبوئي يُعد امتداد فرعي لمعبد "آمون" في طيبة بمصر)*. في الحقبة الهيلينية فقدت معابد النبوءة الإغريقية شعبيتها بشكل كبير *(بسبب تدخّل عاملي السياسة والتجارة في أداء الكهنة)*.

احتفظ كتاب تلك الحقبة فقط بالأسئلة المهمة التي طُرحت على المعابد سعياً للإجابة. لكن من المؤكّد أن العامة سعوا إلى هذه المعابد في كافة لأوقات طلباً لإجابات تخصّ كل شاردة وواردة في حياتهم اليومية. لكن السجلات المحتوية على هذه الاستشارات الشعبية المتعلقة بالحياة العادية ضاعت بكاملها، باستثناء حالة واحدة. اكتُشف في موقع "دودونا" عدد من البلاطات الرصاصية محفور عليها عينات من الأسئلة الشائعة التي يطرحها العامة على الكهنة العرافين. إنه مثير جداً معرفة كيف تبدو هذه الأسئلة. أحدهم يُدعى "هيراكليديس" Heraclides ويسأل إن كانت زوجته ستنجب مولوداً، وآخر يُدعى "لايزانياس" Lysanias يسأل إذا كان الجنين الذي في بطن زوجته "أميلا" Amyla يعود له، ورجل آخر يسأل إذا كان لصالحه أن يشتري منزل وقطعة أرض في البلدة، وثاني يسأل إذا كان لمصلحته تربية الأغنام، وثالث يسأل إذا كان سيكسب من خلال العمل كبائع متجوّل في البلاد دون الاستقرار في متجر ثابت... وهكذا. يمكننا من خلالها معرفة طبيعة الاستشارات التي يسعى إليها العامة في حياتهم الأسرية والمهنية، ونستطيع أيضاً فهم الدور المهم الذي تلعبه معابد العرافة في الحياة العملية. وجب عدم نسيان حقيقة أن النذائر والأحلام التنبؤية تؤُخذ في الحسبان أيضاً.

إن كل من قرأ أعمال المؤرخين الإغريق يعلم جيداً بأنه في تلك الفترة لم تُنشب حرب، أو يُعبر نهر، قبل أن تُقدم الذبائح للآلهة وينبش الكهنة العرافين أحشائها للتنبؤ بنتائج إيجابية تشجّع على الشروع في العمل. إذا كانت العلامات سلبية، ينتظرون فترة ثم يقدمون ذبيحة ثانية، ثم ثالثة،.. وهكذا إلى أن تظهر العلامات الإيجابية. ويُصادف أحياناً بأن يأمر أحد الجنرالات جيشه بالتوقف عن التقدم

للأمام انتظاراً للعلامات الإيجابية من الكهنة، حتى لو شرع العدو بالهجوم. ويُصادف أحياناً بأن تتغيّر الخطة العسكرية كلياً إذا كانت العلامات سلبية. كان العرافين يرافقون الجيوش دائماً. بين كل عشرة آلاف نجد عدة عرافين بينهم.

بالنسبة لنا تبدو هذه الحالة مناقضة لكل القيم والمفاهيم السائدة اليوم، حيث نستغرب كيف يمكن للجنرالات انتظار العرافين للخروج بعلامات إيجابية من أحشاء الذبائح في الوقت الذي تتطلب فيه المعركة سرعة القرار والتصرّف ووفقاً لاعتبارات إستراتيجية صرف. لكن الإغريق كانوا يفكرون بطريقة مختلفة تماماً، حيث كانت ممارسة "العرافة" تُعتبر من المقومات الأساسية في التجهيزات الحربية. وجب أن لا نُهمل التأثير النفسي الذي تفرضه هذه العلامات "المُرسلة من الآلهة" على الجنود وأداءهم في المعركة، حيث الجنود كانوا يؤمنون بهذه النذائر مثل قادتهم إن لم نقل أكثر. طبعاً وبكل تأكيد، كانت هذه الحالة النفسية تُستغل وتُستثمر بشكل كبير، حيث هناك الكثير من "العرافين" المنافقين الذين يترجمون العلامات وفقاً لرغبة القادة أو لمتطلبات إستراتيجية عسكرية، ويمكننا إيجاد الكثير من الأمثلة على حالات قام بها الجنرالات بفرض إرادتهم على "العرافين" لغايات تتعلّق بمتطلبات المعركة. في معركة "بلاتايا"، أمر "بوزانياس" Pausanias جيشه بوقف التقدّم، بذريعة أن النذائر غير مناسبة، حتى وصل العدو إلى مسافة قريبة مكّنت منه كتائب "الهوبلايت" hoplites *(كتيبة مشاة في الجيش اليوناني مجهّزة بأسلحة ودروع ثقيلة تمكنها من اختراق أي خط أمامي)*. لكن كان هناك جنرالات متعصبون أيضاً، والذين امتثلوا لمشيئة العرافين مقابل تجاهل ضرورات عسكرية. أكثر الأمثلة مأساوية هو حالة "نيسياس" Nicias وهزيمة الأثينيين في "سيراكيوز" بجزيرة صقلية *(كان "نيسياس" جنرال وسياسي أثيني خلال الحرب مع الاسبرطيين، وقاد الحصار البحري الفاشل على مدينة "سيراكيوز"، صقلية، وهذا الفشل ساهم في هزيمة الأثينيين بشكل نهائي)*. بعد أن تقرّر الانسحاب في موعد خسوف القمر، نصح العرافون بضرورة بقاء الجيش في موقعه تسعة أيام مثلّثة. أطاع "نيسياس" قرار العرافين، لكن تأجيل الانسحاب أدى إلى هلاك الجيش. في السيرة الشخصية للجنرال "نيسياس"، عبّر بلوتارش" Plutarch عن حزنه الشديد لموت العرّاف "ستيلبايدز"

Stilbides (الذي أعدمه "نيسياس" بعد الهزيمة) والذي رثاه قائلاً بأنه لن يحظى "نيسياس" بعرّاف حكيم مثله بعدها.

هناك عرّافين متآمرون من تلقاء نفسهم ولأسباب تتعلّق بمصالحهم الشخصية. فمثلاً، العرّاف "سيلانوس" Silanos الذي سأله الجنرال "كزينوفون" بأن يستشير الآلهة حول خطته في عسكرة جيشه عند "كوتيورا"، لكنه ابتكر نبوءة كاذبة تمنعه من ذلك، وليس لشيء سوى بسبب رغبة العراف في العودة إلى الوطن. في مخطوطات أحد الكتاب العسكريين العائد إلى نفس الحقبة تقريباً، هناك وصفة إرشادية توصي بوجوب مراقبة الجنرال لتصرفات العرّاف خلال الأوضاع العسكرية الحرجة مثل الحصار أو مواجهة جيوش جرّارة، حيث عليه عدم السماح لهم بإجراء شعائر التنبؤ خلال غيابه من المكان، لأن تصريحاتهم لها أثر كبير في نفوس الجنود والرأي العام.

الدور الذي لعبه العرافين في الحرب يبدو أنه من نوع خاص، لكن الحروب كانت شائعة جداً في اليونان. بين كل حربين عظيمتين نجد حروب صغيرة دائرة هنا وهناك في إحدى زوايا البلاد. كانت الآلهة تُستشار دائماً وباستمرار خلال فترة الحروب، والسبب الأهم هو التأثير النفسي الذي تتركه نبوءات العرافين في المحاربين. وفقاً لوصف الجنرال "كزينوفون" في كتاباته عن أحداث "ترواس" Troas *(مدينة في شمال غرب تركيا)*، راح العرافون يتوافدون من كل مكان ويعرضون خدماتهم لكل من دفع الأجر. والأمر المثير هو ذكره لعرافين قادمين من مقاطعات متخلّفة في اليونان مثل "أركاديا" Arcadia و"أكرنانيا" Acarnania. يبدو أن الإيمان بهذه الحرفة كان راسخاً في هذه المناطق. بعض العرافين اكتسبوا شهرة عظيمة. أحدهم اسمه "تيزامينوس" Tisamenus، الذي ينتمي إلى أسرة شهيرة بالعرافين من "أوليمبيا"، وهي عائلة "أيميدَي" Iamidae، وخدم كعرّاف في الحروب الكُبرى ضدّ الفرس. حتى أنه مُنح جنسيّة اسبرطية كتشريف له.

إذا كان العرافون قادرون على التأثير بعقول الرجال في الحرب، فهم قادرين أيضاً وبكل تأكيد على التأثير بنفس الدرجة خلال فترة السلام وفي الحياة السياسية. الأمر الأهم الذي وجب ذكره هو "تجار النبوءات" والذين يُشار إليهم باسم "كريسمولوغوي" chresmologoi الذين يروّجون بين الناس نبوءات مجهولة المصدر أو منسوبة إلى متنبئ قديم، مثل "ميوسايوس" Musaeus أو "باكيس" Bacis، أو يُنسبونها لمعبد نبوئي بارز مثل "الدلفي".

هذه النبوءات ليست علامات أو نذائر ممنوحة من الآلهة خلال التضحيات أو غيرها من وسائل مألوفة، بل كانت كلمات مُرتبة على شكل أبيات شعر تجعله سهلاً على الناس حفظها في ذاكرتهم وتداولها في جلساتهم، وكانت تنتقل بسرعة خاطفة من الفم إلى الأذن. كانت القصائد الشعرية من بين أقوى الوسائل المؤثّرة على الرأي العام عندما يتعلّق الأمر باتخاذ قرار جماهيري مهم. لكن الدور الذي تلعبه نبوءات العرّافين عموماً لم ينال الاهتمام المُستحق من قبل الباحثين العصريين، لذلك سوف أسلّط عليها المزيد من الضوء هنا. الدور الذي لعبته نبوءات العرافين في التهيج السياسي يماثل تماماً دور الصُحف والمناشير السياسية في وقتنا الحالي. وسوف أقدّم فيما يلي بعض الأمثلة على تأثيرها الحاسم في هذا المضمار.

بدأ هذا الدور الذي لعبته النبوءات قبل الحروب الفارسية. ذكر "هيرودوتوس" بأنه عندما طرد "كليومينز" Cleomenes ملك اسبارتا، أولاد "بيسيستراتوس" Pisistratus *(أحد طغاة أثينا)* في العام ٥١٠ ق.م واستولى على الـ"أكروبوليس" Acropolis (قلعة أثينا)، وجد في معبدها مجموعة من النبوءات العائدة إلى الكهنة العرافين الأثينيين. هذه النبوءات تحدثت عن ضربات قوية يُسددها الأثينيين ضد الإسبرطيين. وفي هذا السياق أود التذكير بحقيقة أن الخصوم السياسيين لحكام أثينا، والذين تم نفيهم في فترة سابقة، حصلوا على دعم من نبوءة معبد "دلفي" وعبرها تلقوا مساعدة الاسبرطيين الذين شجعتهم النبوءة على غزو أثينا. ما حصل هو واضح بما يكفي. كان حكام أثينا يعلمون بأن الاسبرطيين أشرس أعدائهم مما

يثير الرعب في نفوس رعاياهم، فقاموا بفبركة النبوءات المزيّفة ليس لمسراتهم الشخصية، بل من أجل تحضير مزاج السكان لمواجهة الاسبرطيين، والوسيلة الوحيدة لرفع المعنويات وزيادة الثقة بالنفس هي إسماع الناس نبوءات مُفبركة بهذه الطريقة.

هناك قصة أحرى رواها "هيرودوتوس" عن "أونوماكريتوس" Onomacritus، الذي اشتُهر بسبب تسويقه للديانة "الأورفية" Orphism *(ديانة صوفية يُقال بأنه تستند على أشعار "أورفيوس" Orpheus، وتتميّز بطقوس التطهير، الموت، والولادة من جديد)*. تم نفيه من قبل "هيباركوس" Hipparchus، ابن "بيسيستراتوس" *(الطاغية)*، لأن شاعر آخر يُدعى "لازوس" Lasus أمسك به متلبساً، يدُسّ في مجموعة النبوءات المنسوبة إلى المتنبئ "ميوزايوس" Musaeus نبوءة مزيّفة تقول بأن الجزر المحيطة بـــ"لمنوس" Lemnos *(جزيرة يونانية)* سوف تُغمر بمياه البحر. لا أعتقد بأن السبب الحقيقي وراء نفي "أونوماكريتوس" يعود إلى مجرّد ارتكاب جريمة تزوير. كانت جزيرة "لمنوس" محكومة من قبل "ملتياديس" Miltiades، وهذا بموافقة ورضى حكام أثينا طبعاً، وذلك لأنه وفر الدعم اللازم لتأثير أثينا السياسي والتجاري على الجانب الشمالي الشرقي من بحر "إيجه" وهذا كان أمر مهم جداً بالنسبة لحكام أثينا. فبالتالي أصبحت الخلفية السياسية واضحة. النبوءة المدسوسة من قبل "أونوماكريتوس" كانت غير متوافقة مع المخططات الإستراتيجية، وبالتالي كانت غاياته سياسية أكثر من كونها أخلاقية. بعد نفيه، توجّه "أونوماكريتوس" إلى بلاط الملك الفارسي، واستخدم نبوءاته لإغراء الملك على تجهيز حملة عسكرية ضد اليونان. راح يقرأ عدد كبير من النبوءات، وإذا كانت إحداها غير مناسبة للملك، كان يحجبها. لقد اختار النبوءات الإيجابية فقط. الآن بدأنا نعلم الفائدة الحقيقية لنبوءات العرافين.

كان هناك مجموعات كثيرة من النبوءات، وكانت مصداقيتها تُعزّز عبر إنسابها لأحد المتنبئين الشهيرين القدماء. أكثر المتنبئين احتراماً كان "باكيس" Bacis. "هيرودوتوس" لا يقتبس سوى من نبوءات هذا الأخير بالإضافة إلى تلك العائدة إلى

"بايثيا" (كاهنة "دلفي"). في أحد الفقرات ذكر ملاحظة مثيرة تثبت بأن الانتقادات بدأت تبرز. خلال حديثه عن نبوءة رديئة السمعة تتعلق بمعركة "أرتيميزيوم" Artemisium قال "هيرودوتوس" بأنه لا يستطيع التشكيك بصحّة النبوءات وأنه، كما يقول النبي "باكيس" بوضوح، لا ينوي التسامح مع، أو الإقرار بما يناقض هذا الخصوص. وطن "السيبيل" Sibyl *("الكاهنة العرافة" بالرومانية)* لم يكن في اليونان بل في آسيا الصغرى *(تركيا الآن)*. هناك مجموعة نبوءات منسوبة إليها جُلبت من مستعمرة "كوماي" اليونانية إلى روما في نفس الفترة تقريباً. هي ذاتها التي أصبحت مشهورة باسم "كُتب السبيلين" Sibylline Books. هناك نبوءة للسيبيلين عائدة لعام ١٢٥ ق.م لازالت محفوظة في "فليغون" Phlegon. وهي بكل تأكيد غير أصلية. يمكن ملاحظة أنها تحتوي عموماً على وصفات لأساليب التضحية والتطهير، رغم أنها تحتوي أيضاً على بعض التلميحات السياسية الضمنية. من الجدير الذكر بأن "كُتب السيبيلين" هي إحدى المجموعات النبوئية التي كان مُتداولة بشكل واسع في اليونان بنهايات القرن السادس ق.م، وهذا يشمل المستعمرات اليونانية أيضاً.

المؤرّخ اليوناني "ثوسيدايدز" Thucydides يقدم صورة واضحة عن دور النبوءات خلال الحرب "البيلوبونيزية" Peloponnesian. كان ابن العصر التنويري السفسطائي ولا يؤمن بالنبوءات إطلاقاً. لكنه يذكرها فقط لإظهار تأثيرها النفسي والانطباع الذي تتركه في عقول الناس. من المؤكّد أنها كانت فائدة كبيرة بالنسبة للاسبرطيين عندما سألوا الإله "أبوللو" في "دلفي" عن الحرب وقال لهم بأنهم سينتصرون وسوف يساعدهم حتى لو لم ينادوه لذلك. هذا زاد حماس حلفاءهم الاسبرطيين وإصرارهم على المشاركة في الحرب. لكن هذا مثال آخر على مدى تدخّل معابد النبوءة في مجال السياسة مما أدى في النهاية إلى تجريدها تماماً من مصداقيتها وسلطتها السماوية في عين الرعايا. عندما ضرب الطاعون في السنوات الأولى للحرب *("البيلوبونيزية")*، حصل جدال محتدم حول المعنى الحقيقي لإحدى الكلمات الواردة في نبوءة قديمة. هل وجب قراءتها على الشكل التالي: ".. الحرب الدورية سوف تأتي وتجلب معها المجاعة (*limos*).."؟، أم

وجب قراءتها مع استبدال كلمة "المجاعة" (*limos*) بكلمة "طاعون" (*loimos*)؟ نبوءة أخرى قادمة من "بايثيا" (كاهنة دلفي) منعتهم من الاستقرار في منطقة "بيلارغيكون" Pelargikon على المنحدر الجنوبي من الأكروبوليس *(قلعة أثينا)*. بعد مخالفة هذه النبوءة بسبب ازدحام المدينة نتيجة إخلاء الضواحي من السكان وتجميعهم فيها، ظنّ الناس بأن هذا الانتهاك التحريم الإلهي أدى إلى حصول الكوارث. علّق المؤرّخ "ثوسيدايدز" مستهزئاً، أنه بالعكس تماماً، فإن الفاجعة الناتجة من الحرب هي السبب الرئيسي وراء الاستقرار في منطقة "بيلارغيكون". عندما غزا الاسبرطيون "أتيكا" Attica *(المقاطعة التي عاصمتها أثينا)* للمرة الأولى وخربوا الحقول، اختلف الأثينيون فيما بينهم حول إن كان عليهم الخروج ومواجهة الغزاة، وفي هذه الحالة عرض تجار النبوءات عدد منها والجميع كان متلهّف للاطلاع عليها.

أبرز الأمثلة وأكثرها فظاعة بخصوص دور النبوءات والعرافة في الجدالات السياسية وكذلك استخدامها للتأثير على الرأي العام هي تلك التي حصلت خلال تحضير حملة عسكرية ضد جزيرة صقلية. بلغ الجدال أوجّه بخصوص هذا المشروع. كان هناك فريقين متنازعين، أحدهم وجد أنها مخاطرة كبيرة فرفض الفكرة بالمطلق، بينما الفريق الآخر تبنى هذا الخيار بحماسة. رئيس الفريق الذي أيّد الحملة كان "ألسيبياديس" Alcibiades الذي كانت دوافعه أنانية تتعلّق بمصالح خاصة. مهما كان رأيه بالموضوع، فخطته تهدف إلى اكتساب المجد والسلطة لنفسه. من أجل جمع تأييد شعبي للحملة كان مهم جداً توجيه الرأي العام. كان لديه عرّاف مشهور، وهذا الأخير تنبأ (بطبيعة الحال) بأن الأثينيين سيحققوا مجداً عظيماً في صقلية. لكن خصومه أيضاً لجئوا إلى الوسيلة ذاتها ولوّحوا بنبوءة معاكسة. أُرسل وفد إلى معبد "آمون" النبوئي في الواحة العظيمة (ليبيا) وعاد بجواب يقول بأن الأثينيين سيتغلبوا على "سيراكيوز" *(مدينة في صقلية)*. أما النبوءات غير المرغوبة، فقد حُجبت عن العامة. إحدى تلك النبوءات جاءت من معبد "دودونا"، والتي حُجبت مع ترجمتها التي ظهرت لاحقاً بعد الكارثة. قالت بأن الأثينيين سيستقرون في "سيكليا" Sikelia. وفقاً للترجمة، كانت النبوءة تقصد تلّ

صغير يحمل هذا الاسم خارج بوابات أثينا. قال "ثوسيدايدز" بأنه بعد الكارثة الكُبرى انقلب غضب الجماهير ليس على السياسيين فحسب، بل على العرافين وتجّار النبوءات أيضاً الذين زوّروا معطيات الوحي الإلهي لرفع الآمال الكاذبة في قلوبهم.

وصف "بلوتارش" Plutarch عدة نذائر مشؤومة تنبأت بالكارثة، تتراوح بين جريمة تحطيك الرؤوس الهرمزية، وندب النساء للإله "أدونيس" في فترة انطلاق الأسطول البحري نحو صقلية. وهناك رجل قفز إلى المذبح الذي يشمل الآلهة الإثنا عشر وخصى نفسه. ونقر الغربان قسم كبير من النذر الذي قدمه الأثينيين إلى معبد دلفي كتذكار انتصارهم على الفرس، وهو عبارة عن تمثال من البرونز. قد تكون هذه القصص مُبتكرة بعد النهاية المأساوية للحملة، لكنها على أي حال تقدم صورة عن العقلية التي كانت سائدة في تلك الفترة، البحث عن نذائر وبشائر نبوئية في كل مكان والاهتمام الكبير المُكرّس لها. طبعاً كان هناك اختصاصيين في ترجمة هذه العلامات وعندهم تُكمن المشكلة دائماً.

من الواضح أن العرافين والمتنبئين كانوا يحوزون على اهتمام الناس وإصغاءهم وساهموا بشكل كبير في توجيه الرأي العام. النسبة الأكبر من هؤلاء العرافين، تجار النبوءات، ومترجمو النذائر والبشائر والأحلام كانوا منافقون ودجالون. لكنهم لم يكونوا وضيعين كما يوصفهم "أريسطوفين" أو كما يظنّ الإنسان العصري. بعضهم كانوا سياسيين نافذين، وهذه الشريحة الأخيرة تضم المترجمين الرسميين للنصوص المقدسة التي اختارها الشعب ومعبد دلفي النبوئي. أبرز هذه النوعية من الشخصيات هو "لامبون" Lampon الذي كان شخص شهير جداً في القسم الأخير من القرن الخامس ق.م. فقد لعب دور بارز في تأسيس المستعمر اليونانية في "ثوري" Thurii، وهناك مرسوم لازال محفوظاً على نقش حجري يثبت بأن هذا الرجل كان يتولى الاقتراحات المتعلّقة بالمسائل المقدسة في مجلس الشعب. كان أحد المترجمين الرسميين في الدولة. مع هذا الأخير نجد الاسم "هيروكليس" Hierocles مذكوراً كمترجم رسمي للنذائر والنصوص النبوئية. لكن

"أريسطوفين" يهزأ من "هيروكليس" بصفته تاجر نبوءات لكن الشعب عيّنه لإدارة الأضاحي المُقدمة للآلهة لمباركة "أيوبيا" Euboea (أكبر جزيرة في اليونان) والتي أوصت بها كاهنة "دلفي"، وهذه المهمة منحته أجر سخي ممثّل بقطعة أرض في الجزيرة. سوف أذكر لاحقاً "ديوبيثيس" Diopeithes، صديق "نيسياس"، والذي نعته "أريسطوفين" بالجشع في أحد المقاطع ثم وصفه بالرجل العظيم في مقطع آخر. هناك من يحمل نفس اسم هذه الأخير في اسبرطة ويبدو أنه ذو شأن كبير، حيث أثناء المنافسة على العرش بين "أجيسيلاوس" Agesilaus و"ليوتيشيدز" Leotychides ابتكر نبوءة من "أبوللو" تحذّر الاسبرطيين من ملكية كسيحة. وكان لدى "أجيسيلاوس" رجل عرجاء. لكن الماكر "لايساندر" Lysander (سياسي يوناني محنّك) تغلّب على حيلة "ديوبيثيس" الاسبرطي عبر تفسيره لهذه النبوءة بطريقة مختلفة، قائلاً أنها تعني الولادة غير الشرعية لـــ"ليوتيشيدز"، حيث هناك شائعة تقول بأنه ليس ابن الملك "آجيز" Agis بل رجل يُدعى "ألسيبياديس" Alcibiades.

اقتضت مهنة هؤلاء الرجال (المنافقين) بأن يدافعوا عن الدين القديم عندما تعرّض للهجوم من قبل السفسطائيين وغير المؤمنين. أقيمت المحاكم الدينية التي لاحقت الملحدين بأمر من العرّاف "ديبوبيثيس" Diopeithes. وفقاً لمؤرّخ السير الذاتية "ساتايروس" Satyros، اتُهم "أناكزاغوراس" Anaxagoras من قِبل "ثوسيداديس" Thucydides، ابن "ميليسياس" Melesias، الخصم السياسي الرئيسي لـــ"بركليز" Pericles. لكن وفقاً لـــ"بلوتارش"، كان هو "ديبوبيثيس" المُتهِم. وعلى الأرجح أن الاثنين عملوا معاً. حمل "ديبوبيثيس" مشروع قانون في مجلس الشعب يجيز محاكمة الأفراد الذي لا يؤمنوا بالمقدّس والذين ينشرون تعاليم تتعلّق بالظاهرة السماوية (فلك). هنا نجد لبّ المسألة، الصِدام بين الدين القديم والفلسفة الجديدة. الأجرام السماوية هي عبارة عن آلهة خرافية مجردة من أي طقوس. جدلية أن الشمس ليست سوى كتلة مشعّة والقمر هو عالم آخر مسكون لا يمكن اعتبارها إلحاداً. لكن على الجانب الآخر، فإن بعض الظواهر السماوية، مثل كسوف القمر، لها مكانة مهمة كنذائر نبوئية عند العرّافين. فأدرك العرافون مدى الخطر الداهم

الذي تجلبه هذه التفسيرات الفيزيائية الجديدة على حرفتهم العريقة، والتي بدأ الناس يشكّون بمصداقيتها أصلاً.

لازلنا نعتقد عموماً بأن الصدام في تلك الفترة حصل بين الدين القديم والانتقادات التي وجهها السفسطائيون، لكن هذه النظرة أحادية الجانب فقط. الانتقادات الأكثر قسوة تجاه الآلهة وطقوس عبادتها جاءت من الفلاسفة مثل "كزينوفانيس" Xenophanes و"هيراكليتوس" Heraclitus والتي أثّرت في العقول أكثر من تأثيرها المادي مما جعلها تبدو غير خطرة ظاهرياً. الحقيقة هي أن السفسطائيون رغم الضجيج الذي كانوا يسببوه إلا أنهم كانوا أقل عدوانية من الفلاسفة الهادئين، رغم أن انتقاداتهم ساهمت في إضعاف الإيمان بالآلهة. السفسطائي "كريتياس" Critias مثلاً تقدم برأيه القائل بأن أحد الرجال الماكرين ابتكر فكرة "الآلهة" لأنها الطريقة الوحيدة لمنع الناس من اقتراف الخطايا في السرّ حيث يعتقدون بوجود رقيب وحسيب "غير مرئي" رغم غياب الشهود "المرئيين". أما السفسطائي "بروديكوس" Prodicus فقد تناول الاستخدام المجازي لأسماء الآلهة وهو عمل مألوف حتى في أيام "هومر" Homer *(كاتب ملحمة الإلياذة Iliad والأوديسة Odyssey حيث تُعتبر المراجع الأولى والرئيسية لأخبار الآلهة الإغريقية)* واستنتج بأن الإنسان يميل إلى اعتبار كل شيء مفيداً له بأنه إله، أي الخمر سُمي "دايونيسوس"، والنار سُميت "هيفايستوس"، والخبز "ديميتر"، وهكذا. لكن السفسطائي "بروتاغوراس" Protagoras كان أكثر حذراً، مصرحاً بأنه لا يستطيع الجدال حول الآلهة إن كانوا موجودين أم لا، ولا حول الشكل أو الهيئة التي اتخذوها. قال بأن هناك الكثير من العوامل التي تمنع الإنسان من معرفة ذلك، كغموض المسألة ومحدودية حياة الإنسان. وأضاف بأن هذه الجدلية هي ذات طبيعة فلسفية وبالتالي فإن شرح المسائل الغامضة في الدين هي من شأن الفلاسفة.

نقاشات السفسطائيين كانت متجاوزة لأفق الناس العاميين، الذين استمعوا إليها باستمتاع أحياناً وبغضب أحيان أخرى. مهما كانت الأحوال، الناس العاديون لا يحبذون الانتقادات المباشرة للدين. لهذا السبب نرى أن الكاتب المسرحي

"يوريبيديس" Euripides، المتحدث باسم الحكمة الجديدة عبر مسرحياته، لم يحقق سوى انتصارات قليلة، بينما مالت الأغلبية نحو "سوفوكليز" Sophocles. لقد كسب هذا الأخير تأييد الجماهير لأنه كان مواطن أثيني صالح حيث آمن بالآلهة. رغم وجود درجة كبيرة من التململ بين الناس تجاه الآلهة وكهنتها وطقوسها، و"سوفوكليز" كان متديّناً تقليدياً، لكنها مع ذلك أيدته. ربما لأن الجانب الوحيد الذي تحمّس له في هذه الديانة التقليدية هو الإيمان بالنبوءات.

المناقشات الفكرية للسفسطائيين كانت أعلى من مستوى استيعاب الناس العاديين. بينما نقاشات الفلسفة الطبيعية لم تكن كذلك، بدرجة معيّنة على الأقل. خصوصاً بعد أن تم تسويق هذه الأخيرة على شكل مسرحيات، كما فعل "أريسطوفين" في مسرحياته الكوميدية. في مسرحيته التي بعنوان "الغيوم" جعل "سقراط" يثبت بأن الإله "زيوس" غير موجود، وذلك بناء على حقيقة أن الصاعقة لا تضرب الآثمين بل المعابد ورؤوس الجبال وأشجار السنديان العالية. بهذه الطريقة التهكمية البسيطة استطاعت العامة استيعاب الأمر.

قد يستغرب العصريون من الخلط الذي حصل بين الفلسفة والسفسطائية في أعمال أدبية كتلك العائدة لـ"أريسطوفين" الذي جعل بطل مسرحيته "سقراط" ممثلاً للحركتين معاً. لكن من وجهة نظر المواطن الأثيني الصالح الأمر ليس مستغرباً إطلاقاً. لم يكونوا في تلك الفترة متعلمين أو مثقفين لدرجة تجعلهم قادرين على التمييز بين مماحكات السفسطائيين وفرضيات الفلاسفة الطبيعيين والذين لم تكن تعاليمهم مجهولة لدى السفسطائيين. لكن الناس خلطوا بين الاثنين، و"أرسطوفين" كان يعكس الرأي العام في مسرحياته وبالتالي فعل نفس الشيء، رغم أن استعراض تعاليم الجهتين في مسرحية "الغيوم" كان أعلى من استيعاب الجماهير، ولهذا السبب لم تلقى الكثير من النجاح.

الصدام الحقيقي وقع بين ذلك الجزء من الدين الذي يتعلّق بالحياة العملية اليومية لكل فرد، أي "العرافة" والتنبؤ بالمستقبل، وبين محاولات الفلاسفة تقديم تفسيرات

فيزيائية للظواهر السماوية والجوية وأحداث أخرى في الطبيعة. هكذا تفسيرات تقوّض الاعتقاد بمحرفة العرافين وتجعلها غير ضرورية. فإذا كانت هذه الظواهر الطبيعية قابلة لأن تُفسّر بطريقة طبيعية، هذا يعني زوال فن العرافة إلى الأبد. كما يُضعف الإيمان بمعابد النبوءة. الإجحاف الذي استعرضته النبوءات، كحالة الاستحسان التي أظهرتها نبوءة "دلفي" لصالح الاسبرطيين، ساهم بشكل كبير في إضعاف الإيمان. كانت المحافظة على الإيمان بالنبوءات تُعتبر الشغل الشاغل ليس للكهنة والعرافين فحسب بل السياسيين أيضاً. كانت النبوءات ــ رسالات الآلهة الموجّهة للرعايا عبر الكهنة والسياسيين من خلفهم ــ أكثر الأدوات تأثيراً للسيطرة على الحشود وتوجيه الرأي العام، وبالتالي التحكم بالأوضاع السياسية/الاجتماعية/الاقتصادية وفق رغبة المسيطرين. فقط وسيلة واحدة للتنبؤ بالمستقبل بقيت في منأى من الانتقادات والاعتداءات: "الأحلام". الجميع آمن بالقدرة النبوئية للأحلام، حتى "أرسطو" الذي عالج في أعماله الطبيعة الإلهية للأحلام. الجميع رغب في استراق النظر إلى المستقبل، كما هو مزاج الناس اليوم تماماً. كان الدفاع عن معابد النبوءة وفن العرافة مسألة مهمة جداً.

من الطبيعي أن العرافين ومفسّرو النذائر والنصوص النبوئية المقدسة دافعوا عن مهنتهم بشراسة، وبما أن مهنتهم كانت متداخلة مع الدين الشعبي، الدين الرسمي للدولة، فهذا أضاف الكثير من النقاط لصالحهم. بدلاً من الاكتفاء بالدفاع عن مهنتهم التجارية الوضيعة، تحولوا إلى حماة الدين عموماً، مما زاد من شراستهم بسبب الدعم الجماهيري والحكومي. كل هذه الضجّة والمعمعة التي سامت في ازدياد الالتباس والخلط بين الأهداف والغايات، إلا أن المسألة لم تتعدى كونها صراع بين الكهنة والعرافين المنافقين والفلاسفة المنطقيين. الصدام لم يحصل في المناقشات الفكرية بل في الحياة العملية، وبالتالي أصبحت من شأن الناس عموماً. الذي أدخل الحشود في هذا الصراع هو الكهنة والعرافين الذين شعروا بالخطر الداهم فانتفضوا يحثون الناس على الدفاع عن دينهم. لهذا السبب كان العرّاف "ديوبيثيس" Diopeithes أوّل من تقدم بفكرة إقامة المحاكم المضادة للإلحاد، وأول رجل وُجّه إليه الاتهام كان الفيلسوف الطبيعي "أناكزاغوراس". الاتهامات

التي وُجّهت إلى سقراط احتوت على ذات الإدانات، أي "البحث عن تفسيرات فلسفية تحت الأرض وفوق السماء". لكن هذا الأخير أدين باتهامات سفسطائية أيضاً، حيث أدين بجعل القضايا الأضعف تبدو بأنها الأقوى.

كانت المحاكمات المضادة للإلحاد غير مجدية. لم تتمكن من كبح الزوال التدريجي للإيمان، وبالتالي توقفت كلياً مع مرور الوقت. هذه المحاكم لم تشرّف أثينا، لكن علينا تفهّم الوضع الذي أدى إلى إنشاءها. خُلق هذا الوضع نتيجة تدخّل الدين في الحياة العملية والسياسة، وهذا يفسّر السبب الذي جعل أشخاص كانوا سياسيين وعرافين بنفس الوقت يظنوا بأنهم قادرين على إنهاء هذا الوضع عبر التشريعات والمحاكمات. كانوا مدعومين من قبل الشعب الأثيني، لأن الشعب لا يحبّذ الاعتداءات على الآلهة الذين منحوا المجد والقوة لمدينتهم، فيخافوا من غضبها الذي نسبوا إليه كل الكوارث التي حلت بالمدينة. تجسّد عدم الإيمان بالآلهة في التفسيرات الفيزيائية للظواهر الطبيعية، والتي كان الكهنة يترجمونها على أنها غضب الآلهة أو رضاها. الشعب فهم هذه الحقيقة، لكن النتيجة كانت المحاكم المضادة للإلحاد. تقرّر مصير الدين القديم عبر الزمن، لكن فن التنبؤ بالمستقبل لم ينقطع أبداً. وفي العصور القديمة كان أقوى من أي وقت آخر. كان يمثّل جزء جوهري من الدين الشعبي، وأرجو أن أكون قد وفِّقت في وضع أهميته في الضوء المناسب.

حاولت شرح الدين الشعبي للإغريق القدامى بأبسط طريقة ممكنة. بالنسبة للكثيرين، الدين هو الممارسة الفلكلورية، وتناولت هذا الجانب الشعبي من الدين بإسهاب. الآلهة العظماء لديهم جذورهم أيضاً في الأديان الشعبية، رغم أنهم يصلون إلينا بطريقة مضخّمة بواسطة الفنون والأعمال الأدبية. شكّلت بعض الأفكار الأخلاقية والاجتماعية جزءاً من حياة الناس، وهذه أيضاً وجدت لنفسها تعبيرات دينية تم وضعها تحت حماية الآلهة. كان ولازال لها دور مهم في الأديان الشعبية اليوم. تعتمد صيغة الدين وممارسته على ظروف الحياة. عندما تتغيّر هذه الأخيرة تبرز حاجات جديدة فيقابلها زوال الصيغ القديمة، فيتعرّض الدين الشعبي

لتغييرات متوافقة مع التغيير الجديد. هكذا تغييرات حصلت فعلياً عندما بدأ الناس يتوافدون إلى المدن وراحوا يكسبون معيشتهم بأساليب صناعية وتجارية مختلفة عن الزراعة وتربية المواشي. التغييرات الحاصلة في الحياة السياسية وظهور الديمقراطية أدت أيضاً إلى حصول تغييرات معيّنة في الممارسة الدينية. وجب التذكّر بأنه في الدول الديمقراطية، الشعب هو الذي يؤلّف المجلس التشريعي الذي يُتخذ فيه كل القرارات، حتى تلك المتعلقة بالشؤون الدينية. كانت النتيجة أن الدين أصبح دنيوياً لدرجة معيّنة. لكنه لم يمت. حاول الدين أن يجد لنفسه صيغ جديدة تتوافق مع الحاجات والأفكار الجديدة للناس. هذه الحركة شهدت انطلاقاتها الأولى في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد. نقطة التحوّل الحقيقية تمثّلت بعصر السفسطائيين. هذه الحركة التي انطلقت في العصور القديمة مثّلت البذرة الأولى لكل الحركات التي تلت في العصور اللاحقة.

أسمح لنفسي أن أختم بابتسامة. الدين هو كما البستان المحتوي على أشجار عالية وفخمة، تلامس السماء وتخطف الأنظار من بعيد، وتحتها ينمو شجيرات صغيرة وأعشاب. من السهل جداً قطع الأشجار، وليس من السهل أن تنمو مكانها شجيرات جديدة، لكن يمكن زرع أشجار جديدة بدلاً من القديمة. لكن مع ذلك هذا لا يمنع الشجيرات والأعشاب التحتية من النمو مجدداً. في كل سنة تنمو هذه الشجيرات والأعشاب ذاتها. لا يمكن إزالتها إلا إذا استُبدلت التربة كلياً. هذا ما حصل تماماً في اليونان القديمة، وما حصل اليوم أيضاً، بعد بروز ظروف معيشية جديدة، صناعة، تجارة، ديمقراطية، وتفاعل بين الشعوب والطبقات الاجتماعية. هذا أدى إلى تغيير متوافق في الممارسة الدينية. لكن في المناطق المتخلفة من البلاد بقيت الصيغة القديمة للممارسة الدينية صامدة حتى إلى يومنا هذا، لكنها مع ذلك تفسح الطريق تدريجياً أمام ظروف الحياة المتغيّرة بشكل جذري.

انتهى الاقتباس

أوّل ما يثير الاهتمام في هذا الاقتباس السابق هو أن الكاتب، رغم تشكّكه الواضح بمسألة "العرافة" و"النبوءات" وكل ما يتعلّق بهذا المجال، إلا أنه، كما باقي الباحثين الآخرين، لم يأتي على ذكر الموضوع بطريقة تكذّب إمكانية "التنبؤ بالمستقبل" أو قدرة العقل على تجاوز حاجز الزمن والحصول على معلومات مستقبلية. كل الانتقادات ومحاولات التكذيب لم تستهدف ظاهرة "تجاوز الزمن" إطلاقاً، بل كانت موجّهة إلى، وتستند على، الأشخاص المنافقين الذين زعموا امتهانهم هذه الحرفة، أو حالات الخداع التي استخدمت هذه الظاهرة. كافة الحجج والبراهين التي استند عليها المتشككين (دينيين وعلمانيين) كانت تتناول أحداث فردية أو تاريخية، ومعظمها سياسية، لكنهم لم يحاولوا الانخراط في عملية إثبات عدم وجود الظاهرة أصلاً لأنهم يدركون بأنهم سيعجزون عن ذلك.

بالإضافة إلى ذلك، هناك جانب مهم وجب إلقاء الضوء عليه، رغم أنه ليس موضوع هذا الكتاب لكن من المناسب التنويه إليه. في الاقتباس السابق، وخلال سرد الكاتب للأحداث السياسية والاجتماعية التي حصلت في اليونان قبل آلاف السنوات، لا بد من أننا شعرنا بأن الحالة لم تتغيّر كثيراً في زمننا الحالي من حيث الشخصيات والأحداث عموماً. وهذا يدفع البعض إلى التساؤل: هل يُعقل أنه رغم التحولات الجذرية التي طرأت في حياة الشعوب عبر كل هذه العصور، إن كان في الاعتقاد أو التفكير أو طريقة الحياة، إلا أنه لم يتغيّر شيئاً في المسرح العام للنشاطات البشرية؟

هناك حقيقة مهمة طالما سعى الباحثين الصادقين تصويرها للناس بطريقة واضحة ومفهومة لكن دون جدوى: رغم كل ما يطرأ على الحياة العامة للشعوب من تغييرات عبر الزمن، إلا أن المسرحية تبقى ذاتها، تكرر نفسها دائماً، لا زلنا نرى ذات الشخصيات.. ذات الأدوار.. ذات النفاق.. ذات المؤامرات... فقط الشكليات تتغيّر. والجاهلون يجهلون أنهم يجهلون!

المسرحية تبقى ذاتها، تكرر نفسها دائماً، فقط الشكليات تتغيّر. قامت الثورة الشيوعية على القيصر وما كان يمثّله من ظلم واستبداد، لكن هذا لم يغيّر شيئاً، لأن الثورة أنتجت "ستالين"، وما أدراك من هو "ستالين". لكن هذا المثال الشهير الذي يلتجئ إليه الباحثون لإثبات فكرتهم ليس وحيداً، بل يبدو أن كل شيء يتكرّر في التاريخ.

والآن، أرجو أن تكون إجابتكم على التساؤلات التالية نابعة من الضمير، من الصميم، من جوهر الإنسان الحقيقي بداخل كل فرد منكم: ما الذي تغيّر في الأحداث بين الماضي واليوم سوى بعض الشكليات؟ ما هو الفرق بين الكاهن الأعلى في المعبد اليوناني، والذي يبتكر نبوءة مزعومة لإنقاذ الملك من ورطة سياسية، وبين مفتي السلطان الذي جاء بعد آلاف السنين، ليصدر فتوى تمنع الرعايا من التمرّد على الحاكم الجائر؟

ـ كم متديّن اليوم يشبه "كزينوفون" Xenophon رغم اختلاف الدين والعقيدة؟ حيث رغم الثقافة والمرتبة الاجتماعية والعلمية التي قد يتمتع بها، إلا أنه بقي مهووساً بالغيبيات الدينية. هذه الحالة هي التي نسميها اليوم المبالغة بالإيمان إلى حدّ خداع الذات.

ـ كم متعصّب اليوم يشبه "نيسياس" Nicias الذي يفضّل الإصغاء للماورائيات على حساب المنطق السليم، والذي لا يقرّر شيئاً قبل اللجوء إلى رجال الدين والأخذ بآرائهم وتفسيراتهم الغيبية.

ـ كم محاكمة أقيمت عبر العصور اللاحقة بنفس الطريقة التي أقيمت في اليونان القديمة ضد السفسطائيين والفلاسفة مثل سقراط؟

ــ ما الفرق بين مترجمي النصوص المقدسة اليونانية مثل "لامبون" Lampon والمفسّرين الحاليين الذين يجعلوها على مقاس المصالح الأنانية الخاصة لأسيادهم مآربهم المبيّتة؟

ــ ما الفرق بين تجار النبوءات والنذائر مثل "هيروكليس" Hierocles وبين أولئك الذين يُشار إليهم اليوم بــ"المتاجرين بالدين" و"تجّار الفتاوى" الذين راحوا يتكاثرون في الفترة الأخيرة (بسبب تدفّق المليارات من مصادر مجهولة)؟

إذا تخليتم عن النفاق الذي يعشعش في صدوركم للحظة، وخرجتم بالجواب السليم، أمعنوا بهذا الجواب جيداً وملياً لكي تخرجوا في الناهية بالحقيقة الأزلية التالية: منذ الزمن الأوّل.. وعبر توالي العصور، المسرحية لم تتغيّر أبداً، الممثلون لم يُستبدلوا. فقط الشكليات.. الشكليات تتغيّر... لكن حبكة المسرحية تبقى ذاتها: السيطرة على الرعايا وضبط الحشود. ووسط هذا الجو الصارم والملتبس، القذارة فقط ترتقي للأعلى، والجاهلون يجهلون أنهم يجهلون.

هناك حالتين مختلفتين تماماً وجب تمييزهما، حيث بسبب زئبقية الحدود الفاصلة بينهما لازال الناس يخلطونهما بفعل الخداع البصري، لكن بالنسبة لكل من له نظر سيبقى الفرق واضح وضوح الشمس: كلنا دينيين بالفطرة، لا أحد يستطيع أن يخاصم الدين جوهرياً، ليس لشيء سوى بسبب دوافع باطنية تتعلّق بالوجدان. فإذا رأيت أحدهم يخاصم الدين ظاهرياً، قبل أن تصدر حكمك التكفيري بالاستناد على الوهلة الأولى تريّث قليلاً وتأمّل بالموضوع. سوف ترى الحقيقة واضحة جليّة. الخصومة هي دائماً لتجار الدين وليس للدين بعينه، كما كانت الحالة في اليونان القديمة. لكن هناك من له مصلحة في جعلها تبدو غير ذلك لتعزيز موقعه على الساحة. كما فعل منافقوا اليونان القديمة. لكن المسرحية ستستمر على أي حال... لأن الجاهلون لازالوا يجهلون بأنهم يجهلون.. فليحمينا الله من هؤلاء.

تجاوز حاجز الزمن

مظهر بيولوجي متجلي في كل مكان في الطبيعة

لم يعد مُستغرباً بالنسبة لنا الاطلاع على ظواهر عجيبة في المجلات العلمية الرسمية كقدرة النباتات على التنبؤ بقدوم المطر قبل ثلاثة أسابيع، حيث تبدأ باتخاذ الإجراءات البيولوجية اللازمة بداخلها (إفرازات، إعادة تموضع الأوراق.. إلى آخره) تحضيراً للحدث القادم. بالإضافة إلى الحقيقة الأكثر إذهالاً بالنسبة لهذه النباتات وهو قدرتها على التنبؤ بنوع النبات الذي سينمو في جوارها مستقبلاً وفي أي موقع بالتحديد، فتبدأ باتخاذ الإجراءات البيولوجية اللازمة تحضيراً للتعامل مع الجار الجديد، وذلك قبل أن يُزرع هذا الأخير بأسابيع. هذا ولم نتحدث عن ظاهرة التخاطر المتجلية بشكل بارز بين النباتات ببعضها، وبين النباتات والكائنات الأخرى، وكذلك مع الإنسان.

لكن يبدو أنها تستطيع فعل أكثر من مجرّد إرسال واستقبال أفكار ورسائل معلوماتية، بل مواد غذائية أيضاً! حيث استعرضت قدرة عجيبة على "التطافر" Transmutation، وهذه إحدى أشكال ظاهرة "خلق الأشياء من العدم"! وتفعل

ذلك ليس في نفسها فحسب بل تبادلياً مع نباتات أخرى أيضاً! مجرد الاطلاع على كتاب "الحياة السريّة للنباتات" Secret Life of Plants *(للمؤلفان "بيتر تومكنز" و"كريستوفر بيرد"، ١٩٧٣)* سوف تُصاب بالذهول ويتملكك العجب من هذه الكائنات التي لا نوليها أي اعتبار في حياتنا اليومية.

هذه القدرة على "معرفة الغيب" لا تقتصر على النباتات بل تشمل كافة الحيوانات الأخرى. هناك الكثير مما استعرضته الحيوانات من قدرات إدراكية مختلفة لكن بما أننا في صدد موضوع التنبؤ بالمستقبل سأحاول التركيز على هذا الجانب فحسب. ربما حاول الكثير منكم تفسير قدرة النسور على استشراف حدوث معركة في موقع معيّن فتحوم فوقه قبل وقوع المعركة بساعات. لكن أشهر الظواهر النبوئية التي تمتعت بها معظم الحيوانات هي القدرة على الإحساس بالكوارث، كالطوفانات والزلازل، وذلك قبل وقوعها بفترة طويلة. يعود الاعتقاد بوجود هذه القدرة لدى الحيوانات إلى آلاف السنين. في العام ٣٧٣ ق.م، ذكر المؤرخون في سجلاتهم كيف قامت الحيوانات، بما فيها الجرذان، الأفاعي، وحيوان النمس، بمغادرة مدينة "هليس" Helice الإغريقية قبل أن ضربها الزلزال بأيام. هناك الكثير من السجلات التاريخية التي وصفت التصرفات الغامضة التي تستعرضها الحيوانات قبل وقوع الكوارث. وصفوا سمك السلّور كيف يتحرّك بعنف، والدجاج يتوقف عن وضع البيض، والنحل يترك خلاياه، وهجرة الطيور المفاجئة.. وغيرها. وقد تحدث عدد كبير من أصحاب الحيوانات الأليفة عن السلوك الغريب الذي أبدته قططهم وكلابهم قبل الزلازل، كالنُباح أو النواء دون سبب، مبدية إشارات على العصبية والاضطراب. يحاول بعض العلماء تفسير هذه الظاهرة بطريقة منطقية قابلة للاستيعاب، فيعزونها إلى قدرة استشعار الحيوانات لذبذبات مُرهفة تسبق وقوع الزلازل أو تغيرات آيونية في الجو قبل حصول العواصف،.. وغيرها دون ربط العملية بإمكانية تجلي ظاهرة "تجاوز الزمن". لكن يبدو أن هؤلاء العلماء الأشاوس لم يطلعوا على التاريخ الإنساني الطويل الذي يزخر بتقاليد شعبية تتمحور حول قدرة الحيوانات على التنبؤ بالمستقبل، وأشهرها تلك التي يعرفها البحارة جيداً، حيث كان معروف أن السفينة التي يغادرها الجرذان قبل

انطلاقها في البحر يعني أن مصيرها هو الغرق المحتوم، وربما يحصل ذلك بعد شهور. لا أعتقد بأن الذبذبة أو التغييرات الآيونية تلعب دوراً في هذا المضمار.

رغم اعتراف العلم بهذه القدرة النبوئية لدى الحيوانات إلا أنه لازال عاجزاً عن تفسيرها بشكل سليم. لكن غموض هذه الظاهرة لم يمنع السلطات في بعض الدول من استثمارها للتنبؤ بالزلازل أو الطوفانات قبل وقوعها، وقد لاقت هذه العملية نجاح كبير. مُعظم حدائق الحيوانات في الصين مثلاً أقيمت ليس فقط من أجل ترفيه السكان بل لسبب مهم جداً وهو التنبؤ بزلازل مستقبلية. حديقة حيوان "أنشان" Anshan، المسماة بعد المدينة التي توجد فيها بمقاطعة "لياونينغ" Liaoning، أقيمت أصلاً لأسباب تتعلّق برصد الزلازل. *".. قبل حصول الزلزال بحوالي الأسبوع، يصبح سلوك الحيوانات غير طبيعي.."*، هذا ما صرّح به المهندس "كزو جينغ" Xu Jing، رئيس مكتب أرصاد الزلازل في المدينة. ويضيف: *".. كلما كان سلوك الحيوانات عنيفاً، كانت قوة الزلزال القادم أكبر.."*.

بعد إجراء دراسات عديدة حول هذا الموضوع، توصّل العلماء الصينيون إلى أنه يوجد أكثر من ١٠٠ نوع من الحيوانات التي تستطيع التنبؤ بالزلازل بدرجة كبيرة، وهذا يشمل الخيول، الحمير، الخنازير، الكلاب، القطط، الدجاج، البط، الإوز، الجرذان، الأفاعي، والسمك. لكن هناك اختلاف في سلوك كل نوع تجاه الزلزال. بعضها يُظهر الاضطراب، والبعض الآخر يُظهر حالة ذهول أو دوخة، وهناك نوع آخر يغيّر سلوكه الروتيني اليومي.

هناك من يقول بأنه ليس أنواع محددة فحسب بل كافة الحيوانات تستطيع التنبؤ بالكوارث، لكن يعجز الإنسان عن ملاحظة سلوكها أو يتم تفسير هذا السلوك بشكل خاطئ. أشهر هؤلاء الباحثين هو عالِم البيولوجيا "روبرت شيلدريك" Rupert Sheldrake، والذي ألف كتاب حول هذه الظاهرة بعنوان "الكلاب التي تعلم موعد قدوم أصحابها" Dogs that Know When Their Owners Are Coming Home. أجرى الدكتور "شيلدريك" أبحاثه الخاصة بخصوص ردود الأفعال

المسبقة للحيوانات تجاه الكوارث، وذلك أثناء أحداث مختلفة عبر التاريخ. وقال أنه في كل الحالات تم التبليغ عن سلوك غريب لحيوانات متنوعة، مثل عواء الكلاب ليلاً وبشكل غريب، اضطراب الطيور في أقفاصها، وعصبية القطط وميلها للاختباء.

لكن الموضوع الأهم الذي تمحور حوله كتابه يتعلّق بقدرة مشابهة يستعرضها الكلاب دائماً، وهي معرفة موعد قدوم أصحابها إلى المنزل. إذا كان صاحب الكلب مسافراً لفترة طويلة وهو على طريق عودته إلى المنزل، سيستشعر الكلب ذلك منذ بداية النهار ويستعرض الحماسة المضطربة في تصرفاته. لكن إذا كان صاحبه يعيش في المنزل بشكل دائم وغاب عنه لعدة ساعات، يستشعر الكلب قدومه قبل دقائق أو ربع ساعة. هذه القدرة ليست مقتصرة على الكلاب، بل موجودة لدى القطط أيضاً، ومجموعة واسعة من الحيوانات الأليفة الأخرى.

يقول الدكتور "شيلدريك" في كتابه بأن معرفة موعد قدوم أصحابها ليست الظاهرة الوحيدة التي تكشف عن القدرات الوسيطية لدى الحيوانات الأليفة، بل هناك ظواهر عديدة أخرى. أشهرها هي تلك التي نشير إليها بـــ"حاسة التوجّه" Homing (قدرة الحيوان على تحديد موقع الهدف مهما كانت المسافة الفاصلة). لقد ألفنا وجود هذه القدرة لدى الحمام الزاجل فقط، لكن الحقيقة هي أن كافة الحيوانات استعرضت هذه القدرة. *(تحدثت عن هذه الظاهرة بإسهاب في كتاب "البحث الباراسايكولوجي")*. وقد استعرضت أيضاً قدرة كبيرة على التخاطر والحسّ التخاطري، خصوصاً في حالات الطوارئ أو الخطر. هذه القدرة بارزة جداً عند الكلاب، حيث تستطيع استشعار الخطر الذي يداهم أصحابها مهما كانت المسافة الفاصلة، ويصبح سلوكها مضطرب وتبدي علامات الأسى والذعر (حسب نوع الخطر). ولابد من أن سمعنا روايات كثيرة عن حالات تخاطرية مشابهة مع حيوانات أخرى، كالخيول والطيور، وحتى السلاحف. وقد ذكر "شيلدريك" حالة مثيرة تتناول قدرة عجيبة لسلحفاة تملكها السيدة "شارون رونس" Sharon Ronsse من واشنطن. لقد ذُهلت هذه السيّدة بعد اكتشافها (بالصدفة) قدرة السلحفاة على معرفة

موعد قدوم طعامها. أكّدت السيّدة "رونس" بأن مواعيد إطعام السلحفاة ليست منتظمة، وبالتالي لا يمكن إسناد هذه الظاهرة على مبدأ "كلب بافلوف". حتى لو كانت السلحفاة تقبع نائمة داخل منزلها (الصندوق)، عندما تنوي السيّدة إطعام السلحفاة (دون حصول أي تواصل عيني بينهما) تذهب إليها لتجدها قابعة في باحة الصندوق (موقع الإطعام) تنتظر طعامها.

أحد المظاهر المذهلة الأخرى التي أبدتها الحيوانات الأليفة، خصوصاً القطط والكلاب، والتي عجز "شيلدريك" عن تصنيفها، لكنه يرجّح بأنها قدرة واضحة على "الإدراك المسبق"، هي معرفة الحيوان، خلال رحلة بالسيارة، بأنه اقترب من وصول المنزل. تساءل "شيلدريك" كيف يستطيع الكلب مثلاً معرفة اقتراب وصوله إلى المنزل رغم أن السيارة لازالت بعيدة نسبياً (غياب المعالم الجغرافية)، فيتصرّف بطريقة غريبة تظهر حماسة الاستعداد للنزول. قد نفسّر هذه الحالة باللجوء إلى حاسة التوجّه القوية لديه، أو حاسة الشمّ، لكن هذا التفسير يتلاشى تماماً بعد معرفة أنه مع اقتراب السيارة إلى مكان السكن يكون الكلب نائماً أحياناً (أي ليس هناك فرصة لتشغيل حاسة التوجّه أو الشمّ) لكنه يستنفر فجأة ويبدأ بتحضير نفسه للنزول!

هناك طيف واسع من الظواهر والقدرات العجيبة التي تستعرضها الحيوانات، خصوصاً الأليفة منها (جذبت انتباهنا أكثر من الحيوانات البريّة بسبب قربها منّا)، لكنها للأسف الشديد تبقى بمستوى الروايات والقصص المثيرة، بعيدة كل البعد عن البحث العلمي الجدّي، وبالتالي لم ترقى إلى مستوى الظواهر العلمية المعترف بها رسمياً. مع العلم أن البحث في هذا المجال يفتح آفاق واعدة في عالم المعرفة، خصوصاً تلك المتعلقة بموضوع الإدراك والتفاعل الحسّي مع الطبيعة والكون، وتفرض علينا أسئلة كبيرة مثل: ما هو الزمن؟ هل يُعقل أن اتصال كل شيء ببعضه البعض يشمل الزمن أيضاً؟ قبل أن نتمكن من الإجابة على هذه التساؤلات لا بد من التعرّف على خبرة الإنسان في هذا المضمار، حيث هو أيضاً استعرض قدرة استشراف المستقبل بأشكال مختلفة سنتحدث عنها لاحقاً. من خلال الكم الهائل

من المعطيات التي توفرت عبر التجارب التاريخية/الفلكلورية وكذلك العلمية/المخبرية، لم يعد هناك مجالاً للشك بأن العقل بإجراءاته الواعية وغير الواعية له مظهر "زمكاني" متجاوز للتجلّي المادي. لم يعد هناك سبب يجعلنا نستبعد حقيقة أن الإنسان قادر على إجراء تغييرات في الأحداث المتجاوزة للزمن. أبسط مثال هو قدرة الشخص على تجنّب ظروف مأساوية تم التنبؤ بها مسبقاً، كما سنكتشف لاحقاً. لكن هذا جانب بسيط من الظاهرة حيث هناك المزيد. لقد تم تكرار استعراض هذه القدرة على "الإدراك المُسبق" في الأبحاث العلمية منذ عقود، أشهرها هي تلك التي أجريت في مجال "الإطلاع عن بُعد" remote viewing. اكتشف القائمون على هذه التجارب بأن المستبصِر يستطيع وصف المكان المُستهدف بدقة كبيرة قبل أن يختار المدير موقعه! مع العلم أنه يتم اختيار الموقع عشوائياً من بين عدد كبير من المواقع.

بالإضافة إلى ذلك، هناك اختبارات من نوع آخر، كتلك التي أجراها الدكتور "جون هارتويل" John Hartwell من جامعة "أوترخت" Utrecht، هولاندا، في منتصف السبعينات، وكرّرها الباحث الأمريكي "دين رادين" Dean Radin بعدها بخمسة عشرة سنة في الولايات المتحدة، على أشخاص عاديين، يقوم خلالها بعرض صور مختلفة (مُفرِحة، محزِنة، مثيرة جنسياً،.. إلى آخره) على شخص مربوط بأجهزة تحسّس ومراقبة للإجراءات الجسدية (مثل EEG، وMEG وEMG) فاكتشف بأن الجسم يتجاوب للصورة قبل أن يراها الشخص بفترة معيّنة! أي تحصل إجراءات جسدية متوافقة مع حالة الحزن قبل أن يُعرض على الفرد صورة مُحزِنة، والفارق الزمني قد يتجاوز ثوانٍ. أي أن العقل اللاواعي لدى الشخص يتنبأ بنوع الصورة التي سيراها (والتي يختارها الكمبيوتر عشوائياً) فيستجيب لها جسدياً قبل أن يراها عقلياً بثوانٍ.

في سياق هذا النوع من التجارب، تبيّن في المختبرات السوفيتية منذ السبعينات من القرن الماضي بأن مجريات الجسم تبدأ باتخاذ تدابير معيّنة (إفرازات مثلاً) تتناسب مع نوعية الطعام الذي سيتناوله الفرد لاحقاً (أي بعد عدة ساعات) عندما

يحين موعد الغداء، مع العلم أن الفرد يجهل أي شيء عن ما سيتناوله في ذلك الموعد! هذه النتائج المذهلة وغيرها الكثير تؤدي بنا إلى نتيجة نهائية تقول: كل شيء في هذا الكون موصول ببعضه البعض.. وهذا يشمل عامل "الزمن" أيضاً! نحن كائنات هولوغرافية متعددة الأبعاد، وتُعتبر قدرة تجاوز الزمن إحدى مظاهرنا الطبيعية. وهذه الحقيقة ستتجلى جيداً، لكن تدريجياً، مع توالي فصول هذا الكتاب.

كافة المعادلات الأساسية في الفيزياء العصرية (الكهرومغناطيسية، النسبية، والكمومية) لا تشمل اتجاهات زمنية للأمام أو الخلف، بل فقط مسار خطّي للزمن وهو يتوجه طبعاً إلى الأمام، لكن تبيّن أن هذا الكلام صحيح فقط في حالة التعامل مع فراغ ثلاثي الأبعاد مستخدمين هندسة الديناميكا الحرارية. بينما على الجانب الآخر، هناك مظهر عجيب للعالم إذا نظرنا إليه وفق النظرية الكمومية quantum theory التي تسلّم بحقيقة أن أي منظومة فيزيائية، إذا انفصلت إلى قسمين متباعدين، تبقى محافظة على تواصلهما من خلال أداء الموجة الكمومية quantum wave، وهذه الحالة أصبحت معروفة باسم "اللامكانية" non-locality. هذا يعني إمكانية التواصل بين منظومتين متباعدتين بحيث لم يعد هناك أي دور لعاملي المكان والزمان. حالة "اللامكانية" تتضمّن حالة لا انفصالية تتجاوز الزمان والمكان، وقد رأينا في إصدار سابق *(الجزء الثاني من مجموعة "من نحن؟")* كيف بدأت التجارب الفيزيائية تدعم هذه الحقيقة "اللامكانية" في الوجود. في هذا الكون الهولوغرافي لم يعد للزمان أو المكان أي قيمة تُذكر.

الإدراك المتجاوز للزمن

وتجلياته المختلفة لدى الإنسان

في الوقت الذي يشغل فيه العلماء أنفسهم بالتجارب المخبرية ومحاولة تطبيق نظرياتهم الوهمية على أرض الواقع وغيرها من مساعي غير مجدية لدراسة الظواهر المتعلقة بتجاوز الزمن، نرى أن لهذه الظاهرة تاريخ حافل ومجيد في حياة الإنسان رغم تعرّض هذا الموضوع دائماً لمحاولات إقصاء وإزالة وتجاهل، والأسباب هي متعددة الجوانب. لكن رغم كل ما يتعرّض له لازال يتجلّى بين الحين والآخر بأبهى مظهر، ضارباً بعرض الحائط كل الجهود المبذولة لدفنه تحت أكوام من المزاعم الملفّقة، متحدياً كل القناعات والمعتقدات الخاطئة.

غالباً ما تُستخدم كلمة واحدة في المصادر العربية، وهي"التنبؤ"، للإشارة إلى هذه الظاهرة أو هذا المظهر الإنساني المثير للجدل، وقد ألفنا هذه الكلمة جميعاً ورحنا نستخدمها اعتباطياً للتعبير عنه بطريقة أو بأخرى. لكن الحقيقة هي أن الكلمة عمومية جداً ولا تساعد كثيراً في فهم الظاهرة بتفاصيلها، حيث من الضروري معرفة أن هذه الظاهرة (أي الإدراك المتجاوز للزمن) تتجلى بأشكال عديدة وكل منها لها مظاهرها وسماتها وشروطها الخاصة. وإذا رغبنا التعمّق فعلاً في معرفة هذه الظاهرة علينا التعرّف أولاً على الأنواع والأشكال المختلفة التي تتجلى عبرها. أشهر المظاهر التي تتخذها، والتي يألفها الناس عموماً في حياتهم اليومية هي: "الهاجس المسبق" premonition، و"الإدراك المسبق" Precognition، و"التكهّن" prediction، و"التنبؤ" prophecy، وأخيراً "العرافة" Divination وهذه الأخيرة هي إتباع وسائل أو ممارسات تساعد على اكتساب أو استخلاص أو تجلّي معلومات مستقبلية. دون حاجة للانخراط في أي شرح مطوّل يُجهد الذهن، دعونا نباشر فوراً في وصف هذه المظاهر المختلفة من خلال المواضيع التالية، وسوف نخرج في النهاية مستوعبين جيداً الفروقات التي تميّزها عن بعضها.

الهاجس المسبق
premonition

الهاجس المُسبق هو نوع من تنبؤ يمثّل تحذير انطباعي عن حدث مستقبلي معيّن. تتميّز هذه الظاهرة بأحاسيس القلق، عدم الارتياح، شعور مزعج غامض يوحي بقرب حدوث كارثة أو مصيبة، وأحياناً يتجلى هذا الشعور على شكل هلوسات سمعية أو بصرية. غالباً ما يُشار إلى الهاجس المُسبق بكلمة "حدس". يبرز هذا الشعور عموماً قبل حصول الكوارث أو الحوادث أو الوفيات أو غيرها من أحداث المُصدمة والمشحونة عاطفياً. يمكن اعتبار الإحساس بالهاجس المسبق بأنه "إدراك مسبق" أحياناً وذلك بسبب غياب حد واضح يميّز بينهما. على أي حال، الهواجس المسبقة هي ذات طبيعة حسيّة، يطغي عليها عناصر الإحباط، عدم الارتياح الجسدي، أو حتى الشعور بالأسى دون أن يكون هناك أي سبب واضح لذلك. إنه شعور يتعذّر تفسيره بأن شيئاً ما سيحصل. بينما "الإدراك المُسبق" على الجانب الآخر هو أكثر دقّة ويشمل رؤية استبصارية أو حلم يصوّر الحدث الذي سيحصل في المستقبل *(سوف أشرحه لاحقاً)*.

تُعتبر الحوادث والكوارث من المسلمات السائدة في الحياة. وبسبب تأثيرها على عدد كبير من الناس تم دراستها بكثافة. لكن يبدو أنه لم يتم دراستها بتلك الدرجة التي تكشف عن الجانب الخفي منها. هناك مظهر واحد على الأقل لهذه الكوارث والذي تم تجاهله تماماً. إذا أمعنت النظر جيداً ستجد أنه كل خبر عن كارثة يكون مصحوباً دائماً بأخبار عن هواجس مُسبقة راودت بعض الأفراد بحيث تنبؤوا بها قبل فترة من حصولها. إذا كانت هذه الحالات صحيحة، فهي تفرض علينا أسئلة كثيرة وجب أخذها بجدية. فيما يلي بعض العينات التي تساعدنا على تكوين فكرة عن الموضوع.

في العام ١٩٤٨، كان الوسيط الروسي الشهير "ولف ميسينغ" Wolf Messing في رحلة إلى مدينة "أشخباد" Ashkhabad خلال جولته الاستعراضية المعهودة.

قبل موعد بدئ استعراضه على المسرح، وخلال تجوّله في شوارع تلك المدينة تملّكه فجأة فزع شديد ورغبة قوية للمغادرة في أقرب وقت ممكن. ألغى استعراضه، وكانت المرّة الأولى بحياته التي فعل فيها ذلك، وغادر المدينة فوراً. بعد ثلاثة أيام ضرب المدينة زلزال وسواها بالأرض، قاتلاً أكثر من خمسين ألف نسمة. يبدو أن الهاجس المسبق الذي انتاب "ميسنغ" أنقذ حياته، رغم أنه لم يكن لديه أي عِلم مُسبق عن الموضوع.

في ٢٦ تشرين أوّل ١٩٦٦، قُتل ٢٨ بالغ و١١٦ طفل نتيجة حصول انهيار صخري من سفح جبل في بلدة "أبرفان" Aberfan، بمقاطعة "ويلز" Wales، ودفنت مدرسة بكاملها وقسم كامل من البلدة. وفقاً لثلاثة أعمال مسح أجريت بعدها، تم التبليغ عن حوالي ٢٠٠ "هاجس مُسبق" و"إدراك مُسبق" اختبرها أفراد قبل الحادث بفترات متفاوت وصلت لحد الأسبوعين. شملت "الهواجس المُسبقة" شعور بالإحباط دون سبب معروف، أو شعور غامض بأن شيئاً ما سيّء سيحصل (وبعض الأفراد حدّدوا موعد اليوم بالضبط)، أو إحساس بالاختناق واللهثان، عدم الارتياح، وانطباعات تتعلّق بغبار الصخور أو غيوم سوداء أو أطفال تركض وتصرخ. كان لهذه الحادثة أثراً عميقاً في كل عائلة في البلدة وسببت بفناء جيل كامل من أطفالها. كانت أسوأ كارثة اختبرتها "أبرفان". بعد الحادثة مباشرة، بدأت تتوافد التقارير عن الهواجس المُسبقة التي تنبأت بالحدث. والدة إحدى الضحايا الأطفال روت كيف راود ابنتها (الضحية)، وكان عمرها عشر سنوات، حلماً في الليلة السابقة للحادث وتنبأت بالكارثة. قالت الطفلة لوالدتها: *".. حلمت بأنني ذهبت إلى المدرسة ولكنني لم أجد أي مدرسة هناك. انهال عليها شيئاً أسوداً فغمرها كلياً.."*.

قبل الحادثة بأسبوع، انتاب أحد سكان البلدة اسمه "ألكساندر فين" Alexander Venn هاجس قوي بأنه سيحصل كارثة تتعلق بانهيار صخري. قال لزوجته: *"..هناك شيئاً رهيباً سيحصل، وسوف يكون قريباً من هنا.."*

راحت تقارير الهواجس المُسبقة بخصوص الكارثة تتوافد من خارج البلدة أيضاً، من أنحاء مقاطعة "ويلز" وحتى كامل إنكلترا. إحدى النساء انتابها كابوس شعرت خلاله بالاختناق داخل عتمة قاتمة. أحدهم حلم بطفل صغير مدفون حياً تحت ركام انهيار جبلي. وآخر حلم بمشهد واضح فيه مدرسة مدفونة تحت ركام الانهيار الصخري، وعمال الإنقاذ ينبشون الركام بهوس مسعور بحثاً عن أحياء. وامرأة أخرى استيقظت من كابوسها الذي رأت فيه نفسها مدفونة حيّة تحت الأرض. في صباح اليوم الذي وقعت فيه الكارثة، استيقظت السيدة "سيبيل براون" بينما كانت تحلم بأطفال مغمورون كلياً تحت كتلة كبيرة سوداء. وربما أكثر الهواجس المُبلّغ عنها وضوحاً هي تلك التي راودت رجل يسكن في شمال غربي إنكلترا، والذي زعم بأنه في الليلة السابقة للكارثة راوده حلم يشمل مجموعة من الأحرف التي تجلّت في ذهنه بطريقة متسلسلة [A-B-E-R-F-A-N]. لم يكن لها أي معنى في حينها، لكنه في الصباح التالي أدرك مرعوباً ما مثّلته.

الهواجس التي تنتاب الفرد في حالة اليقظة هي أقوى من تلك التي تأتي أثناء الحلم، لأنها في الحالة الثانية تكون متنكرة بزيّ الرموز وبالتالي غالباً ما تبقى غامضة المعالة فيتم تجاهلها. لكن مع ذلك، عندما تتكرّر هذه الرموز مرّة ثانية أو ثالثة في الحلم، قد يتعلّم الفرد كيف يميّزها ويعرف معناها. وهذا ما فعله القدماء تماماً، حيث هناك منهج علمي كامل يتعلّق بتفسير الأحلام وكانت ثمرة جهود كبيرة ومديدة بذلها الفلاسفة لربط كل من هذه الرموز المتكررة بمعاني محددة.

توفّر الهواجس بشكل دائم تحذيرات حدسيّة مُبكرة للفرد لكن غالباً ما تكون مرهفة جداً لدرجة تعجز عن ترك انطباعات ملموسة في القسم الواعي من العقل. رغم أن كل هذه التحذيرات الحدسية المرهفة تترك انطباعاً في العقل الباطن لكن القليل منها يُترجم إلى مشاعر "مُريبة" أو ما شابهها في وعي الفرد بحيث تحفّزه على اتخاذ إجراءات معيّنة حيالها. لكن إذا حصل ذلك، يمكنها أن تدفع الفرد إلى تغيير رأيها في تصرّف معيّن أو توجّه معيّن دون أن يعرف لماذا قرّر ذلك. أبرز مثال على ذلك هو امتناع الفرد عن الصعود إلى قطار أو طائرة أو سفينة، وغالباً ما

يقرّر ذلك في آخر لحظة، تجاوباً مع شعور داخلي يعجز عن تفسيره. والحقيقة هي أن هذه الحالات شائعة بدرجة أكبر مما نتصوّره. في العام ١٩٦٠، تفحّص الباحث "و.ف. كوكس" W. F. Cox أرشيف سجلات ركاب القطارات التي تعرّضت لحوادث بين العامين ١٩٥٠ و١٩٥٥، ومن خلال مقارنة عدد الركاب في يوم الحادثة مع عددهم في الأسبوع السابق، والأسبوعين السابقين، والشهر السابق، وجد أنه في الأيام التي تحصل خلالها الحوادث (ليس كلها بل النسبة الأكبر) هناك انخفاض كبير في عدد الركاب. أحد الأمثلة هو قطار "جورجيان" الذي على خط شيكاغو/إلينوي، كان على متنه ٩ ركاب فقط يوم وقوع الحادثة، في ١٥ حزيران ١٩٥٢، بينما قبلها بخمسة أيام كان على متنه عدد نموذجي يبلغ ٦٢ راكباً. استنتج "كوكس" بأن الكثير من الذين ينوون السفر في قطارات مقدّرة بكوارث قاموا بتغيير مخططاتهم بشكل لاواعي ولأسباب يتعذّر تفسيرها.

الأمر ذاته ينطبق على السُفن المقدّرة بكوارث. كانت سفينة "تايتانيك" الشهيرة تحمل على متنها ٥٨% فقط من حمولة الركاب المقرّرة خلال رحلتها الكارثية عندما اصطدمت بجبل جليدي في ١٤ نيسان ١٩١٢. أين الركاب الباقين، ولماذا لم يلتحقوا بالرحلة؟ مجموعة مؤلفة من ٢٢ عامِل وقود في السفينة تأخّروا عن الالتحاق بعملهم فأعلن القبطان بأن السفينة ستنطلق بدونهم، وهذا العمل أنقذ حياتهم. وثّق عالِم النفس "إيان ستيفنسون" Ian Stevenson أكثر من ١٩ حالة "هاجِس مُسبق" و"إدراك مُسبق" يتعلقان برحلة "تايتانيك" المشؤومة، وقد جمعها من بلدان عديدة مثل إنكلترا، أمريكا، كندا، والبرازيل، وبعضها راود الأفراد قبل الحادثة بأسبوعين. بعض الأفراد ألغوا حجوزاتهم بعد مروادتهم أحلام تتنبّئ بمصير السفينة المحتوم. البعض الآخر قال أن الرحلة الأولى لسفينة جديدة تكون دائماً منحوسة، فقرروا إلغاء رحلتهم. لكن بعض الناجين من الكارثة قالوا بأنهم شعروا بعدم الارتياح لكنهم صعدوا على متنها على أي حال. لكن في الحقيقة كان عدد الهواجس التي تنبأت بالكارثة أكثر بكثير مما تحدث عنه الدكتور "ستيفنسون"، وهذا ما سنتعرّف عليه لاحقاً.

سوف يبقى غرق "تايتانيك" الحادثة البحرية الأشهر في كل الأزمان. لكن الأمر لا يتعلّق بهول الكارثة فحسب، بل لأنها تمثّل أيضاً أبرز الحوادث التي تم خلالها دراسة "الهواجس المسبقة" باهتمام والمصادقة على صحّتها أيضاً.

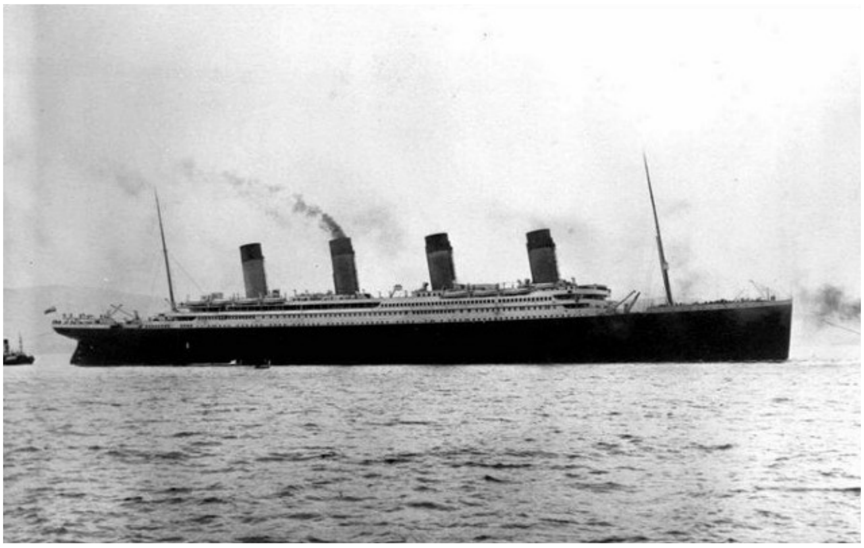

حادثة غرق سفينة "تايتانيك" أصبحت معروفة لدى الجميع. في ١٤ نيسان ١٩١٢ اصطدمت بجبل جليدي مما أدى إلى غرقها في شمال الأطلسي مع ١٥٠٠ ضحيّة.

ربما الهاجس المُسبق الأكثر إثارة للعجب بخصوص هذه الكارثة تجلى لدى الكاتب الروائي "مورغان روبرتسون" Morgan Robertson، الذي نشر في العام ١٨٩٨ رواية تتحدث عن قصة غرق سفينة عملاقة. رغم أن الرواية سبقت حادثة غرق "تايتانيك" بحوالي ١٤ سنة، لكنها بدت وكأنها تتحدث عن هذه الحادثة تحديداً وبأدق التفاصيل. عدد التشابهات تتجاوز حدود الصدفة بأشواط. فمثلاً، اسم السفينة التي غرقت في الرواية كان "تايتان" Titan، وكانت بذات الحجم، وحملت على متنها ذات عدد الركاب، وقد اصطدمت أيضاً بجبل جليدي في شمال الأطلسي، وذلك بأواسط شهر نيسان، وخسرت نصف ركابها بسبب عدم توفّر عدد كافي من قوارب نجاة!

هناك كاتب آخر اسمه "و.ت. ستيد" W.T. Stead، وقد كتب قصص ومقالات عديدة تتنبأ بأن باخرة بحرية عملاقة سوف تغرق مع خسارة نصف ركابها، والسبب مرّة أخرى هو عدم توفّر عدد كافي من قوارب نجاة. كان "و.ت. ستيد" مهتماً أيضاً بالتعامل مع الوسطاء الأرواحيين، وغالباً ما كان يوثق زياراته إليهم. تلقى ثلاثة تحذيرات عبر مناسبات متفرّقة يمكن ربطها بسهولة بكارثة "تايتانيك". التحذير الأوّل كان على الشكل التالي: *".. السفر سوف يكون خطيراً في شهر نيسان، ١٩١٢.."*، والتحذير الآخر قال لــ"ستيد" بأنه: *".. سيكون متورطاً في كارثة بحرية يموت خلالها أكثر من ألف شخص.."*. التحذير الثالث جاء عن طريق أحد رجال الدين الذي عندما سمع خبر يتحدث عن بناء سفينة "تايتانيك" انتابه هاجس قوي جداً بخصوصها فدفعته ليكتب إلى "ستيد" متنبئاً بغرقها الحتمي. رغم كل هذه التحذيرات المُسبقة، قرّر "ستيد" السفر في هذه السفينة يوم رحلتها المشؤومة فغرق معها.

سبق وذكرت بأن العديد من الأشخاص ألغوا حجوزاتهم في تلك الرحلة. المهندس الثاني في السفينة "كولين ماكدونالد" Colin MacDonald اعتزل منصبه في السفينة لأنه راوده "حدس" بأن كارثة تنتظر السفينة. حتى بعض الركاب الأغنياء والمشاهير شعروا بوجود خطر ما يُحدق بالسفينة، مثل الرأسماليين الشهيرين "ج.ب. مورغان" J.P. Morgan و"فاندربيلت" Vanderbilt اللذان ألغيا حجزهم بزعم أن الركوب في الرحلة الأولى لسفينة جديدة هو أمر منحوس.

عضو آخر من طاقم السفينة تلقى تحذيراً أيضاً لكنه لم يستجيب له. إنه "لويجي غاتي" Luigi Gatti، مدير قسم التحكم في السفينة، التحق بالعمل بالرغم من معارضة زوجته الشديدة. راودها "هاجس" بخصوص عمله على متن سفينة عملاقة وشعرت بريبة قوية حيال الأمر. أحد أكثر "الهواجس" وقعاً حصلت عندما كانت سفينة "تايتانيك" تُبحر عابرة لجزر "وايت" Wight غربي السواحل البريطانية. تراصف مئات الأشخاص على طول الساحل لمشاهدة أكبر سفينة في العالم. بين هؤلاء كانت عائلة "مارشال" يتمتع أفرادها بذلك المنظر المهيب. ثم

فجأة، ودون أي سبب معروف، راحت السيدة "مارشال" تصرخ مرعوبة: *".. يا إلهي.. سوف تغرق!.. يا إلهي.. تلك السفينة سوف تغرق! افعلوا شيئًا! هل أنتم عميان بهذه الدرجة لتدعوهم يغرقوا؟ أنقذوهم! أنقذوهم!.."*

خلال التحقيق في هذا الجانب من موضوع الكارثة صُدِم الباحثون لتجاوز عدد الهواجس المُسقبة الخمسين. فقط المتشكّك غير العقلاني يمكنه تنكّرها. لكن هناك البعض الذين كانوا أكثر انفتاحاً وقرّروا الاستفادة من هذه الظاهرة.

بسبب العدد الكبير من الهواجس المُسبقة التي يتم التبليغ عنها قبل حصول الكوارث، وكنتيجة مباشرة لكارثة "أبرفان" التي أحدثت وقعاً كبيراً في بريطانيا، تم إنشاء "المكتب البريطاني للهواجس المُسبقة" British Premonition Bureau في شهر كانون ثاني من العام ١٩٦٧، وذلك لجمع وتقييم تحذيرات مُبكرة من هذا النوع سعياً لتجنّب الكوارث. بعدها بسنة تقريباً تم إنشاء "المكتب المركزي للهواجس المُسبقة" Central Premonition Bureau في مدينة نيويورك للغاية ذاتها. لكن كلاهما لم يتقدما كثيراً في عملهما بسبب نقص في الميزانية وضُعف في العلاقات العامة، حيث من المفروض إنشاء شبكة واسعة من المراكز والكوادر الاستطلاعية.

آلية عمل "الهاجس المُسبق" لم تُفهم بعد بشكلها الصحيح، لهذا السبب لازال مجهولاً السبب الذي يجعل بعض الناس يحوزون هذه القدرة بينما آخرون لا يفعلون ذلك. لكن السبب الذي يجعل الجيل الحالي من البشر يفتقدون لهذه القدرة بنسبة كبيرة هو التوجّه الدنيوي المخيف الذي سيطر عليه، خصوصاً بعد هيمنة العلمانية المادية على طريقة التفكير والحياة العصرية حيث الاعتماد الكلّي أصبح على الحواس التقليدية مع إهمال عنصر الحدس والمشاعر الباطنية.

بالنسبة لمعظم الناس، الفرق بين "الخوف" و"الهاجس" هو أن المخاوف ليست غامضة أو غريبة، بينما الهواجس على الجانب الآخر تأتي فجأة ودون سبب،

وغالباً ما تكون قوية وواضحة. المشكلة عند مُعظم الناس لا تكمن في الهواجس التي تنتابهم والتعرّف عليها، بل في التصرّف حيالها. لكن في النهاية، تبقى الهواجس المسبقة تمثّل إدراك تجاوزي ولاإرادي للأحداث القادمة. الأمر لا يتوقف عند أهمية وجوب معرفة المزيد عنها بل هي مسألة تتعلّق بالحياة أو الموت.

الإدراك المُسبق
Precognition

الإدراك المُسبق هو المعرفة المباشرة بالمستقبل، والمُكتسبة عبر وسائل فوق حسيّة. الفرق بين "الإدراك المُسبق" و"الهاجس المُسبق" هو أن "الإدراك المُسبق" يمثّل عموماً معرفة الحدث المستقبلي، بينما "الهاجس المُسبق" يمثّل إحساس أو شعور بأن شيئاً ما سيحصل دون معرفته بالضبط.

الإدراك المُسبقة هو المظهر الأكثر تبليغاً بين المظاهر المختلفة للإدراك فوق الحسّي extrasensory perception، وتتجلّى غالباً (٦٠ إلى ٧٠%) أثناء الحلم. قد تتجلى أيضاً بشكل تلقائي أثناء الرؤية الصاحية، الهلوسة السمعية، أو خواطر مفاجأة، فيتولّد نتيجتها شعور بــ"معرفة يقينة" حول أمر معيّن. يمكن إحداث حالة "معرفة يقينة" أيضاً عبر حالات الغيبوبة التي يدخلها الوسطاء، أو التواصل مع الأرواح، أو العرافة.

عادةً ما تحصل مُعظم حالات "الإدراك المّسبق" قبل الحدث المُتوقّع بــ٤٨ ساعة، وأحياناً قبل ذلك بــ٢٤ ساعة. وفي حالات نادرة تحصل هذه الحالة قبل الحدث المُتوقّع بشهور أو حتى سنوات. يبدو أن العامل الرئيسي الذي تتمحور حوله حالة الإدراك المُسبق هو صدمة عاطفيّة كبيرة. بين كل أربعة حالات نجد ثلاثة منها تتعلّق بأحداث مأساوية، مثل الموت، المرض، الحوادث، والكوارث الطبيعية. كما أن العلاقات الحميمة تمثّل عاملاً مهماً في تجلى الظاهرة، حيث ٨٠ إلى ٨٥% من

هذه الحالات تتعلّق بزوج أو زوجة، عضو في العائلة، أو صديق حميم. الحالات الباقية تتعلق بغرباء أو معارف مؤقّتين، وغالبيتهم ضحايا كوارث كُبرى مثل تحطّم طائرات أو غرق سفن أو زلازل.

كانت الأحلام (ولا تزال) تُعتبر لدى شعوب العالم القديم (من الصين إلى الأمريكيتين) وسيلة مجدية لاستشراف المستقبل. سمى "أفلاطون" الأحلام بـ"الرؤيا التنبؤية"، وهذه التسمية لم تكن غريبة بالنسبة للشعوب القديمة التي تشير إليها باسم "رسائل نبوئية" أو "نذائر الآلهة" أو غيرها من تسميات فيها لمسة ماورائية. وقد تحوّلت هذه الظاهرة الإدراكية الغيبية مع الوقت إلى علم قائم بذاته. ولازالت الجهات المعنية بهذا المجال تدين الكثير للعرّاف الروماني "أرتيمدوروس" Artemidorus الذي زودنا بالكثير عن ظاهرة التنبؤ بواسطة الأحلام، وقدم لنا فكرة كاملة عن كيفية انتشارها بين مختلف شعوب تلك الفترة. جمع خمسة مجلدات تحمل اسم "تفسير الأحلام والرؤيا" وقد استُخدم هذا العمل لاحقاً كمرجع هام للكثير من المواضيع والحالات النفسية العصرية المتعلقة بالأحلام عموماً.

هذا لا يعني أن المرجع السابق يمثّل الوحيد الذي انحدر إلينا من الماضي القديم، بل الحقيقة هي أن كل شعب أو أمّة أو حتى مجتمع محلّي لديه مراجعه الخاصة حول الأحلام، وقد لا تكون موثّقة في كتاب بل تُعتبر ثقافة عامة يتداولها الناس شفهياً *(يمكن ملاحظة معرفة شعبية متداولة حول معاني رموز معيّنة تراود الفرد في الحلم، كمعنى الأفعى أو الماء أو مشاعر الحزن أو الخوف أو غيرها)*. الذي يهمنا في الموضوع هو النظرة المميّزة تجاه الحلم كظاهرة عقلية يتجلى خلالها أحد مظاهر الإدراك الغيبي، وقد سلّم بهذه الحقيقة كافة شعوب الأرض.

عادةً ما تتجلى هذه الأحلام النبوئية بشكلين مختلفين، الأوّل هو الحلم النبوئي المباشر الذي يصوّر الحدث كما هو يتجلّى أمام النائم، أي كأنه يشاهد فيلم سينمائي. أما الثاني، فهو الحلم النبوئي المشفّر برموز ودلالات تعبّر مجازياً عن الحدث المستقبلي. وهذا النوع الأخير هو المنتشر بين الناس عموماً.

يعود الاعتماد على ظاهرة "الإدراك المُسبق" إلى الأزمنة القديمة، حيث كان الناس يقصدون المتنبئين والعرافين من أجل الحصول على معلومات مستقبلية (كما رأينا في الفصل الأوّل). كان الإغريق يعتبرون المستقبل ثابت وغير قابل للتغيير. لكن مع ذلك يمكن للإرادة أحياناً أن تنجح في تغيير المستقبل المُستشرف، كما رأينا من خلال الاطلاع على حالات استطاع فيها الأفراد تجنّب الكوارث المحتومة وإنقاذ حياتهم من خلال تغيير مخططاتهم المقرّرة وذلك بالاعتماد على معلومات غيبية تجلّت في حلم أو وفرها أحد الوسطاء. قدّر العاملون في الأبحاث الروحية بأنه ما يعادل الثلث أو نصف الأعمال الاستشرافية (الإدراك المُسبق) توفّر معلومات مفيدة بخصوص تجنّب الكوارث.

هذه القدرة على تغيير المستقبل المُدرك يجعل موضوع "الإدراك المُسبق" صعب الفهم. إذا كان "الإدراك المُسبق" يمثّل لمحة للمستقبل الفعلي والحقيقي فهذا يعني أنه يمكن للتأثير أن يسبق المُسبّب. وهذا بالضبط ما يمكن حصوله في الفيزياء الكمومية. أشهر النظريات التي خرج بها الباحثون الروحيون تقول بأن "الإدراك المُسبق" يمثّل لمحة عن المستقبل المُمكن والذي يستند على ظروف ومعلومات متوفرة في الوقت الحاضر، والتي يمكن تغييرها بالاعتماد على الإرادة الحرّة. تتضمّن هذه النظرية أيضاً إمكانية المستقبل أن يسبّب الماضي، وهي ظاهرة تُسمى "السببية الاسترجاعية" retro-causality. *(هذا اللغز سوف يتوضّح لاحقاً مع توالي الفصول).*

هناك نظرية أخرى مثيرة للجدل تقول بأن تجربة "الإدراك المُسبق" ذاتها تُطلق العنان لطاقة [PK] قويّة، والتي تعمل بدورها على تحقيق الحدث المستقبلي المُدرك. لقد تم دراسة هكذا تنبؤات مُحقّقة ذاتياً في الستينات من القرن الماضي من قبل الطبيب النفسي "ج.أ. باركر" J. A. Barker في لندن، والذي أكّد في كتابه "الفزع حتى الموت" Scared to Death بأن الأشخاص الذين يموتون بنفس الموعد والظروف التي يتنبأ بها العرافون غالباً ما يُعانون من حالة "الفزع حتى الموت" بحيث ساهموا بطريقة أو بأخرى في تحقيق هذا المصير المشؤوم. يُعتبر

الدكتور "باركر" من أبرز الذين درسوا الهواجس والإدراكات المُسبقة المتعلقة بكارثة "أبرفان" Aberfan التي أدّت إلى موت ١٤٤ فرداً من البلدة (ذكرتها سابقاً). وهو الذي أسّس "المكتب البريطاني للهواجس المُسبقة" British Premonitions Bureau (المذكور سابقاً أيضاً) الذي كانت مهمته جمع معطيات استشرافية بهدف تجنّب الكوارث المستقبلية. لقد نجح "باركر" في إيجاد عدد من الأشخاص الموهوبين والذين توقعوا حصول الكوارث لكنهم عجزوا عن تحديد المواعيد بالضبط.

بالرغم من صعوبة فهم ظاهرة "الإدراك المُسبق"، لكنه يُعتبر أسهل أشكال الإدراك الخارق والتي يتم تجربتها في الاختبارات. يُعتبر مهندس الطيران البريطاني "ج.و. ديون" J. W. Dunne أوّل من أجرى دراسة منهجيّة لظاهرة "الإدراك المُسبق" في العشرينات من القرن الماضي. في عام ١٩٢٧ نشر كتابه الشهير "تجربة مع الزمن" An Experiment with Time والذي وثّق فيه كامل اكتشافاته ونظرياته. استندت دراسة "ديون" على أحلامه التنبؤية الذاتية، والتي شملت أحداث عادية في حياته الشخصية وكذلك أحداث كُبرى تظهر في الصُحف في اليوم التالي بعد الحلم. أوّل ما اكتشف بأنه كان يرى المستقبل في أحلامه، شعر "ديون" بالقلق من كونه "غريب الأطوار". لكن ما لبث قلقه أن زال تماماً بعد معرفة أن الأحلام النبوئية شائعة جداً. استنتج قائلاً بأن النسبة الأكبر من الناس يحوزون على هذه الملكة لكنهم يجهلون ذلك، ربما لأنهم يعجزن عن تذكّر تفاصيل الحلم بعد اليقظة أو يفشلون في ترجمة الرموز المتجلية خلاله.

بدأ كل من "ج.ب. راين" J. B. Rhine وزوجته "لويسا راين" Louisa Rhine تجاربهما المنهجية على "الإدراك المُسبق" في الثلاثينات من القرن الماضي في مختبرات الباراسيكولوجيا بجامعة "ديوك" بكالوراينا الشمالية. كان هدفهما في البداية إثبات ظاهرة التخاطر، لكن التجارب التي تمحورت حول التكهّن بنوع الورق تخاطرياً كشفت عن حضور قوي للإدراك المُسبق *(كان الأفراد يعرفون مسبقاً*

نوع الورقة المأخوذة من دستة الورق) وحتى ظاهرة [PK]. وشهدت بعدها "الباراسيكولوجيا" فرع جديد متخصّص في البحث بظاهرة الإدراك المُسبق.

التنبّؤ

prophecy

تُعتبر النبوءة رؤيا أو وحي مُستلهم بفعل سماوي ويُنبئ بأحداث مستقبلية كُبرى يمكنها أن تشمل أعراق بشرية بكاملها، أو مجموعات أو أوطان. مُعظم النبوءات، إن لم نقل كلها، تأتي على شكل "إدراك مُسبق"، أو معرفة المستقبل، لكن ليس كل حالات "الإدراك المُسبق" تُعتبر نبوءات، حيث الفارق بينهما يكمن في المصدر الإلهي (التجاوزي) الذي يلعب دوراً في حالة النبوءة. لكن مع ذلك، قليلاً ما يتم التمييز بين التنبّؤ و"التكهّن" (سوف أتحدث عن هذه الأخيرة لاحقاً).

في المجتمعات البدائية القديمة كان الشاماني shaman (الحكيم أو طبيب القبيلة، وقد يكون رجل أو امرأة) هو الذي يُشار إليه أحياناً بالنبيّ. من الصعب التمييز إن كانت قدراته سحرية أو دينية. يعارض البعض اعتبار تكهنات الشامنيين بأنها نبوءات لأنهم يلجئون إلى الأرواح وليس المصدر الإلهي. يشدّد هؤلاء المعارضون على أن النبوءة الحقيقية لا يمكن أن تُعتبر كذلك إذا لم تأتي بهيئة إلهام مُستوحى عبر كائنات سماوية. المعارضة ذاتها تنطبق على كل الكشوفات المستوحاة عبر استخدام الكحول، التبغ، أو أي مواد مخدّرة تساعد الفرد على الدخول في حالة وعي بديلة، فهكذا كشوفات لا تكون مُلهمة سماوياً. لكن البعض الآخر قد يجادل بأن هذه المواد المخدّرة زُودت ماورائياً لهذه الغاية أصلاً.

توفر المجتمعات القديمة دلائل قوية لدعم هذه الجدلية الأخيرة، حيث غالباً ما كان المتنبؤون وكهنة المعابد يدخلون في حالات بحران أو غيبوبة سامحين للآلهة الماورائية لأن تتكلّم عبرهم. كانت حالات الغيبوبة تُنتج بوسائل مختلفة مثل تنشّق

الأبخرة الصاعدة من أخشاب أو مواد أخرى معيّنة أو شرب محاليل معيّنة. المصريون القدامى استخدموا تماثيل تتصاعد منها الأبخرة. والإغريق القدامى اعتمدوا على نبوءات كهنة المعابد الذين تلفظوا الكلمات خلال حالات الغشية التي دخلوها بتأثير الغازات الطبيعية الصاعدة من الأرض أو تناول مواد مخدرة معيّنة، ومع ذلك كانت نبوءاتهم تعتبر ثابتة وغير قابلة للنقاش.

مع تقدّم المجتمعات البشرية وتزايد تعقيدها التنظيمي، تحوّل منصب الشاماني (طبيب القبيلة البسيط) إلى مؤسسة كهنوتية كبيرة تتألف من مجموعة أشخاص متخصصون في التنبؤ، أو بمعنى أصحّ، نقل رسائل الآلهة إلى الرعايا. في حضارة "آشور" مثلاً، كانت طبقة الكهنة تُسمى "نابو" nabu ومعناها "مناداة" أو "إعلان"، وربما جاء الاسم من الإله "نابيو"، ومعناه "المتكلّم" أو "صوت القدر". بين اليهود القدماء كان يُشار إلى المتنبئين باسم "نبكيا"، وهو لقب مأخوذ من الكنعانيين الذين تمحورت ثقافتهم أيضاً حول الكهنة المتنبئين. وفقاً للقصص التوراتية يبدو أن المتنبئين كانوا يملئون البلاد في فلسطين. ويبدو أيضاً أنهم كانوا ينتمون إلى حلقات كهنوتية تتمحور حول آلهة مختلفة. المتنبؤن الأكثر تبجيلاً لدى قبائل اليهود كانوا أولئك الذين عاشوا في شمال فلسطين والتي كانت تحت تأثير الكنعانيين. لكن يبدو أنه في إحدى فترات التاريخ، وبسبب عوامل سياسية، تم توحيد كل المتنبئين والكهنة والسحرة تحت غاية واحدة وهي خدمة الإله "يهوه" Yahweh الذي اعتُبر المصدر الماورائي الوحيد للكشوفات السماوية. اعتُبرت الشريحة الكهنوتية التي تشكلت نتيجة هذا التوحيد المرجع الرسمي الوحيد لكل المعلومات الغيبية المتعلقة بالشعب اليهودي، حيث يتم إرشاده ونصحه ونصرته على أعداءه.. إلى آخره، ولهذا السبب مُنحت تنبؤاتهم أهمية كبرى، وبالتالي ما من مجموعة بشرية على وجه الأرض سلّمت مصيرها بالكامل للكهنة المتنبئين كما فعلت القبائل اليهودية.

التكهّن
prediction

"التكهّن" هو نوع من "التنبّؤ" بحيث يتم الحصول على معلومات تتعلق بالمستقبل عبر قدرات عقلية استثنائية، إلهام سماوي، قراءة النذائر، أو الدخول في حالات وعي بديلة. الفرق بين الاثنين يكمن في أن "التنبؤ" يتعلّق بمعلومات تتعلّق بأمور ومسائل جماعية، أي تخصّ مجموعات بشرية واسعة. بينما "التكهّن" يتعلّق بأفراد فقط، أي مُعظم التكهنات تأتي على شكل معلومات مستقبلية تتعلّق بالفرد وليس الجماعة.

تعتمد التكهّنات عادةً على الإدراك المُسبق أو معرفة المستقبل التي يمكن اكتسابها عبر "الحدس"، الأحلام، الرؤية الاستبصارية، أو عبر وسائل مختلفة "للعرافة" مثل قراءة الدلالات الفلكية (علم الفلك)، أو دلالات الورق (تاروت)، أو قراءة الكفّ، أو علم الأرقام أو ضرب الرمل أو غيرها. أما في المجتمعات الشامانية أو تلك التي تزخر بالمعابد النبوئية، يمكن تناول مواد مخدرة لاستنهاض القدرة النبوئية التي تسمح بتلقي الإلهام الماورائي.

يمكن أن تتشوّه المعلومات الغيبية النقيّة بفعل الأحكام المسبقة أو حتى إدراكات خاطئة تخطر في ذهن المتكهّن. وغالباً ما يصعُب تمييز المعطيات الصحيحة من المعطيات الخاطئة التي وبئت بها. والأمر الأكثر صعوبة الذي يعاني منه المتكهّن هو تحديد موعد الحدث المستقبلي بشكل دقيق. وهذه المسألة الأخيرة لها علاقة بالطبيعة الحقيقية للزمن (والكون عموماً) والتي لازال معظم الناس يجهلونها.

العرّافة
Divination

منذ المراحل الأولى من تاريخ الحضارة ابتكر الإنسان وسائل متنوعة للتواصل مع العالم الماورائي سعياً للمساعدة والنُصح في حياتهم العامة والخاصة. تُمارس العرافة كوسيلة للحصول على معلومات غيبية، ماضية، حاضرة، ومستقبلية. هي الممارسة الرئيسية التي يتداولها كل من السحرة، حكماء القبيلة، الأطباء الشعبيين، المشعوذون، والشامانيون. هذه المجموعات المتنوعة من الأشخاص الذين يُشار إليهم عموماً باسم واحد يجمعهم وهو "العرّاف"، ينتمون غالباً إلى شريحة خاصة من الكهنة (ذكور أو إناث، حسب الثقافة) في الحضارات الماضية وحتى المعاصرة، ومدربون خصيصاً لممارسة مهاراتهم التكهّنية.

يبدو أن صيغة ممارسة هذه المهارة التكهّنية مقسومة إلى قسمين: الأول يتمثّل بمراقبة وترجمة الظواهر الطبيعية، والثاني يتمثّل بمراقبة وترجمة الظواهر الاصطناعية التي يخلقها الإنسان. تشمل الظواهر الطبيعية قسمين أيضاً: علم الفلك، وعلم قراءة أحشاء الذبائح. ويمكن إدراج المزيد من الممارسات إلى هذا التصنيف أيضاً، مثل ترجمة الظواهر الجوية كالعواصف غير المتوقعة أو التشكلات المختلفة للغيوم، أو تصرفات الحيوانات، كعواء الكلاب أو سلوك الطيور، أو غيرها مظاهر في الطبيعة المحيطة بالإنسان يمكن ترجمتها كنذائر.

أما الظواهر الاصطناعية فيمكن تعريفها على أنها مصنوعة طوعياً بهدف استشراف المستقبل، وتشمل ممارسات مثل، التكهّن بواسطة الورق، أو رمي الودع، او ضرب الرمل، أو ممارسات مألوفة شعبياً مثل سكب الزيت في حوض من الماء ومراقبة تشكّل الفقاعات في الوعاء، أو غيرها من ممارسات مشابهة.

كان الرومان القدامى يتبعون وسيلة ترجمة النذائر الطبيعية وقراءة أحشاء الذبائح، وهذا ما فضّله كنهة "الدرويد" أيضاً (في بريطانيا القديمة). أما المصريون واليهود

فقد اعتمدوا بشكل كبير على الاستبصار المباشر (التحديق إلى مرآة سحرية)، وهذه الأخيرة لا تنتمي إلى أي من التصنيفات السابقة حيث تُصنّف في خانة القدرات العقلية. والحال ذاته ينطبق على الإغريق القدامى الذين اعتمدوا على النبوءات التي يستوحيها كهنة المعابد، مثل "دلفي"، من كائنات العالم الماورائي. أما في الصين، فالوسيلة التي اشتهرت لديها لاستشراف المستقبل هي ما تُسمى "أي تشينغ" I CHING التي تتمحور حول رمي عيدان نباتية قصيرة وطويلة ثم قراءة الترتيب الذي استقرت به على الأرض، وهي تُعتبر إحدى أشكال رمي الودع.

مُعظم ممارسو العرافة اليوم لا يعتقدون بأن النذائر التي تُنبئهم بالمستقبل هي ثابتة أو مطلقة بل لازال للفرد حرية اختبار ظروفه المستقبلية، لكن ما تفعله العرافة عموماً هو مساعدته على التوصّل إلى اختيارات مناسبة.

هذا الموضوع بالذات يتطلّب مساحة واسعة من الشرح قبل أن تتوضّح فكرته جيداً، بالإضافة إلى ضرورة الإلمام بالفلسفة الهرمزية (خصوصاً قانون "السببية") لكي تصبح مقبولة منطقياً، وهذا ما سنتعرّف عليه في أجزاء لاحقة.

من خلال المواضيع المُختصرة السابقة، تبيّن أن الإنسان يألف جيداً ظاهرة تجاوز الزمن وقد سلّم بها كواقع موجود لا يمكن إنكاره. لقد لمس هذه الظاهرة في حالات كثيرة أهمها الأحلام. اختبرها على شكل هواجس، إدراكات مباشرة، وحتى رؤى وإلهامات. واستطاع ابتكار وسائل مختلفة تمكنه من استشراف المستقبل. هنا تكمن إحدى أكبر المعضلات التي يمكن للعقل المنطقي مواجهتها. نحن أمام ظاهرة واقعية وملموسة بحيث يمكن لأي فرد اختبارها، لكن في نفس الوقت، يستحيل تفسيرها بالاستناد على المفاهيم العلمية السائدة. وفي حالات إشكالية كهذه، غالباً ما ينقسم الناس حول الظاهرة إلى مجموعتين متناقضتين: الأولى تشكّك بصحّة

الظاهرة حتى لو كانت ماثلة أمامهم، فقط لأنه يتعذّر تفسيرها علمياً. بينما المجموعة الثانية تسلّم بوجود الظاهرة في جميع الأحوال، دون أن يعيروا أي اهتمام بالعلم ومسلّماته المزعومة.

هذه الحالة تذكرني بموقف العلم الضعيف أمام ظاهرة أخرى لا تقلّ إرباكاً. يقول لنا العلم المنهجي بأن العامل الذي يحدد درجة احترار كوكب الأرض يتمثل ببعده أو قُربه من الشمس. أي وفق المنطق العلمي، كلما اقتربت الأرض من الشمس كلما زادت درجة الحرارة، وكلما بعُدت كلما نقصت درجة الحرارة. لكن الحقيقة التي نادراً ما يتم مناقشتها أو تداولها بشكل صريح وعلى نطاق واسع، تجنباً للإحراج، ليس لشيء سوى مدى الإرباك الذي يتخبط به فطاحل العلم، هي أن كوكب الأرض يكون أكثر برودة (فصل الشتاء) عندما يكون في أقرب مدار من الشمس، بينما تزداد حرارته (الصيف) خلال وجوده على المسار الأبعد منها!

بالعودة إلى موضوعنا، وفيما يتعلّق بـــ"الزمن"، دعونا نتعرّف على نظرة العلم إلى هذا العامِل وكيف يتعامل معه.

ما هو الزمن؟

يمثّل الزمن بالنسبة للإنسان العادي تتابع المواقيت الناتج عن شروق الشمس وغروبها وعن دوران الأرض حول الشمس، والقمر حول الأرض. بالإضافة إلى أن مفهوم الزمن يعتمد على طريقة تسلسل الأحداث في حياتنا اليومية ودائماً تكون باتجاه واحد ودون رجعة، فترى مثلاً كيف أن الأشياء تتلاشى تدريجياً ودون رجعة، والكوب يقع من الطاولة وينكسر على الأرض دون رجعة، وبنفس الوقت نجد النبتة تنمو وتكبر دائماً لكنها لا تصغر. وفق مفهومنا للكون المتمدّد على الدوام، المستقبل هو جهة مسار سهم الزمن، أي إلى الأمام، دون رجعة. عقارب الساعة تسير باتجاه واحد دون توقّف أو عودة للخلف.

يمثّل الزمن بالنسبة للعلماء مفهوم أساسي لا بد منه لضبط التجربة العلمية. ففي العصر العلمي الحديث أصبح من الضروري طرح تصوّر للأسلوب العلمي يكفل إجراء التجربة العلمية بطريقة مُتفق عليها بين كافة العلماء من أجل تحقيق النتائج

ذاتها، وذلك يستلزم مقياس دقيق للزمن ومرجعية ثابتة له بالنسبة لجميع العلماء. وكان هذا التصورّ هو التصورّ "النيتوني" للزمن المطلق.

حسب "إسحاق نيوتن" Isaac Newton، الزمن المطلق الحقيقي، الرياضي، ينساب من تلقاء نفسه وبطبيعته الخاصة، باطراد دون علاقة بأي شيء خارجي، ويُطلق عليه اسم الديمومة permanence. وفي واقع الأمر كانت النظرة النيوتنية للكون ذي الزمان والمكان المطلقين ناجحة في تفسير ٩٩% من حقائق الكون علمياً، مما ساهم في إحراز تقدم كبير في مجال العلم.

لكن السؤال الذي لا ينتبه إليه الأكاديمي هو: تقدم العلم إلى أين؟ الجواب: إلى ترسيخ النظرة الميكانيكية للكون أكثر وأكثر.

على أي حال، مع تقدم العلم وزيادة دقة أدوات القياس مما أدى إلى حصول ملاحظات تكشف عن العديد من الظواهر التي لا تتوافق مع النظرة النيوتونية المطلقة، بدأ الشكّ يتملّك العلماء بخصوصها.

بتقديم "ألبرت أينشتاين" Albert Einstein. لنظريته النسبية الخاصة عام ١٩٠٥ والتي وضع فيها معادلات حركة الأجسام في فضاء مستوي رباعي الأبعاد، ثم

طرحه لفكرة التواء الزمان والمكان بتأثير الجاذبية، تكونت لديه المادة الخام لنظرية متكاملة حول الجاذبية يمكن أن تكون بديلاً لنظرية نيوتن.

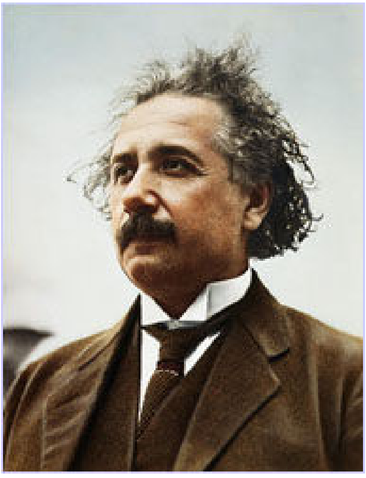

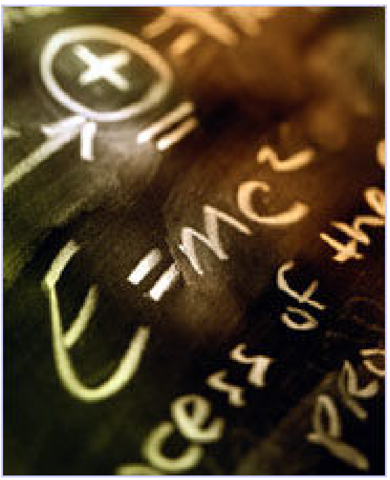

بعد تطوير نظريته الأولى عبر السنوات اللاحقة أعلن عن النظرية النسبية العامة عام ١٩١٥ في أكاديمية العلوم في برلين (خرجت للعلن عام ١٩١٦). وهذه النظرية الأخيرة ساهمت بشكل كبير في تغيير نظرة العلم تجاه الكون. وفقاً للنظرية النسبية العامة، المكان والزمان ليسا خلفية ثابتة للأحداث وإنما هما مساهمان نشيطان في ديناميات الكون. والفكرة الأساسية هي أنها تضم "بُعد" الزمان إلى أباعد المكان الثلاثة لتشكّل ما يُسمى "متصلة الزمكان" Space-Time continuum. تدمج النظرية تأثير الجاذبية في العملية من خلال طرحها فكرة أن توزيع المادة والطاقة في الكون "يحني" أو "يُشوّح" الزمكان بحيث لم يعد مُسطحاً أو مستوياً، وبما أن الزمكان منحنياً فإن مسارات الأجسام تظهر منحنية، وتتحرك كما لو كانت متأثرة بمجال جذبوي. وانحناء الزمكان لا يؤدي فقط إلى انحناء مسار الأجسام بل يؤدي إلى انحناء الضوء أيضاً. ويُقال بأنه وجد أوّل برهان تجريبي لذلك في العام ١٩١٩ حينما تم إثبات انخناء الضوء الصادر من أحد النجوم عند مروره بجوار الشمس بتأثير مجاله الجذبوي.

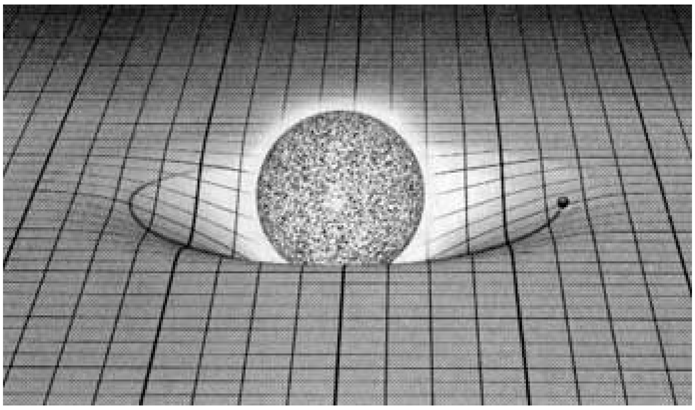

رسمة تصوّر انحناء الزمكان بفعل جاذبية الكتلة

وفقاً للنظرية النسبية، ينحي "الزمكان" بشدّة في حضور الأجسام ذات الكتلة الضخمة، ويعني ذلك أن الأجسام تنحرف المكان أثناء الحركة وكذلك تنحني في الزمان من خلال تباطؤ زمنها الخاص نتيجة للتأثير الجذبوي لتلك الكتلة. فإذا تصوّرنا فضاء رباعي الأبعاد له ثلاثة أبعاد تمثّل المكان وبعداً رابعاً يمثّل الزمان، ورسمنا خط الحركة المنحنية للجسم مع تباطؤ الزمن على محور رابع، يظهر لنا الزمكان منحنياً بتأثير الكتلة الجاذبة (كما في الشكل السابق).

وفقاً لأينشتاين، كل حقيقة في الزمان والمكان معاً تُقاس على أنها حقيقة مكانية. وكل مقياس مكاني يعتمد على مقاييس زمانية. وفق هذا المفهوم، الزمن هو البُعد الذي يفسّر ويقيس ديناميكية المكان (الحركة فيه). يقول أينشتاين بأن الزمن يبدو مطلقاً بالنسبة لنا بسبب بطء حركتنا بالنسبة لبعضنا البعض. فمثلاً، إذا كانت تحمل ساعة بيدك وثابت في مكانك، وأنا أسافر بسرعة معيّنة وأحمل ساعة مطابقة لساعتك (إن كان في الأداء أو التوقيت)، سوف يُلاحظ بأن ساعتك تسير بشكل أسرع من ساعتي. ويمكن حسابها مثلاً كما يلي، إذا استمرّت الحالة الموصوفة سابقاً (ثباتك في مكان واحد وحركتي المستمرّة) لفترة من الوقت، سوف يتبيّن بأن عمرك يزداد عشرين سنة بينما عمري يزداد فقط خمس سنوات، أو سنتين، حسب

سرعة الحركة ومدّتها. *(أنا أتحدث مجازياً لتوضيح الفكرة فحسب، بينما في الواقع الأمر يتطلّب سرعات كبيرة ولمسافات بعيدة قبل أن نتكلّم عن فرق بالسنوات).*

هذه النظرية الفيزيائية المتعلقة بـــ"الزمن" خضعت للتجربة وتم التصديق على صحّتها، ونالت الاعتراف من قبل الجميع. وهناك من لم يكتفي بمعالجة الفكرة نظرياً بل ذهب إلى إيجاد وسائل عملية لإنتاج "ظواهر زمنية" في مختبره، لكن القليل فقط من العلماء نشروا نتائج تجاربهم على فيزياء "الزمن" وتطبيقاتها العملية. نجد مثلاً العالِم "فان ستوكوم" van Stockum الذي وجد في العام ١٩٣٦ حلولاً مناسبة لمعادلات أينشتاين في المجال الجاذبي لاسطوانة تدور بسرعة فائقة. أظهر كيف تسمح هذه الآلية بتجسيد خط زمني مُقفل يمكنه وصل أي حدثين في الزمكان. هذا يؤدي إلى فتراض إمكانية أن تلعب اسطوانة دوّارة بسرعة فائقة جداً دور آلة زمنية، تنتج "خروقات سببية غير عادية" nontrivial causality violations، أي بمعنى آخر: السفر عبر الزمن. في السبعينات من القرن الماضي، وصف الفيزيائي "فرانك تيبلر" آلة زمنية نظرية ثنائية الاتجاه، تتألف من اسطوانة تدور بمعدّل سرعة يساوي نصف سرعة الضوء.

لكن يبدو أن هناك نظريات فيزيائية كثيرة أخرى توصف "الزمن بطريقة مختلفة. والأمر المثير أنها جميعاً قابلة لإثبات صحتها بالتطبيق العملي. والأمر المريب هو أن مُعظم تلك النظريات، إن لم نقل كلّها، لم تلقى أي اهتمام أكاديمي واسع النطاق، رغم أنها أجريت من قبل أكاديميين لامعين، وحققوا نتائج باهرة. جميع طلاب الفيزياء حول العالم، خصوصاً المهتمين بموضوع "الزمن"، يألفون اسم "أينشتاين" جيداً، لكن نادراً ما أتى على أسماعهم أسم العالِم الذي لا يقلّ شأناً بالرغم من أنه حقق الكثير على صعيد البحث بموضوع "الزمن".

هو عالِم الفيزياء الفلكية الروسي "نيكولاي كوزيريف" Nikolai Kozyrev المعروف جيداً في الأوساط الأكاديمية حول العالم لكن نادراً ما سمع عنه أحد

خارج هذا النطاق رغم إنجازاته الكثيرة في مجال الفيزياء وموضوع "الزمن" كان أحدها.

عالِم الفيزياء الفلكية الروسي "نيكولاي كوزيريف"

أجرى "كوزيريف" أبحاث اختبارية على خواص "الزمن" في الستينات والسبعينات من القرن الماضي. استخدم "جيروسكوبات" gyroscopes مُكهربة وبندولات pendulums مختلفة لاستعراض كثافة "الزمن" وشدّته. نعم، أقول "كثافته وشدته" لأنه أُثبت بأن "الزمن" طاقة! لكن ما هي طبيعة هذه الطاقة؟ يوصف "كوزيريف" الأمر قائلاً:

".. يوجد خاصية متغيّرة يمكن تسميتها كثافة أو شدّة الزمن... كثافة الزمن تتغيّر ضمن حدود عامة، وفقاً للحدث الحاصل في الطبيعة.. أُثبت بأنه ممكناً لمادة أن تؤثّر في أخرى عبر الزمن. يمكن ترجيح هكذا علاقة طالما أن ظاهرة علاقة الناتج السببي causal-resultant relationship لم تحصل في الزمن فحسب، بل بمساعدة الزمن. بالتالي، في كل إجراء بالطبيعة، يمكن تمديد الزمن أو تشكيله.."

".. يعتمد تأثير القطب السببي فقط على المسافة الفاصلة (مع الحدث). أظهرت القياسات المتكررة والدقيقة بأن هذا التأثير يتناقص، ليس بتناسب عكسي لمربع المسافة، كما في حالة حقول القوة، بل بتناسب عكسي للقوة الأولى للمسافة.."

".. أفضت النتائج إلى أنه كلما اقتربت المنظومة من علاقة الناتج السببي كلما تغيّرت كثافة الزمن فعلياً... يحصل هناك ترقّق (خلخلة في الزمن)، بينما ينحشر (تزداد كثافته) قرب المتلقّي (موقع الحدث). هذا يعني أن الزمن يتمدد بفعل مسبّب، وعلى الجانب الآخر، يصبح أكثر انحشاراً في موقع الحدث.."

أي وكأنه يقول، الزمن قابل لأن يتكاثف أو يتسارع عند موقع حصول حدث ما في الطبيعة. بالإضافة إلى ذلك، قدمت أبحاث "كوزيريف" تفسيرات مباشرة لظاهرة التنبؤ بالمستقبل. يقول:

".. يختلف تأثير الزمن أساساً عن تأثير حقول القوى.. تأثير القطب السببي يخلق مباشرة قوتين متساويتين متعاكستين.. هنا يحصل عملية انتقال، مجرّد من الزخم (اندفاع) وبالتالي مجرّدة من إطلاق موجي.. وجب على عملية الطاقة المجرّدة من الزخم أن تحوز على الخواص التالية: وجب على عملية النقل هذه أن تكون لحظية.. الزمن في الكون ليس منبعثاً بل متجسّد في كل مكان وبنفس الوقت. على محور زمني معيّن كل الكون منبعث من نقطة واحدة. فبالتالي، الخواص المتبدلة لثانية واحدة ستظهر في كل مكان بنفس الوقت، وتتناقص وفقاً لقانون التناسب العكسي للقوة الأولى للمسافة.."

".. إن شرح هذه الإمكانية للاتصال عبر الزمن ربما ستساهم في تفسير ليس فقط مظاهر العلاقات البيولوجية لفيزيائية الإنسان بل عدد من الظواهر الغامضة المتعلقة بها أيضاً. ربما المعرفة الحدسية تحصل بهذه الطريقة. من الممكن أن ظاهرة التخاطر تُفسّر وفق هذه الآلية أيضاً، أي نقل الأفكار عبر مسافة. كل هذه

العلاقات غير محجوبة وبالتالي لديها الخواص المناسبة لانتقال التأثير عبر الزمن.."

لقد حدد "كوزيريف" سرعة الزمن أيضاً (الزمن = ٧٠٠ كلم/ثانية [+/- ٥٠] في منظومة يسارية)، كما اكتشف عدة خواص وتأثيرات "زمنية" أخرى، بما فيها "فقدان الوزن في الجيروسكوبات" (تناسباً مع الوزن والمعدّل الخطّي للدوران)، وكذلك "اختلاف السرعات لنفس المنظومة بين القطب الشمالي والجنوبي للأرض"، و"انحراف البندول إلى الجنوب"، و"قدرة الحجب الزمني للجزيئات العضوية الدوارة إلى اليمين (مثل السكّر)"، و"قدرة الامتصاص الزمني للجزيئات الدوارة إلى اليسار (مثل زيت التربنتينة)"، و"تراخي الزمن (المتناسب عكسياً مع المربع الجذري لكثافة الجسم)"، وغيرها من اكتشافات. *(أوردت بعضها في كتاب "طاقة الأورغون" ج٢).*

بعبارة أوضح، هذا يعني أنه التحكم بالزمن هو أمر ممكن عملياً، وحتى خلقه كتأثير جانبي لعمل معيّن... مثل تراكم المزيد من زمن المتراخي في موقع حدث.

المسار اللولبي للزمن

خلال تعمقه في أسرار الكون ودراسة جميع النماذج الموجودة في الحياة اكتشف بأن جميع الكائنات الحية تُظهر دلائل على وجود حالة تناظر فيما بينها asymmetry، وجميعها تنمو وفق حركة لولبية spiraling growth.

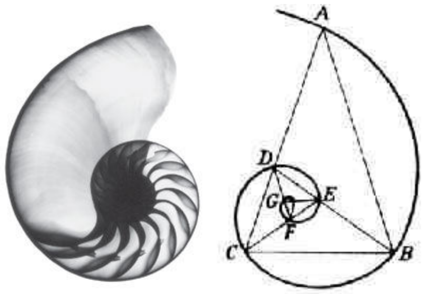

هذه الطريقة في النمو موجودة عند النباتات، الحشرات، الحيوانات وكذلك البــشر. كما يوجد هذا النموذج ذاته في حركة المجرات وتــشكّل الأعاصــير والــدوامات المائية وغيرها من تحرّكات في الطبيعة. هو النموذج ذاتــه الــذي يُــشار إليــه بــ"الهندسة المقدّسة" sacred geometry وقد تحدثت عن هذه الحركة اللولبية في كتاب "أفول شمس المعارف الكبرى" وكيف تعمل وفق مبــدأ "المقطــع الــذهبي" Golden Mean.

هذه العملية تكرر نفسها في كافة مستويات الطبيعة ومظاهرها المختلفة. فقط القلائل من الذين يعرفون هذه العلاقة الطبيعية الجامعة بين الكائنات يعرفون بأنها تحصل لأن نسبة الــ"باي" تُمثّل أكثر النماذج الطبيعية كفاءة التي يمكن النمو وفقها. يقترح "كوزيريف" بأن الحياة لا يمكن أن تتشكّل بأي طريقة أخرى، لأنها تستمدّ قوتها من هذه الطاقة اللولبية في سبيل البقاء، وبالتالي وجب أن تتبع طريقة مسارها خطوة خطوة.

دوامة مائية.. تسارع الماء باتجاه المركز بطريقة لولبية

كما أسلفت سابقاً، فإن نماذج الطاقة اللولبية المتجسّدة في الطبيعة كشفت عن نفسها أمام عيون "كوزيريف" وعلّمته "معرفته الفطرية" بأن الطاقة اللولبيــة هــي فــي الحقيقة التجسيد الطبيعي للــ"زمن" time. فقد شعر بأن "الزمن" هو أكثر بكثير من

مجرّد آلية تسلسلية بسيطة أو ذات طبيعة استمرارية على الــدوام بحيــث يمكــن إحصائها بالمدّة العددية المتساوية.

طبيعة الزمن وفقاً لـ"كوزيريف"

إذا أردنا اختصار فكرة "كوزيريف" حول الزمن فيمكن استخلاصها بما يلي: [١] تتغيّر كثافة الزمن وفقاً لنوع وحجم الحدث الحاصل في الطبيعة. [٢] يعتمد تأثير القطب السببي (العوامل المسببة) على المسافة الفاصلة مع الحدث. [٣] كلما اقتربت الآلية السببية من "الناتج السببي" كلما تغيّرت كثافة الزمن فعلياً، حيث تصل أعلى درجاتها عند المتلقّي (موقع الحدث).

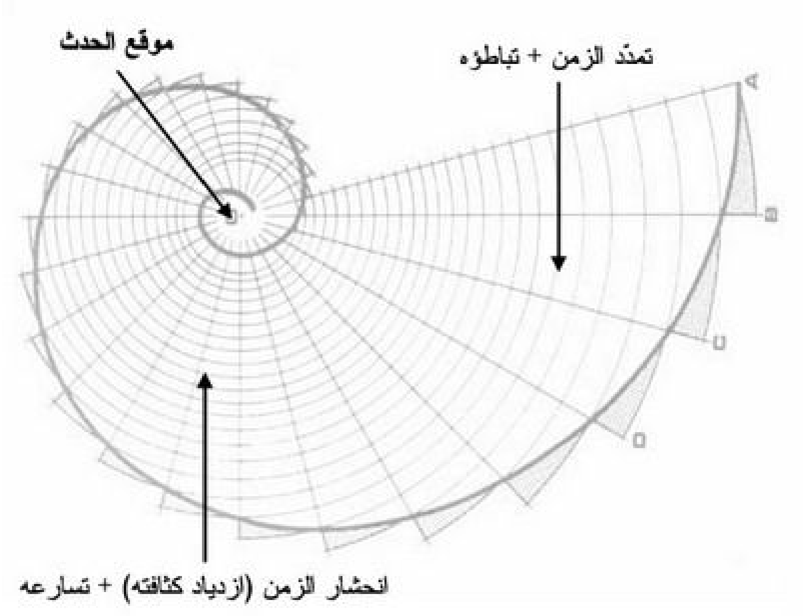

الطاقة اللولبية spiraling energy للــ"زمن"، الهيئة الأكثر توافقاً مع الطبيعة. يعمل الزمن عند موقع الحدث كما تفعل الدوامة المائية تماماً، حيث يبدأ الماء بحركة متباطئة عند توجهه نحو المركز، ثم تبدأ الحركة بالتسارع تدريجياً كلما اقتربت من نقطة المركز (موقع الحدث).

هذا يعني أن الزمن يتمدد بفعل مسبّب، وعلى الجانب الآخر، يصبح أكثر انحشاراً في موقع الحدث. وهذا بالضبط ما تفعله الحركة اللولبية في الطبيعة (الدوامة).

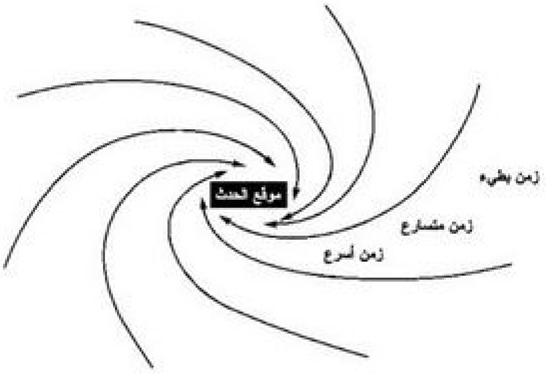

من أجل استيعاب الفكرة السابقة جيداً، علينا أولا تعريف الحدث ومعرفة ما يمثله:

الحدث: هو حالة تكوّنت نتيجة تفاعل مجموعة عوامل موضوعية مع مسبباتها من أحكام وقرارات، سالكة الطرق أو الوسائل المُتاحة، وصولاً إلى الهدف (النتيجة) أو نقطة تقاطع كافة عوامل التشكيل. وفقاً لهذا التعريف، يمكننا اعتبار كل الأشياء المتجلية في الكون المادي بأنها أحداث قائمة بذاتها. وليس بالضرورة أن تكون أفعال حركية كما نألفها.

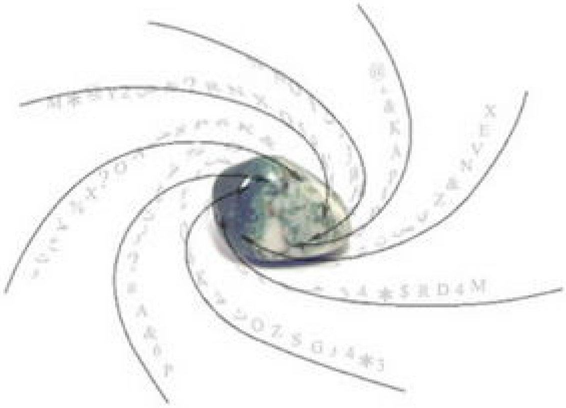

وفقاً للتعريف السابق، حتى الحجر الساكن يُعتبر حدث في الكون المادي، لأن وجوده بهذه الصيغة جاء نتيجة مجموعة عوامل ومسببات.

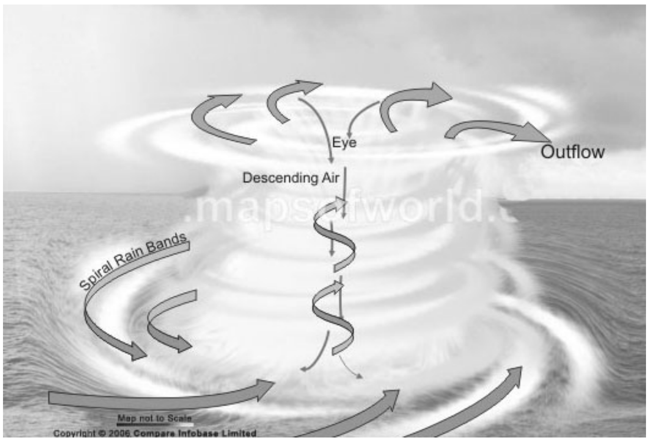

هذه صورة تشرح آلية تشكّل العاصفة البحرية. لكنها لا تختلف كثيراً من تشكّل الزمن حول موقع الحدث، أو الأشياء المتجلية مادياً.

يلحّ كوزيريف علينا بأن نحاول التفكير بمسبّب ما للــ"زمن"، شيئاً حسيّاً ومماثلاً في الكون يمكن تشبيهه بــ"الزمن". بعد التأمّل والإمعان في هذه القضية، سنكتشف بأن "الزمن" هو مجرّد "حركة لولبية". نعلم بأننا بذلك نتبع خطى نموذج لولبي معقّد يجري في الفضاء بفضل نموذج المجرى المداري للأرض والنظام الشمسي. لكن الآن وفي هذه اللحظة، فإن دراسة "علم الوقت" temporology، تجري على قدم وساق في جامعة موسكو الحكومية، وكذلك "المؤسسة الروسية الإنسانية" Russian Humanitarian Foundation، وجميع هذه الدراسات هي مُستلهمة من أعمال الدكتور كوزيريف الرائدة. وفي مقدمة موقعهم على شبكة الإنترنت، يقولون:

".. من خلال فهمنا للأمر، فإن طبيعة "الزمن" هي عبارة عن آلية تجلب التغيرات أو التجدّد الحاصل في العالم. ولكي نفهم طبيعة "الزمن" الحقيقية، سوف نشير إلى إجراء، أو ظاهرة، أو "حامل" carrier (كالموجة الحاملة للإشارات اللاسلكية) في هذا العالم المادي الصلب بحيث يمكن أن تتشابه خصائصه أو تتناغم مع خصائص الزمن.."

قد يبدو هذا غريباً لأوّل وهلة، حيث أن الشجرة الساقطة في باحة منزلك ستبدو أنها سقطت نتيجة لرياح قوية، وليس بسبب "جريان الزمن". لكن وجب أولاً أن نتساءل ما الذي سبب هبوب الرياح؟ وسوف نتوصّل في النهاية إلى السبب الأساس الذي هو دوران الكرة الأرضية حول محورها. لكن في الحقيقة، جميع التغييرات الحاصلة هي نتيجة مباشرة لنوع من "الحركة"، وبدون "حركة" لا يمكن أن يكون هناك "زمن". العديد من المفكرين الذين نشروا أوراق علمية من خلال "المؤسسة الروسية لعلم الوقت" Russian Institute of Temporology يقبلون بفكرة أنه لو غيّر كوزيريف بعض المصطلحات التي استخدمها بحيث استبدل الكلمة "زمن" بمصطلحات علمية أكثر عمومية مثل "الفراغ الفيزيائي" physical vacuum أو "الأيثر" aether، لاستطاع عدد كبير من الناس استيعاب أعماله خلال فترة وجيزة جداً. ليس من الضروري على القارئ أن يجهد نفسه في فهم الفلسفة القائلة بأن الطاقة اللولبية spiraling energy هي في الحقيقة تجسيد للـ"زمن". وُجد المصطلح العلمي "الحقول التورسونية" و/أو "الموجات لتورسونية" لوصف التدفّق اللولبي لـ"طاقة الزمن" التي اكتشفها كوزيريف. (كلمة "تورسون" *torsion* تعني "الفتل" أو "الغزل" أو "الدوران" وهذا مشابه تماماً لمصطلح كوزيريف المسمى بـ"الطاقة اللولبية"). الكثير من العلماء الغربيين الذين اطلعوا على هذه المواضيع، وأشهرهم العقيد "توم بيردن" Lt. Col. Tom Bearden أطلقوا عليها اسم "الموجات السكالارية" scalar waves، لكن يبدو أن مصطلح "الموجات التورسونية" هو أسهل الأسماء وأكثرها عمومية، خاصة وأنها تذكرنا دائماً بطبيعتها اللولبية. لكن في جميع الأحوال، وجب على القارئ أن يتذكّر أمراً مهماً هو أننا بكل بساطة نتعامل هنا مع "نبضة" من القوّة الدافعة التي تسافر عبر وسيط "الأيثر" أو "طاقة نقطة الصفر" ZPE أو "الفراغ الفيزيائي"، ولا تحوز على أي خاصية كهرومغناطيسية. لأنها مجرّدة من الزخم، وتتجسّد عند الهدف بشكل لحظي.

إسقاط نظرية كوزيريف على أرض الواقع

صحيح أننا لا نملك المعدات المخبرية التي استخدمها كوزيريف، ولا الخلفية العلمية التي مكّنته من التوصل إلى استنتاج حقيقة أن "الزمن" يعمل كالدوامة المائية التي تتسارع نحو موقع الحدث، لكن نستطيع التوصّل إلى هذا الاستنتاج عبر التأمل في بعض الظواهر والحالات التي نختبرها في حياتنا اليومية.

وفقاً لــ"كوزيريف"، كل الأشياء المتجسّدة مادياً في الكون هي أحداث قائمة بذاتها وتنطبق عليها مبادئ الزمن الموصوفة سابقاً. يمكن التعبير عنها (مجازاً) من خلال الشكل التالي:

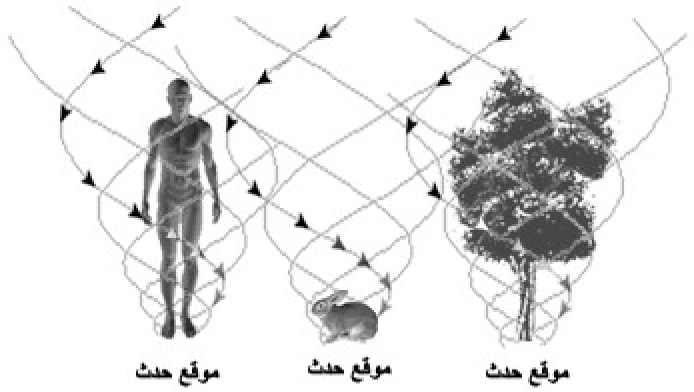

كل الأشياء المتجسدة مادياً، الحجارة، الأشجار، الحيوانات، الإنسان،.. إلى آخره، تشكّل مواقع أحداث لدوامات زمنية.

يمكننا الاستناد على هذه الفكرة السابقة لتفسير ظواهر كثيرة في الطبيعة، مثل سرعة حركة الكائنات الصغيرة (كالحشرات) واستجابتها الخاطفة مع البيئة المحيطة، مقابل بطئ حركة الكائنات الكبير (كالفيلة) واستجابتها المتأنية مع البيئة، بالرغم من أنهما يعيشان في واقع واحد ومسرح واحد للحياة. تبيّن أن السرّ يكمن في الحركة اللولبية لدوامة الزمن وتناسبها مع حجم الكائن (موقع الحدث). يمكن توضيح الفكرة من خلال الشكل التالي:

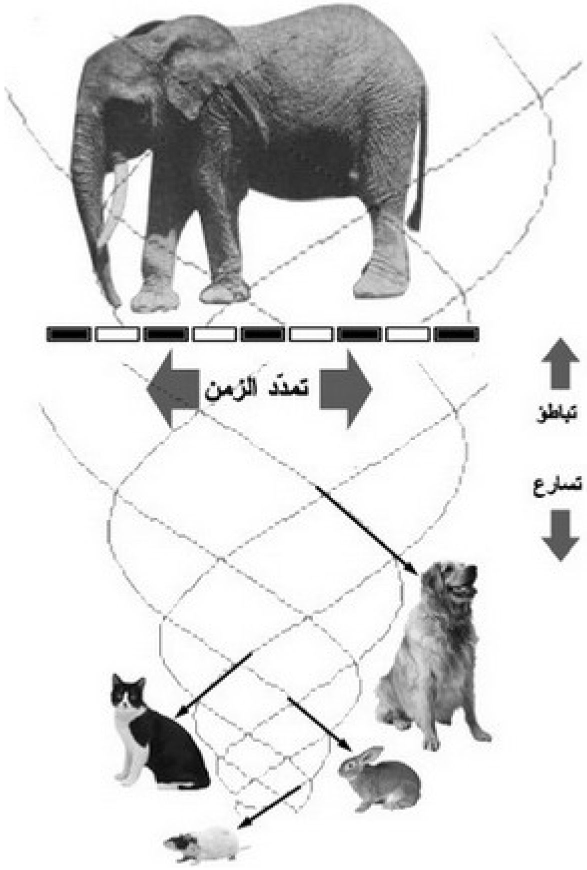

كما حالة أي حركة لولبية في الطبيعة (دوامة مائية، إعصار.. إلى آخره)، كلما توجهنا إلى مركز الدوامة اللولبية نزولاً كلما تسارعت الحركة، بينما إذا توجهنا صعوداً نحو الأطراف وبعيداً عن المركز تباطأت الحركة. الأمر ذاته ينطبق على دوامة الزمن. بما أن خصائص الزمن واحدة في الكون لكن تختلف فقط حسب اختلاف طبيعة الحدث (الكائن)، نجد بالتالي أن حجم الحدث (الكائن) يلعب دوراً في تفاعل الزمن معه. إذا رتبنا مجموعة من الحيوانات (وفقاً للحجم) على دوامة زمنية واحدة (لسهولة المقارنة)، نجد أنه كلما صغر حجم الكائن كلما تناسب مع مستوى تسارع أكبر في الدوامة، والعكس بالعكس. لهذا السبب نلاحظ وجود اختلاف كبير في الحركة وآلية إدراك الزمن بين الحيوانات رغم تشاركهم في مسرح واقعي واحد. ربما بدأنا نقترب من التفسير الفعلي لكيفية نمو الخلايا

المجهرية وتكاثرها بسرعة أمام ناظرينا خلال مراقبتنا لها بواسطة المجهر. يبدو أن سرعة الزمن بالنسبة لها تختلف عنا رغم أننا نشترك في ذات الواقع.

الآن أصبحنا نعلم لماذا تستطيع النحلة رؤية ضوء مصابيح الفلوريسنت fluorescent (نيون) بشكل متقطّع في الوقت الذي نراه نحن مستمراً دون انقطاع. يبدو أن الزمن عند مستوى النحلة في حالة تسارع أكثر منه عند الإنسان. هي موهوبة بقدرة التقاط مشاهد خاطفة جداً مثل طيرانها بسرعة فائقة فوق الحقول لكنها مع ذلك تستطيع تفحّص كل زهرة تمرّ جنبها كما أزيز الرصاص. هذه السرعة الفائقة في الإدراك والتجاوب لدى الحشرات تفسّر السبب وراء عجزنا عن التقاط ذبابة واقفة بالقرب من يدنا مهما كانت حركتنا خاطفة. السرّ يكمن في الطبيعة اللولبية لدوامة الزمن. كلما صغر الحجم زاد معه تسارع الزمن.

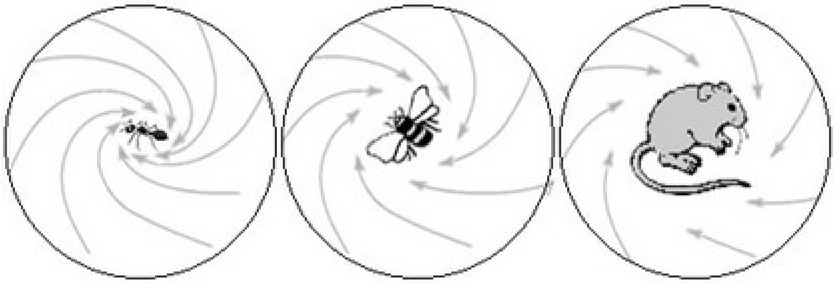

حتى لو تشاركت الكائنات في واقع واحد، لكن حجمها هو الذي يحدّد وتيرة تسارع الزمن بالنسبة لها

بما أننا في ذكر الإدراك، هناك الكثير من المظاهر التي استعرضها هذا الأخير لدينا بعلاقتنا مع "الزمن"، مما ساهم في كشف جوانب كثيرة أخرى لنشاط الزمن. فمثلاً، في العام ١٩٨٢ اكتشف المهندس المعماري "ألتون ديلونغ" Alton DeLong *(من جامعة "تنسي" Tennessee، الولايات المتحدة)* بأنه كلما صغُر حجم المكان الذي يتواجد فيه الفرد، كلما تسارعت ساعته البيولوجية الداخلية. قام "ديلونغ" بدراسة حالات متنوعة يختبرها مجموعة من المتطوعين مثل المكوث في حجرات ضيّقة المساحة، وحجرات أخرى واسعة المساحة، وحتى أنه طلب من

المتطوّع تصور نفسه وهو يمكث في حجرات صغيرة جداً تُستخدم كنماذج هندسية، ثم نماذج أكبر، .. وهكذا، فخرج في النهاية بنتيجة فحواها أنه يختلف تقييم الناس لسرعة مرور الوقت بالاعتماد على حجم الحجرة التي يتواجدون فيها. أي كلما صغُر حجم الحجرة كلما شعر الفرد بأن الوقت مرّ بشكل أسرع. هذا إثبات آخر على سرعة الزمن تناسباً مع صِغر الحجم (المساحة).

هناك ظاهرة "زمنية" أخرى تتعلّق بالصِغر والكِبر، لكن هذه المرّة تتعلّق بعمر الإنسان، حيث تتغيّر الطبيعة السايكوبيولوجيّة (النفسية/العضوية) للزمن مع تقدمنا في السن. في المجتمعات الإنسانية، اليوم الشمسي هو الذي يحدد تعريفنا الفطري للزمن. بينما "الزمن السيكولوجي" (النفسي) يشمل استمرارية عملية "التمثيل العضوي" metabolism منذ مرحلة الجنين حتى الكهولة والموت. التقدم في السن هو في الحقيقة حالة وظيفية عضوية. لقد أظهرت الاختبارات الجارية على معدل التكاثر الخلوي بأن عملية "التقدم في السن" تتسارع بدرجة أكبر أثناء الطفولة بالمقارنة مع سن الكهولة. بينما على الجانب الآخر، ووفقاً لمصطلحات "الزمن الفيزيولوجي" (الجسدي)، مدة الطفولة طويلة جداً بينما مدة الكهولة قصيرة جداً. لكن وفقاً لمصطلحات الزمن السيكولوجي (النفسي)، تبدو فترة الطفولة قصيرة جداً، بينما فترة الكهولة تبدو طويلة جداً. "الزمن السيكولوجي" يمثّل في الحقيقة مراقبة العقل تحركاته عبر سلسلة من الحالات. هذا يذكرني بالمثل الغربي: ".. في الصِغر، يطير الوقت بسرعة.. في السن المتوسطة، يزحف الوقت كما السلحفاة.. وفي الكهولة، ينفذ الوقت تماماً.."

بما أننا في صدد موضوع الإدراك، من المناسب تذكّر تلك الحقيقة التي أصبحت مألوفة لدى معظمنا، وتتعلّق بالمدة الزمنية للحلم الذي يراودنا أثناء النوم، حيث بالرغم من شعورنا بأنه استغرق ساعات طويلة إلا أنه في الواقع لا يتعدى دقائق معدودة. صحيح أن الأمر يتعلّق بالحجم أيضاً، لكن تفسير هذه الحالة يتطلب طريقة أخرى للشرح، لأنها تتعلّق بعنصر "الوعي".

موقع الحدث

لابد من أن استوعبنا سابقاً فكرة أن كل شيء متجلي مادياً في الكون يمثّل "موقع حدث" بالنسبة للزمن (نظرية كوزيريف)، وهذا لا يستثني الإنسان. لكن في الحقيقة، كينونة الإنسان هي أكبر بكثير مما يظهره تجسيده المادي، حيث تصل امتداداتها إلى ما وراء الدوامة الزمنية (هناك جانب منه متحرر كلياً من عامل الزمن).

لا نستطيع إدراك هذه الحقيقة بسبب محدودية إدراكنا خلال وجودنا في حالة الوعي العادية. لكن يمكن الشعور بها ولمسها فقط إذا دخلنا في إحدى حالات الوعي بديل. أكثر هذه الحالات شيوعاً لدى البشر هي النوم. فخلال هذه الحالة الأخيرة، يتمدد وعي الإنسان ليشمل ذلك الجانب الخفي من كينونته.

لكن خلال عملية التمدّد هذه، يحصل تغييرات في إدراكنا للزمن، وذلك لأننا ارتقينا إلى مستويات عالية في الدوامة الزمنية. كل من يمارس "الخروج عن الجسد" يدرك هذه الحقيقة جيداً، خصوصاً بعد دخوله المستوى "النجمي"، حيث يشعر

بمرور ساعات على وجوده هناك رغم أنه في الحقيقة لم يمضي سوى دقائق معدودة. هذه الحالة الزئبقية في إدراك الزمن لم تعد غريبة بعد فهمنا لفكرة الدوامة الزمنية. ربما يساعد الشكل التالي في زيادة استيعاب الفكرة.

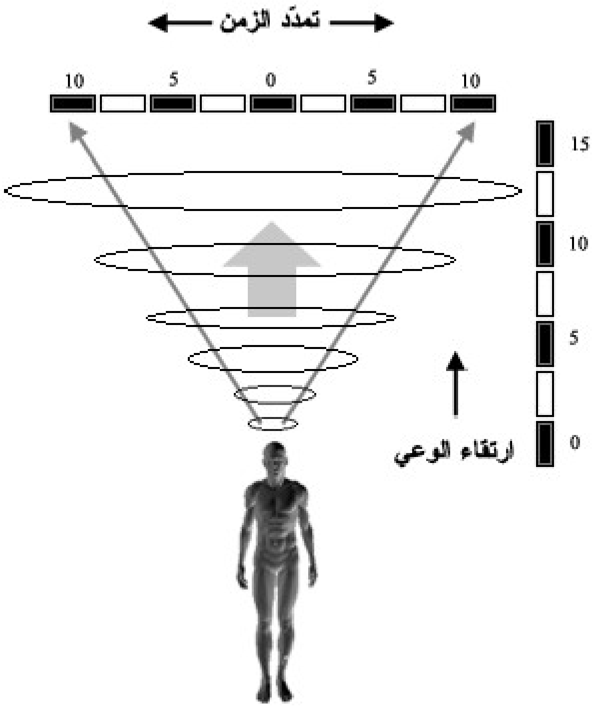

خلال دخول الفرد في حالة وعي بديلة، هناك مرحلة معيّنة ينتابه فيها شعور مزدوج، حيث في الوقت الذي يشعر فيه بوتيرة الزمن العادي، ينتابه أيضاً شعور (متقطّع أحياناً) بتمدد الزمن. أي يصبح كل شيء بطيء حوله (الكلام، الحركة..إلى آخره). معظمنا اختبر هذه الحالة خلال خضوعه للتخدير العام (قبل عملية جراحية). السبب هو أن الوعي لديه لازال في مرحلة انتقال بين الجانب المادي والجانب التجاوزي، أي أصبح بإمكان الفرد إدراك الحالتين معاً وبنفس الوقت. هذه المرحلة الوجيزة التي يمرّ بها الوعي (قبل خروجه من عنق الدوامة الزمنية ليتحرر منها نهائياً) تسمح لنا باختبار هذه الحالة الزئبقية للزمن، أي التعرّف على طبقاته المتعددة (إذا صحّ التعبير) رغم أننا لازلنا نقبع في موقع زماني ومكاني واحد.

لكن هذه الظاهرة الموصوفة سابقاً لا تقتصر على حالات النوم أو التخدير العام أو الخروج عن الجسد، بل يمكن تجسيدها بسهولة ووفق وسيلة بسيطة ومعروفة لدى الكثيرين. هي عبارة عن تمرين عقلي، يشبه التنويم المغناطيسي الذاتي لكنه أكثر بساطة، يُسمى "تمرين انحراف الزمن" TIME DISTORTION EXERCISE. غالباً ما يلجأ إليه الأفراد لتحسن أداءهم الدراسي. أي بمعنى آخر، إذا تعود عقلك على تحريف الزمن (إبطاءه) خلال معالجة مسألة معيّنة، خصوصاً تلك المتعلقة بالحساب الرياضياتي، يصبح بإمكانك حلّ أي مسألة خلال ثوانٍ. أو يمكنك قراءة عشرات الصفحات في دقيقة واحدة! أو يمكن حفظ كميات كبيرة من المعلومات في ذاكرتك خلال فترة وجيزة! أما بخصوص تطبيقات هذه الحالة الذهنية في ألعاب الرياضة وفنون القتال، فهي كثيرة، ومذهلة. أنا لا أتحدث عن خيال علمي، بل حقيقة واقعية، وهو تمرين عقلي شائع منذ السبعينات من القرن الماضي ويُصفونه خصيصاً لطلاب المدارس. دعونا نستغلّ هذه المناسبة للتعرّف عليه، وذلك من خلال اقتباس من مقالة للباحث "ملفين.د. سوندرز"Melvin D. Saunders.

تمرين بسيط لتحريف الزمن

في هذا العالم المحموم الذي أصبحنا نسميه عصر السرعة، أصبحت تقنيات "تسريع التعلّم" ضرورية. التعلم عبر حالة "تحريف الزمن" هو عملية تسخير العقل اللاواعي عبر التوجيه الواعي. النوابغ الذين يستطيعون حلّ المسائل الحسابية خلال ثواني، أو الموهوبون بقدرة القراءة السريعة (٢٠٠٠ كلمة في الدقيقة)، وغيرهم من أشخاص استثنائيين، يقولون بأنهم خلال القيام بهذه الإنجازات يختبرون حالة "انحارف زمني" فتتدفّق المعلومات إلى أذهانهم في لحظات. صحيح أن هذه القدرة فطرية لديهم، لكن أنتم أيضاً تستطيعون إنجازها، وذلك عبر تعويد العقل على إحداث حالة "انحراف زمني" من خلال تمرين بسيط للتنويم الذاتي self-hypnosis. بعدها تستطيع القيام بنشاطات عقلية (قراءة، عزف الموسيقى، إلى آخره) خلال حالة "انحراف زمني".

هناك عازفة كمان مثلاً، دخلت في حالة مغناطيسية ذاتية وعبر حالة انحراف الزمن المُحرّض ذاتياً مارست عزفها الموسيقي بطرق عديدة. من خلال عزف المقاطع الصعبة ذهنياً، ساعدها ذلك على التحسّن في السرعة والدقّة. تمكنت من مراجعة مقاطع طويلة بشكل متكرر في فترة زمنية (أرضية) قصيرة جداً، وقد تحسّن أداءها التقني بشكل كبير.

من خلال التعلّم على مراجعة المعلومات المحفوظة في الذاكرة خلال حالة انحراف الزمن، يمكن للنماذج الذهنية المرتبطة بهذا الإجراء أن تتكرّس بحيث يعتاد العقل الواعي على هذه العملية وبالتالي يمكن إجراءها في حالة الصحوة. عبر اللجوء إلى حالة "تحريف الزمن"، يصبح بالإمكان مراجعة المسائل ومقاربتها من زوايا متعددة خلال ثواني معدودة. يمكن صياغة برامج ومخططات ومشاهد معقّدة في الذهن، وهي قابلة للحفظ خلال فترة زمنية وجيزة.

يمكن بهذه الطريقة مراجعة وحفظ الحركات الجسدية في مضمار الرياضة البدنية والجمباز أو فنون القتال وغيرها. يمكن التعلّم على إجراء عمليات حسابية معقّدة بسرعة كبيرة عبر تدريب العقل على الدخول في حالة انحراف الزمن. بهذه الطريقة أيضاً يمكن التوصل إلى حلول لمسائل يومية ودون أي جهد. من خلال الوثوق بعقلك الباطن، سوف تشكّل صحوة أفضل وإيمان كبير بقدراتك العقلية.

أشار "أينشتاين" إلى "الزمن" قائلاً بأنه يجري بوتيرة مختلفة بين شخص وآخر. بعض الأشخاص اختبروا حالة مراجعة خاطفة لتاريخ حياتهم خلال لحظات أثناء وجودهم في حالة صحيّة داهمة جعلتهم قريبون من الموت. وقد اكتشف الباحثون في مجال الأحلام بأن دقيقة واحدة من الزمن العادي تبدو ساعات طويلة بالنسبة للنائم. في إحدى التجارب، أُعطي أشخاص منومين مغناطيسياً بعض المهمات الخيالية لتنفيذها في عقولهم، مثل تصميم رداء أو تحضير وجبة طعام معقّدة. تم خِداعهم بجعلهم يظنون بأن لديهم مهلة ساعة لإنجاز المهمة، بينما في الحقيقة مُنحوا عشر ثواني فقط. بعد مرور عشر ثواني من الزمن الأرضي، كان النائمين

مغناطيسياً قد اختبروا أدق التفاصيل الذهنية والإدراكية التي تتطلبها المهمات المعقّدة الموكلة إليهم فعلاً وكانوا مقتنعين بأنهم أمضوا ساعة كاملة لإتمامها. بعد توكيلهم بنفس المهمات في حالة الصحوة العادية أُحبطوا تماماً بسبب عجزهم عن القيام بالخطوات بشكل صحيح وتعقدت عليهم الأمور، ففشلوا في إنجاز المهمة خلال ساعة كاملة. بعد حديثهم عن ما اختبروه خلال حالة النوم المغناطيسي لم يذكروا أنهم شعروا في أي وقت من الأوقات بتسارع زمني أو حصول تغيير في تفكيرهم. يبدو أن التفكير خلال حالة انحراف الزمن يتمتع بصفاء كبير بالمقارنة مع الوعي العادي الموبوء دائماً بالعوامل المربكة التي تُلهي الانتباه.

جرت التجربة السابقة من خلال تشغيل ساعة توقيت تصدر صوت تكتكة (٦٠ تكّة في الدقيقة الواحدة) بينما يوحي المنوّم المغناطيسي للنائم بأنه يُبطئ وتيرة هذه التكتكة تدريجياً. كان على النائم مغناطيسياً أن يصغي جيداً خلال قيام المنوّم بفعل ذلك. وبعد اقتناع النائم مغناطيسياً بأن تكّات الساعة قد تباطأت فعلاً، ووصلت إلى وتيرة تكّة واحدة في الدقيقة، يُعلن عن هذه الحالة من خلال القول: "الآن". الحقيقة هي أن وتيرة التكّات لم تتغيّر أبداً، لكن على المنوّم أن يستمر بالإيحاء للنائم بأنها تباطأت، وتستمرّ بالتباطؤ. يمكن لهذه الإيحاءات أن تُلقّن ذاتياً، وذلك عبر التنويم الذاتي، وفيما يلي الطريقة.

عليك استخدام ساعة توقيت تصدر صوت تكتكة (تكة في كل ثانية). اجلس بوضعية مريحة على كرسي أو استلقي على السرير، المهم أن تكون في حالة استرخاء تام قبل الدخول في حالة تنويم ذاتي. بعد التوصل إلى حالة استرخاء عقلي عميق، سوف تتباطأ دقات القلب لديك إلى ٦٠ دقة في الدقيقة. ركّز على صناعة إيقاع تنفّس عميق وافرغ ذهنك من أي أفكار سامحاً للموجات الدماغية أن تتباطأ.

يمكنك حفظ الإيحاءات التالية لتلاوتها خلال العملية، أو يمكنك تسجيلها في آلة تسجيل والاستماع إليها بانسجام خلال حالة الاسترخاء. الإيحاءات هي التالية:

١ــ أنا أشعر بحالة جيّدة. أنا أشعر بحالة ممتازة.
٢ــ تكات الساعة تتباطأ الآن.. أبطأ... أبطأ..
٣ــ الفترة بين كل تكّة وأخرى تطول وتطول..
٤ــ أنا مسترخي ولدي الكثير من الوقت.
٥ــ الزمن ليس ثابت بل هو نسبي، ويتوافق مع ما أريده أن يكون.
٦ــ كل تكّة تبعد عن سابقتها أكثر وأكثر الآن.
٧ــ هناك الكثير من الوقت.
٨ــ أشعر باسترخاء كبير وفي سلام مع نفسي.
٩ــ الزمن يتباطأ.
١٠ــ كل تكّة في الساعة تبدو متباعدة جداً.

كرر الإيحاءات السابقة، أو إيحاءات مشابهة، باستمرار إلى نفسك حتى تشعر أخيراً بأن كل تكّة تبعد عن الأخرى مسافة دقيقتين أو أربع دقائق. والآن استحضر إلى ذهنك الموضوع الذي ترغب بمراجعته وقل التالي:

١ــ لدي الكثير من الوقت.
٢ــ كل مرّة أفعل فيها هذا، أحسّن نفسي وأدائي.
٣ــ أنا مسترخي ولدي كل الوقت.
٤ــ كلما تدرّبت أكثر كلما أصبحت سهلة.
٥ــ شعوري جيد ولا أختبر أي عجلة.
٦ــ لدي كل الوقت الذي أريده لإنجاز هذه المراجعة.
٧ــ أنا أحسّن مراجعتي.

خلال هذه الحالة العقلية الإيحائية، يمكنك مراجعة أي مادة أو موضوع ترغبه خلال ثوانٍ. من خلال الاسترخاء وتكرار القول لنفسك بأن لديك كل الوقت، سوف يخلق عقلك الكثير من الوقت، كل الوقت الذي تريده. هذه الحالة تجعل أدائك العقلي في قمة درجاته. كلما تدربت على هذا التمرين تزداد سهولة تطبيقه. يمكنك

الخروج من حالة التنويم الذاتي عبر التعداد العكسي من ١٠ إلى ١ فتبدأ بالصحوة تدريجياً. أوحي لنفسك دائماً بأن المرّة القادمة سوف تسهل عليك عملية تحريف الزمن عبر التنويم الذاتي، وستتم بشكل أسرع. يمكنك تسجيل الإيحاءات السابقة في شريط صوتي لسهولة التعامل.

انتهى الاقتباس

هناك أمر غريب لابد من أن لاحظه القارئ وهو أننا خلال سعينا إلى تعريف "الزمن"، بدأنا بتناوله من زاوية فيزيائية، لكن ما لبث سياق الكلام أن قادنا إلى مكان آخر، موضوع مختلف تماماً، ويتعلّق بالعقل. الحقيقة هي أنه ما من فرق بين هذين الموضوعين، الفيزياء والعقل، أنا أتكلم من وجهة نظر "تجاوزية" طبعاً. إذا اكتفينا بتناول موضوع "الزمن" بصيغة فيزيائية صرف، فسوف لن نصل إلى أي مكان مجدي. سوف نخوض في أوحال المعادلات الرياضية والنظريات المُملّة لفترة طويلة لنخرج أخيراً مفرغين اليدين، مع ألم كبير في الرأس. بالإضافة إلى ذلك، النظريات الفيزيائية/المادية لا تستطيع، مهما حاولت، تفسير الظواهر الزمنية المتجلية في الطبيعة، مثل "الإدراك المُسبق" الذي تتمتع به كافة الكائنات، والتي يتجاوز بعضها هذا الحد لتدخل مجال "التنبؤ بأحداث مستقبلية بعيدة".

إن موضوع "الزمن" فضفاض ويمكن مقاربته من جوانب عديدة، من بينها الفيزياء، لكن هذه الأخيرة ليست الوحيدة كما يعتقد الكثيرون. لكي أجعل الأمر بسيطاً، يمكن تصنيف ثلاثة طرق مختلفة لفهم طبيعة الزمن: الأولى هي تلك التي نختبرها في حياتنا اليومية، أي الطريقة السطحية، وهي ذاتها التي اتبعها العلم وفق الميكانيكا النيوتونية (نسبة لـ"إسحق نيوتن")، حيث يُعتبر الزمن مطلقاً، يسير بسياق مستقيم من الماضي، الحاضر، والمستقبل (الزمن الخطّي linear time). الطريقة الثانية هي التي تتوافق مع النظريات الفيزيائية العصرية، أشهرها النظرية النسبية لـ"أينشتاين"، لكن هناك نظريات كثيرة أخرى، كنظرية "كوزيريف" التي تعرفنا عليها سابقاً. هذه النظريات العصرية لا ترى الزمن بأنه مطلق بل قابل

للتشويه والانحراف (أينشتاين)، أو التمدد والضغط والتكثيف (كوزيريف)، أي بالإضافة إلى إثبات عدم تسلسله الخطّي المستقيم، تبيّن أنه قابل للتغيير بصيغ مختلفة حسب الظروف الفيزيائية. أما الطريقة الثالثة لتفسير "الزمن"، فهي فلسفية صرف بالإضافة إلى إمكانية اختبارها عملياً لكن على المستوى العقلي (حالات الوعي البديلة). "الفيزياء الكمومية" Quantum Physics تميل إلى كونها فلسفية أكثر من كونها فيزيائية. نستطيع قياس نظرية "أينشتاين" في المختبر، ونجد أنها صحيحة، لكن في "الفيزياء الكمومية" يُعتبر "الزمن" عامل "شخصي"، وتعتمد خواصه على الحالة العقلية التي يكون فيها الفرد. فمثلاً، إذا كان يشعر بالحزن سوف يختبر "الزمن" بشكل أطول بالمقارنة مع شعوره بالفرح.

إذاً، يقول الجانب الفلسفي "للفيزياء الكمومية" بأن "الزمن" هو عامل شخصي وليس معمّم على الجميع. هناك حقيقة جلية رغم أن قسم من الفيزيائيين الكموميين لا يعترفون بها، وهي أن الزمن هو العقل. العقل هو الفكر، والفكر هو الزمن. إذا تجرّد عقلنا من أي تفكير سوف يستحيل علينا اختبار الزمن أو معرفته. عندما ندخل في غيبوبة (التأمّل أو النوم المغناطيسي) الذي يتغيّر هو أفكارنا. وذلك بسبب حصول تغيير في حالة الوعي. في تلك الحالات البديلة يغيب التفكير الواعي (أو يقلّ). لهذا السبب يختفي عامل الزمن في المستويات التجاوزية العليا. لأننا لا نفكّر بـــ"الزمن" بالطريقة التي نفعلها في حالة الصحوة (الوعي الطبيعي).

عندما نتحدث عن "انحراف الزمن"، نفعل ذلك خلال حالة الصحوة فقط، حيث خلال حالة الغيبوبة لم يعد هناك داعٍ للتفكير بالزمن أصلاً. الزمن موجود في العقل فحسب، ويسقطه العقل على الواقع لكي ندركه وفق ما تصيغه قناعاتنا. وفي الواقع المادي هناك أشياء كثيرة تُقنع الإنسان بفكرة التسلسل الزمني، مثل حركة الشمس والقمر، وتناوب الليل والنهار. لكن كل هذا يزول بعد ارتقاء الوعي إلى المستوى التجاوزي. عندما يكون العقل في حالة صحوة، ننظر إلى الأشياء وكأنها منفصلة زمانياً ومكانياً. لكن عندما ندخل في حالة وعي بديلة، ننتقل إلى ما وراء مسرح الواقع، ما وراء العالم الكمومي، وحينها نجد بأن الأشياء غير منفصلة

إطلاقاً، بل كل شيء موصول ببعضه البعض. سيبدو الكتاب أمامي منفصلاً إذا نظرت إليه خلال حالة الصحوة العادية، لكنه لا يبدو كذلك من المنظور التجاوزي.

إذا نظرنا إلى أنفسنا من مستوى كمومي أعمق (بالمعنى الفيزيائي)، وهو المستوى الذي نستطيع اختباره بسهولة خلال حالة الوعي البديلة، سنشعر بأننا لا ننفصل عن الأشياء من حولنا بل مندمجين معها جوهرياً. هذه النظرة الخاصة تحرف الزمن لأنه عندما نتوحّد مع كل شيء آخر، لم يعد هناك إحساس بالزمن. هذا الإحساس بالزمن يحصل فقط عندما ننظر إلى الأشياء على أنها منفصلة، وهذا يتم خلال حالة الصحوة العادية. من هذه الزاوية فقط تستطيع الفيزياء الكمومية تفسير حالة "انحراف الزمن" بالاستناد على التجربة الذاتية.

العقل إذاً هو العامل الرئيسي في إحداث أي ظاهرة زمنية (تحريفه، تجاوزه.. إلى آخره)، لأنه من أجل إحداث تغيير في الزمن وجب إحداث تغيير في العقل. لا يستطيع أي فيزيائي النجاح في إحداث ظاهرة زمنية إلا بعد التسليم بفكرة أن الكون عاقل أو على الأقل يتألف من محتوى عقلي. النظريات الفيزيائية المادية لا تستطيع أن تحقق الكثير في هذا المضمار، لا تستطيع سوى قياس بعض التشوهات الزمنية الناتجة من اسطوانة دوارة بسرعة الضوء، أو غيرها من تجارب مخبرية ليس لها أي جدوى عملية أو تطبيقية.

الآن أصبحنا نعلم لماذا لم يعد يبرز بين الحين والأخرى اختراعات عجيبة مثل "آلات تصوير زمنية" time-camera، والتي شهدت رواجاً كبيراً في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. تبيّن أن المفهوم العلمي اختلف. هذه الآلات لا يمكنها العمل دون عامل مهم جداً: "العقل". وهذا الأخير استُبعد تماماً من ساحة البحث الأكاديمي الذي راح يشغل نفسه بمفهوم الطبيعة المادية للكون.

هناك حقيقة مهمة وجب تذكرها دائماً، ورغم تكرار ذكري لها باستمرار عبر الإصدارات السابقة إلا أنها تستحق ذلك بسبب مدى أهميتها. قبل الحروب العالمية التي ضربت الإنسانية في بدايات القرن العشرين، كان العلم يتخذ منحى مختلف عن اليوم. كانت التقنيات تختلف، الرياضيات والفيزياء تختلف، علم النفس كان يختلف، وحتى الطب والعلاج كان مختلف تماماً. كل شيء كان مختلفاً. ولكي تتأكّد من هذه الحقيقة أدعوك إلى مراجعة الأرشيف العلمي العائد إلى ذلك الزمن. يبدو وكأن العالم الأكاديمي انقلب رأساً على عقب بعد الحرب، وراح يترسّخ منهج علمي جديد في العالم طوال فترة "مسرحية" الحرب الباردة (واشترك في مؤامرة ترسيخه كل من الاتحاد السوفييتي والدول الغربية معاً). لهذا السبب، إذا شعرت بالاستغراب من فكرة وجود "كاميرات زمنية" فالعيب ليس في هذا الموضوع، بل في الطريقة المنحرفة التي ينتهجها المنطق العلمي الرسمي، والذي تم صياغته بطريقة تستبعد صحة كافة التقنيات التي كان يشهدها العلم قبل قرن من الزمن.

تُعد الكاميرات الزمنية من بين الآلات التي يتفاعل معها العقل، كما أجهزة الراديونيكس *(المذكورة في إصدار سابق)*. وهذه الآلات بالذات تعرّضت لاستهداف مباشر طوال العقود الأولى من القرن الماضي مما أدى إلى مسحها كلياً من ذاكرة البحث العلمي. فيما يلي اقتباس من موضوع بعنوان "آن الأوان" It's About Time للباحث "روبرت.أ. نيلسون" Robert A. Nelson، يقدم من خلاله لمحة تاريخية عن هذه الآلات العجيبة:

كاميرات زمنية

قد نعتبر "السفر عبر الزمن" خيال علمي، لكن آلات التصوير الزمنية أصبحت واقعاً ملموساً منذ عقود عديدة. وبالنسبة لمن لا يعلم، قد يكون السفر عبر الزمن حقيقة واقعية أيضاً. هناك بعض المزاعم التي تؤكّد هذه الحقيقة. يكفي مراجعة سلسلة الكتب التي نشرها "بريستون نيكولز" Preston Nichols وشركائه عن الاختبارات التي أجريت في مشروع "مونتاك" Montauk السري بنيوجيرسي في الستينات من القرن الماضي، لكي تعيد بعدها النظر في هذا الموضوع.

في العام ١٩١٢، نشر البارون "أرنست فون لوبك" Ernst von Lubek واحدة من تجاربه العديدة حول ظاهرة سماها "التصوير المتجاوز للزمن" trans-time photography. شمل جهازه "صمام أشعة مهبطية" وقطبيه مؤلفين من الرصاص والدسبروزيوم dysprosium (عنصر فلزي نادر)، يتغذى كهربائياً من وشيعة "أودين" (وشيعة تيسلا مطوّرة).

في العام ١٩٣٤، وصف "وليام بيللي" William D. Pelley، رئيس تحرير مجلّة "ليباريشون" Liberation تجاربه التي أجراها على نوع من "الكاميرا الزمنية" التي سماها "ألترا فيجون" Ultra-Vision (فوق الرؤية)، والتي زعم بأنه تم تطويرها بالتعاون مع المخترع "توماس أديسون" والعالِم العظيم "تشارلز ستاينميتز" Charles Steinmetz. لكن ما لبث الخبر أن انتشر حتى صودر الجهاز من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي FBI.

آلة الراديونيكس للتصوير Radionic Camera التي طورها "جورج ديلاوار" George DeLaWarr في الخمسينات من القرن الماضي كانت قادرة على إنتاج صور زمنية للماضي والمستقبل، ونشر العديد من هذه الصور مع شرح آلية التقاطها ووصف لطبيعة الزمن وفق نظرته الخاصة. يقول "ديلاوار" واصفاً الزمن: ".. الزمن هو "مُتجهة" vector تابعة للطيف المغناطيسي وهذا الطيف

يتضمّن مكان خاص بداخله لتخزين الأحداث.. وهو عالم [سابق للمادي] -pre physical بحيث يمكن الكاميرا من العمل فيه.."

الراهب البنديكتي، الأب "مارسيلو بلغرينو أرنيتي" Marcello Pellegrino Ernetti تمكن من اختراع وسيلة لاسترجاع الموجات الصوتية من الماضي ومن ثم تحويلها إلى نموذج صوتي وبصري. كان الأب "أرنيتي" يشغل منصب بروفيسور في معهد "بينيديتو مارسيلو" للموسيقى، كما شغل منصب مدير المعهد الديني الإيطالي للرجال، وقد أنجز أبحاثه الاستثنائية بالتعاون مع ١٢ فيزيائي. في العام ١٩٥٦، بدأ الأب "أرنيتي" يبحث في إمكانية استرجاع الماضي مستخدماً جهاز مشابه للتلفزيون. وفي العام ١٩٥٧ تعاون مع البروفيسور البرتغالي "ديماتوس" de Matos الذي كان منشغلاً بالمسألة ذاتها.

استند الأب "أرنيتي" نظرياً على مفهوم الفيلسوف "أرسطو" القائل بفكرة "انحلال الصوت"، أي موجات الضوء والصوت لا تتلاشى بعد إنتاجها، بل تتحوّل بطريقة معيّنة لتبقى حاضرة دائماً وأبداً. وفقاً للأب "أرنيتي"، تتفرّع الموجات الصوتية إلى هارمونيات معيّنة تجعلها قابلة للاسترجاع بواسطة أدوات مناسبة. كتب يقول: "..كل إنسان يخلف وراءه خلال مسيرته من الولادة حتى الموت أخدود مزدوج من الضوء والصوت. وهذا يحتوي على بصمته الفردية. الأمر ذاته ينطبق على أي حدث، أو قطعة موسيقية أو حركة. الهوائيات (أنتينات) المُستخدمة في مختبرنا تمكننا من التوليف مع هذه الأخاديد البصرية والصوتية.." *(يبدو وكأنه وصف الطبيعة الهولوغرافية للكون لكن بطريقة مختلفة تناسب نظرته الخاصة)*.

تمكن الأب "أرنيتي" من إنتاج الكثير من صور المُسترجعة من الماضي (مُعظمها تتعلّق بمواضيع دينية). رفض الكشف عن أي تفاصيل عن اختراعه، مع العلم أن الاختراع كان مقموعاً أصلاً من قبل الحكومة الإيطالية. حذّر الأب "أرنيتي" بأنه: "الجهاز قد يُسبب مأساة عالمية إذا كُشفت أسراره".

في شهر سباط من العام ٢٠٠٣، نشرت مجلة "برافدا" Pravda الروسية قصة تتناول عالِم مجهول الهوية استطاع تطوير "كاميرا زمنية" تستخدم كريستال الكوارتز كعدسات بصرية. الاقتباس التالي من المجلة يوضّح المزيد: *".. العدسة البصرية مصنوع من الكوارتز الصافي، والذي يسمح بمرور الأشعة فوق البنفسجية دون انعكاس. تبين أن الأشعة فوق البنفسجية هي التي تحمل المعطيات البصرية والمعلومات الأخرى عن الماضي. وقد تمكنا من التقاط بعض الصور. فمثلاً، صورنا عدة أيام من الحرب العالمية الثانية. كما أنه لدي صور واضحة لمحاربين قديمين ينظران إلى الغابة. وهناك صور تبيّن خيالة يعتمرون قبعات مروّسة ويحملون أقواس نشابة ودروع في أيديهم، ويظهر في الصورة ما يبدو أنه الزعيم، وكان يحدّق إلى دروعهم. لدينا صورة أخرى لحيوان الماموث mammoth (منقرض) مع أنيابه الكبيرة ويقف خلف أشجار عملاقة. هذه الصورة الأخيرة تعود إلى العصر "الباليوليثي" Paleolithic.."*

يبدو أن هذه التقنية تعود إلى عقود طويلة جداً، ربما انطلقت بالتزامن مع ظهور آلات التصوير الأولى. لطالما زعم بعض الأشخاص بإمكانية تجسيد هذه الظاهرة في القرن التاسع عشر، لكن كانت الفكرة غير قابلة للاستيعاب في تلك الفترة المبكرة من تاريخ التصوير، وبالتالي لم يصدقهم أحد. مثلاً، في العام ١٨٩٧، زعم رجلان بريطانيان ابتكرا جهاز تصوير خاص بإمكانية تجسيد صورة زمنية تعود للماضي. استطاع كل من "وليام مابلبيك" William Maplebeck و"روبرت ستوكس" Robert Stookes اكتشاف ترتيب معيّن لمرايا الكوارتز العدسيّة تتمكن من طباعة صور زمنية (ماضية) على صفيحة فوتوغرافية. استعرضا جهازهما الذي سمياه "كرونوسكوب" chronoscope في شارع "رودني" بـ"ليفربول" Liverpool، وأظهرا صوراً لرجال بدائيين يسكنون الكهوف، وجنود رومان يعسكرون في "تشستر" ببريطانيا، وامرأة تعود لزمن الملكة أليزابيث الأولى تسير في شوارع "ليفربول"، وغيرها من صور أخرى، لكن توقف الاستعراض بعد أن بدأت الصرخات تعلو من بين الجمهور متهمة الرجلين بالاحتيال والخداع. فما كان عليهما سوى لملمة معداتهما والرحيل.

هناك الكثير من الابتكارات المشابهة التي جاءت من أواخر العصر الفيكتوري (القرن التاسع عشر). فالعالم الشهير "تشارلز ستاينميتز" Charles Steinmetz الذي طوّر "كاميرا زمنية" اساطاعت إنتاج صور من الماضي استند في أعماله على وصفات سريّة كشفها له رجل إنكليزي يُدعى "بيرد.ت. ستيبلنغ" Baird T. Spalding. مع العلم أن كل تلك الأجهزة القديمة تشمل كريستال الكوارتز بين مكوناتها، وكل من كان ملماً بموضوع الكريستالات (والأحجار الكريمة عموماً) لا بد أنه يعلم شيئاً عن ميزاتها التجاوزية وخصوصاً علاقتها مع العقل.

انتهى الاقتباس

الكاميرات الزمنية هي أجهزة "راديونيكس"

من الواضح أن الأشخاص المذكورين في المقالة السابقة، رغم أنهم استطاعوا إيجاد وسائل مكنتهم من تجسيد صور فوتوغرافية زمنية، إلا أنهم عجزوا عن تفسير الظاهرة بشكل سليم. الأمر ليس له علاقة بالمفاهيم الفيزيائية التي نألفها، وهي ذاتها التي حاول المخترعون الاستناد عليها في تفسيراتهم المختلفة. في الحقيقة، نحن لا نتعامل هنا مع موجات كهرومغناطيسية، أو صوتية أو بصرية أو غيرها من عوامل تُستخدم في التفسيرات المختلفة. نحن أمام طاقة مختلفة تماماً. على هذه الطاقة بالذات تعمل أجهزة "الراديونيكس" radionics، وهي أجهزة تُستخدم لتشخيص المرضى وعلاجهم عبر مسافة بعيدة، وتُستخدم أيضاً في مجال الزراعة. *(تناولت هذا الموضوع في الجزء٣ من مجموعة نحن، أفول "شمس المعارف الكبرى")*. هذه الكاميرات الزمنية هي أجهزة "راديونيكس" أساساً، أي رغم مظهرها الذي يوحي بوجود تقنية معقّدة تعمل على طاقة كهرومغناطيسية معيّنة إلا أنها في الحقيقة طاقة عقلية صرف. أول ما تم ابتكار هذه الأجهزة كانت الغاية من ذلك تشخيص المرضى عبر التقاط صور فوتوغرافية عن حالتهم الصحية بالاستناد على عيّنة مأخوذة من المريض، وغالباً ما تمثّل نقطة دم. لكن اكتشف المبتكرون بأنهم يستطيعون التقاط صور زمنية، ماضية ومستقبلية. فيما يلي عيّنات من

أجهزة راديونيكس فوتوغرافية محمية ببراءات اختراع. وأصبحنا نفهم السبب الذي جعل مبتكريها يلجؤون إلى الوصف الفيزيائي المنهجي لآلية عملها (الحديث عن موجات كهرومغناطيسية)، وذلك لكي تتوافق مع المنطق الذي يشترطه مكتب براءات الاختراع قبل الموافقة على تسجيله.

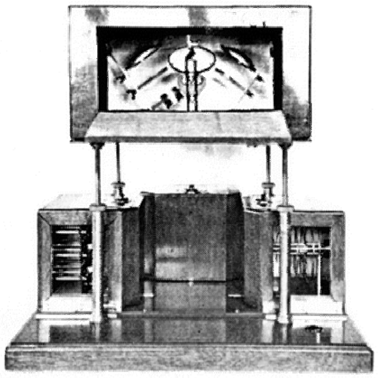

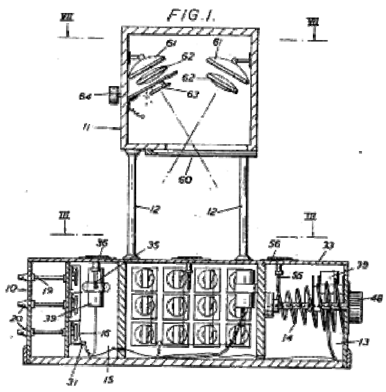

جهاز تصوير راديونيكس، موديل [Mark I]، ورد في براءة اختراع فرنسية رقمها [1,084,318] مسجّلة بتاريخ ١٨ كانون ثاني ١٩٥٥، والعائدة للمهندس "جورج ديلاوار".

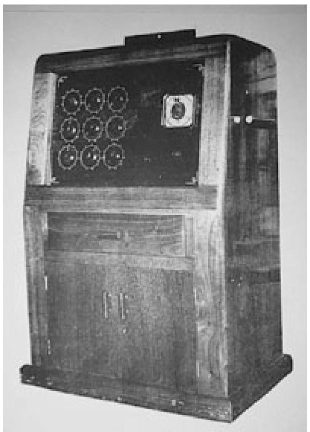

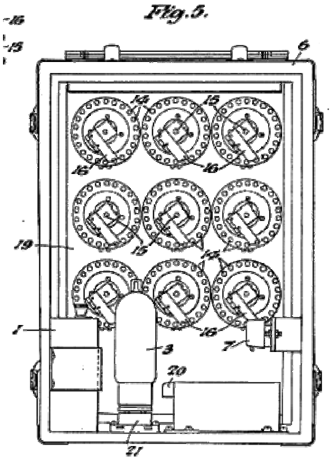

جهاز تصوير راديونيكس، ورد في براءة اختراع بريطانية رقمها [515,866] مسجّلة بتاريخ ١٥ كانون أول ١٩٣٩، والعائدة للدكتورة "روث دراون".

رغم مظهرها الذي يوحي بوجود تقنية تعمل على طاقة كهرومغناطيسية معيّنة إلا أنها في الحقيقة طاقة عقلية صرف. لكن هذه الحقيقة الأخيرة لا تروق للقائمين على مكتب براءة الاختراع الرسمي (في أي دولة من الدول)، وبالتالي كان على المخترع القيام بمناورة التفافية لشرح اختراعه وفق المفاهيم الفيزيائية السائدة. فمثلاً، توصف الدكتورة "روث دراون" Ruth Drown اختراعها في مقدمة طلب البراءة على الشكل التالي:

".. هذا الاختراع يتعلّق بوسيلة مجدية للحصول على صور فوتوغرافية لأجزاء من جسم الإنسان أو أشياء أخرى. الهدف من الاختراع هو الحصول على صور فوتوغرافية دقيقة وواضحة للأجزاء المستهدفة بطريقة مشابهة للتصوير بالأشعّة السينية لكنها أكثر سهولة وبساطة... يُعتقد بأن المجريات الحاصلة في الجهاز تتمثّل بتفعيل جريان الإلكترونات التابعة لتيار أحادي الاتجاه صادر من البطارية أو أي مصدر كهربائي آخر مما يسمح بعملية مسح إشعاعي للهالة الحرارية المنبعثة من الجسم.. وفق هذه الآلية يستند الاختراع المعني للحصول على صور فوتوغرافية للكائنات الحيّة وخصوصاً الإنسان، حيث يتضمن تعريض صفيحة فوتوغرافية حساسة جداً للقوة الكهروحركية التي تخلق مجال طاقة، والذي بدوره يطبع أشكال معيّنة على الصفيحة وفقاً للوضعيات التي تتخذها الإلكترونات أو الإشعاعات الخفية الداخلة في العملية توافقاً مع الشيء الشيء الموجود في مجال تأثير الجهاز خلال عملية المسح.."

لم تذكر الدكتورة "دراون" في طلب البراءة أي شيء عن قدرة الجهاز على إنتاج صور فوتوغرافية للأشياء المستهدفة عبر مسافة بعيدة، وذلك لضمان حصولها على الموافقة. لكن بعد استخدام الجهاز في ممارستها العلاجية صودر من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي وتعرّضت للمحاكمة بتهمة الاحتيال.

لكن خلال الاطلاع على المقالات الواردة في مجلات تلك الفترة، والتي وصفت هذه الأجهزة وآلية عملها، سنكتشف بأنه لا علاقة لها بالأشعة الكهرومغناطيسية

كما زُعم في أوصافها التقنية. فيما يلي مجموعة من الاقتباسات التي تؤكّد المبدأ العقلي الذي تستند عليه هذه الأجهزة خلال وصفها لآلية عملها.

الاقتباس التالي هو من مقالة بقلم "ريموند غويدوت" Raymonde Guidot، وردت في المجلّة الفصلية "العقل والمادة" Mind & Matter Quarterly Journal، إصدار كانون أوّل ١٩٥٩.

الكشف عن انبعاثات بواسطة عملية تصوير جديدة

Emanations Revealed by a New Photographic Process

بقلم "ريموند غويدوت"

".. في العام ١٩٥٨، زار السيّد "فيليب كانسيلور" Philip Chancellor من "كوبرنيفاكا" المكسيك، مختبرات "ديلاوار" في "أكسفورد" بريطانيا، للإطلاع على المزيد من الأعمال التي يقومون بها هناك، خصوصاً تلك المتعلقة بآلة التصوير الجديدة. تمتعت بامتياز البقاء مع السيّد "كانسيلور" ومشاهدة بعض الأبحاث المثيرة التي كان يقوم بها في مختبره الخاص حول إرسال العلاجات لاسلكياً *(بواسطة أجهزة راديونيكس)*. بصفتي معالج مُرخّص له، أعيش في "بونتارليه" Pontarlier شرقي فرنسا، كنت مهتماً كثيراً بجهاز الراديونيكس الذي كان يستخدمه وكنت سعيداً لتلقي أحد هذه الأجهزة كهدية عند وصولي إلى "كوبرنيفاكا" في المكسيك. كان الجهاز من تصميمي "ديلاوار" وهو مخصص لتشخيص الأمراض. تمكنت خلال فترة وجيزة من تعلّم استخدامه وساهمت بعدها في الاختبارات الجارية هناك. تم دعوتي للمكوث في المكسيك لمدة شهر، لكن هذه المدة امتدت لتبلغ ٥ شهور. خلال هذه المدة طورت تقنية تشخيص خاصة لاستخدام هذا الجهاز وسوف أشرحها في مقالة لاحقة.."

".. خلال تمتعي بحسن الضيافة المكسيكية سُمح لي بالإطلاع على بعض الاختبارات الفوتوغرافية الراديونية *(تجسيد صور تلقائية في أجهزة الراديونيكس)* التي

أجراها السيّد "كانسيلور". شرح لي قائلاً بأنه أثناء زيارته إلى مختبرات "ديلاوار" في بريطانيا تأثّر كثيراً بالصور التي كان يجسّدها جهاز تصوير "ديلاوار" موديل [Mark I]، وهو الآن يحاول العمل بنصيحة "ديلاوار"، أي محاولة استخدام شريط تصوير بدلاً من صفائح فردية قديمة الطراز. هذا يُعتبر أمراً مهماً، لأنه إذا رغب في نشر هذه التقنية في المكسيك وجب استخدام الشريط بدلاً من الصفيحة لأن هذه الأخيرة نادرة الوجود في المكسيك.."

".. بعد استخدام أنواع متعددة من "مستحلبات التصوير الحساسة" emulsions وتركيبات مختلفة من "مظهّرات الأفلام" developers نجح السيّد "كانسيلور" أخيراً في التوصّل إلى المخلوط المناسب الذي مكنه من تجسيد صور مذهلة لحقول طاقة محيطة بالأشياء التي يستهدفها الجهاز وذلك على شريط تصوير وليس صفيحة. وجد في البداية صعوبة في تكرار نتائجه والحصول على ذات الصور، لكن بعد سلسلة من التجارب والاختبارات دامت عدة شهور استطاع أخيراً التوصل للوسيلة التي يستخدمها اليوم.."

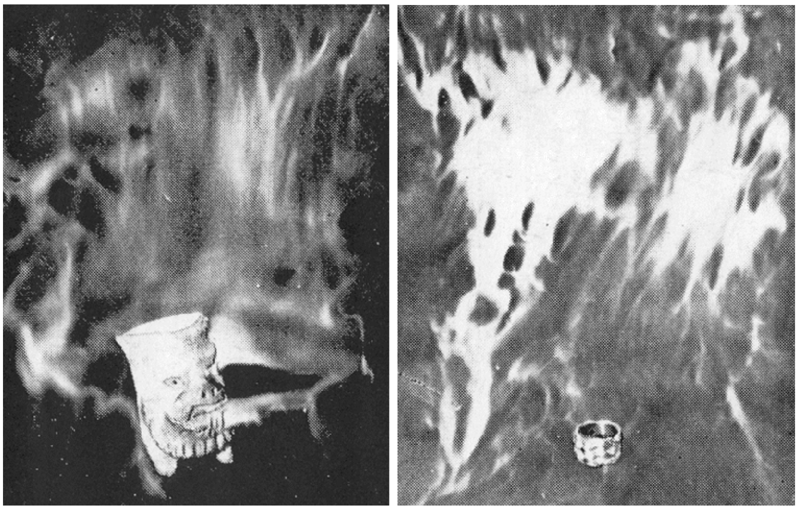

عينات من الصور الأولى التي حصل عليها السيّد "كانسيلور" بواسطة وسيلته الخاصة للتصوير "الراديوني" (كما وردت في المجلة).

..... في مكان آخر من المقالة:

".. أظهرت نتائج التجارب أن قوة هذه النماذج الصورية كانت تزداد بشكل كبير بعد إزالة مرحلة التحميض *(استخدام محلول حامض خفيف الحموضة يُستعمل في التصوير الفوتغرافي)* وكان الفيلم يوضع مباشرة في حوض التثبيت لمظهّرات الأفلام developer. أقصى مدة تستغرقها عملية التظهير هي دقيقة إلى واحد ونصف دقيقة، أما مدة التثبيت فكانت دقيقتين أو أكثر. بعد تثبيت صور الفيلم كانت تُغسل وتُجفّف بالطريقة المألوفة. لكن تبيّن لاحقاً أن درجة حرارة المُظهّر ليست ضرورية وحتى عملية تهييج الفيلم في المظهّر غير ضرورية.."

".. بدأ يتوضّح أكثر بأن النماذج الصورية المتجسّدة في الصور هي تجريدية (أي لم يفكّر المستخدم بها إطلاقاً، ولا يوجد عيّنة تمثّل هذه الأشياء، وبالتالي ليس هناك سبب منطقي لظهورها في الصور)، وهذه الحالة المحيّرة جعلته عاجزاً عن معرفة ماذا سيدوّن في سجلّ المختبر. يبدو أن هذه الصور جاءت تلبية لدعوة مرغوبة من العقل الباطن. يبدو أن الرغبة الواعية للفرد خلال استخدامه للجهاز ليست أقوى من رغبة اللاوعي. حتى هذه اللحظة لم ينجح في تحديد السبب الفعلي لهذه الصور، إن كانت الحالة العقلية للمستخدِم أو حالته العاطفية (رغبة دفينة في اللاوعي).."

..... في مكان آخر من المقالة:

".. هناك تقنيتان يتبعهما السيّد "كانسيلور"، عملية التحميض، وعملية التصوير المباشر. العملية الأولى تشمل استعمال شريط نيغيتيف من نوعية "كوداك"، والثانية عبارة عن وضع صفيحة فيلم من عيار ٦ سم في علبة تظهير موجودة مباشرة أمام المُستخدم الذي يطبع عليها الصورة ذهنياً (دون حاجة للكاميرا). وبعد دقيقة أو دقيقة ونصف، يُخرج الفيلم من المُظهّر ويُوضع في حوض تثبيت. هناك تبدأ النماذج بالظهور ويمكن مشاهدتها عن طريق استخدام الضوء الآمن.."

".. المظهر المثير بخصوص العملية هو إمكانية الحصول على الصور دون حاجة لآلة التصوير ولا تحتاج أيضاً للتعرّض للضوء. اكتُشف بأنه ما من تأثير ظاهر على الصور مهما كانت الأحوال، أي إذا تم معالجتها في الظلام أو بواسطة الضوء الآمن. لقد تم دراسة العملية بالتفصيل من قبل متخصّص يُدعى الدكتور "فيلكس سوندرز" Felix Saunders، وهو أستاذ سابق في الكيمياء بجامعة "شيكاغو" Chicago، وهو منخرط حالياً في أبحاث تتعلّق بالمستحلبات الفوتوغرافية. خلال محاولته لمعرفة العملية الجارية هنا لم يستطيع تحديد العامل الفعلي وراء ظهور الصور. لكنه تم الاتفاق على حقيقة أن تفاوت الكثافة في الأشكال والنماذج التي يصنعها أشخاص مختلفين في نفس الوقت ونفس المكان وتحت الظروف ذاتها يشير بوضوح إلى أن الأمر يتعلّق بانبعاث طاقة لازالت غامضة حتى الآن.."

".. طبيعة الصورة والطاقة التي تجسّدها أصبحتا محط اهتمام كبير. أجريت محاولات عديدة للتأثير على النماذج الصورية من خلال اللجوء إلى وساءل عديدة غير الكيماوية أو الضوئية، مثل نفخ الأمونيا حول الفيلم، أو تعريضه لمجال كهرومغناطيسي، لكن دون الوصول إلى نتيجة مجدية.."

خلاصة الكلام هي أن النماذج التي ظهرت في الصور الفوتوغرافية لم تتجسد بفعل تأثيرات قد تنتج من إجراءات التصوير، مثل المستحلب المُستخدم أو حوض الإظهار أو الضوء أو غيرها، ولا نتيجة التعرّض لمجال كهرومغناطيسي من أي نوع، بل بفعل طاقة غامضة لها علاقة بـــ"العقل"، لكن يصعب تحديد أي جانب منه أو الآلية التي يتجلى عبرها هذا المفعول العقلي. فيما يلي اقتباس آخر من مقالة بقلم المهندس "جورج ديلاوار" ذاته، صاحب الكاميرا [Mark I]، وردت في المجلّة الفصلية "العقل والمادة"Mind & Matter Quarterly Journal، إصدار أيلول ١٩٥٩، وتثبت حقيقة الدور الجوهري الذي يلعبه "العقل" في العملية:

استرجاع التجارب الماضية (الجزء الخامس)

In Retrospect (Part 5)

بقلم "جورج ديلاوار"

".. في أوائل العام ١٩٥٤، تم إجراء تجربة مهمة بمساعدة فيزيائي نووي وجب ذكره في هذه السلسلة من المقالات لكي نسلّط الضوء على جانب جديد من هذه الظاهرة. بدأت القصة في العام ١٩٣٥ عندما طلبت من اللورد "غلين"، العضو في البرلمان، المساعدة على ترتيب مقابلة مع أحد أبرز الفيزيائيين النوويين في بريطانيا. لقد حصلنا على الآلاف من الصور "الراديونية" بواسطة كاميرا [Mark I] ويوجد بينها عدد من الأمثلة التي تتطلّب رأي متخصّص. تلك الصور التي تظهر نماذج من المستوى الذرّي (وردت في مقالات سابقة تعود لإصدارات العام ١٩٥٧) كانت مثيرة جداً وأملنا أن يكون لها توافقات مع المعرفة الحالية بمجال الفيزياء الذرية.."

".. طلب اللورد "غلين" من السير "جون كوكروفت" John Cockcroft ترتيب مقابلة مع كيميائي من مؤسسة البحث في الطاقة النووية في "هارويل"، ونتيجة للك حضر الدكتور "أ.تشارلزبي" A. Charlesby وأريناه بعض من أعمالنا، وأخيراً حان وقت استعراض آلة التصوير أمامه. تصوّر مدى المفاجأة عندما أظهرنا أوّل صفيحة فوتوغرافية لكن دون أن تحتوي على أي صورة. تبيّن أن الصورة لا تظهر عندما يكون الدكتور "تشارلزبي" حاضراً في الغرفة. طلبنا منه الانتظار خارج الغرفة بينما ننتهي من أخذ الصور، لكن هذا الطلب قد يساهم في إثبات شكوكه حول ها العملية. هناك حقيقة بسيطة كنا نجهلها في تلك الأيام، وهي القوة الهائلة للتفكير السلبي الناتج من "التشكيك".جربنا وسائل عديدة لعزل الدكتور وأخيراً قمنا بثقب فتحة صغيرة في الباب لكي يسترّق النظر إلى المجريات الحاصلة في غرفة التصوير، وذلك للتأكّد بنفسه من غياب أي عامل خداع. كانت هذه الوسيلة ناجحة نوعاً ما، وتابعنا إجراء التجربة.."

يمكنك تصوّر مدى العمق الذي يتميّز به دور العقل في هذه العملية. مجرّد وجود رجل متشكّك في المكان (ومعنى التشكيك هنا هو: تفكير سلبي تجاه ظاهرة معيّنة) يتعطّل تجلي الظاهرة بالكامل. وهذا ينبهنا إلى عامل مهم جداً نادراً ما يلفت اهتمامنا. الاقتباس التالي المأخوذ من مقالة وردت في نفس المجلة (لكن صادرة في أواخر الستينات) ويتحدث فيها الكاتب عن التصوير "الراديوني" بصفته يستند كلياً على ظاهرة عقلية مئة بالمئة:

المشروع #٢: متابعة العمل على آلة تصوير ديلاوار
"Project #2: Resume Work on the Delawarr Camera"

".. الاكتشاف الذي تحقق في مختبرات العام ١٩٥٠، والمتمثّل بإمكانية الحصول على صور متعددة الأبعاد بواسطة آلات تصوير خاصة، يُعتبر من أعظم الإنجازات في هذا القرن، وتتساوي أهميته مع تلك المتعلقة بالسفر في الفضاء.."

".. إن استخدام طاقة الفكر لسبر أجزاء مختلفة من الجسم البشري، والعودة بمعلومات يمكن طباعتها على مستحلب صفيحة فوتوغرافية هو إنجاز مذهل بالفعل. مرتبط بهذه الحالة هو ظاهرة "الصور الفكرية" Thoughtography أي عملية طبع الأفكار الذهنية على مستحلب الصفيحة الفوتوغرافية. هناك حالات كثيرة موثّقة لكن الأكثر إذهالاً هي تلك التي تتحدث عن تجارب البروفيسور الياباني "فوكوراي" Fukurai في العام ١٩١٠. الصورة التالية تُظهر إحدى "الصور الفكرية" التي نشرها "فوكوراي" في أبحاثه التي أجراها على هذه الظاهرة بمساعدة الوسيط الروحي "كونيتشي ميتا" Konichi Mita الذي كانت يجسّدها بعقله.."

".. نظم البروفيسور "فوكوراي" سلسلة من التجارب مستخدماً أنواع مختلفة من الصفائح والأفلام الفوتوغرافية، والتي وُضعت في صناديق خشبية مُحكمة الإغلاق. أما النماذج الصورية التي تظهر فيها تلقائياً فكانت بفعل أحد الوسطاء،

وكان هذا الأخير يقف بعيداً عن الصندوق، وكانت العملية بالكامل تخضع لرقابة مشددة من لجنة مؤلفة من عدة شخصيات علمية بارزة.."

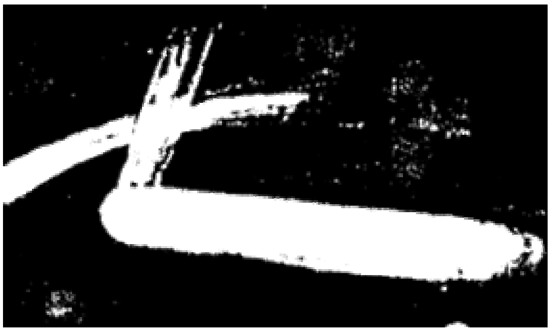

صورة فكرية لـــ"موس حلاقة"، تجلّت تلقائياً في الصورة الفوتوغرافية خلال إحدى تجارب البروفيسور "فوكوراي"

".. الطبيب النفسي البارز، الدكتور "جول أيزنبود" Jule Eisenbud من "دنفر"، كولورادو، نشر مؤخراً كتاب بعنوان "عالم تيد سيريوس" The World of Ted Serios. يتمحور الكتاب حول رجل يُدعى "تيد سيريوس" والذي يستطيع تجسيد صور فكرية على صفيحة فوتوغرافية داخل آلة تصوير عادية. وبعد عامين من التجارب المتتالية، وكانت صارمة لدرجة أنه أكثر من عشرين طبيب وعالِم وفيزيائي صادقوا على صحتها بسبب اشتراكهم في مراقبتها، تبين أن هذه الظاهرة موجودة دون أي لبس في ذلك.."

"تيد سيريوس" يحدّق في آلة التصوير ويطبع صورة فكرية في الصفيحة الفوتوغرافية داخلها.

عينات من الصور التي استطاع "تيد سيريوس" تجسيدها فكرياً في آلات التصوير. الصورة الفكرية على اليسار تُظهر فندق "الهيلتون" في مدينة دنفر. وعلى اليمين صورة فكرية لمبنى الكابيتول في واشنطن.

".. في العام ١٩٥٠، تم التقاط سلسة من الصور في مختبرات "ديلاوار"، بمساعدة السيّد "ل. كورت" L. Corte، مستخدمين جهاز يحتوي على مغناطيس وعدسات بصرية من أجل ضمان إمكانية تكرار الصور. الصور التي حصلوا عليها كانت متعددة الأبعاد وقد أُخذ منها أكثر من ١٠,٠٠٠ صورة خلال ٩ سنوات من العمل. كانت نسبة النجاح ٩٠%، والصور المُرفقة مع هذا المقال هي عينات منها.."

ملاحظة: هناك الكثير من الصور التي وردت في المراجع المتحدثة عن "التصوير الراديوني"، لكنها جميعاً غير واضحة ربما بسبب سوء الطباعة في تلك الأيام، وتظهر صور متنوعة مأخوذة في مختبرات "ديلاوار"، منها يُظهر المستوى الذرّي للأشياء، ومنها يُظهر أشياء عادية لكن يفصل بينها وبين آلة التصوير مسافات بعيدة لكن مرتبطة بها عبر عيّنة مأخوذة منها.

".. تم تطوير تقنية تستند على ظاهرة إحداث تواصل بين شخص بعيد وبين مُستخدم آلة التصوير. آلية هذه التقنية لازالت مجهولة بالنسبة للعلم لكن يمكن فهمها جيداً في مجال الباراسيكولوجيا. تم التقاط آلاف الصور بهذه التقنية الجديدة

خلال السنوات الـ١٧ الماضية وخضعت لفحص والدراسة في المختبرات. العمل على هذه الكاميرا تبطأ في العام ١٩٦٠ لأسباب تمويلية. من الضروري الاسمرار بهذا الخط الجديد من البحث لأنه يتضمن إمكانيات علمية كبيرة في كافة المجالات البيولوجية، الزراعية البشرية والحيوانية، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالمجال الصحّي.."

انتهى الاقتباس

خلال تعامل المصممون الأوائل مع أجهزة الراديونيكس، كانت غايتهم الأساسية تتمحور حول "تشخيص" حالة المرضى عبر مسافات بعيدة من خلال الاكتفاء بفحص عيّنة مأخوذة منهم (نقطة دم أو شعرة مثلاً)، لكنها تطوّرت فيما بعد (على يد الدكتور "ألبرت أبرامز") إلى علاج المرضى عبر مسافة بعيدة، لكن مع ضرورة وجود عيّنة مأخوذة منهم. وفي الفترة الأخيرة، مع تراكم التجارب والخبرات عبر الممارسة المستمرّة، تم التوصل إلى تقنية معيّنة تمكنهم من تجسيد صور فوتوغرافية لموقع العلّة في الجسم (تستغرق العملية حوالي دقيقتين فقط)، تبيّن أنه يمكن فحص عيّنات من نوع آخر، كقطع أثرية فخارية، فيؤدي ذلك إلى تجسيد صور فوتوغرافية زمنية تعود لفترة استخدام الأدوات التي خرجت منها تلك القطع. وبنفس الطريقة، تم استخدام أحجار جيولوجية (مأخوذة من أعماق الأرض) كعيّنات، فأدى ذلك إلى ظهور صور فوتوغرافية تبيّن مناظر لتلك الحقبة الجيولوجية التي كانت العيّنة فيها موجودة على سطح الأرض، وكان يظهر أحياناً كائنات منقرضة كالديناصورات. السؤال هو: ما هو العامل المسؤول عن هذه الظاهرة؟ هل هو الصندوق الخشبي الذي يحتوي على مجموعة من مفاتيح الصوت وعدة أسلاك كهربائية عشوائية (جهاز الراديونيكس)، أم عقل المستخدِم؟

دور العقل

بعد الإطلاع على موضوع هذه الأجهزة التصويرية، السؤال الكبير الذي سيتبادر إلى الذهن هو: كيف يمكن للصورة أن تتشكّل على الصفيحة الفوتوغرافية في هذه الأجهزة؟ حتى لو سلمنا أن الظاهرة عقلية، ما هي الآلية التي تتجسّد وفقها؟

من أجل التوصّل إلى الجواب اليقين، علينا أولاً التسليم بمجموعة حقائق ثابتة. التسليم بالطبيعة الهولوغرافية للكون، بالإضافة المكانة المهمة للعقل في هذا الوجود. من أجل توضيح الأمر أكثر، وتجنباً للدخول في المسألة من باب التفسيرات الفيزيائية غير المجدية، سأوصف إحدى العادات الشعبية التي كانت سائدة يوماً في المنطقة التي أعيش فيها، ربما نستنبط بعدها الطبيعة الغامضة لهذه الطاقة "التجاوزية".

هذه العادة الشعبية كانت راسخة بقوّة في التقاليد الزراعية السائدة في المنطقة التي أقطنها (جنوب سوريا) واستمرّت قائمة منذ قرون إلى أن اختفت نهائياً قبل عقود لأسباب كثيرة أهمها التغيير الجذري الذي طرأ على المجتمع والذي كاد أن يحوّله كلياً من مجتمع زراعي إلى مجتمع استهلاكي، وبالإضافة إلى انتشار الأدوية الكيماوية الزراعية التي تم استبدالها بهذه العادة، خصوصاً بعد أن خضع هذا المجتمع (كما باقي مجتمعات العالم) إلى عملية غسيل دماغ "علميّة" شاملة كاملة جعلته يرفض إتباع أي وسيلة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالماورائيات، مهما كانت هذه الوسيلة مجديّة وأفضت إلى نتائج عمليّة.

على أي حال، هذا التقليد الزراعي العريق يمثّل علاج شافي لجأ إليه المزارعون في موسم "البيدر"، والبيدر هو المكان الذي يكوّم فيه المزارع محصوله من الحبوب (قمح، شعير، حمّص،.. إلى آخره) الذي يجلبه من الحقل بعد حصاده. المشكلة التي كان يعانيها المزارعون في أواخر هذا الموسم *(أي بعد ضرس وذراية المحصول وتفريق الحبوب عن القش)* هو تكاثر بعض أنواع الحشرات وأهمها "النمل" الذي يبدأ باستيطان البيادر في هذه الفترة، فيبني بيوته تحت الأرضيّة بالقرب من أكوام الحبوب. قد يبدو استيطان النمل غير مؤذياً للوهلة الأولى، لكن بعد أن تعلم بأن هذه الكائنات الصغيرة تستطيع أن تجعل كومة كبيرة من القمح تختفي كلياً خلال أيام معدودة سوف يعيد النظر في سبب اهتمام المزارعين بهذه الحالة وجعلها من بين أولى أولوياتهم.

قد تكون مستعمرة النمل كبيرة جداً لكن مهما كان حجمها لا يبدو عليها ذلك لأنها مخفية تحت الأرض، ويوصلها بالعالم الخارجي فُتحة صغيرة يتدفّق النمل على الدوام، خارجاً وداخلاً منها وإليها ساحباً حبوب القمح، حبّة حبّة، وإذا لم تُتخذ إجراءات لازمة بهذا الخصوص سوف يقضي النمل على كومة المحصول أو جزء كبير منها. لقد علّمتهم الخبرة بأن إجراءات كثيرة، مهما كانت فتّاكة، عجزت عن القضاء على هذه الكائنات. حتى إذا قمت بحرق بيتها عن طريق سكب المحروقات في مدخله، أو أي مادة كيماوية أخرى، ربما يختفي النمل لأيام لكنه يظهر من جديد في زاوية أخرى من البيدر وبدرجة أكبر من الحيويّة والنشاط.

من أجل القضاء على وجوده تماماً من البيدر، كان المزارع يلجأ إلى إجراء غريب عجيب توارثه المجتمع منذ عصور غابرة، ويجري كما يلي: بعد تحديد موقع الفُتحة المؤدية إلى بيت النمل، يرسمون حوله مثلّث متساوي الأضلاع بحيث تكون الفُتحة في مركزه. يصنعون ثلاثة أكوام عمودية من الحجارة، كل كومة تعلو ٣٠ أو ٤٠ سم تقريباً عند أحد زوايا المثلّث. إذاً أصبح لدينا ثلاثة أكوام حجرية عمودية محيطة بفُتحة بيت النمل. لكن هذا ليس كل شيء، الأمر الحاسم في العملية هو تشبيه كل عمود حجري بأحد الأشخاص الكذّابين المشهورين في القرية أو المنطقة عموماً. أي خلال بناء كل كومة حجارة، كان المزارع يقول: *"..هذا العمود يمثّل الكذّاب "فلان"..."*، وبعد أن ينتهي من بناء الكومة يقول: *".. إرحلوا قبل أن يُعديكم بالكذب.."*. الأمر العجيب هو أنه لم يمضي ساعة قبل أن يختفي النمل من الموقع تماماً!

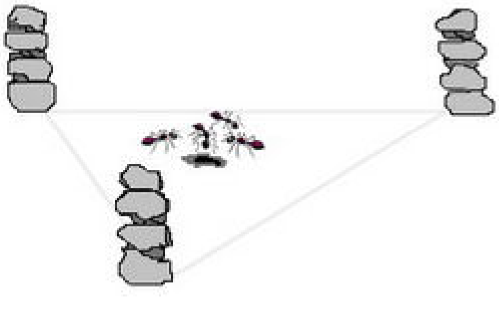

وضعية أكوام الحجارة حول مدخل بيت النمل بحيث تشكّل مثلّث متساوي الأضلاع.

بعد أن تعرّفنا على الحقائق الواردة في هذه المجموعة من الكتب، سيبدو الأمر واضحاً بالنسبة لنا. هذا الطقس البسيط الذي كان يلجأ إليه المزارعون هو عبارة عن مسرحية ذهنيّة تساهم في تحفيز العقل (الجانب الجبّار منه) على إطلاق العنان لقوّة أو طاقة غامضة تُحدث التأثير الجوهري في العملية. نحن لا نتكلم هنا عن موجات كهرومغناطيسية ملموسة، بل طاقة عقلية مئة بالمئة، وأصبحوا يشيرون إليها في الغرب باسم "الطاقة السايكوترونية". أي طاقة عقلية غير ملموسة أو غير قابلة للقياس، لكنها بنفس الوقت قادرة على تجسيد تأثير ملموس وقابل للقياس. على هذه الطاقة بالذات استندت أجهزة الراديونيكس خلال عملها، وكذلك الطلاسم والشعارات السحرية *(تناولت هذا الموضوع في الجزء٣ من مجموعة نحن، أفول "شمس المعارف الكبرى")*.

مادمنا في الحديث عن التقاليد الشعبية دعوني أذكر عادة شعبية أخرى مماثلة وهي عبارة عن إجراء كان يلجأ إليه الناس للمحافظة على سلامة (وحياة) دابتهم الضائعة، خصوصاً من هجمات الوحوش البريّة. عندما يفقد الفرد أحد دوابه (بقرة، حمار، حصان،.. إلى آخره) كان يقيم طقس بسيط مشابه للسابق، ويجري كما يلي: يأتي بمقصّ ويجعل شفرتيه تُمسك بورقة ملفوفة تحتوي على طلاسم معيّنة (تختلف صيغة الطلسم حسب ديانة المجتمع)، ثم يلفّ حوله خيط لكي يُحافظ على هذه الوضعيّة (كما في الشكل التالي). وخلال قيامه بالعملية، يدعو الفرد من ربّ السماوات أن يُحصّن الدابة المعنيّة من أي أذى وخصوصاً هجمات الوحوش. ثم يضع المقصّ في مكان آمن بعيداً عن تناول الأيدي. قد يمرّ أيام عديدة تسرح خلالها الدابة لوحدها في البريّة، لكن مجرّد أن وجدها صاحبها تكون سليمة تماماً من أي أذى. قد تبدو هذه العمليّة سخيفة، لكنها لم تخيّب الآمال أبداً. وهذه القناعة لم تنبع من مجرّد الإيمان بالخرافات، بل من الخبرة الطويلة مع نتائجها المجدية.

في هذه الحالة أيضاً يمكن أن نطرح ذات السؤال: ما هو العامل الجوهري وراء التأثير الذي أفضى إلى النتيجة المرغوبة؟ هل يكمن السرّ في المقصّ والطلسم، أم

في المسرحية الذهنيّة التي انخرط فيها العقل ليفعل فعله بالواقع؟ أعتقد أنك أصبحت تعرف الجواب.

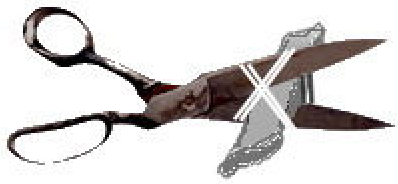

المِقصّ يُمسك بالطلسم وملفوف حولهما خيط للمحافظة على هذه الوضعية

بالعودة على التقنية الفوتوغرافية التي تستحضر صوراً متجاوزة للزمن، فنستنتج بأنها تمثّل إحدى مظاهر تلك القوى الغامضة التي يُجسّدها العقل خلال مسرحيّة ذهنيّة معيّنة، ويتجلّى فيها ظاهرتين مختلفتين على الأقلّ: ظاهرة [PK] (التأثير العقلي) وظاهرة تجاوز الزمن، وكلاهما ظاهرتان عقليتان ليس لهما أي علاقة بالآلات أو الأدوات المستخدمة. نحن نتحدّث عن إحدى مظاهر الاستثمار غير المباشر لما أصبح معروف بـــ"الوعي الديناميكي".

هناك تقنية فوتوغرافية مشابهة تُذكر بشكل متكرّر في الكتب السحرية، وفيها إرشادات على كيفية صناعة محلول معيّن نتيجة خلط مجموعة الأعشاب ببعضها مع إضافة مواد أخرى، ثم يتم طلاء المحلول على ورقة بيضاء، ويتم بعدها إجراء طقس معيّن (يختلف حسب اختلاف المذهب السحري) فتُترك بعدها الورقة المطلية قابعة في مكان محدد حتى اليوم التالي، فتتجلّى عليها صورة الشيء أو الشخص المستهدف في العملية. قد يكون صورة السارق الذي ترغب معرفته، أو زوجة المستقبل، أو غيرها. صحيح أن هذه الإرشادات السحرية تشوّهت صيغتها عبر العصور، لكن بعد تعرّفنا على آلية عمل أجهزة "الراديونيكس" أصبحت الفكرة مقبولة لدينا. يمكن اعتبار أن المحلول السحري الذي تُطلى به الورقة يمثّل المستحلب الكيماوي الذي يستخدمه المصوّرون على الصفائح الفوتوغرافية، وعملية تجسيد صورة على الورقة تستند على ذات الآلية التي تجري في جهاز

الراديونيكس، أي أنها عملية عقلية تماماً تتجلّى خلالها إحدى مظاهر الاستثمار غير المباشر لما أصبح معروف بـــ"الوعي الديناميكي".

هذه التقنية الفوتوغرافية تذكرنا أيضاً بظاهرة مشابهة كان يجسدها الوسطاء الروحيين خلال ازدهار الحركة الأرواحية قبل قرنين من الزمن، مثل تجسيد أشكال في قوالب الجصّ والبارافين *(مادة شمعية)*، أو تجسيد أصوات في مكان الجلسة، أو حتى تجسيد أصوات في أجهزة تسجيل الصوت. كل هذه الظواهر لها علاقة بالوعي الديناميكي بطريقة أو بأخرى.

<u>صناعة أشكال ومجسّمات من البارافين</u>: اعتُبرت ظاهرة التشكّل التلقائي لصور وأشكال مختلفة في مادة البارافين من بين الدلائل الرئيسية على وجود كائنات غيبية. لكن بعد إخضاع الظاهر للأبحاث المكثفة تبيّن أنها مرتبطة بشكل جوهري مع الوسيط نفسه. أي بمعنى آخر: الاستثمار غير المباشر "للوعي الديناميكي".

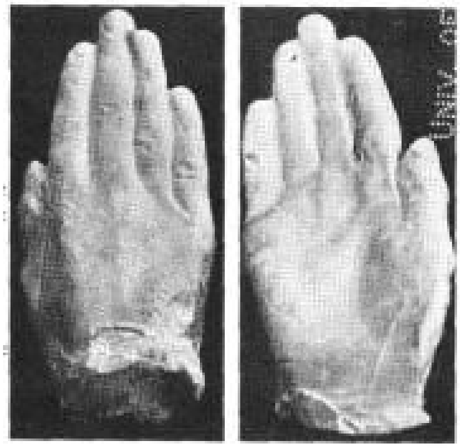

كتلة من البارافين موضوعة في صندوق معزول، كانت تتحوّل تلقائياً إلى شكل يد بشرية. لكن هناك أشكال كثيرة أخرى مثل الوجوه البشرية أيضاً، كالشكل التالي:

بعد أن تكونت الصورة السابقة في الذهن، مع إضافة المعلومات التي تعرفنا عليها خلال الاطلاع على موضوع "الوعي الديناميكي" (في الجزء السابق) لا أعتقد أننا سنواجه صعوبة في تكوين صورة واضحة لهذه الظواهر المختلفة التي استطاع الوسطاء الروحيين تجسيدها. أو الظواهر العقلية الأخرى القادرة على تجاوز حاجز الزمن.

لكن هناك حالات معيّنة لا نستطيع تفسيرها بالاستناد على الوعي الديناميكي ولا القوى العقلية، بل على مضامين أخرى مختلفة تماماً، ومن المؤكّد أنها تتعلّق بالطبيعة الهولوغرافية للكون. أي أنها ظاهرة تخصّ العقل الكوني وليس العقل الفردي. قد تكون بعيدة كل البُعد عن الواقع الذي نألفه، لكنها موجودة على أي حال. أشهر هذه الحالات هي التي تُعرف بـ"الانزلاق الزمني" Time Slips. أي شعور الفرد بأنه انتقل فعلياً من زمنه الحاضر إلى موقع زمني آخر، حيث تتغيّر الطبيعة من حوله وتتبدّل معالمها. سوف نتعرّف على هذه الظاهرة من خلال المقالة التالية التي تعود للكاتب "تيم سوارتز" Tim Swartz، وسنتعرّف على هذا الأخير لاحقاً.

لغز الانزلاق الزمني
The Mystery of Time Slips

بقلم: "تيم شوارتز"

الزمن هو شيء عجيب. لا يبدو أن هناك ما يكفي منه، لكن بنفس الوقت هناك كمية لا محدودة منه. ينزلق الزمن بلحظاته وثوانيه إلى الماضي المؤبّد، لكنه مع ذلك يبقى في الحاضر، ليستهلّ المستقبل.

يُظنّ بأن الزمن غير قابل للتوقيف خلال اندفاعه العنيد نحو المستقبل. ينظر البشر إلى أنفسهم مقيّدين بالزمن كما الحشرة المحصورة في قطعة الكهرمان. محبوسون إلى الأبد ومجبورون على الخضوع لرتابة التغيير الحتمي. الماضي ذهب، الحاضر سريع الزوال، والمستقبل مجهول.. أو هل هو كذلك؟

إذا سألتم شرطياً يُدعى "فرانك" Frank من "ميرسيسايد" Merseyside *(منطقة في شمال غرب إنكلترا)*، ربما سيكون له رأي مختلف تماماً حو ل موضوع الزمن.

في فترة بعد الظهر المُشمسة من يوم السبت الواقع في شهر تموز من العام ١٩٩٦، كان "فرانك" وزوجته "كارول" يزوران منطقة شارع "بولد" في مدينة "ليفربول" بهدف التسوّق. انفصل الزوجان عند المحطّة المركزية، ذهبت "كارول" إلى مكتبة "ديلون" و"فرانك" قصد متجر أقراص ليزرية (CD) بحثاً عن قرص يرغبه. خلال سيره صعوداً في المنحدر القريب من مبنى البريد والمؤدّي إلى شارع "بولد"، لاحظ "فرانك" فجأة بأنه دخل "واحة صمت" غريبة.

وفجأة، مرّت شاحنة van مُصندقة صغيرة بدى من مظهرها أنها تعود للخمسينات من القرن الماضي، مرّت مُسرعة من جانبه تُطلق البوق، وبالكاد اصطدمت به. لمح "فرانك" الاسم المكتوب على جانب صندوق الشاحنة، وهو "كابلانز"

Caplan's. عندما نظر حوله، رأى الشرطي المُربك بأنه يقف وسط الطريق. قطع الطريق وسار نحو مكتبة "ديلون" فاكتشف لدهشته بأن اللافتة فوق المدخل مكتوب عليها اسم "كريبس" Cripps. وزادت دهشته بعد أن نظر إلى الواجهة الزجاجية ليرى أمتعة نسائية بدلاً من الكتب.

ملتفتاً حوله، اكتشف "فرانك" بأن الناس كانوا يرتدون ثياباً تعود للأربعينات من القرن الماضي. وفجأة، لمح شابة في أوائل العشرينات من عمرها وترتدي بلوزة ليمونية اللون وبلا أكمام، ومطبوع على حقيبة اليد التي تحملها ماركة شهيرة لشركة حديثة، فاطمأنّ الشرطي بأنه لازال جزئياً في العام ١٩٩٦. كان الأمر محيراً، لكنه مع ذلك شعر بارتياح، ولحق بالفتاة إلى داخل دكان "كريبس".

بعد دخولهما إلى المتجر مباشرة، راقب "فرانك" بذهول كيف بدأ داخل المبنى يتغيّر تماماً أمام عينيه وبلمحة خاطفة إلى مكتبة "ديلونز" الحديثة من جديد. استدارت الفتاة لمغادرة المحلّ لكن أمسك "فرانك" بذراعها بهدف لفت انتباهها، وقال: *".. هل رأيتِ هذا؟.."*، فكان جوابها: *".. نعم! ظننت أنه متجر للأمتعة النسائية. وكنت أهمّ بإلقاء نظرة على الأمتعة فدخلت ووجدت أنها مكتبة.."*

تم لاحقاً التحقّق من أن اسمي "كريبس" و"كابلانز" يعودان لشركتين كانتا متمركزتان بمدينة "ليفربول" في الخمسينات من القرن الماضي. أما بخصوص علاقتهما بالموقع الموصوف في الرواية السابقة فلم يتم التأكّد منها.

تجربة "فرانك" لم تكن غريبة عن أدبيات البحث بالظواهر الغريبة. كان هناك الكثير من الحوادث المشابهة مما أدى إلى ظهور مصطلح عام يشير إليها: "الانزلاق الزمني" time slip. ويُعرّف بأنه حالة يبدو خلالها بأن حقبة تاريخية معيّنة قد تجلّت في الحاضر. يبدو "الانزلاق الزمني" تلقائياً بطبيعته وموقعه المكاني، لكن هناك مواقع على الكوكب تبدو أكثر قابلية من الأخرى من حيث تكرّر حوادث الانزلاق الزمني. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن بعض الأشخاص

يتميزون بقابلية أكثر من غيرهم في اختبار "الانزلاق الزمني". إذا كان الزمن قوة ثابتة كما يصفها الفيزيائيون، لماذا إذاً يختبر بعض الناس ما يناقض هذا المفهوم العلمي؟

طبيعة الزمن

قسم كبير من الفلسفة الإغريقية اهتمّ بمحاولة استيعاب مفهوم الأبدية، وموضوع الزمن يُعتبر مركزي لكافة أديان العالم وثقافاته. هل يمكن توقيف جريان الزمن أو إبطاؤه؟ هذا ما ظنّه بعض الصوفيين بكل تأكيد. الفيلسوف والشاعر "أنجلوس سيليسيوس" Angelus Silesius من القرن السابع عشر، آمن بأنه يمكن إبطال جريان الزمن بقوة العقل: *".. الزمن هو من صنيعتك.. ساعته تتكتك في رأسك.. اللحظة التي تتوقف فيها عن التفكير يتوقف معه الزمن مباشرة.."*

أحياناً يضيق الخط الفاصل بين العلم والصوفيّة. ربما يوافق الفيزيائيون اليوم بأن الزمن يُعتبر أحد أغرب خصائص الكون. يُعتبر السفر عبر الزمن بالنسبة للعلم العصري بعيد المنال. لكن بالنسبة للأشخاص الذين اختبروا حالات "انزلاق زمني"، يمكن الإبحار في المحتوي الزمني بسهولة تفوق التوقعات.

يمكن التعرّف على أحد العيّنات المثيرة لحالات "الانزلاق الزمني" في التجربة التي روتها "لين" من أستراليا. بعد قراءة كتابي "السفر عبر الزمن: تعليمات إرشادية للمُطلعين" Time Travel: A How-To Insiders Guide (صدر عام ١٩٩٩)، لاحظت أن ما اختبرته من تجربة شخصية مشابه للحالات التي ذكرتها في الكتاب. في العام ١٩٩٧ كانت "لين" تسكن في بلدة نائية صغيرة أُنشئت في العام ١٩٤٧ ولم تتغيّر معالمها كثيراً منذ حينها. كتبت تقول:

".. كنت أقود السيارة باتجاه التقاطع الرئيسي للبلدة عندما شعرت فجأة بحصول تغيير في الجو. لم يكن ذلك الشعور التقليدي بالبرد، بل تغيير يشبه حصول تبديل في الأجواء. كان الهواء أكثر كثافة نوعاً ما. خلال تباطئي عند التقاطع، بدى

وكأنني انتقلت فجأة في الزمن إلى الوراء، وتحديداً إلى العام ١٩٥٠. كان الطريق ترابياً ومع غياب كامل للأشجار، وكان يقترب نحوي عند التقاطع سيارة سوداء موديلها قديم يشبه نوعية "فاغارد" Vanguard أو "هولدن" Holden. خلال مرور السيارة مسرعة عبرة التقاطع راح السائق ينظر خلفه نحوي بدهشة تامة قبل أن يبتعد زائداً سُرعته. حسب ما رأيته خلال هذه اللحظات القصيرة، كان يرتدي ثياب تعود للخمسينات، مع قُبعة على رأسه تعود لتلك الفترة أيضاً.."

".. دامت هذه الحالة بالكامل حوالي ٢٠ ثانية، وقد تكرّرت مع ٥ مرّات خلال زياراتي الدائمة إلى تلك المنطقة، وكانت تحصل في نفس الموقع تحديداً. حاولت التركيز على لوحة أرقام السيارة لكنها كانت مكسوة بالغبار.."

تساءلت "لين" إذا كان هناك من لازال على قيد الحياة ورأى مشهداً غريباً عند ذلك التقاطع في الخمسينات.. مشهد سيارة غريبة تقودها امرأة جاحظة العينين من شدّة ذهولها.

يروي "ديريك.إي" Derek E قصة مثيرة أخرى عن "انزلاق الزمن". عندما كان صغيراً، كان والده يعمل سائق تاكسي في "غلاسغو"، سكوتلندا. في أحد الأيام بأواخر الستينات من القرن الماضي، كان والد "ديريك" يقود السيارة في شمال المدينة بشارع "ماريهيل" بالقرب من منطقة "كوينز كروس"، وهو احد المناطقة الأقدم في المدينة وكانت في إحدى الفترات تمثّل بلدة قائمة بذاتها قبل أن تمتدّ المدينة وتشملها. كتب "ديريك" يقول:

".. بلحظة معيّنة كان الزمن في الحاضر، السيارات، الباصات، الثياب العصرية، الطرقات المُعبّدة جيداً.. إلى آخره. وفي لحظة أخرى لاحظ والدي فوراً بأنه في زمن أبكر من التاريخ. بدا واضحاً أن الفترة كانت سابقة للعصر الفيكتوري، وذلك بناء على نوعية ثياب الناس التي وصفها، وكذلك الخيول، والأبنية المنخفضة،

والثياب الخشنة والقلنسوات التي ارتداها الناس،.. وهكذا. دامت هذه الحالة للحظات معدودة قبل أن تحتفي ليعود والدي إلى الزمن الحاضر..."

وقد بلّغ "ديريك" أيضاً بأنه في الثمانينات من القرن الماضي، كان هو وزوجته في إحدى العُطل يتنزهون بمستنقعات نيويورك في إنكلترا. ذهبوا إلى قرية ساحلية صغيرة تُدعى "ستايثس" Staithes، التي كان الطريق إليها مُتعرّج وضيّق وشديد الانحدار، وكذلك كانت مداخل بيوتها التي تؤدّي إليها دروب ضيّقة. روى الحادثة قائلاً:

".. أوقفنا السيارة في أعلى القرية، في المكان الذي يتوجّب فيه إيقاف باصات وسيارات السيّاح، ونزلنا إلى هناك مشياً على الأقدام. ما أتذكره هو أنه كان يوماً مشمساً مع وجود الكثير من الناس، لكن مع شقّ طريقنا إلى الأسفل، بدى فجأة بأنه ما من أحد في محيطنا سوى أنا وزوجتي. ظهرت امرأة عجوز على ممرّ المشاة قادمة نحونا. أصبح الجو باهتاً وأكثر برودة. سألتنا قائلة، وبلغة قديمة لكن مهذّبة، ما هي السنة التي نحن فيها؟ هكذا أسئلة مألوفة من العجائز الطاعنون في السنّ، حيث غالباً ما يضيعون في التواريخ، وقد يكون هذا التفسير لسؤالها. لكن ما أتذكّره بوضوح هو ثيابها السوداء والمصنوعة يدوياً على ما يبدو، حيث كانت خشنة وأزرارها يدوية الصنع لأنها كانت كبيرة بالمقارنة مع الأزرار الحديثة. طراز حذائها كان قديم جداً مع كعب عالي وأكبر حجماً من تلك التي نراها في أقدام العجائز اليوم. خلال الوقت الذي التفتّ فيه إلى زوجتي وسؤالها، هل رأيتِ هذا؟، كانت العجوز قد اختفت. عادت الشمس من جديد، وكذلك الناس عادوا إلى المشهد. زوجتي أيضاً رأت المرأة العجوز وشعرت بنفس الجو البارد.."

تبدو تجربة "ديريك" متشابهة تماماً للقصص التقليدية عن الأشباح. الكثير من حوادث مشاهدات الأشباح تم تفسيرها على أنها عبارة عن أطياف شبحيّة لأشخاص تتجلّى خارج موقعها الزماني والمكاني، ومن الملاحظ أيضاً في بعض هذه المشاهدات هو أن محيط الشهود يتغيّر مكاناً وزماناً، فيعطي انطباع قوي

بحصول حالة "انزلاق زمني". الأمر المثير للتساؤل هو إن كانت هذه الحالات هي حالات اتصال مؤقّت بين زمنين مختلفين، أي أن أحد الجانبين، الشاهد أو الشبح، سافر فعلياً عبر الزمن ليرى الجانب الآخر. ربما تمثّل ببساطة كلا الجانبين لعملة واحدة.

يقول "مارتن جيفري" Martin Jeffrey، المحرّر المساعد لموقع mysterymag.com بأن "الانزلاقات الزمنية" يمكن إعادة خلقها أو تحفيزها من خلال استخدام "عامِل منبّه"، بحيث يحصل عندما يكون الفرد مهتماً بالأمور المحيطة به لكنه لا يُركّز عليها، فيحدث "انزلاقاً" في المكان المحدّد واللحظة المحدّدة فيُدفع الشاهد على ما يبدو إلى موقع زمني آخر.

يتذكّر "جيفري" قضيّة "أليس بولوك" Alice Pollock التي اختبرت في قصر "ليدز" Leeds Castle بمقاطعة "كنت" Kent ما يمكن اعتباره حالة "انزلاق زمني" نموذجيّة. كانت "أليس" تجري اختباراً في جناح الملك "هنري" الثامن عبر لمس الأشيء في محاولة منها لاستشعار بعض الأحداث العائدة لتلك الفترة *(أي كانت تمارس نوع من السايكومتري. وهي القدرة على استخلاص معلومات غيبية تتعلّق بفرد معيّن أو مكان معيّن عبر لمس أشياء متصلة به)*. بعد فترة من المحاولات العديدة فشلت فيها باستقبال انطباعات من أي نوع، بدأت الحُجرة تتغيّر فجأة. فقدت مظهرها العصري المريح لتتحوّل بسرعة إلى حُجرة جرداء وباردة. اختفت السجادة وكذلك كومة الحطب المحترقة في الموقد. ظهر طيف امرأة طويلة برداء أبيض تسير ذهاباً وإياباً في الحُجرة أمام "أليس". بدى وجه المرأة وكأنها متعمّقة في التركيز على أمر معيّن. لكن فجأة، وبنفس السرعة التي تغيّر فيها مظهر الحُجرة، عادة إلى حالته السابقة من جديد.

كشفت الأبحاث التي أجريت لاحقاً عن حقيقة أن حُجرات هذا الجناح في القصر كانت سجناً للملكة "جوان النافارية" Joan of Navarre، زوجة أب الملك "هنري" الخامس، والتي عاقبها زوجها بتُهمة الشعوذة.

قد يكون تفسير هكذا حالات أن الشهود يحفّزون عملية "الانزلاق الزمني" من خلال إفراغ عقولهم تماماً في لحظة محدّدة فيتم الأمر، أو يلمس الشاهد شيئاً يحتوي على ذاكرة لزمن سابق.

يقول "كولن ولسون" Colin Wilson محاولاً تفسير الأمر: *".. ربما التفسير الأبسط للمسألة هو فرضية الساكومتري psychometric hypothesis.."*، ويتابع شارحاً، *".. في أواسط القرن التاسع عشر، أجرى الدكتور "جوزيف رودز بوكانان" Joseph Rodes Buchanan من معهد "كونفنغتون" Covington الطبّي اختبارات أقنعته بحقيقة أن بعض من تلاميذه يستطيعون حمل رسائل مختومة في أيديهم ووصف كتابها بدّقة. أصبح مقتنعاً تماماً بأن الأشياء تحمل كامل تاريخيها على شكل صور مُبطّنة داخلها. كتب "بوكانان" يقول: الماضي هو مدفون في الحاضر. الاكتشافات في مجال الساكومتري ستمكننا من استكشاف تاريخ الإنسان كما مكنتنا الجيولوجيا من استكشاف تاريخ الأرض. من الواضح إمكانية اعتبار السايكومتري نوع من الانزلاق الزمني.."*

حوادث انزلاق زمني شهيرة

أشهر حالات الانزلاق الزمني حصلت في شهر آب من العام ١٩٠١، عندما كانت امرأتين إنكليزيتين تقضيات عطلتهما في باريس. هما السيّدة "آني موبرلي" Annie Moberly مديرة كليّة "سنت هيوز" St. Hugh's في جامعة أكسفورد، والدكتورة "ألينور فرانسيس جورداين" Eleanor Frances Jourdain. بعد بقاءهما لفترة قصيرة في العاصمة، ذهبتا لزيارة قصر "فرساي" Versailles.

بعد زيارة القصر بدأتا تبحثان عن باحة "بتي تريانو" Petit Trianon لكنهما ضاعتا. خلال تجوّلهما في الباحات، بدأ يراود المرأتان شعور غريب، كما لو أن نوبة ثقيلة ضغطت على روحيهما. ظهر فجأة رجلان يرتديان سترات طويلة خضراء مع قبعات ثلاثية الزوايا وأرشدا المرأتان إلى جناح "بتي تريانو". سارتا باتجاه كوخ معزول حيث تقف امرأة وفتاة بسن ١٢ أو ١٣ على مدخل الباب،

كلاهما يرتديان مريولة بيضاء مربوطة حول خصرهما. كانت المرأة واقفة عند أعلى درج المدخل حامل إبريق في يدها ومتّكئة إلى الأمام قليلاً، بينما الفتاة الصغيرة وقفت عند أسفل الدرج وتنظر إليها وباسطة يديها نحوها. *".. ربما كانت الفتاة تتناول الإبريق أو أنها تناوله للمرأة، لا أعلم، لأنه بدى وكأنهما تجمّدتا للحظة كما يتجمّد الفيلم السينمائي.."*، هذا ما شرحته الدكتورة "جورداين" عندما كتبت عن تجربتها لاحقاً.

تابعتا السيدتان الجامعيتان من "أوكسفورد" طريقهما حتى وصلتا بعد قليل إلى مقصورة جميلة تقبع وسط سياج. كان للمكان جو غير عادي حيث كان مُحبطاً وغير محبباً. كان هناك رجل جالساً خارج المقصورة، ووجهه مشوهاً من الجدري، يرتدي سُترة وقبعة قشّ. يبدو أنه لم يلاحظ المرأتين، حيث لم يلق أي انتباه نحوهما بأي حال من الأحوال.

تابعت المرأتان مسيرتهما بصمت، ووصلتا بعد قليل إلى منزل ريفي صغير ونوافذه ذات مصراعين مصفوفة على جانبيه. كان هناك امرأة تجلس على مرجة العشب الصغيرة أمام المنزل وظهرها باتجاهه. حملت بيدها لوحة كبيرة من الورق أو الكرتون وبدت مشغولة بلوحة فنيّة. ارتدت لباس صيفي مع صدرية طويلة ومليئة، وتنورة قصيرة، ومن الواضح أن هذا كان غير طبيعي. كان هناك وشاح أخضر باهت ملفوفاً حول كتفيها، وعلى رأسها قبّعة بيضاء كبيرة تغطّي شعرها الأشقر.

في نهاية الطريق كان هناك منزل آخر. مع اقتراب المرأتان منه، فتح الباب فجأة ثم أُغلق من جديد. خرج منه شاب يبدو من سلوكه بأنه خادم، لكنه لم يرتدي البزّة الخاصة. مع اعتقاد المرأتان الإنكليزيتان بأنهما انتهكتا ممتلكات خاصة، لحقتا بالشاب باتجاه الـ"بتي تريانو". بشكل غير متوقّع، من لحظة إلى أخرى، وجدتا نفسيهما وسط حشد من الناس ــ يبدو واضحاً أنها حفلة زواج ــ والجميع كان يرتدي ألبسة معاصرة مما جعلهما تطمئنان بأن الزمن عاد بهما إلى ١٩٠١.

بعد عودتهما إلى إنكلترا، ناقشت كل من "آني موبرلي" و"أليانور جورداين" تجربتهما المثيرة خلال رحلتهما، وبدأتا تتساءلان إن كانت مجرّد حادثة مشاهدة أشباح، وأحد هذه الأشباح كان يعود لملكة "ملري أنطوانيت"، أو أنهما دخلتا تخاطرياً وبطريقة ما إلى أحد ذكريات الملكة والتي خلفتها في ذلك الموقع تحديداً. والذي جعل "موبرلي" مقتنعة تماماً بأن المرأة التي تم مشاهدتها هي ذاتها "ماري أنطوانيت" هو مقارنتها مع اللوحة التي رسمها الفنان "ورتمولر" Wertmüller للملكة. والأمر الذي أثار استغرابها أكثر هو أن الثياب كانت ذاتها أيضاً.

بسبب الغموض الآسر الذي خلفته هذه التجربة الغريبة، عادت "جورداين" إلى "فرساي" في كانون ثاني من العام التالي (١٩٠٢) لتكرار التجربة مرّة أخرى لكنها عجزت عن ذلك. لقد انتبهت هذه المرّة بأن تضاريس الموقع كان مختلفاً عن المرّة السابقة. يبدو أنها استُبدلت بشكل غامض. علِمت لاحقاً بأنه في ٥ تشرين الأوّل من العام ١٧٨٩، كانت "ماري أنطوانيت" تجلس عند الـ"بتي تريانو" عندما وصلها خبر اختراق الحشود الثائرة من باريس لبوابة القصر. فاستنتجت كل من "جورداين" و"موبرلي" بأن ذاكرة "ماري أنطوانيت" لهذه اللحظة المُرعبة ربما بقيت معلّقة في الموقع بطريقة ما، وبقيت قائمة هناك طوال السنين. وإلى جو هذه الذاكرة بالذات دخلتا في ذلك الموقع.

الآلة الزمنية للطبيعة

ما الذي نستنتجه من هذه القصص المثيرة؟ هل سافر هؤلاء الأشخاص فعلياً، وبشكل مؤقت، إلى الماضي ليلمحوا مشاهد كانت قائمة هناك فعلاً؟ أو هل دخلوا منطقة مسكونة بحيث، كما في الأفلام القديمة، رأوا مشهد مُبطّن بطريقة ما في الموقع يستطيع تكرار نفسه أمام عيون الأشخاص الحسّاسين بما يكفي ليلتقطوا الانطباعات الصورية فيه؟

على أي حال، إذا كانت ظاهرة الانزلاق الزمني تمثّل أحد أشكال الظواهر الشبحية، أي مجرّد صور هلامية غير مادية، فما هو التفسير الذي نوفّره للتجربة

المثيرة التي اختبرها السيّد "سكويرل" Squirrel الذي دخل في العام ١٩٧٣ إلى متجر مطبوعات في "يارموث" Yarmouth ليشتري بعض ظروف الرسائل؟ بعد دخوله المتجر، استقبلته امرأة بلباس يعود للعقد الأوّل من القرن (١٩٠٠)، ودفع ثمن الظروف العشرة بمبلغ "شيلن" واحد فقط! *(الشيلن يساوي جزء من عشرين من الجنيه الإسترليني)*. لاحظ بأن المبنى كان صامتاً بشكل كبير، أي لم يكن هناك أي صوت لازدحام السيارات. أثناء زيارة المتجر بعدها بثلاث أسابيع، وجد بأنه قد تغيّر تماماً، بحيث أصبح أكثر عصريةً. العاملة هناك، وهي امرأة كبيرة في السنّ، نكرت وجود أي عاملة في المتجر سواها قبل في الأسابيع الفائتة. بالرغم من أن ظروف الرسائل التي اشتراها أصيبت بالاهتراء السريع، لكن السيّد "سكويرل" تمكّن من تتبع أثر الشركة المصنّعة لها، والذين قالوا بأن هكذا ظروف لم تعد تُصنّع منذ أكثر من خمسة عشر سنة. إذا كانت هذه الحادثة تنتمي لظواهر المشاهد الشبحية، كيف يمكن لها أن تخلّف أثراً مادياً يمثّل دليل ملموس؟

".. غالباً ما يكون "الانزلاق الزمني" مصحوباً بمشاعر إحباط، استعجاب، وإحساس بالسكون المُطبق، وتكون هذه الحالات أعمق من العادي.."، هذا ما صرّح به الكاتب "أندرو مكنزي" Andrew MacKenzie في الكتاب الذي ألفه حول هذا الموضوع وهو بعنوان "مغامرات في الزمن: مواجهات مع الماضي" Adventures in Time: Encounters With the Past، مستنداً باستنتاجه هذا على ما استنبطه شخصياً من مقابلاته العديدة مع أشخاص اختبروا ظاهرة الانزلاق الزمني، بالإضافة إلى مراجع كلاسيكية تتمحور حول هذه الظاهرة مثل حادثة المرأتين الإنكليزيتين في قصر "فرساي".

ويضيف قائلاً محاولاً تفسير حادثة قصر "فرساي": *".. من المثير معرفة أنه في ١٠ آب ١٩٠١، وهو اليوم الذي اختبرت المرأتان تجربتهما المثيرة في فرساي، تم تسجيل حصول عواصف كهربائية فوق أوروبا وكان الغلاف الجوّي مشحوناً كهربائياً بشكل كثيف. هل يُمكن أن يكون هذا قد أدى إلى حصول تبديل في الحقل الوقتي المحلّي حول قصر فرساي؟.."*

ربما هناك ظاهرة طبيعية تستطيع في الظرف المناسب والمكان المناسب أن تجسّد ممراً مؤقتاً إلى مكان وزمان آخر. صحيح أن هذا يبدو سخيفاً أو خيالياً، لكن هذه الآلة الزمنية الطبيعية تستطيع إثبات حقائق عمليّة تفرض علينا إعادة النظر الجدّي في المفاهيم العصرية حول "الزمن". يبدو أن الماضي وحتى المستقبل أقرب إلينا مما نتوقعه بكثير، خصوصاً خلال اكتفاءنا بالاعتماد على النظريات والقوانين العلمية الحالية. من خلال الحالة العقلية المناسبة، والظروف الطبيعية المناسبة، يبدو أنه بالإمكان تحطيم حاجز الزمان والمكان الذي أبقى على الإنسان محبوساً في سجن ضيّق لفترة طويلة. يبدو أن فرصة الكشف عن كافة غوامض العالم والكون قد توفّرت أخيراً.

انتهى الاقتباس

إن ما اطلعتم عليه للتو هو مقالة تحتوي على عيّنة صغيرة من مئات الحوادث التي تُذكر بين الحين والآخر في المجلات وقد تم جمعها أكثر من مرّة في الكُتب أيضاً، وذلك في محاولة لدراستها بشكل جدّي وبعين علميّة مجرّدة. "تيم سوارتز" Tim Swartz هو مُخرج تلفزيوني حاصل على جائزة Emmy-Award، ومؤلّف كتب مثيرة مثل: "اليوميات المفقودة لنيكولا تيسلا" Lost Journals of Nikola Tesla، و"السفر عبر الزمن: كتاب إرشاد للمنتسبين" Time Travel: A How-To Insiders Guide، و"الانتقال اللحظي: من ستار تريك إلى نيكولا تيسلا" Teleportation: From Star Trek to Tesla. ويعمل "سوارتز" أيضاً كمحرّر لمجلّة المؤامرة Conspiracy Journal، وهو صاحب موقع إلكتروني شهير برسائله الإخبارية التي تتناول مواضيع المؤامرات، التقنيات السريّة، الظواهر الخارقة، وكل ما هو غريب وغير طبيعي.

من بين المجالات التي اهتمّ بها "سوارتز" أيضاً، والتي تناسب موضوع هذا الكتاب، هو ظاهرة الانتقال اللحظي بين مكانين، ويُشار إليها عموماً بالمصطلح "تيليبورتيشن" Teleportation. تناولها الباحثون بطريقتين مختلفتين، الأولى بمظهرها الطبيعي (أي حصولها تلقائياً)، والثانية توصفها كإحدى التقنيات الخارقة المعروفة جيداً في المشاريع السريّة. فيما يلي وصف مُقتضب وسريع يساهم في توضيح الفكرة.

الانتقال اللّحظي بين مكانين
Teleportation

المعنى التقني لمصطلح "الانتقال اللحظي بين مكانين" هو انتقال المادة من نقطة مكانية إلى أخرى، بشكل لحظي أو فوري، مهما كانت المسافة الفاصلة. يُشار إلى هذه العملية بالكلمة الإنكليزية "تيليبورتيشن" Teleportation وهي الكلمة ذاتها التي تُستخدم بشكل دائم في قصص وأفلام الخيال العلمي.

هذا المفهوم ليس حديث الولادة بل يعود تاريخه إلى أزمنة غابرة، حيث كان مألوفاً بشكل واسع في الأساطير والقصص الخرافية وحتى الفلسفات. فمثلاً، في قصة علاء الدين كان الجنّي قادراً على السفر بشكل لحظي من الصين إلى المغرب ثم يعود بنفس السرعة، كما يستطيع خلال العملية حمل قصر بكامله. وقد وردت عملية الانتقال هذه في القصص عبر اللجوء إلى أدوات سحرية مثل "طاقية الإخفاء"، وغيرها من أدوات. كما تم الإشارة إلى هذه الظاهرة في نصوص دينية وفلسفية، حيث تحدثت عنها تقاليد "كافيتزات هاديريش" Kefitzat Haderech اليهودية، ووردت بمفهوم "طيّ الأرض" في الفلسفة الإسلامية.

أما الشخصيات التاريخية التي تحدثت عنها المراجع بأنها تمتعت بقدرة الانتقال اللحظي من مكان إلى آخر فهي كثيرة جداً. وقد تعرفنا على بعض العيّنات من هذه النوعية من الأشخاص في الجزء الأوّل من مجموعة "من نحن" *(من الصورة الكبرى إلى الصورة الصغرى)*، حيث تحدثنا عن "ساي بابا" Sai Baba في الهند الذي يستطيع الاختفاء في موقع معيّن والظهور من جديد في موقع آخر، و"زهانغ باوتشينغ" Zhang Baosheng في الصين، وكذلك الحال مع الوسيط البرازيلي الشهير "كارمين ميرابللي" Carmine Mirabelli.

هذه ليست سوى عيّنة من الشخصيات الاستثنائية التي برزت عبر التاريخ في كافة الأمم والحضارات. وفق ما اطلعنا عليه عن هذا الموضوع، يبدو أن هناك نوعين

من الأشخاص الذين يتمتعون بهذه القدرة: الوسطاء الاستثنائيين (كالمذكورين في الفقرة السابقة)، والقديسين الأجلاء، الذين تزخر بهم الأدبيات الدينية حول العالم. النوع الأوّل وُلِد متمتعاً بهذه القدرة بالفطرة، بينما النوع الثاني طوّرها من خلال حياة الزهد والتنسّك. تحدثت في الأجزاء السابقة عن دور الزهد في رفع وتيرة الذبذبة، وهنا تتجلى هذه المعادلة بأبهى صورة.

أحد أهم القديسين الذين اشتهروا بهذه القدرة العجيبة، كان الراهب الأفريقي الأصل والمعروف باسم "سان مارتن دي بوريز" San Martin de Porres الذي عاش في القرن الخامس عشر ببلاد "البيرو" Peru في أمريكا الجنوبية. كان هذا الراهب الجليل زاهد جداً، وبلغت به درجة الزهد إلى جعله قادر على رفع وتيرة الذبذبة لديه بحيث تمكّنه من المرور عبر الجدران والأبواب المقفولة. كان ذائع الصيت في زمانه لدرجة أن الناس توافدت من كافة أرجاء البلاد لتشاهده يستعرض قدراته الاستثنائية.

بما أن العامِل الجوهري في العملية هو وتيرة الذبذبة، وليس سبب ماورائي، فهذا يعني أن أي شخص يستطيع الانتقال اللحظي من مكان إلى آخر، كما يستطيع أيضاً عبور الحواجز المادية كالجدران. هناك المزيد عن الذبذبة لاحقاً وعلاقتها الجوهرية بهذه الظاهرة.

أوّل من أوجد المصطلح اللاتيني "تيليبورتيشن" Teleportation هو الكاتب الأمريكي "تشارلز فورت" Charles Fort، وذلك من أجل وصف حالات "الاختفاء والظهور" الغريبة والمتجليّة في بعض الظواهر الاستثنائية. صاغ هذا المُصطلح من خلال وصل كلمتين: "تلي" tele (وهي كلمة إغريقية تعني "مسافة")، و"بورتيه" portare (وهي كلمة لاتينية تعني "انتقال"). أوّل ما استخدمها في الفصل الثاني من كتابه "لو" Lo المنشور في العام ١٩٣١. أورد "فورت" في الكتاب عدد كبير من الحالات والظواهر الاستثنائية التي عجز العلم عن تفسيرها، أهمها هي ظاهرة الانتقال اللحظي بين مكانين. وبعض هذه الحوادث أصبحت

مألوفة في الكتب والمجلات التي تتحدث عن الظواهر غير المألوفة، كاختفاء أشخاص من أمام منزلهم ليظهروا في مكان آخر يبعد آلاف الكيلومترات. أو قيادة أحدهم لسيارته على طريق سريع يوصل بين مدينتين، فيجد نفسه فجأة يقود سيارته على طريق آخر يبعد عن الأوّل مسافة بعيدة. يقول "فورت" في مقدمة الكتاب: *".. سوف أخصص معظم هذا الكتاب على دلائل تشير إلى وجود قوة ناقلة سوف أسميها Teleportation... سوف أتعرّض إلى الاتهام بخلق الأكاذيب، وابتداع القصص الملفّقة، وتسويق الخرافات. وبدرجة معيّنة قد أظن ذلك عن نفسي أيضاً. لكن بنفس الوقت، الأمر ليس كذلك. واجبي على أي حال هو تقديم المعطيات كما هي.."*

انتشر هذا المصطلح بشكل واسع في أدبيات الخيال العلمي، ومثّل تقنية محورية في المسلسل التلفزيوني الشهير "ستار ترك" Star Trek (تم عرضه لأوّل مرّة في العام ١٩٦٦). حيث كان أبطال المسلسل يصعدون إلى مصطبة فيها مجموعة من الدوائر الضوئية التي يقفون عليها، فيختفون ليظهروا في مكان آخر غالباً ما يكون في كوكب قريب من السفينة الفضائية.

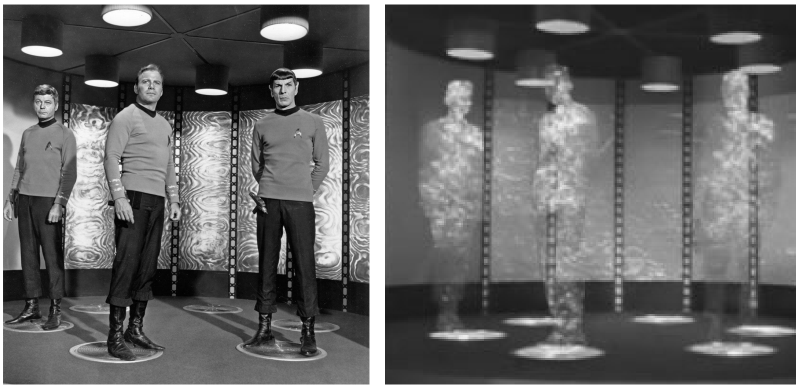

مصطبة "الانتقال اللحظي" في مسلسل "ستار تريك" التلفزيوني

وفق المفهوم العلمي التقليدي، قد تبدو هذه التقنية فائقة التعقيد، حيث مجرّد ما فكّر الفرد بالموضوع أوّل ما يشغله هو كيفية إجراء عملية المسح الدقيق والتفصيلي

للجسم ومحتوياته من أجل استنساخه بنفس الهيئة في الموقع الآخر.. وغيرها من مسائل تقنية شائكة. لكن في الحقيقة، هذه التعقيدات تبرز فقط إذا كنا نفكّر بطريقة ماديّة أو ميكانيكية بحتة، وهي الصيغة التي يتبعها العلم المنهجي عموماً. لكن إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر هولوغرافية سوف تبدو مهمة سهلة جداً. المشكلة التقنية الوحيدة التي سنواجهها في هذا التوجّه البديل هي "وتيرة الذبذبة" فقط، وما يرافقها من تأثيرات تتعلّق عموماً بظاهرة "الرنين"، وهذا ما سوف أشرحه لاحقاً، لكن قبل ذلك، علينا التعرّف على دلائل أخرى تشير إلى مدى سهولة العملية إذا فكّرنا بالمسألة وفق المفهوم الهولوغرافي.

أوّل ما وجب معرفته هو وجود عدد كبير من براءات الاختراع، المسجّلة بمعظمها في روسيا والولايات المتحدة، التي توصف تقنيات ووسائل لخلق هذه الظاهرة. والملفت هو أن جميعها تستند على مفاهيم غريبة عجيبة لا تمتّ للعلم المنهجي بأي صلة. لكي تكوّن صورة عن ما أقصده، إليك قصّة براءة الاختراع التالية (*مسجّلة في الولايات المتحدة برقم: US20060071122، وعنوانها: Full Body Teleportation System*) العائدة للمخترع "جون كوينسي سنت كلير" John Quincy St. Clair من "بورتو ريكو" Puerto Rico. الوصف التقني لاختراعه هو التالي:

منظومة نقل جسم كامل عبر مسافة

Full Body Teleportation System

".. هذا الاختراع هو عبارة عن منظومة تستطيع نقل الإنسان عبر "الفضاء الفوقي" hyperspace من موقع إلى آخر مستخدماً "موجات جاذبية نابضة" pulsed gravitational wave تتخلّل الفضاء الفوقي.."

كل من يألف نصوص براءات الاختراع وطريقة صياغتها لا بد من أنه اكتشف حقيقة أن المصطلحات العلمية الطنّانة التي يستخدمها المخترعون لا تمت بابتكارهم بأي صلة، لكنهم يحاولون دائماً استخدام هكذا مصطلحات علمية في

محاولة منهم تفسير الظاهرة بطريقة علمية سليمة، وذلك من أجل نيل قبول ومصادقة مكتب براءة الاختراع. أما المنظومة التي وصفها المخترع في نصّ براءة اختراعه، فهي على الشكل التالي:

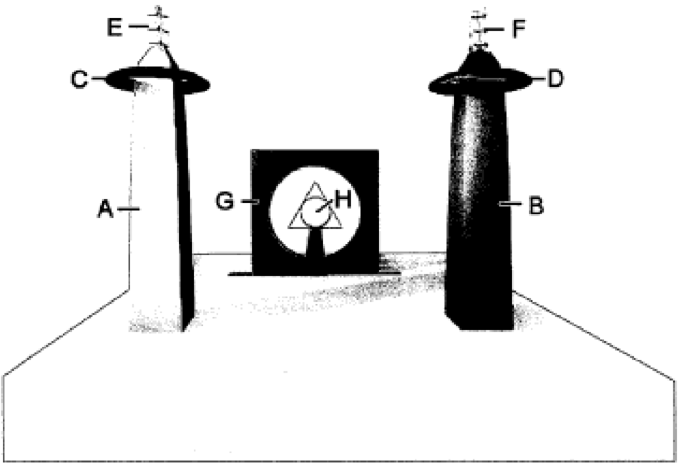

تصميم هندسي لمنظومة نقل الجسم عبر مسافة، وتتألف من: "جهاز توليد الدوامة المغناطيسية ثقب الدودية" magnetic vortex wormhole generator، و"مولّد الموجات الجاذبية العمودية" obelisk gravitational wave generator.

تتألف "منظومة نقل الجسم عبر مسافة" من عمودين من حجر الغرانيت (A,B) ومثبّت على قمّة كل منهما وشيعة كعكيّة للتوجيه الموجي (C,D) والتي تولّد الموجات الجاذبيّة النابضة (E,F) والتي بدورها تجري على طول العمودين. بين العمودين يتولّد موجة جاذبيّة مسطّحة تدخل إلى الثقب الدودي (H) الذي يتشكّل بدوره من مولّد الدوامة المغناطيسية (G) الذي يكون قريباً وبشكل متساوي من العمودين. هذه العملية تساهم في تضخيم الموجة بعامل 10^{13} عندما تدخل مجال الفضاء الفوقي... وهكذا إلى آخره. يتابع شرح العلمية بشكل مستفيض ومُعظمه غير مفهوم، ولا أعتقد أن ذكره مناسباً هنا. لكن الذي يهمّنا هو الحادثة التي ألهمته إلى هذا الاختراع والتي هي أكثر غرابة، وقد ذكرها كاملاً في نص براءة الاختراع. يروي المخترع قصّة اكتشافه لهذا التأثير الغريب على الشكل التالي:

خلفية الاختراع

استند هذا الابتكار على حادثة حصلت مع المخترع بتاريخ ٢ أيار ٢٠٠٤، والموصوفة صورياً (في الشكل التالي)، حيث اختبر شخصياً حالة انتقال لحظي بين مكانين خلال سيره في الشارع [B] متوجّهاً إلى موقف الباص [A]. وكان الشارع [B] متوجهاً بشكل عمودي مع مدرج مطار تجاري محلّي حيث تحطّ فيه وتنطلق منه الطائرات على الدوام. هناك شبك حديدي كبير [D] يغطي مصرف مائي ويقطع الشارع عند نقطة موقف الباص. كان الشبك الحديدي عريضاً لدرجة أن يضطرّ الفرد إلى بذل جهد للقفز فوقه من الجنب إلى الجنب.

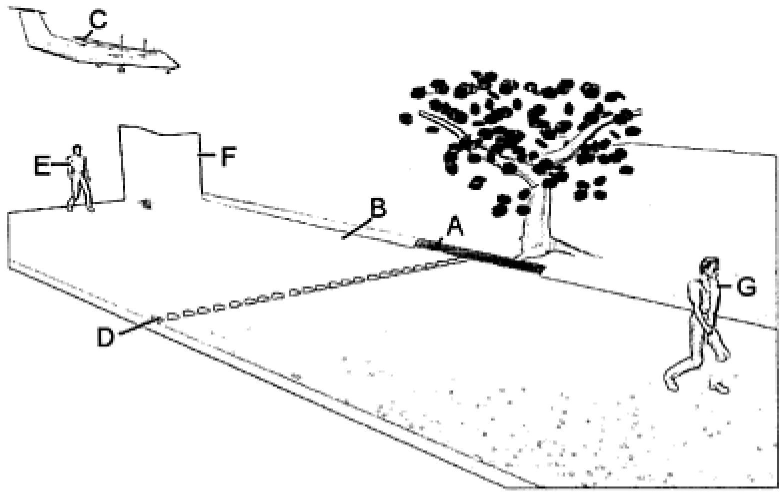

مشهد منظوري للموقع الذي حصل فيه الانتقال اللحظي

خلال سير المخترع [E] تجاه الشبك الحديدي وعلى بُعد ٥٠ متر تقريباً منه، شعر بموجة عمودية [F]، تشبه العلم الذي يرفرف في هبوب الريح، تسافر نزولاً باتجاه الشارع ونحو موقف الباص. كانت سرعة هذه الموجة حوالي ١ متر في الثانية، أي كانت أسرع من حركة سير المخترع [E]. خلال لمحة البصر، وجد المخترع نفسه يسير في نهاية الشارع عند التقاطع التالي [G]. بعد اكتشافه بأنه تجاوز موقف الباص، التفت إلى الوراء للنظر إلى شبك الحديد والذي أصبح خلفه على بُعد ٥٠ متر تقريباً. بسبب عدم تذكّره شيئاً عن تجاوزه شبك الحديد بشكل فعلي،

ولا تجاوز موقف الباص، أدرك بأنه قد انتقل لحظياً عبر مسافة ١٠٠ متر تقريباً، وذلك بفعل الموجة الموصوفة سابقاً. كان واضحاً أن الموجة كانت ذات طبيعة نابضة، لأن المخترع شعر بالدفعة الأولى خلال سيره على الشارع وسارت معه للحظة قبل أن تختفي لتأتي الدفعة الثانية. بعد حصول الانتقال اللحظي ونظره إلى الخلف باتجاه الشبك الحديدي، نظر إلى الأعلى ولمح مرور طائرة ثنائية المراوح [C] تطير بالقرب من الشارع خلال انخفاضها التدريجي من أجل الهبوط.

استغرق الأمر عدة أيام قبل أن يستوعب المخترع تسلسل الأحداث. وتفسير هذه الظاهرة يتطلّب إلمام واسع بمجالات تتعلّق بالفيزياء الجاذبية gravitation physics، فيزياء فضائية فوقية hyperspace physics، نظرية الثقب الدودي الكهرومغناطيسية wormhole electromagnetic theory وسلسلة من الاختبارات المرافقة، الفيزياء الكمومية quantum physics، وطبيعة حقل الطاقة الإنساني human energy field.

القصد من ذكر هذا الاختراع وموضوعه هو إثبات حقيقة أنه من أجل تجسيد ظاهرة الانتقال اللحظي بين مكانين الأمر لا يتطلّب كل تلك التعقيدات التقنية التي يتصوّرها الفرد، بل يكفي معرفة طريقة توليد تأثير موجي متذبذب ــ ذو طبيعة ومواصفات محددة ــ يؤدّي إلى حصول انحراف في عامِل "المكان". تذكر أننا نعيش في كون هولوغرافي. سوف نتعرّف لاحقاً على الكثير من الدلائل التي تشير إلى أننا غير مقيّدين بالمكان بنفس القدر الذي لا نتقيّد فيه بالزمان.

لكن بما أننا في صدد تقنيات الانتقال اللحظي، ومن أجل توضيح المسألة أكثر، لا يمكننا المرور على هذا الموضوع دون ذكر المخترع العظيم "نيكولا تيسلا" Nikola Tesla وإنجازاته العجيبة. يجدر العِلم بأن "تيسلا" هو أوّل من توصّل إلى تقنية مجدية لنقل الأشياء عبر مسافة، وكان ذلك قبل قرن مضى. وفي الحقيقة، التقنيات المُستخدمة في المشاريع السريّة تستند أساساً على الطريقة التي أوجدها هذا المخترع العظيم. دعونا نتعرّف على الفكرة الرئيسية من خلال الموضوع التالي.

نيكولا تيسلا

وتقنية نقل الأشياء الصلبة عبر الأسلاك

صحيح أن عنوان هذا الموضوع يثير السخط لدى البعض، خصوصاً الذين يجهلون بأنهم يجهلون ـــ المؤمنون بشكل أعمى بالمعلومات التي اكتسبوها في المدرسة ـــ لكن الحقيقة هي أن هذا ليس سوى غيض من فيض العجائب التقنية التي أنجزها هذا الرجل الفريد من نوعه.

نيكولا تيسلا، العملاق العلمي الذي رحل عن هذا العالم بصمت وبأقلّ ضجّة ممكنة، بالرغم من كونه صاحب الفضل الأوّل في تبديل وجهه الحضاري بالكامل. يا لها من مفارقة عجيبة، في الوقت الذي نادراً ما يتذكّر الناس هذا الاسم أو يتعرفوا عليه حتى، نجد أن كل مظهر من مظاهر حياتنا العصرية له جذوره في أحد الابتكارات التقنية التي أبدعها هذا الإنسان النادر. أكثر من ٧٠٠ براءة اختراع، وربما يتجاوز عددها الألف إذا أضيف إليها اختراعاته المقموعة، ساهمت في قلب عالمنا رأساً على عقب، إن كان من الناحية العلمية أو التقنية. كان يُحدث زلزالاً اكتشافياً في كل مجال علمي يُوجّه إليه اهتمامه. الطب، الزراعة، الجيولوجيا، الهندسة، اللاسلكي، الفضاء،.. إلى آخره. لكن مُعظم معجزاته تجلّت

بأروع حلّتها في مجال الكهرباء واللاسلكي وما تفرّع عنهما من مجالات أخرى لم نسمع عنها من قبل، أو بمعنى آخر، يصعب استيعابها بسهولة. من بينها نذكر مجالين يتعلقان بموضوع هذا الكتاب وهما: مجال السفر عبر الزمن، والانتقال اللحظي بين مكانين. نحن لا نتكلّم عن سحر أو أعمال تجاوزية، بل تكنولوجيا كهربائية صرف، كما سنرى لاحقاً. كان "تيسلا" يُعتبر قبل مئة عام أعظم مهندس كهربائي في التاريخ، لكنه في الحقيقة كان أكثر من مهندس، بل "ساحر" كهربائي بكل معنى الكلمة.

إذا شعرت بالاشمئزاز من الطريقة الجدّية التي أتناول بها هذا الموضوع، فأنت مُحقّ بذلك، والذنب ليس ذنبك في جميع الأحوال. فحتى أبرز العلماء والفيزيائين كانوا ولازالوا يعجزون عن استيعاب أفكاره ومبادئ ابتكاراته. حتى في أيامه، أي في أواخر القرن التاسع عشر، أي في زمن لازال فيه اعتماد الحضارة الإنسانية على الدواب التي تجرّ العربات، عندما كان "تيسلا" يتحدث عن أجهزة تلفزيون، وشبكة إنترنت، وأقمار صناعية، وغيرها من أفكار سابقة لزمانها، كان يتعرّض للسخرية والاستهزاء من قبل زملاءه العلماء وخصوصاً الصحافة. ماذا تتوقع أن يفعلوا عندما تكون هذه الأفكار متجاوزة لتفكيرهم بمستويات عديدة؟

حتى اليوم، في هذا العصر المتطوّر تقنياً وعلمياً، لازال الحديث عن تقنية "نقل الكهرباء لاسلكياً" يثير الدهشة والتعجّب لدى الناس، خصوصاً المثقفين والمتعلّمين منهم، والذين يستبعدون الفكرة على الفور. ماذا ستكون النتيجة برأيك إذا حدثتهم عن روائعه الأخرى التي أنجزها، مثل "السفر عبر الزمن" و"نقل الأشياء الصلبة عبر الأسلاك"؟

الآن أصبحنا نعلم لماذا تم إزالة هذا الرجل كلياً من تاريخ العلم الحديث وأدبياته. كانت عظمة إنجازاته تفوق كل الحدود لدرجة لا يمكن تحمّل ذكرها في المناهج المدرسية وعالم المعرفة "المحدودة" التي صاغها حكام العالم لتناسب مصالحهم الاقتصادية الضيّقة. جميع ابتكاراته كانت تمثّل معجزات تكنولوجية تفوق تحمّل

واستيعاب الإنسان العادي في القرن التاسع عشر. ومُعظم هذه التقنيات لازالت حتى الآن تفوق مستوى تحمّل إنسان القرن والواحد والعشرين. خلال الحديث في الجزء السابق عن التطويرات الميكانيكية التي أضيفت إلى تقنية السفر عبر الزمن في المشاريع السرية، كان الفضل الأوّل يعود إلى هذا المُخترع العبقري الذي ساهمت اختراعاته في تطوير قسم كبير من التقنيات الخارقة المُستخدمة في تلك الأوساط السريّة المظلمة.

بدأت اختراعات "تيسلا" تتخذ منحاً مختلفاً تماماً بعد اكتشافه، بالصدفة، لما أصبحت معروفة باسم "وشيعة تيسلا" Tesla Coil وتأثيراتها الكهروــ إشعاعيّة electro-radiant. هذا التأثير الجديد مكنه من إرسال الكهرباء لاسلكياً، وابتكار المدفع الإشعاعي المُستخدم الآن في المشاريع الفضائية. هذا بالإضافة إلى تقنية السفر عبر الزمن، وتقنية الانتقال اللحظي بين مكانين Teleportation.. وغيرها.. وغيرها من العجائب التقنية.

وشيعة تيسلا

تُعدّ وشيعة تيسلا من بين أكثر الأجهزة الكهربائية روعة وإثارة، بحيث يمكنها تحويل الطاقة الكهربائية العادية إلى وتيرة عالية جداً وبكميات هائلة من الجهود الكهربائية مع غياب كامل للأمبير (شدّة). وشيعة تيسلا هي عبارة عن محوّل ذو لبّ هوائي عالي التردد. يتلقى خرجاً كهربائياً من مصدر تيار متناوب ١٢٠ فولط، ماراً بمحوّل ودارة يخرج منهما التيار على شكل عدة كيلو فولطات، ثم يرفعه إلى

جهود كهربائية علية جداً. يمكن أن تصل قيمتها إلى ١٠٠٠,٠٠٠ فولت، فيتم تفريغها على شكل أقواس وشرارات كهربائية مذهلة. لقد استطاع تيسلا، من خلال استخدام وشيعة عملاقة، أن يولّد ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فولت، ولا أعتقد أن أحداً استطاع تحقيق هذا الإنجاز بعده. إن وشائع تيسلا فريدة من نوعها بحيث أنها الوحيدة التي يمكنها خلق مجالات كهربائية قوية جداً. ومن المعروف جيداً أن وشائع تيسلا الكبيرة الحجم تستطيع إنارة مصابيح الفلوريسنت لاسلكياً! عبر مسافة تتجاوز ٥٠ قدماً! ولأن هذا التيار اللاسلكي يدخل مباشرة إلى المصابيح وليس بحاجة إلى الأقطاب، فهذا يجعل المصابيح المحروقة تتوهّج وتضيء أيضاً.

ملاحظة: تحدثت عن هذه "الوشيعة" وطريقة اكتشافها وبناءها بالتفصيل في كتاب خاص بعنوان: "نيكولا تيسلا، الفصل المفقود من تاريخ الكهرباء".

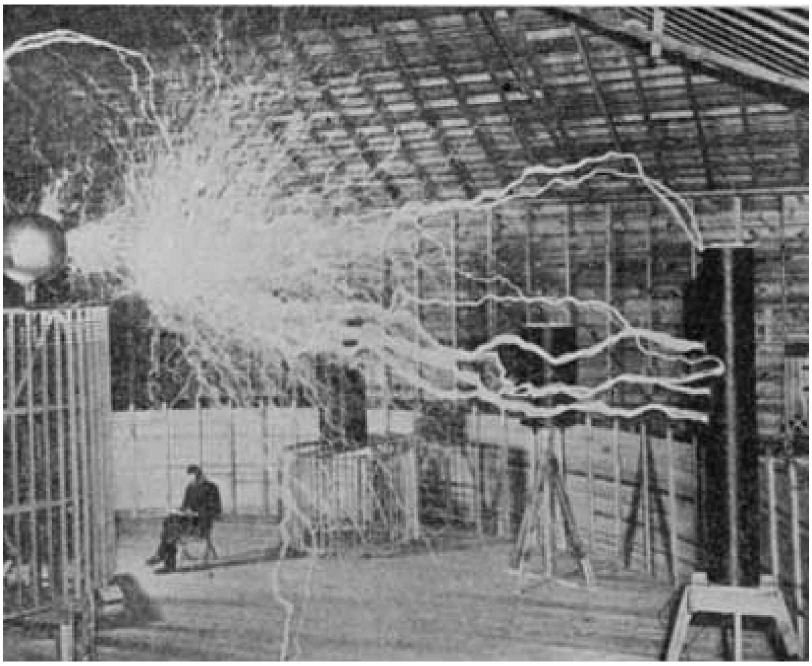

نيكولا تيسلا جالساً بجانب وشيعته العملاقة التي ولّدت مئة مليون فولط، لكن مع تيار (أمبير) بقيمة صفر! ولهذا السبب لم يُصاب بأذى.

لقد أثبت هذا المخترع العظيم، ومنذ بدايات القرن الماضي، بأنه عبر إحداث موجات صدمة بحيث تحرّك الطاقة الكامنة في الفراغ الأثيري المحيط بنا، يمكن إنتاج ما أصبحت معروفة بالطاقة المشعّة Radiant Energy. فقد اكتشف بأن النبضات الكهربائية أحادية الاتجاه والتي تفصل بينها سرعة خاطفة (أقل من ميلي ثانية) تسبب حصول موجات صدمة shockwaves في الوسيط الفراغي الذي تمرّ عبره. هذه الموجات الطاقية المشعّة مرّت من خلال كافة المواد، وإذا ضربت بأي جسم معدني، تولّد مباشرةً تيارات كهربائية بين الجسم المعدني والأرض. لقد استخدم تيسلا هذه الموجات لإنارة مصابيح كهربائية موصولة بصفيحة معدنية واحدة (أي قطب واحد فقط).

ليس من الضرورة أن تكون هذه المصابيح قريبة من مصدر موجات الطاقة الإشعاعية بل قد تبعد عنها مسافة بعيدة. وهذه الظاهرة بالذات هي التي مكنت تيسلا من ابتكار طريقة مجدية وعملية لإرسال الطاقة لاسلكياً! هذا المفهوم الذي لازال معظم المهندسين الكهربائيين اليوم يجهلونه وحتى يستبعدونه بالمطلق، رغم أن مواصفات هذه التقنية ذُكرت بالتفصيل في إحدى محاضراته التي أجريت أمام الجمعية الملكية Royal Society في لندن، شهر شباط من عام ١٨٩٢م. وفي نفس العام أكّد الكيميائي والفيزيائي الشهير "وليام كروكس" خلال إعلان رسمي بأن تيسلا قد اكتشف نوع جديد من القوة الكهربائية، وهنأه على هذا الإنجاز العظيم. كل ما على المتشككين فعله هو العودة إلى الأرشيفات العلمية.

من وجهة نظر تيسلا، فإن هذه الكهرباء المشعّة radiating electricity التي اكتشفها تتألف من تيار يجري عبر الفراغ space-flowing current وهو طبعاً ليس مؤلف من إلكترونات. والأيثر ليس مؤلفاً من إلكترونات. لكن هناك شيئاً ما في هذا الأيثر، يعمل على نقل شيء يبدو واضحاً بأنه شحنة. وقد أطلق تيسلا على هذا الشيء اسم الأيثر المتدفّق effusive aether. واكتشف بأن سرعة تفريغ هذا الأيثر المتدفّق، المشابه تماماً للكهرباء، تفوق سرعة الإلكترونات في أي وسيط خضع للتجربة، بما في ذلك الصمام الفراغي. قال تيسلا بأن اندفاعات هذا الأيثر

المتدفّق قد لوحظ وجودها في تقريغات كهربائية عادية، لكن جريان الأيثر يستطيع الانتقال عبر أي وسيط مهما كانت مادته. وعندما بنى أجهزة مُصممة خصيصاً من أجل منع مرور أي قوى كهرومغناطيسية عابرة، وجد بأن هكذا نوع من الدارات تعمل على تضخيم تدفّق جريان الأيثر. وقد أظهرت هذه الدارات الخاصة بأنها تمرر تياراً كهربائياً بقيمة صفر ZERO current (أي خالي تماماً من الأمبير)، لكن مع ذلك، كانت تنقل كميات هائلة من الطاقة وبجهود عالية جداً على شكل تفريغات كهروستاتية.

كانت أراء وقناعات تيسلا بخصوص الطاقة المشعّة، الأثير، الكهرباء، المغناطيسية، والطاقة الذرّية مناقضة تماماً للنظرة التي يتخذها المنهج العلمي الرسمي في هذه الأيام والتي يتم تلقينها اليوم في المؤسسات التعليمية. قام تيسلا بطرحها جانباً بعد أن أثبتت اختباراته العديدة واكتشافاته الجديدة عدم صحّتها وجدواها، وراح يطوّر تكنولوجيا خاصة لتوفير نوع من الطاقة النظيفة والآمنة وبكميات غير محدودة. لهذا السبب لازال العلماء المنهجيين يعتبرون أفكاره العلمية راديكالية وخارجة عن المنطق العلمي المستقيم. لقد أكّد على أن الطاقة المشعّة radiant energy تسافر بموجات طولية longitudinal waves، وبطريقة نابضة كما هو الحال مع الصوت المنتقل في وسط الغاز. كما أكّد على أن الأيثر موجود. وقال أن الطاقة التي يبدو ظاهرياً أنها تولد من المادة هي في الحقيقة تأتي من البيئة المحيطة بالمادة، أي من الأيثر الكامن في الفراغ. يشرح كيف أن الطاقة المشعّة ليس لها علاقة بتدفّق الإلكترونات، ويبدو أنه كان يشكّ بوجود الإلكترونات أصلاً.

الاكتشاف الثوري

تبيّن أن المفتاح الرئيسي لاكتشافه الجديد ــ أي الطاقة المشعّة radiant energy ــ هو تأثير "الرنين" resonance. من خلال توليف هذه المنظومة الكهربائية المشعّة على وتيرة تردد معيّن كان يحصل على ظاهرة كهربائية مختلفة تماماً. وأقصد بذلك "تكنولوجيا" مختلفة تماماً. أحد هذه التقنيات، وهي التي تهمّنا هنا، هي

تلك التي تنقل الأشياء الصلبة من مكان إلى آخر عبر أسلاك. لكن في طبيعة الحال، الأشياء لا تمرّ عبر الأسلاك فعلياً، بل تعتمد العملية على رفع وتيرة ذبذبة الشيء ثم نقل نمط هذه الوتيرة عبر الأسلاك إلى موقع آخر يتذبذب بوتيرة في حالة رنين مع الموقع الأوّل. أي كما طريقة إرسال الصوت عبر الأسلاك، حيث هناك جهاز استقبال وجهاز إرسال. لكن بدلاً من الصوت تم نقل الأشياء الصلبة!

قد يتساءل الفرد، ما علاقة وتيرة الذبذبة بانتقال الشيء من مكان إلى آخر؟ الجواب هو بسيط جداً ويمكن شرحه عبر تعداد مجموعة أفكار ومصطلحات علميّة: الطبيعة الهولوغرافية للكون، ظاهرة الرنين، ارتفاع وتيرة الذبذبة، ثنائي القطب، وأخيراً النظام "المستتر" Implicate أو المستوى "الكمومي" Quantum حيث كل شيء في الكون موصول ببعضه البعض. من أجل ربطها ببعضها وصولاً إلى صورة واضحة وقابلة للاستيعاب، سوف أرتّب هذه الأفكار بالتسلسل وبطريقة سهلة وبسيطة.

أحد المظاهر الرائعة التي اكتشفها "تيسلا" في هذه الطاقة المشعّة المنطلقة من "الوشيعة" هو قدرتها على التغلغل في الجسم كما الماء في قطعة الاسفنج. ومن المعروف جيداً أن "تيسلا" ابتكر عدد من الأجهزة التي تستثمر هذا المظهر لأغراض علاجيّة، وكان هو أوّل المستفيدين من هذا النوع من العلاج. كان جسمه يُغمر تماماً بهذه التيارات الكهربائية ذات الذبذبة القويّة والمنخفضة بما يكفي لتعجيل الشفاء وتسكين الألم. وقيل بأنه أصبح مع الوقت مدمناً على هذه الموجات العلاجية بحيث لا يستطيع البقاء دونها. والسبب هو أنها مثّلت العلاج الوحيد الذي يقيه من التأثيرات الجانبية الناتجة من بقاءه ساهراً مدة أيام بكاملها دون نوم وأحياناً دون طعام. هذه كانت ميزته المعهودة، خصوصاً عندما كان ينشغل بأحد الابتكارات الجديدة. والمعروف أيضاً أن "تيسلا" سوّق هذه التقنية على شكل جهاز "كهروعلاجي". لكن الذي يهمنا من هذا الموضوع هو أن "تيسلا" نجح في اكتشاف وسيلة مجدية وآمنة لرفع وتيرة ذبذبة الجسم بحيث تتردّد بدرجات عالية. وبكل تأكيد، لا بدّ من أنه أدرك مضامين هذه الحالة إذا زاد من وتيرة ذبذبة الطاقة ثم

سلّطها على الأشياء الجامدة، كإبريق معدني مثلاً، والذي يُغمر بهذه الطاقة المتسرّبة فيه حتى على المستوى الذرّي.

خلاصة الكلام هي أن الأشياء الصلبة، بما أنها مؤلّفة جوهرياً من طاقة (وهذا ما يسلّم به العلم اليوم)، فإن تعرّضها لهذا النوع من الطاقة الكهربائية المشعّة عالية الوتيرة سوف ترفع من وتيرة ذبذبتها. فمثلاً، إن غمر إبريق وسط موجات ذبذبية عالية الوتيرة سوف يؤدي إلى ارتفاع ذبذبة بنيته الذرية. وكلما ارتفعت الوتيرة كلما اقترب الإبريق إلى الصيغة الطاقية بدلاً من المادية. نشير إلى هذه الحالة وفق المفهوم الهولوغرافي بـــ"اقتراب الشيء من النظام المستتر". وحسبما علمنا من النظرية الهولوغرافية، كلما اقترب الشيء إلى النظام المستتر كلما تحرّر من القيود الزمانية والمكانية. أي بمعنى آخر، كلما ارتفعت وتيرة ذبذبة الشيء، كلما أصبح معرّضاً للتغيير "الزمكاني" في المسرح الكوني.

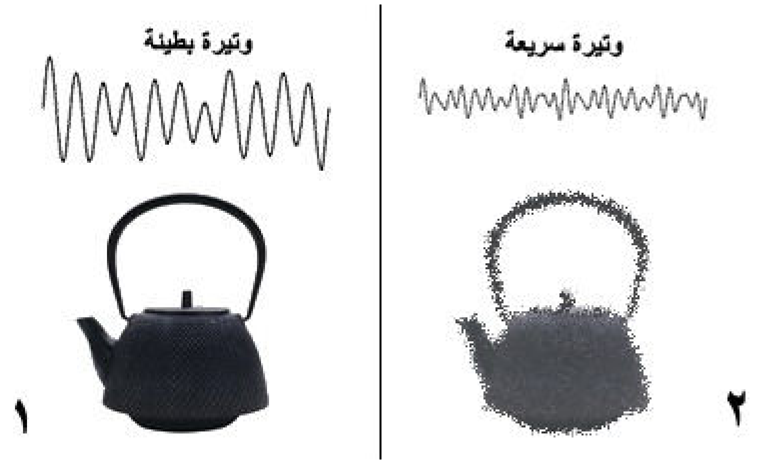

كافة الأشياء الصلبة من حولنا هي في هذه الحالة لأنها تتذبذب بوتيرة بطيئة [١]. لكن مجرّد أن تسارعت وتيرتها الذبذبية [٢]، سوف تميل إلى الاختفاء من مستوى الوجود المادي الصلب.

بعد التعرّف على الحقيقة السابقة، حان دور الحقيقة التالية التي هي أكثر روعة. لقد استطاع "تيسلا" أكثر من مرّة استعراض قدرته على فصل موجة متذبذبة إلى "ثنائي قطب"، أي إلى موجتين منفصلتين لكن كل منهما تتمتع بقطبية معاكسة للأخرى. هذه العملية ليست معقّدة كما تبدو، خصوصاً بعد التعرّف على الشرح البسيط التالي:

ــ الموجة في الحقيقة هي عبارة عن عملية صعود وهبوط للطاقة المتذبذبة. أي يمكن التعبير عنها من خلال الشكل التالي.

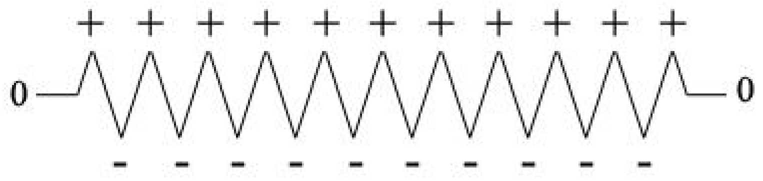

ــ من أجل فصل الموجة إلى قطبين متعاكسين، علينا التعرّف على الأقسام الثلاثة التي تتألف منها: [١] مستوى صفر (نقطة عدم)، [٢] قسم الصعود مُمثّل بالإشارة [+]، و[٣] قسم الهبوط مُمثّل بالإشارة [−].

موجة صعود

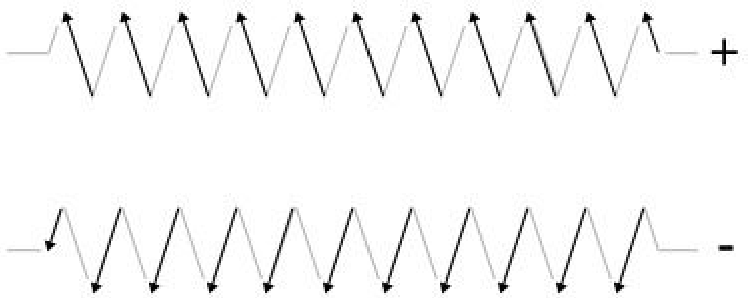

موجة هبوط

ــ استطاع تيسلا فصل قطبية الموجة المتذبذبة إلى نمطين مختلفين من الموجات النابضة، الأولى موجة صعود (نبضة دفع)، والثانية موجة هبوط (نبضة سحب). كما هو مبيّن في الشكل السابق.

ــ صحيح أن الموجتين متعاكستين قطبياً لكنهما تبقيا متطابقتين من حيث وتيرة التردد، وهذا يعني إمكانية خلق حالة رنين متناغم بينهما، لكن المفعول المتناغم الذي يتجسّد بين الطرفين هو مفعول "دفع/سحب".

بعد التعرّف على الحقائق السابقة أصبح ممكناً الآن معرفة دورها في تقنية "نقل الأشياء عبر الأسلاك" التي توصّل "تيسلا" إلى ابتكارها. المنظومة التي صممها تشبه إلى حد بعيد ما هو مبيّن في الشكل التالي.

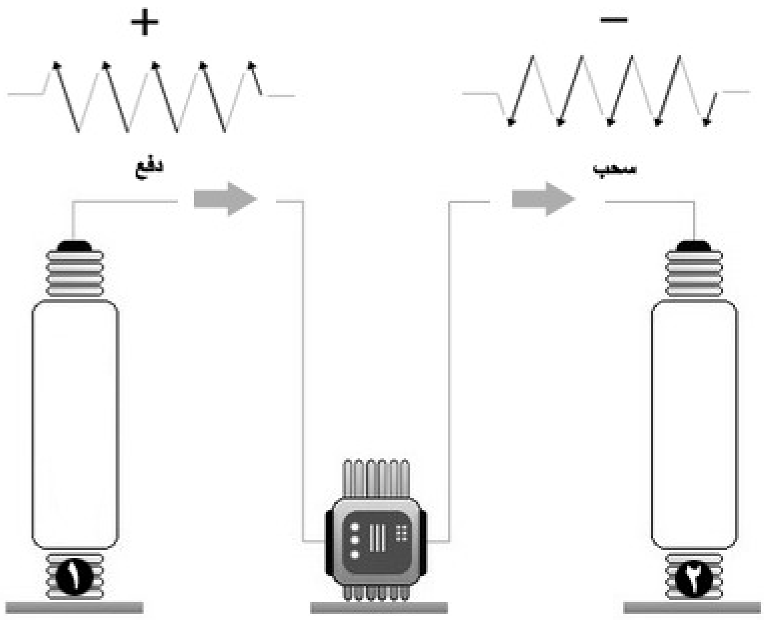

عبارة عن كوّتين [١] و[٢] موصولتان ببعضهما عن طريق جهاز مؤلف من منظومة توليد موجتين متعاكستين قطبياً لكنهما متطابقتان بنفس وتيرة التردد. أي بمعنى آخر، صُممت هذه الدارة بطريقة تجعل الكوّة [١] تمثّل بؤرة لتجلّي موجة دفع نابضة، والكوّة [٢] تمثّل بؤرة لتجلي موجة سحب نابضة. ويتم التحكّم بمستوى وتيرة الموجتين (ارتفاع أو انخفاض) حسب الطلب، لكن تبقى موجات الكوتين متطابقة ذبذبياً في جميع الأحوال، وذلك من أجل المحافظة على حالة الرنين بينهما. فيما يلي شرح العملية عبر مراحل متسلسلة:

مراحل انتقال الشيء بين مكانين عبر أسلاك

وضع الإبريق في الكوّة [١].	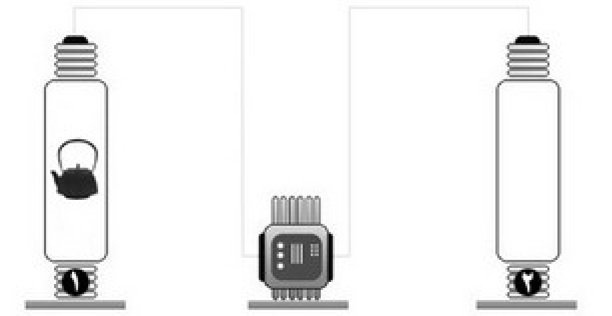
غمر الإبريق بموجات كهربائية ذات جهد ووتيرة عالية. فترتفع ذبذبته الذريّة. (اقتراب من النظام المستتر)	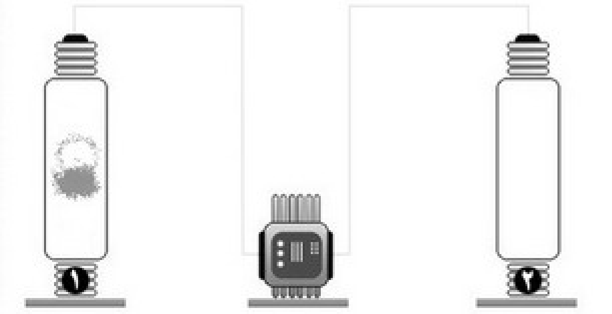
يتم استنساخ النمط الذبذبي للوتيرة المتشكّلة، ثم خلقه ذبذبياً في الكوّة [٢] لكن بقطبية معاكسة (موجة سحب).	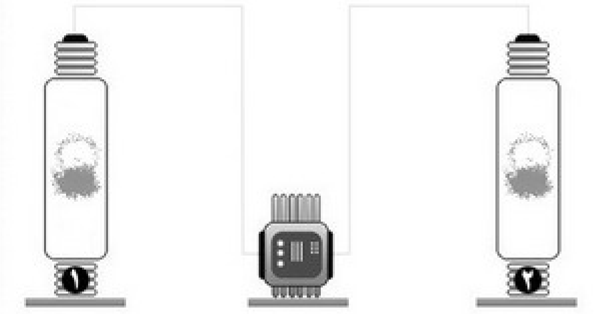
بفعل تأثير الرنين بين الموجتين المتعاكستين قطبياً (دفع وسحب)، تتشكّل الظروف الذبذبية المناسبة لتجسيد الإبريق في الكوة [٢].	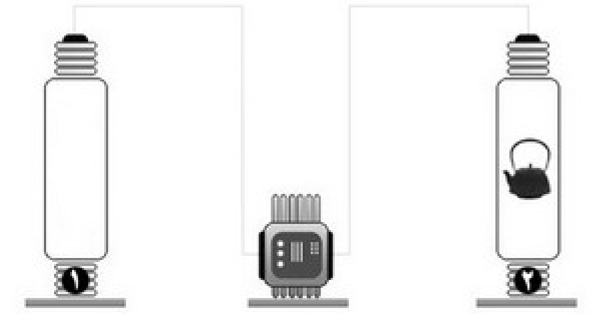

هذا ليس سحر، بل تقنية كهربائية تستثمر ــ ببراعة فائقة ــ الطبيعة الهولوغرافية للكون. إذا أردنا وصف هذه التقنية مستخدمين المفاهيم العلمية المنهجية سوف لن نصل إلى أي نتيجة مجدية. إذاً، الفضل الأوّل لنجاح هذه التقنية (البسيطة مبدئياً) لا يعود إلى تعقيدها الفائق، بل إلى الطبيعة الهولوغرافية للكون.

كانت اختبارات تيسلا على اكتشافه الجديد تتخذ مظهر بدائي بالمقارنة مع التقنية القائمة اليوم في المشاريع السريّة. كانت في البداية مجرّد كوّتين موصولتان سلكياً. بالإضافة إلى نقطة مهمّة وجب ذكرها هنا. نجح تيسلا في نقل الأشياء الجامدة فقط، أي تلك المجرّدة من "الحياة"، بينما تجاربه فشلت تماماً وبشكل مأساوي على الكائنات الحيّة. يعود سبب ذلك إلى أن تيسلا كان تقنياً وليس روحانياً وبالتالي ليس له أي إلمام بالمجال الروحي أو التجاوزي. لكن بعد تطوير التقنية لاحقاً بدأ الاهتمام بالشاكرات والمراكز الطاقية الأخرى للكائنات الحية عموماً والإنسان خصوصاً فنجحوا أخيراً في تطوير التقنية وإيصالها إلى حد الكمال. أصبحت تعمل لاسلكياً، وتستطيع نقل الإنسان من موقعه الحالي إلى أي موقع في العالم، أو حتى الكون. قد تكون الطريقة المُطوّرة مشابهة تماماً لتلك التي نراها في المسلسل التلفزيوني "ستار تريك".

في سنواته الأخيرة، كان "تيسلا" مفتوناً بفكرة تجلّي "الضوء" بشكليه المختلفين، موجة أو جزيء، وهذه تُعتبر من الأفكار الرئيسية التي تشكّل أساس الفيزياء الكموميّة quantum physics. بالإضافة إلى التقنية الموصوفة في الصفحات السابقة، خرج "تيسلا" للعالم بطيف من الابتكارات العجيبة مثل "المدفع الإشعاعي القاتل" (ويُستخدم اليوم في تكنولوجيا حرب النجوم)، والأهم من ذلك، تقنية خلق "جدار الضوء" wall of light، وذلك من خلال التحكّم بالموجات الكهرومغناطيسية بطريقة معيّنة، مما يمكّنه من تغيير الحالة الزمنية، المكانية، والجاذبية للمادة المستهدفة. هذا "الجدار الضوئي" هو ذاته الذي استُخدم في "تجربة فيلاديلفيا" Philadelphia Experiment الشهيرة، والتي قيل بأنها سببت سفينة حربية أن تختفي تماماً للحظات وظهورها في موقع زماني ومكاني آخر.

"الجدار الضوئي" كما يصوّرونه في أفلام الخيال العلمي.
عبارة عن حاجز ضوئي رقيق كلوح الزجاج، لكنه يُحدث تغييراً زمكانياً في الأشياء التي تخترقه، بما في ذلك الإنسان.
هذا ما وصفه تيسلا خلال الحديث عن التقنية التي ابتكرها قبل مئة عام.

على أي حال، إن الإسهاب في الحديث عن هذه التقنيّات يعيدنا إلى مشكلة الخيال العلمي والمواضيع غير الجدّيّة، لكن يكفي أن نعلم بأنه في كون هولوغرافي متعدد الأبعاد، حيث يكون العالم مجرد مجموعة من الأنماط الذبذبية المختلفة، لم تعُد هذه التقنيات مستحيلة إطلاقاً. لكن مع ذلك، سوف نخفّف العيار قليلاً ونعود إلى مستوى قابل للهضم والاستيعاب. سنستقرّ في حديثنا على الجانب العقلي/التجاوزي من الموضوع، أي الحديث عن الطبيعة الهولوغرافية للكون وآلية تفاعله مع العقل البشري. سنفعل ذلك من خلال الاطلاع على ما يقوله "مايكل تالبوت" في كتابه: "الكون الهولوغرافي" Holographic Universe.

وحدة الزمان والمكان

اقتباس من كتاب "الكون الهولوغرافي" Holographic Universe لمؤلفه "مايكل تالبوت" Michael Talbot.

".. لقد اكتسبت الشامانية ومجالات مشابهة أخرى أهمية كبيرة لأنها تقترح أفكار جديدة حول العقل والروح. يتكلمون عن أشياء مثل التوسّع المفرط لمملكة الوعي.. بالإضافة إلى العقيدة، والمعرفة، وحتى التجربة العملية القائلة بأن عالمنا المادي الملموس هو مجرّد وهم، عالم من الظلال، والأداة ثلاثية الأبعاد التي نسميها "جسد" تخدم فقط كحاويات أو مهاجع لشيء أكثر عظمة وأكثر شمولية من الجسد ذاته، والذي يتألف من البرماج المعلوماتي matrix للحياة الحقيقية.."

"هولغر كهفيت" Holger Kahveit

في كتابه "زمن الحلم والفضاء الداخلي"
Dreamtime and Inner Space

الطبيعة اللامكانية للعقل

".. إن منزل العقل، كما أنه منزل كل شيء آخر، هو النظام المستتر implicate order. في هذا المستوى، الذي هو الجوهر الوفير لكل الكون المتجسّد، ليس هناك زمن خطّي متسلسل. الحقل المستتر هو غير متأثر بعامل الزمن. اللحظات فيه ليست متسلسلة كما حبات الخرز المصفوفة بالتتابع في الخيط.."

"لاري دوسي" Larry Dossey

بينما حدّق الرجل إلى الفراغ أمامه، الغرفة التي كان واقف فيها أصبحت شبحية وشفافة، وتجسّد مكانها مشهد من الماضي البعيد. فجأة أصبح واقفاً في فناء أحد القصور ذات الهندسة القديمة، وأمامه وقفت امرأة شابة، لونها زيتوني وهي جميلة جداً.

استطاع رؤية مجوهراتها الذهبية حول رقبتها، معصميها، وكاحليها، وكذلك ثوبها نصف الشفاف، وشعرها المحبوك المتدلي على ظهرها مع الإكليل المربّع الطويل على قمة رأسها. خلال نظره إليها، راحت المعلومات المتعلقة بها تتدفّق إلى ذهنه بغزارة. عرف أنها مصرية، ابنة أمير، لكن ليس الفرعون. كانت متزوجة. كان زوجها نحيل ومزيّناً شعره بعدد من الضفائر الصغيرة المتدلية على جانبي وجهه.

يستطيع الرجل أن يجعل المشاهد تتسارع للأمام، يعجّل عبر الأحداث المتابعة في حياة المرأة كما لو أنه يسرّع فيلم فيديو إلى الأمام. رأى كيف ماتت خلال مخاض الولادة. لقد راقب الخطوات التفصيلية الطويلة والمملّة المتبعة أثناء تحنيطها، كما راقب موكب جنازتها، والطقوس التي رافقت وضعها في الناووس الحجري، وعند انتهاءه، تلاشت الصور والمشاهد وعادت جدران الغرفة إلى الظهور أمامه من جديد.

اسم هذا الرجل هو "ستيفان أوسويكي" Stefan Ossowiecki، الروسي/البولندي، وهو أشهر المستبصرين في العالم المعاصر. وتاريخ هذه المناسبة الموصوفة سابقاً كان ١٤ شباط ١٩٥٥م. لقد استحضر الماضي أمام عينيه بعد أن حمل بيده قطعة من قدم إنسانية متحجّرة. لقد أثبت "أوسويكي" مهارة عجيبة في "السايكومتري" psychometry (هي القدرة على استخلاص معلومات من غرض معيّن بعد حمله في اليد، وهذه المعلومات تتعلّق بصاحب الغرض)، وخصوصاً خلال استثمار هذه القدرة في علم الآثار. وهذا ما جعله يلتقي منذ البداية بالبروفيسور "ستانيسلاو بونياتوسكي" Stanislaw Poniatowski، من جامعة "وارسو"، وهو أبرز علماء الأعراق البشرية في بولندا.

لقد قام "بونياتوسكي" بإخضاع "أوسويكي" إلى عدد كبير من الاختبارات من خلال تحميله أدوات صوانية وحجرية أخرى مجلوبة من مواقع أثرية مختلفة حول العالم. معظم هذه القطع الأثرية كانت مشوّهة وعديمة المعنى ظاهرياً لدرجة أنه فقط عين الخبير تستطيع معرفة أنها أجزاء مكسورة من مصنوعات إنسانية. بالإضافة إلى أن تلك القطع التي استخدمها البروفيسور في اختبار "أوسويكي" كانت هويتها محددة مسبقاً بحيث علم بها البروفيسور لكنه حجب المعلومات عن المستبصر الموهوب عبر إجراءات احترازية معيّنة.

لكن كل تلك الإجراءات المظللة لم تنفع. مرّة بعد مرّة استطاع "أوسويكي" أن يحدد هوية كل قطعة بشكل صحيح، واصفاً عمرها، استخداماتها، الثقافة التي تنتمي إليها، المواقع الجغرافية لمكان اكتشافها.. إلى آخره. في مناسبات عدّة، كانت المعلومات التي يقدمها "أوسويكي" مخالفة تماماً لما كتبه البروفيسور في دراساته عن هذه القطع الأثرية، لكن في كل مرّة يتبيّن أن البروفيسور هو المخطئ دائماً، وليس معلومات المستبصر.

كان أسلوب العمل الذي اتبعه "أوسويكي" هو ذاته. يحمل القطعة أو الغرض في يده ثم يركّز، بعد فترة من هدوء النفس، تتحوّل الغرفة التي هو فيها، وحتى

جسمه، إلى غيمة ضبابية إلى حد التلاشي. بعد هذه المرحلة من التحوّل في الحالة الإدراكية لـــ"أوسويكي"، يجد نفسه أمام فيلم سينمائي ثلاثي الأبعاد يصوّر ماضي القطعة التي في يده. يستطيع حينها الانتقال إلى أي مكان يريده في هذا المشهد ثلاثي الأبعاد ورؤية أي شيء يريده. خلال تحديقه إلى الماضي بهذه الطريقة، كان "أوسويكي" يصوّب عينيه للأمام والخلف في المشهد خلال وصفه لما يراه، أي يبدو وكأن تلك الأشياء لها أبعاد فيزيائية حقيقية أمامه.

يستطيع رؤية المزروعات، الناس، والمنازل التي سكنوها. وفي إحدى المناسبات، بعد حمل أحد الحجارة في يده، ويعود الحجر للحضارة المادلينية، وهي مجموعات بشرية تنتمي (حسب رأي العلم) إلى العصر الحجري، ازدهرت في فرنسا حوالي ١٠ إلى ١٥ ألف سنة قبل الميلاد. قال "أوسويكي" للبروفيسور "بونياتوسكي" بأن النساء في هذه الحضارة كان لديهنّ الكثير من موديلات الشعر المعقّدة. وفق المنطق العلمي السائد بخصوص ذلك الوقت كانت تُعتبر هذه المعلومة غير منطقية. لكن مرّة أخرى، وبعد اكتشافات أثرية حديثة، تبيّن أن المستبصر كان على حقّ، حيث كان سكان ذلك العصر الحجري السحيق متطورون فنياً وعرفت النساء الكثير من الزينة الفنية المعقدة لشعرهنّ.

على مدى الاختبارات المتعددة، قدم "أوسويكي" أكثر من مئة معلومة من هذا النوع. تفاصيل مختلفة عن الماضي، بدت في البداية غير دقيقة، لكن أثبتت صحتها لاحقاً. قال بأن سكان العصر الحجري استخدموا الفوانيس الزيتية، وهذا ما تم التحقق منه لاحقاً بعد الاكتشافات الأثرية في "دور غون" بفرنسا، حيث تم نبش فوانيس زيتية بنفس الحجم والشكل الذي وصفه "أوسويكي" دون أن يصدقه أحد في البداية. وهناك أمر آخر لم يصدقه أحد حتى الآن، وهو أن هذه الشعوب التي عاشت في ما يزعم العلم بأنه "عصر حجري" انحدرت من أسلاف متطورين شيّدوا حضارة أكثر عظمة وروعة من حضارة العصر الحالي! على أي حال، فقد رسم صوراً مفصّلة لحيوانات مختلفة اصطادتها شعوب تلك الفترة، كما وصف

نوع الأكواخ التي سكنتها، وكذلك شعائر الدفن لديهم، وجميعها تم التأكد من صحتها لاحقاً.

إن عمل البروفيسور "بونياتوسكي" مع المستبصر "أوسويكي" فريد من نوعه. "نورمان أمرسون" Norman Emerson، بروفيسور آخر في علم لأثروبولوجيا في جامعة "تورنتو" ونائب رئيس رابطة علم الآثار بكندا، استخدم أيضاً المستبصرين في مجال علم الآثار. وقد تمركزت أبحاث "أمرسون" حول مستبصر قدير لكنه يعمل في حياته المهنية كسائق شاحنة ويُسمى "جورج مكمولِن" George McMullen.

مثل "أوسويكي"، كان لــ"مكمولِن" مهارة كبيرة في "السايكومتري" واستخدم الأشياء التي يحملها بيده من أجل استحضار مشاهد من الماضي. يستطيع "مكمولِن" أيضاً أن يستحضر الماضي من خلال زيارة الموقع الأثري شخصياً. عندما يقف وسط الموقع، يبدأ بتوليف عقله من أجل استحضار الزمن التاريخي المحدد الذي يريده عن هذا الموقع. ثم يبدأ بوصف الناس والثقافة التي ازدهرت يوماً في هذا المكان. في إحدى المناسبات المشابهة راح "أمرسون" يراقب "مكمولِن" وهو واقف فوق رقعة من الأرض الجرداء، ويستخلص منها معلومات تتحدث عن أن الموقع كان أحد البيوت الطويلة التقليدية لهنود "الأوروكويس" Iroquois. حدد "أمرسون" المنطقة بأوتاد المسح الهندسي وبعد ستة شهور نبشوا من هناك بناء أثري بنفس الموقع الذي حدده "مكمولِن".

بالرغم من أن "أمرسون" بدأ في هذا المجال كمتشكّك، لكن عمله مع "مكمولِن" دفعه عنوة إلى أن يصبح مؤمن بهذه الأمور. في العام ١٩٧٣م، في المؤتمر السنوي لأبرز علماء الآثار في كندا، اعترف يقول: *".. أعترف بقناعاتي لأنني تلقيت معلومات حول قطع ومواقع أثرية من أحد المستبصرين الذي قدم لي هذه المعلومات دون أي دلائل مسبقة ولا اللجوء إلى أي وسيلة عقلانية أو استنتاج منطقي يعتمد على العقل الواعي.."*

كما اعترف في خطابه بأنه يشعر أن استعراضات "مكمولِن" فتحت آفاق جديدة تماماً في علم الآثار، وأصبح من الواجب إدخال استخدام المستبصرين إلى مجال علم الآثار، والتشديد على جعلها أولويّة ملحّة.

وبالفعل، فإن قدرة بعض الأشخاص على تركيز انتباههم ومن ثم التحديق إلى الماضي، تم تأكيدها بشكل متكرر من قبل العديد من الباحثين. في سلسلة من الاختبارات التي أجريت في الستينات من القرن الماضي، وجد كل من "و.هـ.س. تنهايف" W. H. C. Tenhaeff، مدير معهد الباراسيكولوجيا في ولاية "أوتريخت" (هولندا)، و"ماريوس فالكهوف" Marius Valkhoff، عميد كلية الفنون في جامعة "وتواترساند" في جوهانسبورغ، جنوب أفريقيا، بأن الوسيط الهولندي الشهير "جيرارد كرواسيت" Gerard Croiset يستطيع أن يوصف الماضي بدقة كبيرة من خلال حمل قطعة أثرية صغيرة جداً بيده.

الدكتور "لورانس ليشان" Lawrence LeShan، وهو عالِم نفس من نيويورك، وكان متشكّك في الماضي قبل أن يتحوّل إلى مؤمن، أجرى تجارب مماثلة على الوسيطة الأمريكية الشهيرة "إلين غاريت" Eileen Garrett.

في الاجتماع السنوي للرابطة الأنثروبولوجية (عام ١٩٦١م)، كشف عالِم الآثار "كلارنس.و. ويانت" Clarence W. Weiant بأنه لم يكن يستطيع تحقيق اكتشافه الأثري الكبير في "تريس زابونس" Tres Zapotes (يُعتبر عالمياً أهم الاكتشافات الأثرية فيأمريكا الوسطى) لولا مساعدة أحد المستبصرين.

"ستيفان.أ. شوارتز" Stephan A. Schwartz، أحد أفراد فريق تحرير مجلة "ناشونال جيوغرافيك" الشهيرة، وعضو فريق معهد ماساشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology للبحث في التطوير والتكنولوجيا والمجتمع، يعتقد بأن الإستبصار الاسترجاعي (العودة بالزمن للماضي) هو ليس

حقيقي فحسب، بل سوف يساهم في عملية التغيير في الواقع العلمي بنفس القوة التي ساهمت فيها اكتشافات "كوبرنيكوس" و"داروين".

يشعر "شوارتز" بقوة حول هذا الموضوع لدرجة أنه كتب عن تاريخ واسع وغني عن الشراكة بين علماء الآثار والمستبصرين، ونشرها في كتاب رائع بعنوان "أقبية الزمن السريّة" The Secret Vaults of Time. يقول "شوارتز": *".. لمدة ثلاث أرباع القرن، كانت الشراكة بين علم الآثار والاستبصار تمثّل واقعاً فعلياً تمخضّت عنه اكتشافات عظيمة... هذا التقارب فعل الكثير من خلال استعراض حقيقة أن إطار المكان/الزمان الذي يعتبره العلم المنهجي ثابتاً هو في الحقيقة قابل للاختراق والتطويع والاستثمار.."*

الماضي بصفته هولوغرام

هكذا قدرات تفترض بأن الماضي ليس مفقود كما نعتقد، بل لازال موجود بشكل معيّن بحيث يجعله قابل للوصول من قبل الإدراك الإنساني. إن نظرتنا التقليدية للكون لا تسمح باستيعاب هذه الحقيقة بسهولة، لكن النموذج الهولوغرافي يفعل ذلك. إن فكرة "بوهم"، القائلة بأن جريان الزمن هو ناتج من سلسلة مستمرة من "التجلّي" ز"الانطواء"، تفترض بأن الحاضر ينطوي ويصبح جزءاً من الماضي، أي أنه لا يزول تماماً، بل يعود إلى مخزن الذاكرة الكونية القابع في النظام "المستتر" implicate. أو كما يعبر عنها "بوهم" بكلماته: *".. الماضي لازال فاعلاً في الحاضر بصفته نوع من النظام المستتر.."*

إذا كان الوعي، حسبما اقترح "بوهم"، لديه مصدره الخاص من النظام المستتر، هذا يعني أن العقل البشري والسجّل الهولوغرافي للماضي هما موجودان مسبقاً في الحقل ذاته، أي بمعنى آخر، هما جاران يألفان بعضهما البعض. وبالتالي، إن مجرّد تغيير صغير في تركيز الانتباه هو كل ما يتطلّبه الأمر للنفاذ إلى الماضي.

إذاً، مجرّد انحراف صغير في تركيز انتباه الفرد هو كل ما يحتاجه للتواصل مع الماضي. والمستبصرين مثل "مكمولِن" و"أوسويكي" قد يملكون ببساطة هذه المهارة الفطرية الداخلية التي تمكنهم من إحداث هذا التغيير، لكن أأكّد مرّة أخرى، كما الحال مع ذلك الطيف الواسع من القدرات الاستثنائية التي تعرّفنا على بعضها حتى الآن، الفكرة النظرية تفترض أن هذه الموهبة موجودة في كل شخص منّا.

يمكن إيجاد مثال على طريقة تخزين الماضي في "النظام المستتر" من خلال النظر إلى الهولوغرام أيضاً. إذا كانت كل مرحلة من أي نشاط.. دعونا نقول مثلاً امرأة تنفخ فقاعة صابون.. مسجّلة على شكل سلسلة متتابعة من الصور في هولوغرام متعدد الصور، وكل صورة تتحوّل إلى إطار قائم بذاته (كما الحال مع الفيلم الرقمي، حيث خلال عرض إطارات الصور بالتتالي تخدعنا عيوننا بأننا نرى حركة حقيقية للمرأة وهي تنفخ الفقاعات، مع أنها مجرّد صور متتالية). عندما يمرّ المشاهد بجانب الفيلم الهولوغرافي يكون بالتالي غيّر زاوية إدراكه للفيلم، فيرى صورة متعددة الأبعاد لامرأة تنفخ فقاعة الصابون. بمعنى آخر، بينما الصور المختلفة "تتجلى" و"تنطوي" بحركة سريعة، سوف تبدو وكأنها تجري معاً وتوحي لنا بأننا نشاهد حركة ونشاط معيّن، مع أنه في الحقيقة عرض لصور متتالية.

الشخص الذي لا يألف الهولوغرامات ولم يشاهد صور متعددة الأبعاد من قبل سوف يخطئ في الافتراض بأن ما يشاهده هو فعلاً امرأة تنفخ فقاعة الصابون، وهذه الحركة عابرة بحيث بعد إدراكها لمرة واحدة لم يعد بالإمكان استرجاعها لمشاهدتها مرّة أخرى، مع أن هذا غير صحيح. فهذا النشاط مسجّل في الهولوغرام دائماً ويمكن استرجاعه في أي وقت. تفترض نظرية الهولوغرام بأن الماضي، بدلاً من أنه يتلاشى إلى حيث لا رجعة، هو أيضاً مسجّل في الهولوغرام الكوني ويمكن استرجاعه مرة أخرى.

إحدى المظاهر الأخرى التي تؤكّد الطبيعة الهولوغرافية للتجربة الاسترجاعية للماضي هو المشاهد ثلاثية الأبعاد التي يختبرها المستبصر خلال استحضارها من

الماضي. فمثلاً، الوسيطة الشهيرة "بياتريس ريتش" Beatrice Rich (تحدثت عن قدراتها الاستبصارية الكثير من المجلات المرموقة مثل "نيويورك تايمز")، والتي تستطيع أيضاً استخلاص المعلومات من الأشياء التي تحملها، قالت بأنها تعلم ما قصده "أوسويكي" عندما وصف الصور التي يراها بأنها ثلاثية الأبعاد وحقيقية، وحتى أنها حقيقية أكثر من الغرفة التي كان جالساً فيها.

".. يبدو الأمر وكأن المشهد هو الذي يسيطر.."، تقول "ريتش"، وتتابع، *".. إنه المسيطر، وعندما يبدأ بالتجلّي أصبح أنا جزءاً منه. الأمر يبدو وكأنك في مكانين بنفس الوقت. فأنا أعلم بأنني أجلس في الغرفة، لكنني بنفس الوقت مشاركة في المشهد.."*

الأمر الهولوغرافي الآخر في هذه القدرة يتعلّق بالطبيعة "اللا مكانية" التي تتسم بها. فالمستبصرين استعرضوا قدرة على استحضار الماضي لموقع أثري معيّن من خلال حالتين، إما عبر وجودهم في الموقع شخصياً، أو عبر وجودهم في مكان يبعد عنه آلاف الكيلومترات. بمعنى آخر، فإن سجلات الماضي ليست مخزّنة في أي موقع "مكاني" محدد، بل كما حالة المعلومة المخزّنة في صفيحة الهولوغرام، هي "لا مكانية" nonlocal ويمكن النفاذ إليها من أي نقطة في الهيكل "الزمكاني" (زماني/مكاني).

مواقع الأثرية عديدة، مثل "أكوام الدفن" burial mounds، الأحجار العملاقة المنتصبة، الحصون العائدة إلى القرن السادس، وهكذا إلى آخره، جميعها تجلّت فيها أحداث وفعاليات مرتبطة بأزمنة عتيقة. أجرى "إيفان ونتز" Evans-Wentz مقابلات مع شهود رؤوا كائنات جنيّة تشبه البشر وترتدي ألبسة تعود للقرن السادس عشر وكانت تمارس الصيد. وهناك من وصف هذه الكائنات الجنيّة الشبحية (شبه متجلّية) وهي تتحرّك بمجموعات إلى خارج وداخل الحصون الأثرية، وشوهدت أحياناً واقفة وسط مواقع أثرية لكنائس قديمة في وضعية قرع الأجراس.

أحد النشاطات التي يبدو أنها مولعة بها هي شنّ الحروب. في كتابه الذي بعنوان "الاعتقاد بالجنّ في بلاد السلت" The Fairy-Faith in Celtic Countries يقدم الباحث "إيفان ونتز" شهادات عشرات الأفراد الذين زعموا أنهم شهدوا على حروب شبحية (شبه متجلّية) بين الكائنات الجنيّة، في مروج مفتوحة تحت ضوء القمر، حيث جيوش مدجّجة بأسلحة القرون الوسطى تقاتل بعضها بشراسة. هناك من وصف مستنقعات مائية مغطاة بالكامل بجيوش جرّارة موحّدة اللباس. أحياناً كانت هذه المعارك الطاحنة صامتة بشكل غريب، وأحيان أخرى كانت تصدر ضجيج قوي يشمل الصراخ وقرقعة التروس والسيوف، بينما في بعض الأوقات كانت هذه المعارك تُسمع لكن يتعذّر رؤيتها.

بناء على هذا، استنتج "إيفان ونتز" بأنه على الأقلّ بعض الظواهر التي كان يفسّرها شهوده على أنها تجليات جنيّة هي في الحقيقة نوع من "بقايا صور" afterimage لأحداث حصلت فعلياً في الماضي. *".. حتى الطبيعة لها ذاكرة.."*، قالها منظّراً. وأضاف، *".. هناك عنصر عقلي معيّن في جو الأرض بحيث يمكن تصوير وحفظ كافة النشاطات والظواهر التي تحصل. وفي ظروف معيّنة يتعذّر تفسيرها، يُصبح ممكناً لأشخاص عاديين لا يتمتعون بأي قدرة استبصارية أن يروا جزء من هذا الإرشيف العقلي للطبيعة كما لو أنها صور ظاهرة على شاشة، وغالباً ماتكون صور متحرّكة.."*

أما عن السبب الذي جعل هذه المشاهدات الشبحية نادرة أو منقرضة اليوم، فقد ساهم في توضيحه أحد الشهود الذين قابلهم "إيفانز ونتز"، وهو أحد الكهول الذين عاشوا في جزيرة "مان" Man (تقع بين بريطانيا وأيرلندا)، اسمه "جون ديفيس". كان جواب العجوز واضح وبسيط: *".. قبل دخول التعليم المدرسي إلى الجزيرة كان باستطاعة معظم الناس أن يشاهدوا الجنّ بكثرة، أما الآن فقد أصبحت المشاهدات نادرة.."*

بما أن "التعليم المنهجي" يشمل في طياته إيحاءات تستبعد وجود هكذا أشياء بالمطلق، فهذا يعني أن حصول تغيير في طريقة تفكير سكان الجزيرة أدى إلى تلاشي قدرتهم على رؤية الكائنات الجنيّة والظواهر الشبحية. ومرّة أخرى، هذا دليل آخر على قوة الدور الذي يلعبه الإيمان في تحديد القوى الكامنة التي تُفعّل لدينا وتلك التي تبقى ضامرة دون تفعيل.

لكن مهما كان الأمر، في حال كانت معتقداتنا تحفّزنا على رؤية هذه الأفلام شبه الهولوغرافية أو تدفع أدمغتنا إلى تصفيتها خارجاً، تبقى الدلائل تشير إلى وجود الظاهرة على أي حال. وهذه الظاهرة لا تقتصر على بلاد السلت، حيث هناك تقارير كثيرة عن مشاهدة لجيوش شبحية في الهند مثلاً. وهذه الاستعراضات الشبحية مألوفة جيداً في هاواي أيضاً، إذ هناك كتب كثيرة عن هذه الجزر والتي تزخر بأحداث فردية من هذا النوع، حيث شوهد في مناسبات كثيرة مقاتلون يتوجهون إلى ساحة المعركة حاملين العصي والمشاعل. وقد ذُكرت مشاهدات شبحية من هذا النوع في نصوص آشورية قديمة.

في بعض الأحيان، كان المؤرخون ينتبهون إلى حقيقة أن هذه المشاهدات الشبحية، بعد وصف تفاصيلها من قِبل الأفراد، هي عبارة عن تكرار استرجاعي لأحداث تاريخية حصلت فعلياً في أحد الفترات السابقة. في الساعة الرابعة صباحاً من تاريخ ٤ آب، ١٩٥١، امرأتان إنكليزيتان كانتا تقضيان عطلة في قرية "بويس" Puys الساحلية بفرنسا، استيقظتا على صوت طلقات كثيفة من رصاص المدفعية والبنادق مصحوبة بصراخ الرجال. أسرعتا إلى النافذة لكنهما صُدمتا لعدم رؤية شيء سوى الهدوء الذي ساد القرية والبحر. لم تلاحظا نشاطات حربية من أي نوع. تولّت "الجمعية البريطانية للأبحاث الروحية" British Society for Psychical Research مهمة التحقيق بالموضوع واكتُشف بأن الأحداث الصوتية التي وصفتها المرأتان تتطابق تماماً مع أحداث المعركة التي نشبت بين الحلفاء والألمان في قرية "بيوس"، وذلك خلال الإنزال الشهير في ١٩ آب، ١٩٤٥. يبدو أن المرأتان سمعتا صوت المجزرة التي حصلت قبل تسع سنوات.

رغم الشدّة المأساوية لهكذا أحداث، والتي تقويّ بصمتها في الخامة الهولوغرافية، وجب عدم نسيان حقيقة أنه ضمن الخفايا المتذبذبة للسجلات الهولوغرافية للماضي تكمن كل الأفراح البشرية أيضاً. هذه السجلات تمثّل فعلياً أرشيف لكل ما كان وما حصل، والتعلّم على كيفية الاتصال بهذا الكنز المعلوماتي اللامحدود وعلى نطاق تنظيمي واسع سوف يوسّع أفق معرفتنا عن أنفسنا والكون بطرق مذهلة لم نتجرأ الحلم بها.

قد يأتي ذلك اليوم الذي نستطيع فيه التحكم بالواقع كما الكريستالة التي تحدث عنها "بوهم" Bohm في مثاله *("من نحن" ج٢)*، أن نجعل ما هو حقيقي وما هو خفي يندمجان بطريقة "تهاويلية" بحيث نستحضر الصور من الماضي بنفس السهولة التي نستحضر فيها برنامج على جهاز الكمبيوتر.

لكن حتى هذا كله لم يوفّر لنا فهم هولوغرافي كامل للزمن، حيث هناك المزيد..

المستقبل الهولوغرافي

بقدر ما هي مربكة حقيقة القدرة على التواصل مع الماضي بكل تفاصيله، إلا أنها لا تمثّل شيئاً بالمقارنة مع حقيقة أن المستقبل أيضاً يمكن استحضاره والتواصل معه في الهولوغرام الكوني. وبالفعل، فإن الدلائل كثيرة ومتنوعة هي تلك التي تثبت بشكل جازم أن استحضار مشاهد عن الأحداث المستقبلية هو بنفس سهولة استحضار مشاهد الماضي.

لقد تم استعراض هذه الحالة بإسهاب في مئات الدراسات. في الثلاثينات من القرن الماضي، اكتشف كل من "ج.ب. راين" J. B. Rhine و"لويزا راين" Louisa Rhine بأن المتطوعين (في تجاربهما) يستطيعون تخمين أي من الأوراق ستُسحب عشاوئياً من المجموعة مع نسبة نجاح أعلى من مستوى الصدفة بمعدّل يبلغ ٣ مليون مقابل واحد. في السبعينات من القرن الماضي، اخترع الفيزيائي "هيلموت شميدت" Helmut Schmidt (كان يعمل في شركة بوينغ للطيران في

"سياتل"، واشنطن) جهازاً مكنه من اختبار قدرة الأفراد على التنبؤ بأحداث "دون ذريّة" عشوائية. بعد تجارب متكرّرة على ثلاث أفراد وستين ألف محاولة، حصل على نتائج أعلى من مستوى الصدفة بمعدل واحد مليار مقابل واحد.

في مختبر الأحلام بمركز "مايامونيد" الطبّي Maimonides Medical Center، توصل كل من "مونتاغو أوليمان" Montague Uliman، وعالِم النفس "ستانلي كريبنر" Stanley Krippner، والباحث "تشارلز هونورتون" Charles Honorton إلى نتائج مذهلة تشير إلى إمكانية الحصول على معلومات مستقبلية خلال الأحلام. خلال الدراسة التي أقاموها، طُلب من المتطوعين أن يقضوا ثمانية ليالي متعاقبة في المختبر، وفي كل ليلة كانوا يطلبون منهم الحلم بصورة سوف يتم اختيارها عشوائياً في اليوم التالي ثم تُعرض أمامهم. كان أمل الباحثين أن تكون نسبة النجاح واحد من ثمانية، لكن اكتشفوا أن الأفراد نجحوا في الاختبار بنسبة خمسة من ثمانية.

فمثلاً، بعد أن يستيقظ الفرد يقول بأنه حلِم بــ"بناء إسمنتي كبير" وهناك "مريض" يحاول الهرب منه. كان المريض يرتدي سترة بيضاء كتلك العائدة للطبيب، لكنه في النهاية لم يتجاوز الممرّ خلال عملية الهروب. تبين أن الصورة التي اختيرت عشوائياً في اليوم التالي هي لوحة فنيّة للرسام "فان كوغ" Van Gogh التي تصور "ممرّ مستشفى"، وهي لوحة مائية تُظهر مريض عند نهاية ممر واسع خارجاً مسرعاً من باب حجرته.

خلال أبحاثهم بمجال "الاطلاع عن بُعد" remote-viewing في معد ستانفورد للأبحاث وجد كل من "روسل تارغ" Targ و"هال بوتهوف" Puthoff بأنه، بالإضافة إلى قدرة الفرد على وصف المواقع البعيدة التي تستهدفها عقولهم في الزمن الحاضر، يستطيعون أيضاً وصف مواقع سوف يزورها المختبرون في المستقبل، حتى قبل أن يقع الاختيار عليها أصلاً. في إحدى الحالات مثلاً، طُلب من إحدى المتطوعات الموهوبات تُسمى "هالة حامِد" Hella Hammid، وتعمل

أساساً في مهنة التصوير، أن توصف الموقع الذي سيزوره "بوتهوف" بعد نصف ساعة من الآن. بعد تركيزها على الموضوع قالت بأنها تراه يدخل تحت "مثلّث حديدي أسود". أضافت أن "هذا المثلّث أكبر من الإنسان"، وبالرغم من أنها عجزت عن معرفة ما هو هذا الشيء، إلا أنها سمعت صوت صرير إيقاعي حاد "يصدر كل ثانية تقريباً".

قبل أن خرجت بهذه المعطيات بعشرة دقائق، كان "بوتهوف" قد انطلق في جولة بسيارته في منتزه "مينلو" Menlo Park ومنطقة "بالو ألتو" Palo Alto. بعد مرور نصف ساعة، وكانت "حامِد" قد قدمت معطياتها الاستبصارية عن "المثلّث الحديدي الأسود"، أخرج "بوتهوف" من الحقيبة عشرة ظروف مختومة يحتوي كل منها على موقع مختلف. من خلال استخدام مولّد أرقام عشوائية، اختار أحد الظروف. فتحه وتعرّف على الموقع الذي عليه زيارته، وهو منتزه صغير يبعد ستة أميال عن المختبر الذي تُقام فيه التجربة. ذهب بسيارته إلى ذلك المنتزه، وعند وصوله وجد أرجوحة للأطفال ــ مثلّث حديدي أسود ــ فتوجّه إليها وجلس على مقعدها وراح يتأرجح، فراحت الأرجوحة تصدر "صوت صرير إيقاعي حاد" كلما تحرّك ذهاباً وإياباً.

تم تكرار تجارب "تارغ" و"بوتهوف" بخصوص "الاستبصار التنبؤي" في مختبرات عديدة حول العالم، وهذا يشمل أيضاً الباحثان "جاهن" Jahn و"ديون" Dunne في مختبرهما في "برنستون" Princeton. وبالفعل، بعد ٣٣٤ تجربة أجراها هذان الأخيران، وجدا أن المتطوعين استطاعوا الخروج بمعلومات تنبؤية دقيقة بنسبة ٦٢%.

الأكثر إثارة هي نتائج ما يُسمى "تجربة الكرسي" chair test، وهي سلسلة شهيرة من التجارب التي ابتكرها الوسيط الهولندي "كروازيت" Croiset. يختار المُختبِر أولاً، وبشكل عشوائي، كرسي معيّن من بين مصفوفة كبيرة من الكراسي في إحدى الصالات الكُبرى التي ستشهد مستقبلاً مناسبة معيّنة كاحتفال أو مؤتمر.

يمكن للصالة أن تكون موجودة في أي مدينة حول العالم، ويتم اختيار المناسبات التي لا تُحجز فيها الكراسي مُسبقاً. ثم، من دون الإفصاح للوسيط "كروازيت" عن اسم أو موقع الصالة أو طبيعة المناسبة أو غيرها من تفاصيل، يطلبون منه أن يوصف الشخص الذي سيجلس على الكرسي المُختارة خلال المناسبة المستقبلية.

طوال فترة خمسة وعشرين سنة، أخضع عدد كبير من الباحثين في أمريكا وأوروبا الوسيط "كروازيت" لهذه التجربة (تجربة الكرسي) ووجدوا أنه قادر على توفير مواصفات دقيقة للشخص الذي سيجلس على الكرسي في مناسبة مستقبلية. وتشمل المواصفات أيضاً الجنس (ذكر أو أنثى)، ملامح الوجه، اللباس، المهنة، وحتى الحوادث أو العمليات الجراحية التي شهدها في حياته.

فمثلاً، في ٦ كانون ثاني ١٩٦٩، وخلال دراسة أجراها الدكتور "جول أيزنبود" Jule Eisenbud، وهو أستاذ في الطب النفسي بجامعة كولورادو الطبية، طُلِب من "كروازيت" بأنه تم اختيار كرسي لمناسبة ستحصل بتاريخ ٢٣ كانون ثاني ١٩٦٩. قال "كروازيت"، والذي كان حينها في هولندا، بأن الشخص الذي سيجلس على الكرسي المُختارة هو رجل طوله ٥ أقدام و٩ بوصة، ممشّط شعره الأسود إلى الوراء، له سن ذهبي في فكّه السفلي، ويوجد نُدب على إبهام قدمه، يعمل في مجال العلم والاقتصاد، وأحياناً يُلطّخ رداءه المخبري بصبغة كيماوية خضراء. عندما حان موعد المناسبة في يوم ٢٣ كانون ثاني ١٩٦٩، كانت مواصفات الرجل الذي جلس على الكُرسي، خلال محاضرة في مدينة "دنفر" (كولورادو)، متطابقة تماماً مع مواصفات "كروازيت"، باستثناء تفصيل واحد فقط. لم يكن طوله ٥ أقدام و٩ بوصة، بل ٥ أقدام و٩ بوصة وثلاثة أرباع البوصة.

.. وتستمرّ قائمة الإثباتات إلى لا نهاية..

أما الأحلام النبوئية، فهي معروفة جيداً في كافة ثقافات العالم، حيث الإشارة إلى مدى أهمية الأحلام للتنبؤات المستقبلية سائدة بشكل كبير. حتى أقدم المراجع

التاريخية تولي التقدير للقوى النبوئية للأحلام. وعراقة هكذا تقاليد تدلّ على أن إمكانية تجلّي النبوءات في الأحلام تتجاوز موقفنا المتشكّك تجاه ظاهرة العِلم بالمستقبل.

إن قُرب موقع اللاوعي من العالم المستتر قد يلعب دوراً في العملية. لأن "ذاتنا" الحالمة هي أعمق من "ذاتنا" الواعية ـــ وبالتالي تكون أقرب إلى البحر الأوّلي الذي تزول فيه الحواجز بين الماضي، الحاضر، والمستقبل ـــ يصبح أسهل علينا الحصول على معلومات حول المستقبل. مهما كان السبب، وجب أن لا تفاجئنا حقيقة وجود وسائل أخرى للتواصل مع اللاوعي قادرة على إنتاج معلومات نبوئية. فمثلاً، في الستينات من القرن الماضي، وجد "كارليس أوسيس" Karlis Osis والمنوّم المغناطيسي "ج. فاهلر" J. Fahler بأن الأفراد النائمين مغناطيسياً حققوا في الاختبارات النبوئية نتائج أعلى بكثير من الأفراد غير المنوّمين مغناطيسياً. وأكّدت دراسات كثيرة أخرى تأثيرات التنويم المغناطيسي المعزّزة لقدرة الإدراك فوق الحسّي ESP.

لكن مع ذلك كله، لا تستطيع المعطيات الإحصائية الجافة ترك انطباع قوي في نفوسنا كما تفعل التجارب الحياتية اليومية. في كتابه الذي بعنوان "المستقبل هو الآن: أهمية الإدراك المسبق" The Future Is Now: The Significance of Precognition، ذكر الباحث "آرثر أوزبورن" Arthur Osborn نتائج أحد اختبارات التنويم المغناطيسي النبوئي والتي جرت على الممثلة الفرنسية "إيرين موزا" Irene Muza.

بعد تنويمها مغناطيسياً وسؤالها إذا كانت تستطيع رؤية مستقبلها، أجابت "موزا": *".. حياتي ستكون قصيرة.. لا أتجرأ القول كيف ستكون نهايتي.. سوف تكون مفجعة.."*. قرّر المُختبرين المذهولين عدم الإفصاح لها عن ما قالته، وقبل يقضتها من النوم المغناطيسي زرع المُنوّم في عقلها الباطن إيحاء بأن تنسى كل ما عرفته عن مستقبلها. بعد يقضتها من الغيبوبة لم يكن لديها أي ذاكرة عن ما تنبأت به.

حتى لو عرفت ما كان ينتظرها، لما كان باستطاعتها تجنّب مصيرها المروّع. بعدها بعدة شهور أسقطت مصففة شعرها بالخطأ مادة كيماوية على المدفئة التي كانت قريبة من "موزا" مما أدى إلى احتراق شعرها وردائها، وخلال ثوانٍ قصيرة كانت مغمورة بالنار وماتت في المستشفى بعدها بساعات.

الإشكالية الزئبقية للقدر

ما حدث للمسكينة "موزا" يفرض سؤال مهم جداً. لو كانت تعلم بالمصير الذي تنبأت به بنفسها، هل كان باستطاعتها تجنّبه؟ أي بمعنى آخر، هل المستقبل ثابت ومُقرّر مسبقاً، أو أنه قابل للتغيير؟ يبدو للوهلة الأولى أن وجود ظاهرة التنبؤ أو الإدراك المُسبق يشير إلى ثبات القدر، وهذه الحالة تبدو مزعجة فعلاً. إذا كان المستقبل عبارة عن هولوغرام بحيث كل تفصيل من تفاصيله هو ثابت ومُقرر مسبقاً، فهذا يعني أنه ليس لدينا إرادة حرّة. نحن عبارة عن دُمى يتلاعب بها القدر كيفما يشاء ووفق سيناريو عام تم كتابته سابقاً. لكن لحسن الحظّ فإن الدلائل هي كثيرة التي تشير إلى أن الأمر ليس كذلك تماماً. الأدبيات مليئة بأمثلة عن أشخاص استطاعوا تجنّب الكوارث نتيجة حصولهم على لمحات نبوئية من المستقبل. أشخاص استشرفوا مثلاً حادثة تحطم الطائرة فتجنبوا هذا المصير من خلال امتناعهم عن الصعود فيها. أو هناك من استشرفوا غرق أولادهم في فيضان عنيف فما كان عليهم سوى نقل أسرتهم إلى مناطق مرتفعة في الوقت المناسب، وهكذا إلى آخره.

هناك تسعة عشر حالة موثّقة لأشخاص تمكنوا من استشراف غرق سفينة "تايتانيك" Titanic. بعض هذه الحالات الاستشرافية تجلّت لدى ركاب أولوها الاهتمام اللازم فنجوا من الكارثة، وبعضها تجلّت لدى ركاب تجاهلوها تماماً فغرقوا، وبعضها تجلّت لدى أشخاص لا ينتمون لأي من الحالتين السابقتين.

هكذا حالات تفترض بقوة بأن المستقبل ليس ثابتاً، بل هو مرنٍ وقابل للتغيير. لكن هذه النظرة تطرح أيضاً مسألة مستعصية. إذا كان المستقبل لازال في حالة سيوليّة

غير متبلورة بعد، كيف استطاع الوسيط "كروازيت" وصف الأشخاص الذين سيجلسون على "كرسي" معيّن بعد سبعة عشر يوماً في المستقبل؟ كيف يمكن للمستقبل أن يكون ولا يكون في نفس الوقت؟

يوفّر الباحث "ديفيد لوي" David Loye جواباً ممكناً لهذه المسألة. يعتقد بأن الواقع هو هولوغرام عملاق، ويكون فيه كل من الماضي، الحاضر، والمستقبل ثابتة، لكن لدرجة معيّنة على الأقلّ. المسألة تكمن في أن هذا الواقع ليس الهولوغرام الوحيد. هناك كيانات هولوغرافية مماثلة تطفو على مياه البحر "المستتر" المتجاوز للزمان والمكان، تتدافع وتسبح حول بعضها البعض كما تفعل مجموعات "الأميبيا" amoeba (كائنات مجهرية أحادية الخلايا). يقول "لوي" واصفاً: *".. يمكن تصوّر هكذا كيانات هولوغرافية بأنها عوالم موازية، أو أكوان موازية.."*

وبالتالي، فإن أي مستقبل أي من الأكوان الهولوغرافية المعنيّة هو ثابت، وعندما يستشرف الشخص إحدى الأحداث المستقبلية، فهو يوالف عقله مع مستقبل هذا الكون الهولوغرافي تحديداً. لكن كما تفعل كائنات "الأميبيا"، عادةً ما تبتلع هذه الهولوغرامات بعضها البعض أو تغمر، أو تندمج مع، بعضها البعض، فتشكّل أخيراً نموذجاً متشعّباً كما تفعل دقائق الطاقة البروتوبلازمية.

في بعض الأحيان، هذه التحولات الهولوغرافية تلمسنا بطريقة ما، فتكون مسؤولة عن الحالات النبوئية التي تصيبنا بين الحين والأخرى. وعندما نتصرّف وفقاً لما تنبأنا به، أي تجنّبنا كارثة مستقبلية معيّنة مثلاً، ما نفعله في الحقيقة هو القفز من هولوغرام إلى آخر. يُسمى الباحث "لوي" Loye هذه الحالة بالوثبات الهولوغرافية المتداخلة intra holographic leaps أو "الهولو وثبات" hololeaps، ويشعر بأنها العامل الفعلي الذي يزودنا بإمكانيتنا المزدوجة المتمثّلة بـــ"الإستشراف المستقبلي" و"الإرادة الحرّة" بنفس الوقت. يستنتج الفيزيائي "ديفيد بوهم" ذات الحالة لكن بطريقة مختلفة قليلاً. يقول:

"..عندما يحلم الأفراد عن كوارث مستقبلية بشكل دقيق ويتصرفون حيالها من خلال الامتناع عن ركوب الطائرة أو السفينة، ما يرونه في الحقيقة هو ليس المستقبل الفعلي، بل كان مجرّد شيئاً حاضراً في النظام المستتر وينزع نحو صناعة المستقبل. في الحقيقة، المستقبل الذي رأوه يختلف عن المستقبل الفعلي لأنهم استطاعوا تغييره. لذلك أعتقد بأنه يُصحِّ القول أنه، إذا كانت هذه الظاهرة موجودة، هناك حدس للمستقبل عبر النظام المستتر الحاضر. كما القول المأثور: الأحداث القادمة تلقي ظلالها على الحاضر، وبالتالي يمكن القول أن الأحداث المستقبلية تلقي بظلالها فعلياً على النظام المستتر.."

يبدو أن أوصاف كل من "بوهم" و"لوي" تمثّل طريقتين مختلفتين لمحاولة التعبير عن الشيء نفسه ــ أي رؤية المستقبل على أنه هولوغرام حقيقي بما يكفي لمكننا من إدراكه، لكنه طيّع بما يكفي ليجعله قابل للتغيير. وقد استخدم آخرون مصطلحات مختلفة لتقييم ما يبدو أنه يمثّل الفكرة ذاتها. يصف "كورديرو" Cordero المستقبل بأنه يشبه الإعصار الذي في طور تشكّله وجمعه للزخم، فيصبح أكثر قوة كلما أزداد الزخم مما يتعذّر تجنّبه.

"إنغو سوان" Ingo Swann، الوسيط الموهوب الذي حقق نتائج مثيرة خلال أبحاث عديدة، بما في ذلك الأبحاث "الإطلاع عن بُعد" remote-viewing التي أجراها "بوتهوف" و"تارغ"، يتكلم عن المستقبل بصفته مؤلّف من "إمكانيات متبلورة". الشامانيون في جزيرة هاواي (يسمون "كاهونا" kahuna) والمشهورون بقدراتهم التنبؤية، يتحدثون أيضاً عن المستقبل بصفته ذو طبيعة "سيوليّة"، لكن في طور "التبلور"، ويؤمنون بأن الأحداث العالمية العُظمى تتبلور مُسبقاً وبشكل أسرع من غيرها، وهذا ينطبق على الأحداث الهامة في حياة الفرد، مثل الزواج أو الحوادث أو الموت.

فكرة "ديفيد لوي" عن وجود عدة هولوغرامات مستقبلية وقدرتنا على اختيار أي منها سيتجلّى عبر الانتقال من هولوغرام إلى آخر تحمل معها مضمون آخر. إن

اختيار مستقبل هولوغرافي على حساب آخر هو في الحقيقة مشابه لعملية خلق المستقبل. وكما رأينا سابقاً، هناك دلائل كثيرة تشير إلى أن الوعي يلعب دوراً رئيسياً في خلق الحاضر والحالة الراهنة.

لكن إذا كان العقل يستطيع تجاوز حدود الحاضر ويتجوّل في الأرض الغامضة للمستقبل، هل نتمتع بإمكانية خلق الأحداث المستقبلية أيضاً؟ أي بمعنى آخر، هل تقلبات الحياة عشوائية فعلاً، أو أننا نلعب دوراً في تشكيل معالم مستقبلنا؟ يبدو أن الدلائل تميل إلى أن الحالة الأخيرة هي الصحيحة.

القِوام المبهمة للنفس

الدكتور "جويل ويتون" Joel Whitton، وهو أستاذ في طب النفس بجامعة تورونتو، استخدم أيضاً التنويم المغناطيسي لدراسة ما يعرفه الأشخاص عن أنفسهم بشكل لاواعي. على أي حال، بدلاً من سؤالهم عن مستقبلهم، راح الدكتور "ويتون" (والذي هو اختصاصي أيضاً في التنويم المغناطيسي السريري وحائز على شهادة في علم البيولوجية العصبية) يسألهم عن ماضيهم، أو ماضيهم البعيد بشكل أدقّ. طوال العقود العديدة الماضية كان "ويتون"، وبهدوء ودون أي تمويل أو ضجّة إعلانية، يجمع الأدلّة التي تُثبت ظاهرة "التقمّص" reincarnation (التناسُخ).

موضوع "التقمّص" هو موضوع صعب وشائك بعض الشيء، حيث تم تشويهه بالكثير من الأفكار السخيفة مما جعل الكثير من الناس يرفضونها منذ البداية. الكثيرون لا يدركون بأنه بالإضافة إلى (أو يمكن القول: بالرغم من) المزاعم المُذهلة التي تقدم بها بعض المشاهير وكذلك القصص المثيرة لأشخاص تقمّصوا شخصيات تاريخية مثل "كيلوباترا" أو أحد ملوك أطلنطس، أو غيرها من حالات *(وقد تناولت عيّنة من هذه الحالات في الجزء الأوّل من مجموعة "من نحن؟"، وأقصد بذلك الكاهنة الفرعونية "أم ساتي")* خطفت اهتمام مُعظم وسائل الإعلام، لكن بنفس الوقت هناك كم هائل من الأبحاث العلميّة الجدّية التي أجريت حول "التقمّص". في العقود العديدة الماضية أستطاع مجموعة صغيرة من الباحثين البارزين، لكنهم يتزايدون مع

الوقت، أن يجمعوا دلائل كبيرة تُثبت هذه الظاهرة، والدكتور "ويتون" واحد من هؤلاء الباحثين.

الدلائل العلمية لا تُثبت ظاهرة "التقمّص" وفق المفاهيم الشعبية السائدة، ولا حتى الدينية منها، وليس هناك أي نيّة لدى مؤلف هذا الكتاب أن يقيم جدلاً حول الموضوع. وفي الحقيقة، من الصعب تصوّر أو تحديد مضامين الدلائل التي تُثبت المزاعم الشعبية لهذه الظاهرة. والاكتشافات التي سنتعرّف عليها هنا هي مُقدّمة بناء على أساس أنها قد تمثّل إمكانيات مثيرة للاهتمام، ولأنها متناسبة مع نقاشنا الحالي بخصوص الطبيعة الهولوغرافية للكون. فبالتالي أعتقد أنها تستحقّ الاعتبار الجدّي وبعقل منفتح.

التوجّه الرئيسي لأبحاث الدكتور "ويتون" يستند على حقيقة بسيطة ومُذهلة. عندما يتم تنويم الأشخاص مغناطيسياً، غالباً ما يتذكرون ما يبدو أنه ذكريات تعود لتجسيدات حياتية أُخرى. بيّنت الأبحاث أن أكثر من ٩٠% من الأشخاص المنوّمين مغناطيسياً يستطيعون استرجاع هذه الذكريات السابقة إلى ذاكرتهم الحالية. هذه الظاهرة معروفة جيداً وبشكل واسع، ومُعترف بها حتى لدى المتشككين.

فمثلاً، الكتاب التدريسي في الطب النفسي والذي بعنوان Trauma, Trance and Transformation (أي "الصدمة النفسية، الغيبوبة، والتحوّل") يُحذّر المنوّمين المغناطيسيين الجُدد بأن لا يتفاجؤوا إذا ظهرت هكذا ذكريات على السطح فجأة لدى مرضاهم المنوّمين. مؤلف الكتاب طبعاً يرفض فكرة "الولادة من جديد" لكنه يُشير إلى أن *".. هكذا ذكريات استرجاعية قد يكون لها على أي حال إمكانيات علاجية هائلة.."*

أما تفسير هذه الظاهرة فلازال يثير جدلاً واسعاً حتى الآن. الكثير من الباحثين يجادلون بأن هكذا ذكريات هي وهمية أو تخيلات يصنعها العقل اللاواعي، ولا

شكّ أن الأمر يكون كذلك أحياناً، خصوصاً إذا كانت جلسة التنويم تُدار من قِبل منوِّم غير محترف والذي يجهل التقنية المطلوبة لطرح الأسئلة والإيحاءات المناسبة.

لكن هناك عدد كبير من الحالات المُسجّلة والتي استطاع فيها أشخاص، تحت إرشاد منوّمين محترفين، أن يسترجعوا ذكريات واقعية تعود فعلياً لتواريخ سابقة. والدلائل التي جمعها الدكتور "ويتون" تنتمي إلى هذا الصنف.

من أجل إجراء دراسته، جمع "ويتون" مجموعة مؤلفة من ثلاثين شخصاً. وتضم بين صفوفها أفراداً من مختلف توجهات الحياة، بدءاً من سائقي شاحنات وانتهاءً بعلماء كمبيوتر، وبعضهم يؤمن بظاهرة التقمّص والبعض الآخر لا يؤمن. ثم قام بإخضاع كل فرد منهم للتنويم المغناطيسي وأمضى آلاف الساعات في هكذا جلسات يُسجّل كل ما قالوه أو زعموا به خلال وجودهم في "الحياة السابقة".
لقد كانت المعلومات مُذهلة بكل المقاييس. الأمر المثير هو وجود مظاهر مشتركة بين تجارب كافة الأفراد. جميعهم تحدثوا عن عيشهم في "حياة سابقة"، وبعضهم فعل ذلك أكثر من ٢٢ مرّة. هذا بالرغم من وجود حدّ نهائي على ما يبدو، حيث كان "ويتون" يستمرّ في استرجاع ذاكرتهم حتى الوصول إلى مرحلة يُسميها مرحلة "وجود رجل الكهف" caveman existences، وفيها يُصبح من الصعب التمييز أو الفصل بين حياة وأخرى.

وقد أثبتت هذه التجربة أن "الجندر" (ذكر/أنثى) لا يمثّل عامل مهمّ بالنسبة للنفس خلال تناسُخها وقد عاش مُعظم هؤلاء الأفراد مرّة واحدة على الأقلّ بهيئة الجنس الآخر. وجميعهم بلّغوا عن أن هدف الحياة هو التطوّر والتعلّم، والتقمّص المستمرّ خلال الحيوات المتتالية يُسهّل هذه العملية.

ووجد الدكتور "ويتون" دلائل قويّة تُثبت بأن الخبرات السابقة التي تحدث عنها الأفراد تُمثّل فعلياً حيوات سابقة على هذه الأرض. أحد المظاهر غير العادية هو

قدرة الذكريات الاسترجاعية على تفسير طيف واسع من الأحداث والخبرات التي تبدو غير ذات صلة في حيوات الفرد المختلفة. فمثلاً، أحد الأشخاص، وهو عالِم نفس وُلد نشأ في كندا، كان في صِغره يتكلّم بلهجة بريطانية واضحة.

كما كان يتملكه خوف غير عقلاني من كسر رجله، وخوف مرضي من السفر بالطائرة، بالإضافة إلى معاناته من عادة قضم الأظافر، وهوس بالتعذيب. وعندما كان في سن المراهقة، وخلال خضوعه لفحص السواقة، بينما كان جالساً في مقعد السائق أمام المِقود، تجلّت لديه رؤية خاطفة ظهر فيها وكأنه في غرفة استجواب مع ضابط في الجيش النازي.

بعد إخضاعه للتنويم المغناطيسي تذكّر الرجل بأنه كان طياراً في القوى الجويّة البريطانية في فترة الحرب العالمية الثانية. خلال إحدى مهماته الجويّة فوق ألمانيا أصيبت طائرته برشق من الرصاص، وإحداها اخترقت جسم الطائرة وكسرت رجله. هذا أدى إلى فقدان سيطرته على دواسات القدم في الطائرة، فأُجبر على الهبوط الاضطراري. ألقي القبض عليه من قبل النازيين، فعذّبوه لاستخلاص المعلومات، بعد أن قلعوا أظافره بقليل استسلمت نفسه ومات.

الكثير من الأفراد اختبروا أيضاً شفاء نفسي وجسدي كبير نتيجة نبش ذكريات حيواتهم السابقة والتي غالباً ما احتوت على جروح وصدمات نفسية بالغة. حتى أن بعضهم تحدث لغات مجهولة في بيئتهم الاجتماعية الحالية. خلال استرجاع ذاكرة الحياة السابقة لأحد الرجال، وهو عالِم نفس في سنّ السابعة والثلاثين، تبيّن أنه كان ينتمي لشعب "الفايكينغ" Viking (قراصنة اسكندينافيين ازدهروا قبل قرون) راح يصرخ متحدثاً بكلمات غير مفهومة، لكن تمكّنت المراجع اللغوية لاحقاً من تحديد هويتها وتبيّن أنها لغة نرويجية قديمة ومن المفروض أن تكون منقرضة الآن.

لكن هذا الرجل ذاته، بعد استرجاعه ذاكرته إلى مرحلة تاريخية أبكر، ظهرت لديه شخصية فارسية، وراح يكتب نصوص مُزركشة تُشبه العربيّة، وتعرّف عليها أحد المتخصّصين باللغات الشرقية على أنها تمثّل لغة بهلويّة ساسانيّة، وهي لُغة شرق أوسطية منقرضة الآن، لكن كانت مزدهرة بين ٢٢٦ و ٦٥١ ميلادي.

لكن اكتشافات الدكتور "ويتون" الأكثر إذهالاً حصلت بعد أن استرجع ذاكرة الأفراد إلى المرحلة المؤقّتة التي تفصل بين حياة وأخرى *(أي بعد أن يموت وينتقل إلى مرحلة فاصلة استعداداً للتجلّي من جديد في حياة أخرى)*، فوصفوها بأنها *".. عالم مُبهِر مليء بالنور، ينعدم فيه عمالي المكان والزمان كما نعرفهما.."*

وفقاً لوصفهم أيضاً، أحد الغايات من وجود هذا العالم الانتقالي هو السماح لهم لأن يرسموا الخطّة الأوليّة لحياتهم التالية، أي يختار كل فرد الأحداث والظروف المهمة التي تحصل معهم في المستقبل. لكن هذه العملية لم تكن مجرّد طلب وتحقيق أمنيات كما نألفها في القصص الخرافيّة. وجد "ويتون" بأنه عندما تكون روح الفرد في ذلك العالم الانتقالي، تتمتع بحالة غير عادية من الوعي الذاتي بحيث تدرك بكل التفاصيل المتعلّقة بشخصية صاحبها، وهذا بالإضافة إلى تمتعها بدرجة عالية من الحسّ الأخلاقي والأدبي.

بالإضافة، يقول الأفراد أنه خلال وجودهم بهذه المرحلة الانتقالية، لم يعد لديهم أي قدرة على تبرير خطاياهم وآثامهم التي اقترفوها في حياتهم، ووجدوا أنفسهم يتمتعون بدرجة كاملة من الصدق والأمانة. ومن أجل التمييز بين هذه الحالة من صحوة الضمير، وحالة الوعي التي نختبرها في حياتنا اليوميّة، أطلق عليها "ويتون" اسم metaconciousness أي "ما وراء الوعي".

عندما يرسم الأفراد خططاً لحياتهم التالية، يفعلون ذلك وفق حسّ بالواجب الأخلاقي. قد يختارون لأن يولدوا عند الأشخاص الذين أساءوا إليهم في حياتهم السابقة، وذلك من أجل نيل الفرصة للتعويض عن أخطاءهم. كما قد يخططوا

مقابلات مُحبّبة مع "توأم روحهم"، وهم الأشخاص الذين أقاموا معهم علاقة محبّة ومفيدة على مرّ الحيوات السابقة. بالإضافة إلى إمكانية جدولة أحداث عرضيّة لاكتساب دروس إضافيّة وغيرها من غايات مختلفة.

أحد الأشخاص قال بأنه خلال التخطيط لحياته التالية تصوّر نوع من الأداة التي تشبه آلة الساعة *(آلية مشتملة على دواليب وتروس صغيرة كالآلة الميكانيكية)* بحيث يمكنك إدخال الأجزاء المرغوبة من أجل إحداث عواقب أو تبعيات محدّدة. ومن المؤكّد أن هذه التبعيات لم تكن جيّدا دائماً. بعد استرجاع ذاكرتها إلى حالة "ما وراء الوعي" metaconciousness، كشفت إحدى النساء، والتي تعرّضت للاغتصاب في سن السابعة والثلاثين، بأنها قد خطّطت هذا الحدث قبل تقمّصها في هذه الحياة الحالية. وشرحت الأمر قائلة بأنه كان ضرورياً بالنسبة لها أن تختبر مأساة معيّنة في ذلك السنّ بالذات وذلك من أجل دفعها إلى تغيير كامل مظهر "النفس" لديها وبهذا تتمكّن من إدراك المعاني الأعمق والأكثر إيجابية للحياة.

هناك فرد آخر، وهو رجل مُبتلي بمرض خطير في الكليتين، كشف عن حقيقة أنه هو الذي اختار هذا المرض لمعاقبة نفسه على خطايا اقترفها في حياته السابقة. لكنه كشف أيضاً بأن الموت من مرض في الكليتين ليس جزءاً من الخطّة التي وضعها، وقبل أن جاء إلى هذه الحياة أجرى ترتيبات لأن يقابل شخصاً أو شيئاً ما يساعده على تذكّر هذه الحقيقة وبالتالي يساعده على الشفاء من شعوره بالذنب من خطاياه السابقة وبالإضافة إلى علاجه من المرض الذي يعاني منه. وكان صادقاً فعلاً في كلامه، حيث بعد البدء بجلسات التنويم مع الدكتور "ويتون" شُفي من مرضه تماماً وبشكل عجيب.

ليس كل الأفراد الذي تناولهم "ويتون" في تجاربه رغبوا بمعرفة المستقبل الذي رسموه خلال وجودهم بحالة "ما وراء الوعي". بعضهم تعرّف على مستقبلهم بالتفصيل لكنهم طلبوا من "ويتون" أن يمحوها من ذاكرتهم خلال جلسة التنويم، وبالإضافة إلى زرع تعليمات باطنية تمنعهم من تذكّر شيئاً عنها. والسبب الذي

شرحوه هو أنهم لم يرغبوا في التلاعب بالمخطّط الذي رسموه خلال وجودهم في حالة "ماوراء الوعي".

تبدو هذه الفكرة مذهلة فعلاً. هل يُمكن أن اللاوعي لدينا ليس مدركاً لكامل تفاصيل مصيرنا فحسب، بل يسيّرنا أيضاً باتجاه تحقيقها؟ أبحاث "ويتون" ليست الوحيدة التي تُثبت هذه الحقيقة. في دراسة إحصائيّة لثمانية وعشرين حادث قطار في الولايات المتحدة، وجد العالِم الباراسيكولوجي "وليام كوكس" William Cox بأن عدد قليل من الناس استقلّوا القطارات في أيام الحوادث بالمقارنة مع ذات الأيام لكن في أسابيع سابقة أو لاحقة.

يقترح اكتشاف "كوكس" بأنه من الممكن أننا في حالة تنبؤ لاواعي دائم ومستمرّ لمستقبلنا ونقرّر تصرفاتنا بناءً على هذه المعلومات الباطنيّة. بعضنا يختار تجنّب العوارض السيّئة، بينما بعضنا الآخر ــ مثل المرأة التي اختارت أن تختبر مأساة شخصيّة والرجل الذي اختار الإصابة بمرض في الكليتين ــ يختار أن يختبر حالات سلبية لتحقيق غايات لاواعية لأسباب تجاوزية.

".. نحن نختار ظروفنا الدنيوية بحذر أو بشكل عشوائي.."، يقول الدكتور "ويتون". ويضيف مشدداً: *".. الرسالة التي تقدمها حالة 'ما وراء الوعي' تقول أن ظروف حياة كل إنسان هي ليست عشوائية ولا غير ملائمة. من خلال النظر إلى الأمر باطنياً، كل تجربة إنسانية هي بكل بساطة عبارة عن درس جديد في المدرسة الكونيّة.."*

من المهم معرفة أن وجود هكذا مخططات لاواعية لا يعني أن حياتنا مُقرّر مسبقاً بشكل صارم بحيث تجعل مصيرنا ثابت ومحتوم. مجرّد معرفة حقيقة أن بعض الأفراد طلبوا من الدكتور "ويتون" أن يجعلهم ينسوا ما عرفوه عن مصيرهم خلال التنويم المغناطيسي يُثبت بأن المستقبل مرسوم بخطوطه العريضة فحسب وبالتالي هو قابل لتغيير.

الدكتور "ويتون" ليس الباحث الوحيد الذي كشف عن دلائل تثبت أن اللاوعي لدينا له اليد الطولى في مسار حياتنا وبدرجة أكبر مما نتوقعه. الباحث الشهير الآخر هو الدكتور "إيان ستيفنسون" Ian Stevenson، وهو أستاذ في طب النفس بجامعة فرجينيا. بدلاً من استخدام التنويم المغناطيسي، لجأ الدكتور "ستيفنسون" إلى وسيلة إجراء المقابلات مع أطفال صِغار تجلّت لديهم ذكريات فجائية عن حياتهم السابقة. لقد أمضى أكثر من ثلاثين عام في هذا المضمار وتمكن من جمع وتحليل آلاف الحالات من كافة أنحاء العالم.

وفقاً للدكتور "ستيفنسون"، التذكّر الفجائي لحياة سابقة هو شائع عموماً بين الأطفال الصغار. إنه شائع لدرجة أن عدد الحالات التي تستحقّ البحث يفوق قدرة فريق عمله على تغطيتها.

غالباً ما يكون الأطفال في سن الثانية أو الرابعة من عمرهم عندما يبدءون بالكلام عن "حياتهم السابقة"، وكثيراً ما يتذكرون عشرات التفاصيل، بما فيها أسماءهم، أسماء أفراد عائلتهم وأصدقائهم، مكان سكنهم، كيف كان مظهر منزلهم، مهنتهم التي اعتاشوا منها، كيف ماتوا، وحتى معلومات خفيّة مثل المكان الذي خبئوا فيه أموالهم قبل موتهم، وفي الحالات التي تشمل جرائم قتل يتذكّرون جيداً من قتلهم.

وبالفعل، كثيراً ما كانت ذكرياتهم مُفصّلة بحيث مكّنت الدكتور "ستيفنسون" من تتبّع هويتهم الشخصية في حياتهم السابقة والتأكّد من صحّة كل ما زعموه. حتى أنه اصطحب بعض الأطفال إلى المنطقة التي عاشوا فيها أثناء حياتهم السابقة، وراقب كيف تجوّلوا بسهولة في الحارات الغريبة والتعرّف على منازلهم السابقة، بالإضافة إلى ممتلكاتهم وأقاربهم وأصدقائهم.

مثل الدكتور "ويتون"، جمع "ستيفنسون" كم هائل من المعطيات التي تُثبت ظاهرة التقمّص، ونشر حتى الآن ستة مجلّدات تتحدث عن اكتشافاته. وكما "ويتون" أيضاً، وجد أدلّة تشير إلى أن اللاوعي يلعب دوراً أكبر بكثير مما نتوقعه في تكويننا

ومصيرنا. كما أنه عزّز اكتشاف "ويتون" القائل بأنه غالباً ما يُعاد ولادتنا في بيئة تجمعنا مع أشخاص كنا نعرفهم في الحياة السابقة، وأن القوّة الموجّهة لاختياراتنا غالباً ما تنبع من العاطفة أو الشعور بالذنب أو واجب المديونيّة.

يوافق "ستيفنسون" على فكرة أن المسؤولية الشخصية، وليس الصدفة، هي العامل الفيصل في تقرير مصيرنا. اكتشف أنه بالرغم من أن الظروف المادية للفرد قد تتغيّر بشكل كبير بين حياة وأخرى، لكن سلوكه الأخلاقي، اهتماماته، استعداداته، وميوله تبقى ذاتها لا تتغيّر. الأفراد الذين كانوا مجرمين في حياتهم السابقة يميلون للإنجذاب نحو السلوك الإجرامي مرّة أخرى. بينما الأفراد الذين كانوا كرماء وودودون يستمرّون في التمتع بهذه الصفات،.. وهكذا إلى آخره. استنتج "ستيفنسون" من هذا كله بأنه ليس المؤثرات الخارجية للحياة هي المهمّة، بل المؤثرات الداخلية، أي الأفراح والأتراح والنمو الداخلي للشخصيّة، هي التي تبدو الأكثر أهميّة.

الأمر الأكثر إثارة هو أنه لم يجد أي دليل على ما يسمونها "الكارما الجزائيّة" karma (وفق المفهوم الهندوسي) أو أي إشارة إلى أننا معرّضون للعقاب على خطايانا. يقول "ستيفنسون" معلّقاً: *".. إذا حكمنا على الأمر وفق الدلائل التي وفّرتها الحالات المختلفة، يتبيّن أنه لا يوجد أي قاضي خارجي يحكم على أفعالنا، ولا أي كائن أو كيان يحوّلنا من حياة إلى حياة وفقاً لما نستحقه من عقوبات. إذا كان هذا العالم عبارة عن [وادي لصنع النفوس] (كما وصفه الشاعر "كيتس")، فنحن الذين نصنع نفوسنا بأيدينا.."*

كشف "ستيفنسون" عن ظاهرة أخرى لم تظهر في أبحاث "ويتون"، وهو اكتشاف وفّر دلائل أكثر قوة على قدرة العقل اللاواعي على قولبة والتأثير في ظروف حياتنا. وجد بأن الحياة السابقة للشخص لها أثر مباشر على هيئته وبنيته الجسدية في حياته الحالية. اكتشف مثلاً بأن بعض الأطفال في "بورما" (دولة في جنوب شرق أسيا)، والذين تذكروا حياتهم السابقة كطيارين حربيين بريطانيين وأمريكان

سقطوا فوق الأراضي البورمية أثناء الحرب العالمية الثانية، كان لهم شعر وهيئة وجه تحمل لمسة أقرب إلى الأوروبية.

كما أنه وجد حالات تشوّه أو ندوب أو علامات مميّزة أخرى في جسد الأفراد وتعود أسبابها إلى حوادث في الحياة السابقة. في إحدى الحالات، طفلٌ تذكّر كيف تم قتله في حياته السابقة من خلال ذبحه في الرقبة، لازال يحمل علامة حمراء ملفوفة حول رقبته كالإسوارة. وهناك طفل آخر تذكّر كيف أقدم على الانتحار في حياته السابقة بواسطة إطلاق النار على رأسه، وفي حياته الحالية يوجد ندوب على رأسه يتوافق موقعها تماماً مع مسار الرصاصة، أي الندب الأوّل موجود في المكان الذي دخلت منه الرصاصة والندب الثاني في موقع خروجها. وطفل آخر يحمل على جسمه علامة ولادة تُشبه ندوب عملية جراحيّة، وهي عبارة عن خط أحمر طويل ومُقطّع بخطوط صغيرة كما لو أنها مقطوبة، وذلك في نفس الموقع الذي أجرى به عملية جراحية في حياته السابقة.

في الحقيقة، جمع "ستيفنسون" المئات من هكذا حالات في دراسة شاملة مؤلفة من أربع مجلدات حول هذا الموضوع. وفي بعض الحالات تمكّن من الحصول على وثائق تشريحية وتقارير مستشفيات عن الأشخاص المتوفّين وذلك ليثبت بأن الجروح التي عانى منها الأفراد في حياتهم السابقة رافقتهم إلى حياتهم التالية لكن على شكل ندوب أو علامات ولادة.

يشعر بأن هكذا ندوب أو علامات لا توفّر أقوى الدلائل على التقمّص فحسب، بل تقترح أيضاً وجود نوع من جسم غير مادي وسيط يلعب دور الناقل لهذه المواصفات النفسية والجسدية إلى الحياة الأخرى. يقول شارحاً: *".. يبدو لي أن انطباع الجروح على الشخصية السابقة لا بدّ من أن تُحمل بين الحياتين بواسطة نوع من الجسم الموصل والذي بدوره يتصرّف كقالب لإنتاج الندوب والتشوّهات على الجسد المادي الجديد وبطريقة تتوافق تماماً مع الجروح الموجودة على الجسد المادي السابق.."*

مصطلح "الجسم القالب" template body الذي أوجده "ستيفنسون" وجد صداه لدى تأكيدات "تيللر" بأن حقل الطاقة الإنساني هو عبارة عن "قالب هولوغرافي" يوجّه تشكّل بنية الجسم المادي. أي بمعنى آخر، هو نوع من المخطط الأوّلي ثلاثي الأبعاد الذي يحتوي على الهيئة النهائية لتشكّل الجسم المادي. وبمعنى آخر أيضاً، اكتشافاته المتعلّقة بالندوب تعزّز الفكرة القائلة بأننا جوهرياً مجرّد "صور"، هيئات هولوغرافية، خُلقت بفضل عاملٍ فكري.

لاحظ "ستيفنسون" أيضاً بأنه بالرغم من أن أبحاثه تقترح فكرة أننا نحن الذين نخلق حياتنا، وأجسادنا أيضاً بدرجة معيّنة، لكن مساهمتنا في هذه العملية هي مستترة جداً لدرجة تبدو خارجة عن إرادتنا. يبدو أن المستويات العميقة من تركيبتنا النفسية هي التي تساهم بهذه الاختيارات، وهذه المستويات العميقة هي أقرب من النظام المستتر implicate. أو كما يشرحها "ستيفنسون": *".. المستويات العقلية التي تحكم هذه النشاطات هي أعمق بكثير من تلك التي تُنظّم عملية الهضم في معدتنا خلال تناول الطعام أو التحكم بعملية التنفّس.."*

رغم استنتاجات "ستيفنسون" المنافية للعرف العلمي، إلا أن سمعته كباحث حذر ومتمكّن جعلته يكسب احترام في الكثير من الأوساط الأكاديمية غير المتوقّعة. لقد تم نشر اكتشافاته في مجلات علمية محترمة مثل "المجلّة الأمريكية للطب النفسي" American Journal of Psychiatry، و"مجلّة الأمراض العصبية والعقلية" Journal of Nervous and Mental Disease، والمجلّة العالمية لعلم الاجتماع المُقارِن" International Journal of Comparative Sociology. وفي مطالعة على أحد أعماله علّقت المجلّة البارزة "مجلّة رابطة الطب الأمريكي" Journal of the American Medical Association قائلة بأنه: *".. متمتعاً بهمّة وعقلانيّة مكنته من جمع سلسلة مترابطة من الحالات التي تكشف عن دلائل على التقمّص يتعذّر استيعابها أو إسنادها على أي أساس علمي... لكنه مع ذلك وفّر كمية هائلة من المعطيات التي لم يعد مجدياً تجاهلها.."*

الفكر بصفته العامل البنّاء

كما الكثير من الاكتشافات التي اطلعنا عليها، فإن فكرة "وجود جانب لاواعي أو روحي عميق في داخلنا وقادر على تجاوز حدود الزمن وتوجيه مصيرنا" يمكن إيجادها في الكثير من التقاليد الشامانيّة وغيرها من مراجع روحية. وفقاً لشعب "الباتاك" Batak في أندونيسيا، كل شيء يختبره الفرد أو يواجهه في حياته هو مُحدّد مسبقاً من قبل روحه، أو "توندي" tondi، التي تتقمّص من جسد إلى آخر وهي وسيط يستطيع إعادة إنتاج، ليس فقط السلوك فحسب، بل بعض الخواص الجسدية للحياة السابقة.

هنود "الأوجيبواي" Ojibway يعتقدون أيضاً بأن حياة الفرد مكتوبة سلفاً من قبل روح أو نفس خفيّة، وهي مُصاغة بطريقة تعزّز النمو والتقدّم في الحياة الحالية. إذا مات الفرد قبل أن يُكمل كل الدروس التي وجب تعلّمها، تعود الروح الخفية لتولد مرّة أخرى في جسد مادي جديد.

يشير "الكاهونا" kahunas (في جزيرة هاواي) إلى هذا الجانب الخفي من الكينونة باسم "أوماكوا" aumakua، أو النفس العُليا. كما مفهوم "ما وراء الوعي" metaconciousness الذي وصفه الدكتور "ويتون"، الجانب اللاواعي من الشخص هو الذي يستطيع رؤية الأجزاء المتبلورة من المستقبل، أو الحتمية منه. كما أنه الجانب منا الذي هو مسؤول عن خلق مصيرنا، لكنه ليس وحده في هذه العملية. كما الكثير من الباحثين المذكورين في هذا الكتاب، يؤمن "الكاهونا" بأن الأفكار هي "أشياء" قائمة بذاتها وتتألف من محتوي حيوي خفي يسمونه "كينو ميا" kino mea، أو "المحتوى المُبهم من الجسم". لهذا السبب، فإن آمالنا، مخاوفنا، مخططاتنا، همومنا، آثامنا، أحلامنا، وتصوراتنا لا تزول بعد أن ترحل من عقولنا، بل تتحوّل إلى "كينونات فكرية"، وهذه الأخيرة أيضاً تُصبح الخيوط الأوليّة التي تستخدمها "نفسنا العُليا" لحياكة مستقبلنا.

مُعظم الناس ليسوا مسؤولين عن أفكارهم، يقول "الكاهونا"، ويقصفون "نفسهم العُليا" باستمرار بمزيج من المخططات، الآمال، والمخاوف وغيرها من الأفكار المتناقضة وغير المنضبطة. هذا العمل يُربِك "النفس العُليا"، ولهذا السبب تبدو حياة مُعظم الناس عشوائية وغير مسيطر عليها (أي تبدو أحداثها صدفيّة). يُقال بأن "الكاهونا" الأقوياء الذين على تواصل دائم مع "نفسهم العليا" يستطيعون مساعدة الفرد على إعادة صناعة أو تشكيل مستقبله.

وبشكل مماثل، كان يُعتبر من المهم جداً بالنسبة للأفراد لأن يخصّصوا فترات زمنيّة من حياتهم للتفكير عن حياتهم بعمق و"تصوّر" ما يرغبون أن يحصل لهم في المستقبل. يؤكّد "الكاهونا" بأنه من خلال فعل ذلك يستطيع الناس التحكّم إرادياً بالأحداث التي سيواجهونها مستقبلاً وبالتالي يساهمون في تشكيل مستقبلهم.

بفكرة تذكّرنا بحديث "تيللر" و"ستيفنسون" عن جسم خفي وسيط، يؤمن "الكاهونا" بأن هذا "المحتوى المُبهم من الجسم" يُمثّل قالباً يتشكّل وفقه الجسم المادي. ويُقال أيضاً بأن "الكاهونا" الذين في حالة تواصل غير عادي مع "نفسهم العُليا" يستطيعون صقل وإعادة تشكيل هذا "المحتوى المُبهم من الجسم" في أشخاص آخرين فيُحدثون تغييرات في جسدهم المادي، وهكذا تتم علاجات المعجزة التي يُحققونها. هذه النظرة توفّر أيضاً مقارنة مثيرة لاستنتاجاتنا بخصوص السبب وراء التأثير الكبير للأفكار والصور الذهنيّة على الصحّة.

يُشير صوفيو "التانترا" Tantra في التبت إلى هذه "المحتويات المُبهمة" باسم "تسال" tsal ويقولون بأن كل نشاط عقلي يُولّد موجات من هذه الطاقة الغامضة. يؤمنون بأن الكون بكامله هو منتوج العقل وقد خُلِق ومُفعم بالحيوية بواسطة الـــ"تسال" الجماعي لكافة الكائنات. *".. مُعظم الناس يجهلون بأنهم يحوزون على هذه القدرة.."*، يقول التانتريين، *".. لأن عقل الإنسان العادي يعمل كما لو أنه حُفرة ماء صغيرة معزولة عن المحيط العظيم.."*

فقط اليوغيون الكبار الذين يحترفون التواصل مع المستويات العميقة من العقل يستطيعون استخدام هكذا قوى بشكل إرادي، وأحد الأشياء الذي يقومون به لتحقيق هذا الهدف هو "التصوّر" المستمرّ والمتكرّر للهدف المرغوب. نصوص "التانترا" التبتية مليئة بتمارين التصوّر، والتي يسمونها "سادهانا" sadhana، والمُصمّمة خصيصاً لهذا الغرض. وكهنة بعض المذاهب، مثل الـ"كارغيوبا" Kargyupa، يمضون سبع سنوات أحياناً في عُزلة تامة داخل كهف أو حُجرة مُحكمة الإغلاق بهدف إيصال قدرتهم على التصوّر إلى حد الكمال.

الصوفيون الإسلاميون في القرن الثاني عشر شدّدوا على أهميّة دور "التصوّر" في تبديل أو إعادة تشكيل مصير الفرد، وأشاروا إلى المحتوى الخفي للفكر بـ"عالم المثال". كما الكثير من المستبصرين، آمنوا بأن الكائن البشري يحوز على جسم خفي يُسيطَر عليه من قبل مراكز طاقة تُشبه "الشاكرات" الهندوسية. قالوا بأن الواقع مقسوم إلى سلسلة متدرّجة من المستويات الخفيّة للوجود، أو "حضارات" كما يسمونها، وأن مستوى الوجود المجاور للوجود المادي (أي الذي نحن فيه) هو نوع من واقع "نموذج معايرة" بحيث يتشكّل "عالم المثال" لأفكار الشخص إلى صورة فعليّة (هكذا تكون طبيعة العالم النجمي كما رأينا)، والتي بدورها تُحدّد مسار الحياة المادية للشخص. وقد أضاف الصوفيون مفهوم جديد في العملية. شعروا بأن شاكرا القلب، ويسمونها مركز "الهمّة"، هي العنصر المسؤول عن هذه العملية، وبالتالي فإن السيطرة على شاكرا القلب يمثّل الشرط الأساسي للسيطرة على حياة الفرد.

تحدّث "إدغار كايسي" Edgar Cayce أيضاً عن الأفكار بصفتها أشياء ملموسة، شكل مُرهف من المادة. وعندما كان يدخل في غيبوبته المعهودة (حالة وعي بديلة) يُكرّر القول لمراجعيه بأن أفكارهم هي التي تخلق مصيرهم وأن "الفكر هو الباني الفعلي للأشياء". بنظر "كايسي"، عملية التفكير تُشبه العنكبوت الذي يُحيك الخيوط باستمرار، مضيفاً إلى بيته المزيد والمزيد. ويضيف قائلاً: *".. في كل لحظة من حياتنا، نحن نخلق الصور والنماذج التي توفّر الطاقة والشكل لمستقبلنا.."*

ينصح "براماهانسا يوغاناندا" Paramahansa Yogananda الناس لأن يتصوّروا المستقبل الذي يرغبونه لأنفسهم ويشحونها بـــ"طاقة التركيز". ويوصف العملية بلغته الخاصة كما يلي: *".. التصوّر السليم عبر تمرين التركيز وقوة الإرادة يمكننا من تجسيد الأفكار، ليس فقط على شكل أحلام ورؤيا في العالم العقلي، لكن أيضاً على شكل تجارب فعليّة في العالم المادي.."*

يُمكن إيجاد هذا المفهوم في طيف واسع من المراجع الروحية المختلفة. قال بوذا: *".. نحن ما نفكّر به.."*، وكذلك، *".. كل ما نحن عليه يبرز من أفكارنا.. بواسطة أفكارنا نصنع العالم.."*

وقد ورد في نصوص الأوبانشاد الهندوسية: *".. كما يتصرّف الإنسان، هكذا يصير.. كما رغبات الإنسان، هكذا يكون مصيره.."*

ويقول الفيلسوف الإغريقي "إيامبليكوس" Iamblicbus *(القرن الرابع ميلادي)*: *"..كل شيء في عالم الطبيعة ليس محكوماً بالقدر حيث للنفس مبدأ خاص بها.."*

وقد ورد في الإنجيل: *".. اسأل وسوف تُعطى لك حيث إذا كنت مؤمناً لا شيء مستحيل بالنسبة لك.."*

وورد في نصوص القبالة: *".. مصير الإنسان مُرتبط بتلك الأشياء التي خلق بنفسه أو يفعلها بنفسه.."*

إشارة إلى ما هو أعمق

حتى في يومنا هذا، فإن فكرة أن "أفكارنا تخلق مصيرنا" لازالت سائدة بقوّة. هذه الفكرة مثّلت موضوع كتب "التطوير الذاتي" الأكثر مبيعاً في العالم، مثل كتاب "التصوّر الخلاق" Creative Visualization للمفكّر "شاكتي غاوان" Shakti Gawain، وكتاب "أنت تستطيع علاج حياتك" You Can Heal Your Life

للمؤلفة "لويس.ل. هاي" Louise L. Hay. ذكرت الكاتبة "هاي"، التي قالت بأنها عالجت نفسها من مرض السرطان بواسطة تغيير نمط تفكيرها، ورشات عمل ناجحة جداً استندت على التقنيات التي أوجدتها. هذا المفهوم يُمثّل الفلسفة الرئيسية في عدة أعمال أدبيّة وسيطية شهيرة (يُزعم بأنها أوحيت من قبل الأرواح) مثل كتاب "دورة في المعجزات" A Course in Miracles ومجموعة كُتب "سث" Seth للوسيطة "جاين روبرتس" Jane Roberts.

وقد عانق هذا المفهوم بعض علماء النفس البارزين أيضاً، مثل الدكتورة "جين هيوستن" Jean Houston، وهي الرئيسة السابقة لرابطة علم النفس الإنساني والمديرة الحالية لمؤسسة الأبحاث العقلية في "بانوما"، نيويورك، التي ناقشت الفكرة بإسهاب في كتابها "الإنسان المُمكن" The Possible Human. كما تُقدّم "هيوستن" في كتابها مجموعة متنوّعة من تمارين "التصوّر"، وحتى أنها أشارت إلى أحد التمارين باسم "تنظيم إيقاع الدماغ والدخول إلى "الهولوكون" Holoverse" (الكون الهولوغرافي).

هناك كتاب آخر يستند بمُعظمه على النموذج الهولوغرافي لدعم الفكرة القائلة بأننا نستطيع استخدام "التصوّر" من أجل إعادة تشكيل مستقبلنا، وهو بعنوان "تغيير مصيرك" Changing Your Destiny، للكاتبان "ماري أورسر" Mary Orser و"ريتشارد.أ. زارو" Richard A. Zarro. بالإضافة إلى أن "زارو" هو مؤسّس شركة "تقنيات تشكيل المستقبل" Future-shaping Technologies وهي شركة تقدّم حلقات دراسية حول تقنيات صياغة المستقبل للشركات التجارية، ومن أشهر زبائنها شركة "باناسونيك" Panasonic و"الرابطة العالمية للمصارف والائتمان" International Banking and Credit Association.

رائد الفضاء السابق "أدغار ميتشل" Edgar Mitchell، وهو باحث متحمّس يهتم في استكشاف الفضاء الداخلي كما الخارجي، انخرط أيضاً في هذا التوجّه في أبحاثه. في العام ١٩٧٣ أسّس "معهد العلوم العقلية" Institute of Noetic

Sciences، وهي منظّمة متمركزة في كاليفورنيا ومُكرّسة للبحث في القدرات العقلية. لازال المعهد نشطاً حتى الآن، ومشاريعه الحالية تتناول دراسة شاملة لدور العقل في العلاجات المعجزة والشفاء التلقائي، وكذلك دراسة الدور الذي يلعبه الوعي في خلق مستقبل إيجابي للعالم. يقول "ميتشل": *".. نحن الذين نخلق واقعنا، لأن كياننا العاطفي الداخلي ـ اللاوعي لدينا ـ يجذبنا إلى المواقف التي نتعلّم منها الدروس.. نختبرها على أنها أشياء غريبة تحصل لنا، ونقابل الأشخاص في حياتنا الذين نتعلّم منهم. لهذا نخلق تلك الظروف في مستوياتنا الميتافيزيقية واللاواعية العميقة.."*

هل يُمكن أن تكون فكرة "أننا نصنع مصيرنا" مجرّد موضة مؤقّتة سيطرت على عقول الباحثين العصريين، أم أن حضورها في عدد كبيرة من الثقافات وعبر العصور يشير إلى شيء أكثر عمقاً، بحيث يدلّ على أنها شيئاً يعرف البشر وجدانياً بأنه صحيح؟

لازال الجواب على السؤال السابق غامضاً في الوقت الحالي. لكن في كون هولوغرافي ـ وهو كون يساهم العقل بمجرياته، والذي تستطيع أعمق محتويات نفوسنا أن تترك فيه أثراً ملموساً ـ يبدو أن فكرة قدرتنا على صناعة مصيرنا ليست بعيدة المنال. حتى أن غياب هذه القدرة سيبدو شاذاً وغريباً.

ثلاثة دلائل أخيرة

قبل الخروج باستنتاج نهائي هناك ثلاثة دلائل أخرى وجب النظر بها. بالرغم من أنها غير حاسمة، لكن كل منها يوفّر لمحة عن قدرة الوعي على تجاوز حدود الزمن بفضل الطبيعة الهولوغرافية للكون.

الأحلام الجماعية بالمستقبل

أحد الباحثين البارزين الذين كشفوا عن دلائل توحي بأن العقل يلعب دوراً في خلق مصير الفرد هي الدكتورة "هيلين وامباك" Helen Wambach طبيبة النفس من

سان فرانسيسكو. الوسيلة التي اتبعتها "وامباك" هي تنويم مجموعات من الناس مغناطيسياً في ورشات عمل صغيرة، تسترجعهم إلى فترات زمنية محددة، وتطرح عليهم قائمة من الأسئلة المُحددة مسبقاً عن ما كان جنسهم، أزياء الألبسة التي كانوا يرتدونها، مهنتهم، الأدوات التي يستخدمونها للطعام،.. وهكذا. على مدى فترة دراستها لظاهرة "الحياة السابقة" والتي دامت ٢٩ سنة، قامت بتنويم آلاف الأشخاص مغناطيسياً وخرجت ببعض الاكتشافات المثيرة.

أحد الانتقادات التي برزت ضدّ ظاهرة "التقمّص" تقول بأنه يبدو أن الأفراد يتذكرون فقط "الحياة السابقة" التي يكونوا فيها شخصيات تاريخية أو مشهورة. لكن وجدت "وامباك" بأن ٩٠% من الأفراد يتذكرون حياة سابقة كانوا خلالها فقراء، مزارعين، عمال، وجامعو طعام بدائيين. أقلّ من ١٠% يتذكرون حياة سابقة كانوا فيها أرستقراطيين، وأي منهم تذكّر بأنهم كان شخصية شهيرة. وهذا الاكتشاف أثبت عدم صحّة الإدعاءات القائلة بأن ذكريات "الحياة السابقة" هي مجرّد تخيّلات وأوهام فانتازيّة.

كان الأفراد الذين خضعوا لتجاربها دقيقون بشكل كبير عندما يتعلّق الأمر بتفاصيل تاريخية، حتى تلك المحجوبة والغامضة منها. فمثلاً، عندما تذكّر الأفراد حياة سابقة تعود إلى القرن سابع عشر 1700s، وصفوا كيف كانوا يستخدمون شوكة طعام ثلاثيّة الشُعب للأكل، لكن بعد العام ١٧٩٠ راحوا يوصفون شوكة طعام رباعيّة الشُعب للأكل، وهذه ملاحظة تعكس المسيرة التاريخية الصحيحة لتطوّر صناعة شوكة الطعام. وكان الأفراد دقيقون بشكل مماثل خلال وصفهم لنوع الألبسة والأحذية، وكذلك أنواع الطعام،.. وهكذا.

اكتشفت "وامباك" بأنها تستطيع إرسال ذاكرة الأفراد إلى "حياة مستقبلية" أيضاً. وبالفعل، كانت أوصافهم للقرون المستقبلية مذهلة لدرجة جعلتها تقرّر إقامة مشاريع مماثلة على نطاق واسع في كل من فرنسا وأمريكا. لسوء الحظّ، توفيت الدكتورة قبل أن تُكمل الدراسة، لكن تولّى طبيب النفس "تشيت سنو" Chet

Snow، وهو زميل سابق للدكتورة، مهمة إكمال عملها ونشر النتائج مؤخراً في كتاب بعنوان "أحلام جماعية بالمستقبل" Mass Dreams of the Future.

بعد تدوين التقارير المتعلّقة بالأفراد الذين اشتركوا بمشروع الدراسة، وعددهم ٢٥٠٠، ظهرت أنماط مثيرة في النتائج. أولاً، كلّهم دون استثناء أجمعوا على نتيجة واحدة تقول بأن عدد سكان الأرض قد انخفض بشكل كبير. والكثير منهم، خلال نقل ذاكرتهم إلى فترات مختلفة من المستقبل، لم يجدوا أنفسهم في أجساد مادية، بينما الذين وجدوا لأنفسهم أجساد لاحظوا بأن عدد السكان هو أقلّ بكثير مما هو عليه اليوم. بالإضافة إلى ذلك، انقسم الأفراد إلى أربع أصناف مختلفة، كل صنف تحدّث عن مستقبل مختلف. إحدى المجموعات الأربعة وصفت مستقبلاً كئيباً وعقيماً بحيث مُعظم الناس يعيشون في محطات فضائية، ارتدوا ألبسة فضائية فضيّة، وتناولوا طعام مركّب صناعياً. ومجموعة أخرى، وهي مجموعة "العصر الجديد" New Agers، تحدثوا عن عيش حياة أكثر سعادة وبطريقة طبيعية وفي بيئة أرضية طبيعية، أي بانسجام مع بعضهم البعض، ومكرسون حياتهم للتعلم والتطوير الروحي.

أما المجموعة الثالثة، وتمثّل النوع "المدني عالي التقنيّة" hi-tech urbanites، فقد وصفت مستقبلاً ميكانيكياً كئيباً بحيث يعيش فيه الناس في مُدن تحت أرضية ومدن محبوسة في قباب وفقاعات زجاجيّة. وأفراد المجموعة الرابعة وصفوا أنفسهم كناجين من كوارث عُظمى، يعيشون في عالم تعرّض للتلف والخراب نتيجة كارثة عالمية، ربما تكون نووية. عاش الناس في هذه المجموعة بمنازل تتفاوت طبيعتها من مستوى أطلال وخراب الأبنيّة المُدمرة إلى مستوى الكهوف وصولاً إلى المزارع المعزولة، وارتدوا ثياب مُحاكة يدوياً وكانت مصنوعة غالباً من جلد الحيوانات، وحصلوا على مُعظم طعامهم من الصيد.

ما هو تفسير ذلك يا تُرى؟

يلجأ "سنو" إلى النموذج الهولوغرافي ليخرج بالجواب، ومثل "لوي"، يؤمن بأن هكذا اكتشافات تقترح وجود عدة "مستقبلات" ممكنة، أي بمعنى آخر، هناك عدة "إمكانيات" مختلفة للمستقبل، تتشكّل وتنتظم وسط التكتّل العشوائي لغشاوات القدر. لكن مثل الباحثين الآخرين في التقمّص أو الحياة السابقة، يؤمن أيضاً بأنه نحن الذين نخلق مصيرنا، إن كان فردياً أو جماعياً، وبالتالي السيناريوهات الأربعة السابقة هي مجرّد لمحات عن عدة إمكانيات مستقبلية يخلقها العرق البشري لنفسه وبشكل جماعي.

وكنتيجة لذلك، يوصي "سنو" بأنه بدلاً من الاهتمام ببناء ملاجئ جماعية ضد القنابل النووية، أو الانتقال إلى مناطق غير معرّضة للدمار في التغييرات الأرضية القادمة، والتي تنبأ بها بعض الوسطاء، وجب علينا تكريس المزيد من الوقت في "تصوّر" مستقبل أكثر إيجابيّة.

تذكّر بعض الطقوس العالمية الشموليّة، المُكرّسة لأغراض دينيّة، مثل مئات الملايين من الناس الذين يتفقوا على قضاء الفترة الموافقة للساعة ١٢ إلى ١ بتوقيت غرينتش، في اليوم الواحد والثلاثين من شهر كانون الأوّل، متحدين بالصلاة والتأمّل على إحلال السلام العالمي والعلاج، وذلك كخطوة أولى في التوجّه الصحيح. كتب يقول: *".. إذا كنا في حالة تشكيل دائم ومستمر لواقعنا المادي المستقبلي بواسطة أفكارنا الجماعية اليومية وكذلك تصرفاتنا، فالوقت قد حان للصحوة تجاه خلق مستقبل بديل.. الخيارات بين الإمكانيات المستقبلية التي حددتها المجموعات الأربعة أصبحت واضحة. أي مستقبل سنختاره لأحفادنا؟ أي مستقبل سنختاره لأنفسنا إذا عدنا إلى هذا العالم يوماً ما؟.."*

تغيير الماضي

قد لا يكون المستقبل الشيء الوحيد الذي يمكن خلقه وإعادة تشكيله بواسطة الفكر البشري. في المؤتمر السنوي لرابطة الباراسيكولوجيا المنعقد عام ١٩٨٨، أعلن "هلموت شميدت" Helmut Schmidt و"ماريلين شليتز" Marilyn Schlitz

الاختبارات العديدة التي أجرياها أشارت بوضوح إلى قدرة العقل على تغيير الماضي أيضاً.

في أحد الاختبارات استخدم "شميدت" و"شليتز" الكمبيوتر لبرمجة عملية عشوائية غايتها تسجيل ١,٠٠٠ ترنيمة صوتية مختلفة. كل ترنيمة احتوت على ١٠٠ نغمة مختلفة التوقيت، بعضها محبّب للأذن والبعض الآخر مجرّد صوت مُزعج. لأن عملية الاختيار كانت عشوائية، ووفقاً لقانون "الإمكانية"، من المفروض أن تحتوي كل ترنيمة على ٥٠% أصوات مُحبّبة و٥٠% أصوات مُزعجة.

تم بعدها إرسال أشرطة تسجيل لهذه الترنيمات إلى مجموعة من المتطوعين. خلال الاستماع إلى أشرطة التسجيل، قيل للأفراد بأن يحاولوا استخدام قدرة [PK] لديهم من أجل زيادة مدّة الأصوات المحببة وتقليص مدّة الأصوات المزعجة. بعد انتهاءهم من المهمة الموكلة إليهم، بلغوا المختبر عن تجاربهم المختلفة خلال محاولتهم إتمام العملية، وعاد "شميدت" و"شليتز" إلى أرشيف الأصوات المخزّن في الكمبيوتر لتفحّصه من جديد.

اكتشفا بأن التسجيلات التي استمع إليها المتطوعون احتوت، وبشكل مُذهل، على مدّة أطول من الأصوات المحبّبة بالمقارنة مع الأصوات المزعجة. أي بمعنى آخر، بدا واضحاً أن قدرة الـ[PK] لدى الأفراد استطاعت أن تعود بالزمن إلى الوراء والتأثير على العملية العشوائية للكمبيوتر التي قامت بإنتاج التسجيلات التي استمعوا إليها لاحقاً.

في تجربة أخرى، قام "شميدت" و"شليتز" ببرمجة الكمبيوتر لكي ينتج ترنيمات ذات ١٠٠ نغمة مؤلفة عشوائياً من أربع علامات موسيقية، وتم إرشاد الأفراد بأن يحاولوا استخدام التأثير العقلي (PK) لإكثار عدد العلامات الموسيقية المرتفعة على حساب العلامات المنخفضة. ومرّة أخرى، وجدا في أرشيف الأصوات في

الكمبيوتر نتيجة متوافقة مع غاية الأفراد، مما يدلّ على تجلّي واضح لتأثير [PK] استرجاعي عابر للزمن.

وقد اكتشف "شميدت" و"شليتز" أيضاً بأن المتطوعين الذين يمارسون التأمّل باستمرار وبشكل منتظم يستطيعون إنتاج قوة [PK] أكبر بالمقارنة مع الآخرين، وهذا يثبت مرّة أخرى حقيقة أن التواصل مع اللاوعي هو المفتاح المؤدّي إلى ذلك الجانب من "النفس" المسؤول عن هيكلة وتشكيل الواقع. وطبيعة هذا التواصل تُحدّد درجة أو مدى المفعول.

إن الفكرة القائلة بأننا "نستطيع التأثير عقلياً على أحداث حصلت في الماضي" تبدو مُزعجة وبعيدة عن الواقع بالنسبة لنا، والسبب هو أننا مُبرمجون في أعماق أعماقنا على الإيمان بأن الماضي يتحجّر ويصبح نهائياً، بنفس الطريقة التي جعلوا كل فرد منا يتصوّر نفسه كالفراشة المزروبة داخل كوب زجاجي. لهذا السبب يصعُب علينا استيعاب عكس ذلك.

لكن في كون هولوغرافي، يكون فيه الزمن مجرّد وهم، والواقع ليس أكثر من صورة مخلوقة عقلياً، يُصبح غريباً بالنسبة لنا عدم استيعاب هذه الحقيقة.

التنزّه عبر حديقة الزمن

بقدر ما هي المعلومات السابقة مذهلة، إلا أنها تبقى بسيطة بالمقارنة مع المظهر الزمني الذي سيشدّ انتباهنا الآن. في ١٠ آب من العام ١٩٠١، كانت الأستاذتين من جامعة أوكسفورد، "آني موبرلي" Annie Moberly مديرة كليّة "سنت هيوز" St. Hugh's في جامعة أكسفورد، والدكتورة "ألينور فرانسيس جوردان" Eleanor Frances Jourdain، نائبة المدير، تتنزّهان عبر حديقة "بتي تريانو" Petit Trianon في قصر "فرساي" عندما شاهدتا فجأة تأثيراً متلألئاً يمرّ كالموجة عبر المشهد الطبيعي أمامهما، وتُشبه إلى حد كبير التحوّل من مشهد إلى آخر في الأفلام السينمائية.

بعد مرور التأثير المتلألئ لاحظتا بأن المشهد قد اختلف تماماً. أصبح الناس حولهم فجأة يلبسون أزياء تعود للقرن الثامن عشر مع الشعر مستعار المألوف في تلك الفترة ويتصرفون بطريقة عصبيّة. أثناء وقوف المرأتان مذهولتان لما حصل، اقترب منهما رجل قبيح الوجه والذي يبدو أنه مشوّه من مرض الجدري، وحثّهما على تغيير طريقهما. لحقتا به عبر صفّ من الأشجار إلى حديقة يصدر منها صوت موسيقى يتهادى في الهواء، ورأتا امرأة ارستقراطية جالسة على العشب ومنشغلة بلوحة فنيّة.

زالت الحالة الغريبة أخيراً وعاد المشهد إلى حالته الطبيعية، لكن كانت التجربة حقيقيّة بالنسبة للسيدتين بحيث عند التفاتهما إلى الوراء شعرتا بالصدمة بعد ملاحظتهما بأن الدرب الذي سارتا عبره للتو أصبح مسدوداً بجدار حجري.

عند عودتهما إلى إنكلترا، بحثتا في السجلات التاريخية واستنتجتا بأنه تم استرجاعهما في الزمن إلى الماضي، إلى اليوم الذي اقتُحم فيه القصر إبان الثورة الفرنسية، والمجزرة التي تعرّض لها الحرس السويسري ــ ربما لهذا السبب لاحظتا السلوك العصبي للناس خلال اختبار هذه التجربة الزمنية الغريبة ــ وأن المرأة الأرستقراطية التي شاهدتاها في الحديقة كانت "ماري أنطوانيت" بذاتها. كانت التجربة مفعمة جداً بالحياة بحيث كان لها أثر قوي على السيدتان الأكاديميتان لدرجة دفعهما إلى ملئ كتاب كامل خلال وصفهما للحادثة وقدمتاه للجمعية البريطانية للأبحاث الروحية British Society for Psychical Research.

الذي يجعل تجربة "آني موبرلي" و"ألينور جورداين" مميّزة وذات أهميّة هو أنهما لم تختبرا رؤية استرجاعية إلى الماضي، بل عادتا فعلياً إلى الماضي، ولقاء الناس والتجوّل في حديقة القصر وبالصيغة التي كان فيها هذا الموقع قبل أكثر من مئة عام. يصعُب تقبّل تجربة "موبرلي" و"جورداين" كحادثة حقيقية، لكن بعد النظر في حقيقة أن العملية لم تأتي لهما بأي فائدة، مع أن العكس صحيح حيث تعرّضت

سمعتهما الأكاديمية لخطر التشويه، يصعب القول بأنهما لفقتا القصة دون أي دافع مجدي.

وفي الحقيقة، هذه ليست الحادثة الوحيدة التي تم تبليغها للجمعية البريطانية للأبحاث الروحية. في شهر أيار من العام ١٩٥٥، محامي من لندن وزوجته اختبرا ذات التجربة في ذات الحديقة، وشاهدا أشخاص يرتدون أزياء تعود إلى القرن الثامن عشر أيضاً. وفي مناسبة أخرى، زعم فريق كامل من الموظفين العاملين في إحدى السفارات بفرنسا، والتي تطلّ مكاتبهم على قصر "فرساي"، بأنهم شاهدوا بأم عينهم كيف تحوّل مشهد الحديقة إلى فترة تاريخية سابقة.

وهناك أمثلة من هذا النوع في الولايات المتحدة أيضاً. أجرى عالِم الباراسيكولوجيا "غاردنر موفي" Gardner Murphy، وهو رئيس سابق لكل من "رابطة علم النفس الأمريكية" و"الجمعية الأمريكية للأبحاث الروحيّة"، تحقيقاً في حادثة مشابهة حيث خلال نظر إحدى النساء الأكاديميات من نافذة مكتبها في جامعة "وزليان" Wesleyan، نبراسكا، رأت مشهد الجامعة كما كان قبل خمسين عاماً مضى. اختفت الشوارع المزدحمة ومسكن الفتيات، وتجلى مكانها مرج أخضر مفتوح مع أشجار متفرّقة ترفرف أوراقها مع نسيم الصيف.

هل الحدود الفاصلة بين الحاضر والماضي مهلهل جداً لدرجة تجعلنا، وفق ظروف مناسبة، قادرين على السير إلى الوراء في الزمن بنفس السهولة التي نسير فيها عبر حديقة؟ في الوقت الحاضر لازال الأمر غامضاً بالنسبة لنا، لكن في عالم يتألف بدرجة أقل من أشياء صلبة تسافر عبر الزمان والمكان، وبدرجة أكبر من هولغرامات شبحية من الطاقة تُعزّز وجودها عملية متصلة جزئياً بالوعي الإنساني، هكذا أحداث لا تبدو مستحيلة كما يبدو. وإذا بدا الأمر مزعجاً ــ أي فكرة أن عقولنا وحتى أجسامنا هي أقلّ ارتباطاً بقيود الزمن مما تصورناه سابقاً ــ وجب علينا تذكّر أن فكرة "كروية الأرض" كانت مُرعبة بالنسبة لحشود بشرية مُقتنعة بأنها مُسطّحة.

الأدلّة المُقدّمة في هذا الفصل توحي بأننا لازلنا أطفال صغار عندما يتعلّق الأمر باستيعاب الطبيعة الحقيقية للزمن. وكما الأطفال المشرئبّين على أعتاب سنّ البلوغ، وجب علينا وضع مخاوفنا جانباً ونتوصّل إلى اتفاق مع ما هو عليه العالم واقعياً. حيث في كون هولوغرافي، والذي تكون فيه الأشياء مجرّد ومضات شبحية من الطاقة، ليس نظرتنا للزمن وجب تغييرها فحسب.

لازال هناك المزيد من الومضات التي وجب تجاوزها في المشهد، أعماق أكثر عمقاً علينا سبرها.

جولة في عالم النور

".. الدخول إلى الواقع الهولوغرافي يصبح ممكناً عملياً عندما يتحرّر وعي الفرد من اعتماده على الجسم المادي. طالما بقي الفرد مقيّداً بالجسد وعناصره الحسيّة، لا يتجلّى الواقع الهولوغرافي سوى بهيئة فكرية. مجرّد أن تحرّر الفرد من جسده سوف يختبر هذا الواقع مباشرةً. لهذا السبب يتكلم الصوفيون عن رؤياهم بهذه الدرجة من اليقين والاقتناع، بينما الذين لم يختبروا هذا الواقع بنفسهم يبقون في حالة تشكيك أو عدم اكتراث.."

"كينيث كينغ"
Kenneth Ring, Ph.D.

الحياة عند الموت

الزمن ليس الشيء الوحيد الذي يُعتبر وهماً في الكون الهولوغرافي. المكان أيضاً وجب النظر إليه بصفته نتاج نمط الإدراك لدينا. هذه الفكرة أصعب استيعاباً بالمقارنة مع فكرة الزمن، حيث عندما نأتي إلى محاولة تصوّر حالة "لا مكانيّة" يصعُب إيجاد تشابهات لها. لا يمكن تصوّر أكوان أميبية ولا مستقبلات متبلورة نستند عليها لتوضيح الفكرة. نحن مبرمجون جداً لكي نفكّر بمفاهيم تتعلّق بـ"المكان" على أنه مُطلق وأنه يصعُب علينا حتى تصوّر كيف سيكون الأمر عندما نكون في عالم ينعدم فيه عامِل "المكان".

لكن مهما كان الأمر، هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى أننا غير مقيّدين بالمكان بنفس الطريقة التي لا نتقيّد فيها بالزمان.

أحد الدلائل القوية على هذه الحقيقة يمكن إيجادها في ظاهرة "الخروج عن الجسد" out-of-body phenomena، وهي حالة يختبرها الفرد بحيث ينفصل خلالها الوعي أو الصحوة عن الجسد ومن ثم الانتقال إلى موقع آخر بعيد عنه. تم التبليغ

عن هذه الظاهرة في مناسبات كثيرة عبر التاريخ ومن قبل أشخاص من كافة مشارب الحياة.

هذه الظاهرة كانت معروفة جيداً لدى المصريين القدامى، هنود أمريكا الشمالية، الصينيون، الفلاسفة الإغريق، الخيميائيون في العصور الوسطى، سكان الجزر المتناثرة في المحيطات، الهندوس، الإسلام، المسيحية، واليهودية.. إلى آخره. في إحصائية موسّعة أجراها "دين شيلز" Dean Shiels لثقافات مختلفة حول العالم عددها ٤٤، وجد بأن ثلاثة منها فقط لا تؤمن بالخروج عن الجسد.

في دراسة مماثلة اطلعت الأستاذة "أريكا بزرغزيغنون" Erika Bourguignon المتخصصة بعلم الإنسان على ٤٨٨ من المجتمعات حول العالم، أي ما يُقدّر بــ٥٧% من المجتمعات القائمة، ووجدت بأن ٤٣٧ منها (أي ٨٩%) على الأقلّ تسلّم بظاهرة الخروج عن الجسد في تقاليدها.

حتى الدراسات الحالية تشير إلى أن حالات الخروج عن الجسد لازالت منتشرة. الدكتور المرحوم "روبرت كروكال" Robert Crookall، وكان أستاذ في الجيولوجيا بجامعة "أبردين" Aberdeen وهاوٍ في مجال الباراسيكولوجيا، حقق في حالات من هذا النوع وكانت كافية لملئ تسعة مجلدات. في الستينات من القرن الماضي، قامت الدكتورة "سيليا غرين" Celia Green، مديرة معهد البحث النفسي/الجسدي في "أكسفورد" Oxford، بإجراء إحصائية بين طلاب جامعة "ساوثهامبتون" Southampton، وعدد المجموعة ١١٥ فرد، فوجدت بأن ١٩% منهم اعترفوا بأنهم اختبروا حالة خروج عن الجسد في حياتهم. عندما تم سؤال ٣٨٠ من طلاب جامعة "أكسفورد" بنفس الطريقة، ٣٤% منهم اعترفوا باختبار التجربة أيضاً.

في دراسية إحصائية أجريت على ٩٠٢ من البالغين، وجد الدكتور "أرلندور هارالدسون" Erlendur Haraldsson *(من أرشيف جمعية الأبحاث الروحية، لندن)* بأن

٨% اختبروا هذه الحالة مرّة واحدة على الأقلّ في حياتهم. وفي دراسة إحصائية أجريت في العام ١٩٨٠ من قبل الدكتور "هارفي أروين" Harvey Irwin في جامعة "نيو إنغلاند" بأستراليا، تبيّن أن ٢٠% من ١٧٧ طالب اختبروا حالة الخروج عن الجسد.

إذا قيمنا النتائج السابقة وخرجنا بمعدّل متوسّط سيتبيّن بأن واحد من بين كل خمسة أشخاص قد اختبر حالة خروج عن الجسد في نقطة معيّنة من حياته أو حياتها. دراسات أخرى تقترح بأن المعدّل الأصحّ هو واحد بين كل عشرة أشخاص، لكن الحقيقة تبقى ذاتها: حالات الخروج عن الجسد هي أكثر شيوعاً مما يتصوّره الناس.

الحالة النموذجية للخروج عن الجسد عادةً ما تكون تلقائية وتحصل غالباً أثناء النوم، التأمّل، التخدير العام، المرض، وحالات الألم الشديد (بالرغم من إمكانية حصولها في ظروف أخرى مختلفة أيضاً). يختبر الشخص فجأة إحساس قوي بأن عقله قد انفصل عن جسده. غالباً ما يجد نفسه في البداية طائفاً فوق جسده المادي ثم يكتشف بأنه يستطيع السفر أو الطيران إلى مواقع أخرى. كيف يكون الشعور عندما يجد الفرد نفسه متحرراً من جسده المادي ومحلقاً فوقه ينظر إليه؟

في دراسة أجريت العام ١٩٨٠ لــ٣٣٩ حالة تجوّل بعيداً عن الجسد، وجد كل من الدكتور "غلين غابارد" Glen Gabbard من مؤسسة "مييننغر" في "توبيكا"، والدكتور "ستيوارت تويملو" Stuart Twemlow من إدارة مركز "توبيكا" الطبّي للمحاربين القدماء، والدكتور "باولر جونز" powler Jones من المركز الطبّي في جامعة "كانساس"، بأن نسبة كبيرة تبلغ ٨٥% من الأفراد وصفوا تجربتهم بأنها مُحبّبة وأكثر من نصفهم وصفها بأنها مُبهِجة.

من المهم التنويه إلى أن "غابارد" و"تويملو" و"جونز" درسوا أيضاً الجانب النفسي للخارجين عن جسدهم ووجدوا بأنهم يتمتعون بحالة نفسية طبيعية واتزان كامل.

في اجتماع رابطة الطب النفسي عام ١٩٨٠، قدموا استنتاجاتهم وأكّدوا لزملائهم الأطباء بأن التصديق على وجود هذه الظاهرة وانتشارها الواسع أمام المرضى النفسيين، بالإضافة إلى إرشادهم إلى الاطلاع على كُتب تتناول الموضوع، قد يمثّل علاجاً أكثر نجاعة من الطب النفسي الرسمي. كما أنهم لمّحوا إلى حقيقة أن المرضى قد يشعروا بارتياح أكثر إذا تحدثوا لأحد معلمي "اليوغا" بدلاً من الطبيب النفسي!

رغم هذه الحقائق، لا يمكن أن تكون أي دراسة إحصائية أكثر إقناعاً من الروايات التي تتحدث عن اختبار هذه الظاهرة فعلياً. فمثلاً، "كيمبري كلارك" Kimberiy Clark، وهي عاملة اجتماعيّة في "سياتل"، واشنطن، لم تنظر إلى هذه الظاهرة بجديّة إلى أن شهدتها تتجلى بحضورها مع مريضة مُصابة بالشريان التاجي تُدعى "ماريا" Maria. بعد إدخالها إلى المستشفى بأيام قليلة، أصيبت "ماريا" بأزمة قلبية وتم إنعاشها بشرعة. في وقت لاحق من اليوم ذاته، زارتها "كلارك" متوقعة أن تجدها مضطربة بسبب توقّف قلبها للحظات. كان توقعها في مكانه، حيث وجدتها مضطربة بالفعل، لكن ليس للسبب الذي توقعته.

قالت لها "ماريا" بأنها اختبرت شيئاً غريباً. بعد توقّف قلبها وجدت نفسها فجأة تنظر إلى الأسفل من السقف وتراقب الأطباء والممرضات يشتغلون على جسدها المادي. ثم لفت انتباهها شيئاً قابعاً في غرفة الطوارئ، ومجرّد أن فكّرت بغرفة الطوارئ وجدت نفسها هناك مباشرة.

سارت بعدها "ماريا" إلى حيث يسرح فكرها، وقادها إلى الطابق الثالث من البناء، فوجدت نفسها أخيراً أمام حذاء رياضي. كان حذاءاً قديماً ولاحظت بأن مكان الإصبع الصغيرة في قماشة الحذاء مهترءاً ومثقوباً. لاحظت أيضاً عدة تفاصيل أخرى، كحقيقة أن رباط الحذاء كان عالقاً تحت الكعب. بعد انتهاء "ماريا" من رواية قصتها توسّلت من "كلارك" لتذهب إلى الحافة الخارجية للبناء في الطابق

الثالث ورؤية إن كان هناك حذاء فعلاً، وذلك لكي تتأكّد من أن ما اختبرته لم يكن وهماً.

رغم تشكّكها بالأمر إلا أن فضولها كان أقوى فدفعها إلى الذهاب. توجّهت "كلارك" أولاً إلى الحافة الموجودة خارج غرفة "ماريا" لكنها لم تجد شيئاً. صعدت إلى الطابق الثالث وبدأت تبحث في كافة غُرف المرضى هناك، وراحت تسترق النظر من نوافذ ضيّقة لدرجة جعلها تضغط وجهها على الزجاج وكل ذلك من أجل النظر إلى حافة البناء الخارجية. أخيراً، وصلت إلى غرفة واضطرّت إلى ضغط وجهها على الزجاج لتتمكن من النظر خارجاً للأسفل، فوجدت الحذاء الرياضي أمامها. لكن رغم ذلك، هذه الوضعية للنظر لم تساعدها على التأكّد إن كان لهذا الحذاء ثقب في قماشته أو غيرها من تفاصيل وصفتها "ماريا".

لم تتمكّن من التصديق على أقوال "ماريا" إلا بعد أن مدّت يدها والتقطت الحذاء وحملته بيدها. قالت "كلارك" واصفة الموقف: *".. الطريقة الوحيدة التي تستطيع خلالها رؤية الحذاء بالوضعية التي وصفتها تماماً هي إذا كانت تطوف في الهواء من خارج البناء وعلى مسافة قريبة جداً من الحذاء.. كان هذا دليلاً صلباً بالنسبة لي.."*، ومنذ حينها أصبحت "كلارك" مؤمنة بشدّة بظاهرة الخروج عن الجسد.

إن اختبار حالة خروج عن الجسد خلال سكتة قلبية شائعة نسبياً، وهي شائعة جداً لدرجة جعلت الدكتور "مايكل.ب. سابوم" Michael B. Sabom، وهو متخصّص في أمراض القلب وأستاذ في الطب بجامعة "إيموري" Emory ومنتمي لهيئة الأطباء بإدارة مركز "أتلنتا" الطبي للمحاربين القدامى، يسأم من سماع المرضى يتحدثون عن هكذا روايات وهميّة، فقرّر حسم المسألة نهائياً والتأكّد من مدى صحّتها.

اختار الدكتور "سابوم" مجموعتين من المرضى، الأولى مؤلفة من ٣٢ مريض أصيب سابقاً بسكتة قلبية وبلّغ عن اختباره حالة خروج عن الجسد، والثانية مؤلفة

من ٢٥ مريض أصيب سابقاً بسكتة قلبية لكنه لم يختبر حالة الخروج عن الجسد. قام بعدها بالتحقيق مع كل مريض على حداه، طالباً من الذين خرجوا عن جسدهم وصف عملية الإنعاش التي خضعوا لها خلال وجودهم خارج جسدهم، ثم طلب من الذين لم يختبروا هذه الحالة أن يتصوّروا ما يمكن أن يحدث خلال خضوعهم لعملية الإنعاش أثناء غيبوبتهم.

بالنسبة للذين لم يختبروا حالة خروج عن الجسد، ٢٠ منهم اقترفوا أخطاء خلال وصفهم عملية الإنعاش، ٣ منهم قدموا أوصافاً صحيحة لكنها عامة، و ٢ منهم ليس لديهم أي فكرة عن ما جرى في العملية. أما الذين اختبروا حالة الخروج عن الجسد، ٢٦ منهم قدموا أوصافاً صحيحة لكنها عامة، ٦ منهم قدموا أوصافاً تفصيلية ودقيقة، وواحد منهم شرح كافة التفاصيل التي جرت في العملية، وكانت دقيقة لدرجة أذهلت الدكتور "سابوم". لقد ألهمته النتائج ودفعته إلى التعمّق أكثر في الظاهرة، ومثل "كلارك"، أصبح الآن من المؤمنين المتحمّسين بها، ويقيم المحاضرات بشكل واسع عن هذا الموضوع. يقول "سابوم" واصفاً الموقف: *"..بسبب غياب أي تفسير علمي مقبول لدقّة المعلومات التي يتم إدراكها دون اللجوء للحواس التقليدية، يبدو أن فرضية الخروج عن الجسد ستبقى مستندة على المعطيات المتوفرة حالياً لإثبات صحتها.."*. أي بمعنى آخر، إن عجز المفاهيم العلمية عن إثبات هذه الظاهر لا يعني أنها غير موجودة.

بالرغم من أن حالة الخروج عن الجسد التي يختبرها المرضى هي تلقائيّة، هناك بعض الأشخاص الذين احترفوا هذه القدرة بشكل جيّد لدرجة يستطيعون التحكم بها وفق إرادتهم. أحد أشهر الأشخاص الذين يتمتعون بهذه القدرة هو مدير سابق لمحطة إذاعة وتلفزيون يُدعى "روبرت مونرو" Robert Monroe. عندما اختبر هذا الأخير تجربة الخروج عن الجسد لأوّل مرّة في أواخر الخمسينات ظنّ بأنه يفقد عقله وتوجّه مسرعاً إلى العلاج الطبّي. الأطباء الذين فحصوه لم يجدوا فيه أي علّة أو مرض، لكنه مع ذلك استمرّ في اختبار هذه الحالة الغريبة وأمضى فترة طويلة من الاضطراب والقلق مما يصيبه.

وأخيراً بعد أن علِم من أحد أصدقاءه، وهو طبيب نفسي، بأن هذه الحالة شائعة بين ممارسي اليوغا الذين يتركون أجسادهم بشكل طبيعي وباستمرار، بدأ يتقبّل هذه الموهبة تدريجياً. قال "مونرو" متذكراً: *".. كان أمامي خيارين، أولهما هو تناول الأدوية المهدّئة طوال حياتي، والثاني هو تعلّم المزيد عن هذه الحالة العقلية لكي أتمكن من السيطرة عليها.."*. منذ ذلك اليوم بدأ "مونرو" يدوّن كل ما يختبره خلال هذه الحالة العقلية في يومياته، موثقاً بحذر كل شيء كان يتعلّمه عن حالة الخروج عن الجسد.

اكتشف بأنه يستطيع المرور عبر الحواجز الصلبة والسفر مسافات كبيرة خلال لمحة بصر، وكل ما يفعله لتحقيق ذلك هو التفكير بالموقع الذي يريده، فيجد نفسه هناك مباشرة. وجد بأن الأشخاص الآخرين لم يشعروا بحضوره في المكان خلال وجوده بهذه الحالة، وكافة أصدقاءه الذين انتقل إليهم بهذه الحالة العقلية أصبحوا يؤمنون بوجودها عندما وصف لهم، وبدقة كبيرة، كل ما كان يجري في المكان، بما في ذلك ألبستهم ونشاطاتهم. اكتشف أيضاً بأنه ليس الوحيد الذي يتجوّل في ذلك العالم الأثيري، حيث كان بين الحين والأخرى يلتقي هناك بأشخاص خارجين عن جسدهم. هناك الكثير من الأمور المثيرة التي اختبرها خلال أسفاره خارج الجسد، وقد وثّقها جميعاً في كتابين مذهلين عنوانهما: "رحلات خارج الجسد" Journeys Out of the Body، و"رحلات بعيدة" Far Journeys.

تم توثيق تجارب أجريت على ظاهرة الخروج عن الجسد في المختبرات أيضاً. في إحدى التجارب، استطاع "تشارلز تارت" Charles Tart أن يجعل إحدى ممارسي الخروج عن الجسد، واسمها السيّدة Z، التعرّف على رقم مؤلف من خمسة أعداد مكتوب على ورقة مخفيّة في مكان يستحيل الوصول إليه إذا لم يكن الفرد محلّقاً في الهواء وبحالة خروج عن الجسد.

في سلسلة من التجارب التي أجريت في الجمعية الأمريكية للأبحاث الروحية، بنيويورك، وجد الباحث الشهير "كارليس أوسيس" Karlis Osis، وعالِمة النفس

"جانيت لي ميتشل" Janet Lee Mitchell، بأن عدد من الأفراد الموهوبين استطاعوا السفر من مناطق مختلفة حول البلاد إلى مختبرهم والتعرّف على عدد من الأهداف موضوعة على الطاولة في موقع التجربة، وتشمل صور وأغراض مختلفة. كما استطاعوا وصف نماذج هندسية ملوّنة موضوعة على رفّ معلّق بالقرب من السقف، واستطاعوا أيضاً وصف نماذج بصريّة لا يمكن مشاهدتها إلا إذا كان الفرد يسترق النظر عبر نافذة صغيرة داخل جهاز خاص.

استطاع الدكتور "روبرت موريس" Robert Morris، وهو مدير الأبحاث في مؤسسة الأبحاث الروحية في "دورهام"، كارولاينا الشمالية، أن يستخدم الحيوانات لاستشعار حضور أي حالة خروج عن الجسد في المكان. في إحدى التجارب مثلاً، اكتشف "موريس" بأن قطّة صغيرة يملكها أحد محترفي الخروج عن الجسد يُدعى "كيث هاراري" Keith Harary كانت تتوقّف دائماً عن المواء وتبدأ بالخرخرة مجرّد أن حضر صاحبها (خارجاً عن جسده) في المكان.

الخروج عن الجسد كظاهرة هولوغرافية

بالنظر إليها ككُل تبدو الدلائل واضحة لا لِبس فيها. بالرغم من أننا نشأنا على قناعة أننا "نُفكّر" بأدمغتنا، إلا أن الأمر لا يبدو كذلك دائماً. وفق الظروف المناسبة، يستطيع الوعي لدينا ــ وهو الجانب المفكّر والمُدرِك فينا ــ أن ينفصل عن الجسم المادي والوجود في أي مكان يريده. مفهومنا العلمي الحالي لا يستطيع تفسير هذه الظاهرة، لكنها تصبح أكثر قابلية على الفهم وفق الفكرة الهولوغرافيّة.

تذكّر أنه في الكون الهولوغرافي، المكان أيضاً هو وهم. كما صورة التفاحة في صفيحة الفيلم الهولوغرافي والتي ليس لها مكان محدّد، في كون منظّم هولوغرافياً الأشياء والأجسام أيضاً لا تملك أي موقع محدّد. كل شيء هو ذا طابع "لا مكاني"، بما في ذلك الوعي. بالتالي، بالرغم من أن الوعي لدينا يبدو متموضعاً في رؤوسنا، لكن وفق شروط معيّنة يبدو أنه يستطيع التموضع بسهولة في الزاوية

العُليا من الغرفة، أو محلقاً فوق الحديقة، أو يطوف خارج بناء المستشفى أمام حذاء رياضي قابعاً على الحافة الخارجية للطابق الثالث.

إذا كانت فكرة "الوعي اللا مكاني" صعبة الاستيعاب، يمكن إيجاد مثال مفيد في موضوع الأحلام. تصوّر أنك تحلم بأنك تحضر في معرض فنّي مزدحم. خلال تجوّلك بين الناس والتحديق إلى اللوحات الفنيّة، يكون الوعي لديك متموضعاً في رأس الشخص الذي تتقمصه في الحلم. لكن أين هو وعيك فعلياً؟

تحليل سريع سيكشف عن أن وعيك يكون حينها متجلياً في كل شيء في الحلم، في الناس الحاضرين في المعرض، في اللوحات الفنيّة، وحتى في المساحة المكانية للحلم. في الحلم، المكان هو وهم أيضاً لأن كل شيء ــ الناس، الأشياء، المكان، الوعي،.. إلى آخره ــ يتجلّى منبعثاً من واقع أعمق وأكثر جوهرية من واقع الحالِم.

هناك مظهر هولوغرافي أكثر إذهالاً لظاهرة الخروج عن الجسد، وهو ليونة الشكل الذي ينخذه الشخص عندما يكون خارج جسده. بعد الانفصال عن الجسد، يجد الخارجين أنفسهم أحياناً بجسد شبحي يُمثّل نسخة طبق الأصل لجسده البيولوجي. هذا دفع الباحثين في الماضي إلى الافتراض بأن الكائنات البشرية تحوز على " توءم شبحي" للجسد الحقيقي، أي يُماثل "القرين" كما تسميه الأدبيات الروحية القديمة. لكن الاكتشافات الأخيرة فضحت الكثير من العيوب في هذه النظرة التقليدية للمسألة.

رغم أن بعض الخارجين يوصفون هذا "التوءم الشبحي" بأنه عاري، لكن البعض يجدون أنفسهم في أجساد ترتدي ألبسة. هذا يقترح بأن "التوءم الشبحي" هو ليس نسخة طاقية دائمة للجسم البيولوجي، بل دلاً من ذلك هو نوع من هولوغرام يستطيع اتخاذ أشكال وهيئات عديدة. هذه الملاحظة تعتمد على حقيقة أن "التوءم الشبحي" ليس الهيئة الوحيدة التي يجد نفسه فيها الشخص خلال خروجه عن

جسده. هناك بلاغات لا محدودة عن أشخاص يرون أنفسهم بهيئة كرات من النور، أو غيوم طاقية عديمة الشكل، أو حتى دون أي شكل أو هيئة إطلاقاً.

حتى أنه هناك دلائل على أن الشكل الذي يتخذه الشخص خلال خروجه عن الجسد هو نتيجة مباشرة لمعتقداته أو توقعاته الخاصة. فمثلاً، في كتابه الذي بعنوان "الحياة الصوفيّة" The Mystical Life (منشور عام ١٩٦١) كشف الرياضياتي "ج.هـ.م. وايتمان" J. H. M. Whiteman بأنه كان يختبر على الأقلّ حالتي خروج عن الجسد في كل شهر في سنوات رشده، وقد دوّن ٢٠٠٠ من هذه الحالات العقلية. لكنه كشف أيضاً عن حقيقة مهمة، كان يشعر دائماً بأنه امرأة محبوسة في جسد رجل، وخلال انفصاله عن الجسد كان يجد نفسه أحياناً بهيئة أنثى وليس ذكر.

اختبر "وايتمان" أيضاً هيئات كثيرة أخرى خلال مغامراته خارج جسده، بما في ذلك هيئة أجساد أطفال، واستنتج أخيراً في كتابه بأن "المعتقدات"، الواعية واللاواعية، كانت العوامل الرئيسية التي تحدّد الهيئة التي يتخذها الجسم الشبحي خلال الخروج.

"مونرو" أيضاً يوافق على هذا الرأي، ويؤكّد بأن "عاداتنا الفكريّة" هي التي تخلق هيئاتنا خلال الخروج عن الجسد. لأننا معوّدون جداً على وجودنا في الجسم المادي لدرجة أصبح لدينا ميل لإعادة خلقه ذهنياً خلال الخروج عن الجسد. ويرى أيضاً بأن عدم الارتياح الذي يشعر به الخارجين عن أجسادهم، والذين يشاهدون أجسادهم عارية، هو الذي يدفعهم بشكل لاواعي إلى خلق ألبسة لأنفسهم. يقول "مونرو": *".. أعتقد بأن الفرد يستطيع تحويل جسمه الشبحي ليتخذ أي هيئة يرغبها.."*

إذاً ما هي هيئتنا الحقيقية، إذا وجدت أصلاً، خلال وجودنا ف حالة محرّرة من الجسد؟ وجد "مونرو" بأنه مجرّد أن قمنا بإزالة كل هذه الأقنعة الوهمية، نصبح في

جوهرنا عبارة عن "نمط ذبذبي" مؤلّف من ترددات رنينيّة عديدة متفاعلة مع بعضها.

هذا الاكتشاف يوحي بوجود تأثير هولوغرافي في الأمر ويُقدم دلائل إضافيّة على أننا ــ مثل كل الأشياء في الكون الهولوغرافي ــ عبارة عن ظواهر ذبذبية مترددة، لكن يحوّلها عقلنا إلى أشكال وهيئات هولوغرافية متنوعة. هذا أيضاً يضيف المزيد من المصداقية إلى استنتاج الدكتورة "هونت" Hunt القائل بأن وعينا ليس موجود في الدماغ، بل في الحقل البلازمي الهولوغرافي الذي يتخلّل ويحيط بالجسم المادي.

الشكل الذي نتخذه في حالة خروجنا عن الجسد ليس الشيء الوحيد الذي يستعرض هذه الليونة الهولوغرافية. بالرغم من دقة المشاهدة التي يراها المحترفون خلال سفرهم بعيداً خارج جسدهم، إلا أن الباحثين واجهوا مشكلة في تفسير بعض الحالات التي تكون فيها المعطيات الإدراكية غير دقيقة. فمثلاً، في بعض الأحيان، إذا نظر الخارج عن جسده إلى نصّ مكتوب باللون الأسود، كعنوان كتاب مثلاً، سيرى النصّ متخذاً لون أخضر فاتح بدلاً من الأسود. أدبيات هذا المجال مليئة بالتناقضات الإدراكية، حيث يمكن للخارج عن جسده أن يصف بدقة كبيرة غُرفة فيها مجموعة من الأشخاص، لكنه مع ذلك يضيف شخصاً وهمياً إلى المجموعة، أو يرى كرسي إضافي بين أثاث الغرفة مع أنها تكون في الحقيقة طاولة.

وفق الفكرة الهولوغرافية، أحد التفسيرات هو أن الخارج عن جسده لم يطوّر بشكل كامل قدرته على تحويل الأنماط الذبذبية التي يدركها خلال حالته غير الجسدية إلى تمثيل هولوغرافي دقيق تماماً عن الواقع المألوف من حوله. أي بمعنى آخر، بما أن الخارجين عن جسدهم أصبحوا يعتمدون على مجموعة من الحواس الجديدة كلياً، هذه الحواس ستبقى مترجرجة وغير بارعة في فنّ تحويل الحقل الذبذبي إلى صيغة موضوعية عن الواقع. هذه الحواس غير المادية تتعرّض إلى المزيد من

العوائق الأخرى أهمها هي الترشيح الذي تخضع له من قبل معتقداتنا وقناعاتنا المحدودة، فندرك المعطيات المعلوماتية بطريقة مشوّهة أحياناً.

عدد من محترفي الخروج عن الجسد لاحظوا بأنه بعد أن يألفوا هذه الحالة العقليّة جيداً (خارج الجسد) يكتشفون بأنهم يستطيعون "الرؤية" في كل الاتجاهات مرّة واحدة ودون حاجة لتحريك رؤوسهم. أي بمعنى آخر، بالرغم من أن الرؤية في كافة الاتجاهات مرّة واحدة تُعتبر منطقية في حالة الخروج عن الجسد، إلا أنه كان راسخاً فيهم بقوّة الاعتقاد بأنهم لا يستطيعون الرؤية سوى من عيونهم ــ حتى لو كانوا خارج جسدهم ــ وهذا الاعتقاد منعهم في البداية من اكتشافهم لحقيقة أنهم يتمتعون برؤية تغطّي ٣٦٠ درجة مرّة واحدة.

هناك الكثير من الدلائل على أنه حتى حواسنا التقليدية وقعت ضحيّة هذا الاعتقاد. بالرغم من القناعة الراسخة بأننا لا نستطيع الرؤية سوى من خلال عيوننا، إلا أنه هناك الكثير من التقارير التي تثبت حقيقة وجود أشخاص يتمتعون بـــ"رؤية غير بصريّة" (لا تعتمد على العيون)، أي لديهم القدرة على الرؤية عبر مناطق مختلفة من أجسامهم. نشر مؤخراً الدكتور "ديفيد أيزنبيرغ" David Eisenberg، وهو باحث سريري في المدرسة الطبيّة بجامعة "هارفارد" Harvard، تقرير عن أختين صينيتين في "بكين" واللتين تستطيعان "الرؤية" من خلال جلدهما، خصوصاً في منطقة "تحت الإبط"، حيث يمكنهما قراءة نصوص والتعرّف على الألوان.

في إيطاليا، أجرى الطبيب العصبي "سيزار لومبروسو" Cesare Lombroso دراسة على فتاة عمياء لكنها تستطيع الرؤية من خلال رأس "أنفها" وكذلك من شحمة "أذنها" اليُسرى. في الستينات من القرن الماضي بحثت الأكاديمية السوفيتية للعلوم في قدرة تتمتع بها امرأة ريفية تُدعى "روزا كوليشوفا" Rosa Kuleshova، حيث تستطيع رؤية صور فوتوغرافية وقراء الجريدة مستخدمة رؤوس أصابعها. أحد التفسيرات التي خرج بها العلماء الروس هو أن "كوليشوفا" تستشعر الفروقات الحرارية التي تخزّنها وتبعثها الألوان المختلفة، لكن هذه

الفرضية دُحِضت فوراً بعد أن استعرضت "كوليشوفا" قدرتها على قراءة نصوص سوداء من صفحة جريدة مغطاة بلوح زجاجي ساخن. أصبحت "كوليشوفا" مشهورة جداً لدرجة أن مجلّة Life خصصت لها مقالة.

باختصار، هناك دلائل قويّة تشير إلى أننا غير مقيّدين بحدود الرؤية عبر عيوننا. هذه طبعاً الرسالة التي أوحتها قدرة صديق والدي "توم" على قراءة النص المنقوش على ساعة اليد حتى لو كانت محجوبة وراء ظهر ابنته، كما توحيها أيضاً ظاهرة الاستبصار والاطلاع عن بُعد.

لا يمكننا سوى التساؤل إذا كانت الرؤية غير العينيّة تمثل دليلاً إضافياً على أن الواقع هو مجرّد وهم، مايا، وجسدنا المادي بكل ما يحويه من أحشاء ومحتويات ملموسة، هو مجرّد بنية هولوغرافية خلقها وعينا بنفس الطريقة التي خلق "الجسم الوهمي" (متعدد الهيئات) خلال الخروج عن الجسد. ربما نحن معتادون جداً على الاعتقاد بأننا لا نستطيع الرؤية سوى من خلال عيوننا لدرجة أنه خلال وجودنا المادي قمنا بكبح أنفسنا عن إمكانيات رؤية متعددة الأنماط.

أحد المظاهر الهولوغرافية الأخرى لظاهرة الخروج عن الجسد هو الحدود الزئبقية التي تفصل بين الماضي والمستقبل والتي يحصل خلط فيما بينهما أحياناً خلال الوجود بهذه الحالة. فمثلاً، اكتشف كل من "أوسيس" و"ميتشل" بأن الدكتور "ألكس تانوس" Alex Tanous، وهو وسيط شهير ومحترف في الخروج عن الجسد، عندما سافر خارجاً عن جسده إلى موقع معيّن بهدف وصف الأشياء الموضوعة على الطاولة هناك، راح يوصف الأشياء التي سوف توضع بعد ثلاثة أيام مُقبلة وليس الأشياء الموجودة في الوقت الحاضر.

هذا يفترض بأن المستوى الذي ينتقل إليه الخارجين عن جسدهم يمثّل واقع مختلف تحدث عنه "بوهم" واصفاً إياه بأنه منطقة قريبة من النظام "المستتر" implicate وبالتالي هو قريب من المستوى الذي تنعدم فيه الحدود بين الماضي، الحاضر،

والمستقبل. أي بمعنى آخر، يبدو أنه بدلاً من التوليف مع الترددات التي ترمز للحاضر، راح عقل "تانوس" يتوالف سهواً مع الترددات التي احتوت معلومات تتعلّق بالمستقبل وحوّلتها إلى هولوغرام الواقع الفعلي.

حقيقة أن إدراك "تانوس" للموقع الذي استهدفه بعقله هو ظاهرة هولوغرافية وليس مجرّد رؤية استبصارية، يمكن دعمها بحقيقة أخرى. في نفس اليوم الذي تقرّر بأن يخضع "تانوس" للتجربة (أي السفر إلى موقع محدّد)، طلب "أوسيس" من إحدى الوسطاء المستبصرين من نيويورك وتُدعى "كريستين وايتنغ" Christine Whiting بأن تقبع عند الموقع المستهدف وتترقّب حضور كيان غريب إلى المكان، وإذا حصل ذلك فعلياً، عليها وصفه وتحديد شكله وهيئته.

بالرغم من جهلها الكامل عن ماذا سيتجلى في الغرفة، ومتى سيأتي، إلا أنه بفضل قدرتها الاستبصارية، رأت "كريستين" شبح "تانوس" بوضوح عند وصوله إلى المكان، ووصفته بالتفصيل وقالت أنه كان يرتدي سروال بنُي اللون وقميص قطني أبيض، وكانت بالفعل ذات الألبسة التي يرتديها "تانوس" القابع جسدياً في موقع بعيد، لكن الحاضر عقلياً في الموقع الحالي. *(شرحت في الجزء السابق السبب وراء قدرة المستبصر على إدراك الوعي الديناميكي بهيئة صاحبه القابع جسدياً في مكان بعيد)*

الوسيط "كيث هاراري" Keith Harary أيضاً، ممارس الخروج عن الجسد، قام بعدّة رحلات (غير جسدية) إلى المستقبل ويوافق بأن هذه التجربة مختلفة نوعياً بالمقارنة عن التنبؤ الاستبصاري. يقول شارحاً: *".. السفر خارج الجسد إلى مواقع وأزمان مستقبلية يختلف عن الأحلام النبوئية لأنه في الحالة الأولى أكون أكثر استقلالية من حيث الحركة، وأدخل خلالها في منطقة سوداء تنتهي إلى مشهد مستقبل مضيء.."*

عندما يجري رحلة خارج جسده إلى المستقبل كان أحياناً يرى في المشهد صورة ظلّية لذاته المستقبلية. لكن هذا ليس كل شيء. عندما تتحقّق الأحداث التي رآها

مسبقاً، كان يستشعر حضور ذاته الخارجة عن الجسد، والقادمة من الماضي! يصف هذا الشعور الغريب قائلاً: *".. إن لقاء ذاتي الماضية وذاتي الحاليّة يُشبه لقاء كائنين غريبين.."*

تم توثيق حالات عديدة لرحلات "خارج جسدية" إلى الماضي أيضاً. الكاتب المسرحي السويدي "أوغوست ستريندبيرغ" August Strindberg، وهو ممارس دائم للخروج عن الجسد، ذكر إحدى هذه الحالات في كتابه الذي بعنوان "أساطير" Legends. حصلت هذه الحالة بينما كان "ستريندبيرغ" جالساً في مقهى، محاولاً إقناع صديقه بأن لا يتخلى عن مهنته في السلك العسكري. من أجل دعم حجّته، استذكر "ستريندبيرغ" حادثة ماضية حصلت معهما في إحدى الحانات. بعد فترة من كلامه عن الحادثة واصفاً تفاصيلها، فقد وعيه فجأة ليجد نفسه جالساً في الحانة المعنيّة ويشترك فعلياً بالحدث. دامت هذه الحالة للحظات معدودة، ثم وجد نفسه فجأة عائداً إلى حالته الطبيعية.

يمكن أن تكون الرؤية الاسترجاعية التي تحدثت عنها في الفصل السابق، حيث كان المستبصرون يشعرون وكأنهم حاضرون فعلياً في المشاهد التاريخية التي يصفونها، تُمثل شكل من أشكال الخروج عن الجسد "الاسترجاعي".

بالفعل، عندما نقرأ الأدبيات الغزيرة المتوفرة الآن حول ظاهرة الخروج عن الجسد، نتعجّب من التشابهات الكبيرة بين أوصاف الممارسين لما يختبرونه وبين الخصائص التي المنسوبة للكون الهولوغرافي. بالإضافة إلى وصف حالة الخروج عن الجسد بصفتها حالة تنعدم فيها عوامل المكان والزمان، حيث يتحوّل فيها الفكر إلى أشكال ومجسّمات هولوغرافية، و يكون الوعي عبارة عن نمط من الذبذبات أو الترددات، يزيد "مونرو" ملاحظة إضافية واصفاً الإدراك خلال هذه الحالة بأنه يستند بشكل أقلّ على "انعكاس الموجات الضوئية" وبشكل أكثر على "انطباعات إشعاعيّة"، وهذه الملاحظة تفترض مرّة أخرى بأنه عندما يمارس الفرد حالة

خروج عن الجسد، يكون قد دخل المجال الذبذبي الذي تحدث عنه "بريبرام" Pribram.

ممارسون آخرون لهذه الحالة أشاروا إلى طبيعتها الذبذبية بطريقة أخرى. فمثلاً، "مارسيل لوي فورهان" Marcel Louis Forhan، وهو فرنسي يُمارس الخروج عن الجسد، ويؤلف الكتب مستخدماً الاسم المستعار "يرام" Yram، كرّس مُعظم كتابه (عنوانه "الطرح النجمي العملي" Practical Astral Projection) محاولاً وصف الطبيعة الموجيّة أو الكهرومغناطيسية للعالم النجمي (خارج الجسد). لكن هناك آخرون يعلّقون على "الشعور بالوحدة الكونيّة" الذي يختبره الفرد خلال هذه الحالة ويصفونه على أنه *".. شعور بأن كل شيء هو كل شيء.. وأنا كذلك.."*.

بقدر ما هو "الخروج عن الجسد" هولوغرافياً بطبيعته، فهو لا يمثّل سوى رأس جبل الجليد عندما يتعلق الأمر بحالة أخرى أكثر مباشرة في اختبار المظاهر الذبذبية للواقع. في الوقت الذي لا يختبر حالة "الخروج عن الجسد" سوى شريحة محدّدة من العرق البشري، نجد حالة أخرى نختبرها جميعاً بحيث نتواصل أخيراً مع العالم الذبذبي. وهي الحالة التي نرحل فيها إلى بلاد اللاعودة.. بعد الموت. لكن يبدو أن هناك البعض الذي استطاع العودة من هناك. والقصص التي رووها تزخر بمظاهر تمثّل صفعة على وجوهنا لكي نصحا إلى الواقع الهولوغرافي.

حالة الاقتراب من الموت

لا بد من أن الجميع سمع عن حالات الاقتراب من الموت near-death experiences، وهي حالات يُعتبر فيها الفرد "متوفى" سريرياً، لكنه يحيا مجدداً، ويقول بأنه خلال هذه الحالة كان قد ترك جسده المادي وزار ما يبدو أنه "عالم ما بعد الحياة". أوّل ما برز موضوع "الاقتراب من الموت" NDE في الثقافة الغربية العصرية كان في العام ١٩٧٥، عندما قام الدكتور "ريموند مودي" Raymond A. Moody، وهو طبيب نفسي ودكتور في الفلسفة، بنشر تحقيقاته حول الموضوع في كتاب بعنوان "حياة بعد الحياة" Life after Life.

بعدها بفترة قصيرة، كشفت الدكتورة "أليزابيث كولر روس" Elisabeth Kubler-Ross عن إجراءها لأبحاث مماثلة وتوصّلت إلى ذات النتائج التي توصّل إليها الدكتور "مودي". وبالفعل، مع تزايد عدد الباحثين الموثّقين لهذه الظاهرة بدأت تتوضّح حقيقة أن حالات "الاقتراب من الموت" ليست منتشرة فحسب *(كشف استفتاء أجري في العام ١٩٨١ عن أن ٨ ملايين أمريكي بالغ مرّوا بتجربة الاقتراب من الموت، أي واحد بين كل عشرين أمريكي)* بل توفّر دلائل مذهلة تُجبرنا على التسليم بواقعية الحياة بعد الموت.

كما ظاهرة "الخروج عن الجسد"، يبدو أن حالة "الاقتراب من الموت" ظاهرة عالميّة. تم وصفها بإسهاب في "كتاب الأموات" في "التبت" والعائد إلى القرن الثامن ميلادي، وكذلك "كتاب الأموات" المصري والعائد إلى أكثر من ٢٥٠٠ سنة. وفي الكتاب العاشر من "الجمهورية" The Republic يقدم الفيلسوف "أفلاطون" وصفاً مفصّلاً لجندي إغريقي اسمه "آر" Er، والذي عاد إلى الحياة قبل فترة وجيزة من البدء بإحراق جنازته، وقال بأنه غادر جسده وسافر عبر "ممرّ" أو "نفق" إلى بلاد الأموات.

يقدّم الجليل "بيدي" Bede (فقيه وراهب الإنكليزي، عاش بين ٦٧٢ و٧٣٥م) وصفاً مشابهاً في كتابه "تاريخ الشعب والكنيسة الإنكليزية" A History of the English Church and People. وفعلاً، في كتابها الذي بعنوان "رحلات إلى العالم الآخر" Otherworld Journeys تقول "كارول زالسكي" Carol Zaleski، وهي محاضرة في الأبحاث الدينية بجامعة "هارفارد"، بأن أدبيات العصور الوسطى تزخر بالإشارات إلى حالات "الاقتراب من الموت".

الذين اختبروا "الاقتراب من الموت" ليس لهم أي خواص ديمغرافية فريدة. بيّنت دراسات عديدة ومتنوعة بأنه ما من علاقة بين حالات "الاقتراب من الموت" والعمر، الجنس، الحالة الزوجية، العرق، الدين أو الحالة الاعتقادية عموماً، الطبقة الاجتماعية، المنزلة العلمية، المدخول المالي، مدى الإلتزام الديني، حجم المجتمع

المحلّي، أو منطقة السكن. يبدو أن هذه الحالة تُشبه الصاعقة الرعدية، يمكنها أن تضرب أي شخص في أي وقت. الأتقياء الدينيون معرّضون لهذه الحالة بنفس الدرجة مع الملحدين. ليس هناك أي تمييز في المسألة.

أحد أكثر المظاهر إثارة بخصوص ظاهرة "الاقتراب من الموت" هو التطابق الموجود بين تجارب الذين اختبروها. فيما يلي ملخّص عام لحالة نموذجية "للاقتراب من الموت":

يكون الفرد في حالة موت، فيجد نفسه فجأة محلقاً فوق جسده ويراقب ما الذي يجري له وفي محيطه. خلال لحظات يبدأ بالسفر بسرعة عبر ظلام قاتم أو "نفق". يدخل في النهاية إلى عالم من النور المُبهِر ويتلقى استقبال دافئ من قبل أصدقاء وأقارب متوفين سابقاً. يسمع نغمات موسيقية عذبة يتعذّر وصفها، ويرى مناظر مُبهجة للعين ــ مروج مهدهدة، وديان مليئة بالأزهار، وجداول مائية متلألئة ــ وهي أكثر روعة وفتنة من أي شيء موجود في الأرض. في هذا العالم المُفعم بالنور لا يشعر الفرد بأي ألم أو خوف بل يتملّكه شعور غامر بالبهجة، المحبة، والسلام.

يلتقي بــ"كائن نوراني" (أو مجموعة كائنات) تنبعث منه مشاعر هائلة من العاطفة والحنان، فيحثّه على اختبار "ذاكرة استرجاعية لحياته" *(وهي عملية مشاهدة واختبار شامل لتفاصيل حياته، بنفس طريقة الفيلم السينمائي، وتدوم الحالة للحظات قليلة فقط)*. يستحوذ عليه شعور عارم بالبهجة خلال وجوده في هذا العالم العظيم لدرجة أنه لم يعد يرغب شيئاً سوى البقاء فيه. لكن مع ذلك، يقول له "الكائن النوراني" بأن موعده لم يحين بعد فيقنعه على العودة إلى حياته الدنيوية والدخول مجدداً إلى جسده المادي.

يجدر التذكر بأن المشهد السابق يمثّل وصف عام للحالة، إذ ليس كل حالات "الاقتراب من الموت" تحتوي على كامل العناصر المذكورة فيه، حيث بعضها قد يفتقد لأحد المظاهر المذكورة، بينما البعض الآخر قد يحتوي على عناصر إضافية.

حتى الزخارف الرمزية في المشهد قد تختلف بين حالة وأخرى. فمثلاً، بالرغم من أن "المقتربون من الموت" في الثقافة الغربية ينزعون إلى دخول عالم ما بعد الموت عبر "نفق"، نجد أن المنتمين إلى ثقافات أخرى يدخلون العالم التجاوزي عبر "السير في طريق" أو "المرور فوق بحر من الماء".

لكن في جميع الأحوال، يبقى هناك درجة مذهلة من التوافق بين حالات "الاقتراب من الموت" المُبلّغ عنها في ثقافات مختلفة عبر التاريخ. فمثلاً، المقطع الذي يختبر فيه الفرد "ذاكرة استرجاعية لحياته" هو مظهر عام موجود في كافة الثقافات وعبر التاريخ. وقد وصفه "كتاب الأموات" في كل من مصر والتبت. وورد أيضاً في كتاب "الجمهورية" لأفلاطون، وبالإضافة إلى أعمال الحكيم الهندي "باتانجالي" Patanjali والعائدة لأكثر من ألفي سنة.

وقد تم التأكّد من تشابهات كثيرة أخرى بين الثقافات المختلفة في عدد من الدراسات العلمية العصرية الموثّقة. في العام ١٩٧٧، أجرى كل من "أوسيس" Osis و"هارالدسون" Haraldsson مقارنات بين ٩٠٠ رؤية خلال "الاقتراب من الموت" رواها المرضى لأطبائهم في كل من الهند والولايات المتحدة، ووجدا بأنه بالرغم من وجود اختلافات ثقافية ــ مثلاً، الأمريكيون يميلون إلى رؤية "الكائن النوراني" على أنه ممثلاً لأحد الشخصيات الدينية المسيحية، بينما الهنود يميلون إلى رؤيته ممثلاً لشخصية دينية هندوسية ــ إلا أن "جوهر" الحالة التي يختبرونها هي ذاتها تماماً حيث تشبه حالات "الاقتراب من الموت" التي وصفها كل من الدكتور "مودي" والدكتورة "كوبلر روس" (الحالة النموذجية المذكورة سابقاً).

رغم أن النظرة التقليدية تجاه هذه الظاهرة تقول بأنها مجرّد هلوسات، إلا أن هناك دلائل قوية بأن الأمر ليس كذلك. كما الحال مع "الخروج عن الجسد"، عندما يخرج "المقتربون من الموت" عن جسدهم يستطيعون التبليغ عن تفاصيل لا يمكن معرفتها بالطرق العادية. فمثلاً، تحدث الدكتور "مودي" عن حالة غادرت فيها إحدى النساء جسدها خلال عملية جراحية، ثم طافت إلى غرفة الانتظار، ورأت

بأن ابنتها تضع في شعرها شكلات غير متناظرة. تبيّن أن خادمة المنزل استعجلت في تلبيس الفتاة الصغيرة فلم تلحظ هذا الخطأ وقد أصيبت بالصدمة من تعليق الأم على الأمر رغم أنها لم ترى ابنتها عينياً.

في حالة أخرى، بعد مغادرة جسدها، انتقلت إحدى النساء إلى رواق المستشفى وسمعت أخو زوجها يقول لصديقه مستهزئاً بأنه سيضطرّ إلى إلغاء رحلة العمل ليقوم بدلاً من ذلك بحمل نعش زوجة أخيه. بعد صحوتها من الغيبوبة (اقتراب من الموت)، قامت المرأة بتأنيب أخو زوجها المذهول بسبب برودة عاطفته تجاهها.

هذه لا تُعتبر أمثلة استثنائية على حالات الإدراك فوق الحسّي خلال مغادرة الجسد أثناء "الاقتراب من الموت". اكتشف الباحثون في هذه الظاهرة أنه حتى المرضى العميان (عاجزون عن الرؤية تماماً) والذين لم يُدركوا الضوء منذ سنوات، استطاعوا الرؤية بوضوح ووصف كل ما يجري حولهم بدقّة كبيرة خلال مغادرتهم الجسد أثناء "الاقتراب من الموت". التقت الدكتورة "كوبلر روس" بالكثير من هؤلاء الأفراد وأجرت معهم مقابلات مطوّلة للتأكّد من مدى دقّة معلوماتهم. علّقت قائلة: *".. لمدى دهشتنا، استطاعوا وصف ألوان وتصاميم الألبسة والمجوهرات التي ارتداها الحاضرون.."*

الحالات الأكثر إدهاشاً هي تلك التي تجمع بين شخصين أو أكثر. في إحدى هذه الحالات، بعد مغادرة إحدى النساء جسدها ووجدت نفسها تسير عبر "النفق" مقتربة من عالم النور، رأت صديقاً لها يسير عائداً من هناك! عند نقطة اقترابهما من بعض، تواصل معها صديقها تخاطرياً قائلاً بأنه مات لكن تم إرساله من جديد. المرأة أيضاً أعيدت من جديد في النهاية، وبعد شفائها الكامل من مرضها اكتشفت بأن صديقها قد تعرّض لسكتة قلبية فعلاً وفي نفس الموعد الذي اختبرت فيه حالة "الاقتراب من الموت". هناك العديد من الحالات الموثّقة الأخرى التي عرف الأفراد خلالها من كان ينتظرهم في العالم الآخر قبل وصول أخبار موته عبر الوسائل العادية.

وإذا لازال هناك شكوك بخصوص هذه الظاهرة، هناك حجّة قوية أخرى ضدّ الفكرة القائلة بأنها مجرّد هلوسات، وهي أن هذه الحالة تحصل مع الفرد في الوقت الذي تكون الموجات الدماغيّة لديه (EEG) مسطّحة تماماً. في الحالات العادية، مجرّد أن قام الشخص بالكلام، التفكير، التخيّل، الحلم، أو أي عمل عقلي آخر، تسجّل الموجات الدماغية كمية كبيرة من النشاطات. حتى الهلوسات تستثير نشاط الموجات الدماغية. لكن خلال معظم حالات "الاقتراب من الموت" تكون الموجات الدماغية مسطّحة تماماً، أي لا تسجّل أي نشاط. لو كانت حالتهم مجرّد هلوسات بسيطة، لكانت سجّلت تأثير معيّن في جهاز قياس الموجات الدماغية.

باختصار، بعد أخذ كل هذه الحقائق بعين الاعتبار ــ أي الانتشار الواسع لطبيعة حالة "الاقتراب من الموت"، وغياب الخصائص الديموغرافية، عالمية السيناريو الجوهري لهذه التجربة، قدرة "المقتربين من الموت" على معرفة وإدراك الأشياء رغم غياب الوسائل التقليدية لمعرفتها وإدراكها، وحصول هذه الحالة رغم أن الموجات الدماغية لدى المريض تكون مسطّحة ــ يبدو الاستنتاج النهائي حتمياً وغير قابل للجدال: <u>الذين يدخلون حالة "الاقتراب من الموت" لا يعانون من الهلوسة أو التخيلات الوهمية، بل يقومون فعلياً بزيارات إلى مستوى مختلف تماماً من الواقع.</u>

هذا هو الاستنتاج الذي توصّل إليه أيضاً العديد من الباحثين في هذه الظاهرة. أحد هؤلاء هو الدكتور "ملفين مورس" Melvin Morse، وهو طبيب أطفال من "سياتل"، واشنطن. أصبح "مورس" في البداية مهماً بظاهرة "الاقتراب من الموت" بعد معالجة مريضة عمرها سبعة سنوات. قبل المرحلة التي أُعيد فيها إحياء الفتاة كانت في غيبوبة عميقة، حيث بؤبؤ عينها كانت متوسّعة وثابتة، مع غياب كامل للانعكاس العضلي، وانعدام كامل لاستجابة قرنية العين. وفق المفاهيم الطبيّة، هذا يعني أنها في غيبوبة عميقة جداً لدرجة تنعدم فيها الفرصة لانتعاشها. لكن بالرغم من هذه العلامات السلبية، شُفيت تماماً بعدها، وعندما ذهب إليها الدكتور "مورس" للإطلال عليها لأوّل مرّة بعد صحوتها، تعرّفت عليه فوراً وقالت بأنها راقبته عن

كثب خلال عمله على معالجة جسدها الفاقد الوعي. عندما طرح عليها "مورس" المزيد من التساؤلات شرحت له قائلة بأنها غادرت جسدها ومرّت عبر "نفق" وصولاً إلى الفردوس حيث التقت بالأب السماوي.

قال لها "الأب السماوي" بأنه ليس مقصوداً أن تكون هناك بعد، وسألها إذا رغبت في العودة أو البقاء هناك. في البداية قالت أنها ترغب في البقاء هناك، لكن عندما أشار "الأب السماوي" إلى حقيقة أن بقاءها سيمنعها من رؤية والدتها مجدداً، غيّرت رأيها وعادت إلى جسدها.

كان الدكتور "مورس" متشككاً في البداية لكن بنفس الوقت مفتوناً بالقصّة، ومنذ ذلك الوقت قرّر تعلّم كل ما يستطيع عن هذه الظاهرة. في تلك الفترة كان يعمل مع مؤسسة الخدمات الطبية الجويّة في "إيداهو" حيث كان ينقل المرضى جواً إلى المستشفى، وهذا وفّر له فرصة سانحة للحديث مع أعداد كبيرة من الأطفال الذين أُعيد إنعاشهم. على مدى عشر سنوات، أجرى مقابلات مع كل الأطفال الناجين من السكتات القلبية في المستشفى، وكان يسمع ذات الشيء مراراً وتكراراً. بعد فقدانهم الوعي، يجدون أنفسهم خارج أجسادهم، يراقبون الأطباء كيف يعملون عليها، يمرّون عبر نفق، وتستقبلهم "كائنات نورانية" تشعّ بالعاطفة والحنان.

استمرّ الدكتور "مورس" في تشكّكه، وخلال بحثه المتزايد لبعض التفسيرات المنطقية قرأ كل شيء يمكن أن يجده حول التأثيرات الجانبية للمواد المخدرة التي يتناولها مرضاه، واطلع على تفسيرات وشروحات متنوعة في مجال علم النفس، لكن دون جدوى. لم يتوافق كل هذا مع ما اختبره مع مرضاه. *".. لكن في أحد الأيام قرأت مقالة طويلة في مجلّة طبيّة تحاول تفسير ظاهرة الاقتراب من الموت بصفتها خدعة دماغية.."*، قال مورس، ثم أكمل: *".. في حينها كنت قد درست هذه الظاهرة بشكل مكثّف ولم أجد أي شيء منطقي مما أوردته هذه المقالة من تفسيرات. أصبح واضحاً في النهاية بالنسبة لي أنهم تجاهلوا التفسير الأكثر*

وضوحاً ومنطقية. حالات الاقتراب من الموت هي حقيقية. لقد فاتتهم حقيقة إمكانية النفس على الانتقال فعلاً.."

يعكس الدكتور "مودي" هذا الرأي أيضاً ويقول بأن عشرين عاماً من البحث في هذا الموضوع أقنعه بأن "المقتربين من الموت" يسافرون فعلاً إلى مستوى آخر من الواقع. يؤمن بأن مُعظم الباحثين بهذه الظاهرة يشعرون بالأمر ذاته. يقول: *".. لقد تكلمت مع كافة الباحثين بهذا المجال تقريباً حول العالم. أنا أعلم بأن معظمهم يؤمن في داخله بأن الاقتراب من الموت يمثّل لمحة قصيرة عن الحياة بعد الحياة. لكن بما أنهم علماء وأطباء أكاديميين، لم ينجحوا بعد في التوصّل إلى براهين علمية تثبت إمكانية استمرار جانب منا في العيش بعد موت الجسد. هذا الغياب للدلائل العلمية يمنعهم من التعبير علناً أمام العامة عن قناعاتهم الحقيقية.."*

كنتيجة لدراسة إحصائية أجراها في العام ١٩٨١، حتى "جورج غالوب" الأصغر George Gallup, Jr، رئيس مؤسسة "غالوب" الإحصائية، يسلّم بالأمر قائلاً: *"..هناك عدد متزايد من الباحثين يجمعون ويقيّمون روايات أولئك الذين اختبروا حالات "الاقتراب من الموت" الغريبة. والنتائج الأوليّة توحي فعلاً إلى وجود نوع من التواصل مع مستوى متجاوز لأبعاد الواقع. دراستنا الإحصائية المكثّفة هي الأحدث وتكشف عن اتجاهات تشير إلى وجود كون خارق موازي من نوع معيّن.."*

التفسير الهولوغرافي لظاهرة الاقتراب من الموت

التأكيدات السابقة هي مذهلة فعلاً. الأمر الأكثر إذهالاً هو أن المؤسسة العلمية أقدمت على تجاهل كل من استنتاجات هؤلاء الباحثين وذلك الحجم الهائل من الدلائل التي أجبرتهم على إعلان آراءهم التي تسلّم بصحّة الظاهرة. أما الأسباب وراء هذا الموقف السلبي فهي متنوعة ومعقّدة بعض الشيء. أحدها هو أنه ليس لائقاً بالنسبة للعلم المنهجي المحترم أن يتناول بجديّة أي ظاهرة تدعم الواقع

الروحي، وكما ذكرت في بداية هذا الكتاب، المعتقدات هي كما الإدمان وبالتالي لا تستسلم بسهولة.

أما السبب الآخر، وكما ذكر الدكتور "مودي"، فهو سواد الحكم المُسبق بين العلماء والقائل بأن الأفكار التي لها قيمة أو دلالات ملموسة هي فقط التي يمكن إثباتها بطريقة علميّة صارمة. وسبب آخر يتعلّق بعجز المفاهيم العلمية الحالية بخصوص الواقع عن إيجاد نقطة تنطلق منها، أو أساس تستند عليه، لتفسير حالات "الاقتراب من الموت"، فالعلم المنهجي محكوم من قبل المذهب المادي متشدّد، وبالتالي هو مجرّد تماماً من أي صيغة أو مفهوم روحي/تجاوزي يمكن البناء عليه خلال تناول أي ظاهرة ماورائية.

لكن يبدو أن هذا السبب الأخير يمكن الالتفاف حوله. أشار عدد من الباحثين إلى أن النموذج الهولوغرافي يوفّر لنا طريقة مجدية لفهم هذه الظواهر بطريقة علمية سليمة. أحد هؤلاء الباحثين هو الدكتور "كينيث رينغ" Kenneth Ring، وهو أستاذ في الطب النفسي بجامعة "كونكتيكت" Connecticut وأحد أوائل الباحثين بهذا المجال الذي استخدم التحليل الإحصائي وتقنيات معيارية لإجراء المقابلات مع الأشخاص الذين اختبروا هذه الحالة. في كتابه "الحياة عند الموت"Life at Death المنشور عام ١٩٨٠، خصص "رينغ" مساحة كبيرة محاولاً إثبات صحّة التفسير الهولوغرافي لظاهرة "الاقتراب من الموت". أي بمعنى أوضح، يؤمن "رينغ" بأن حالات "الاقتراب من الموت" هي عبارة عن مغامرات الوعي إلى الجوانب ذات الطبيعة الذبذبية من الواقع.

يُسند "رينغ" استنتاجاته على مظاهر هولوغرافية عديدة لحالة "الاقتراب من الموت". أحدها هو ميل الأفراد إلى وصف العالم التجاوزي بأنه عالم يسوده "النور"، "ذبذبات عالية"، أو "ترددات". حتى أن بعض هؤلاء الأفراد أشاروا إلى "الموسيقى السماوية" التي غالباً ما ترافق هذه التجارب الاستثنائية على أنها تميل أكثر إلى كونها "مزيج من الذبذبات" بدلاً من مجرّد أصوات. وهذه ملاحظات يعتقد

"رينغ" بأنها دلائل على أن الموت يمثّل عملية انتقال الوعي بعيداً عن العالم العادي إلى واقع هولوغرافي يتألف بمعظمه من ذبذبات. يقول "المقتربون من الموت" أيضاً بأن ذلك العالم مغمور بالنور الساطع والذي لم يروا مثيلاً له في العالم الأرضي، لكن رغم شدة كثافته الغامضة، فهو لا يؤذي العيون، وهذه خصائص يؤمن "رينغ" بأنها دلائل إضافية على المظاهر الذبذبية للعالم التجاوزي.

هناك مظهر آخر يجد "رينغ" بأنه ذو طبيعة هولوغرافية، وهو طريقة وصف الأفراد لطبيعة الزمان والمكان في عالم ما بعد الحياة. أحد أكثر الخواص المُبلغ عنها حول العالم التجاوزي هو أنه "بُعد ينعدم فيه المكان والزمان". يقول أحد المقتربين من الموت واصفاً الحالة بطريقة مرتبكة يُعجز التعبير عنها بسهولة: *"..وجدت نفسي في مكان معيّن، وفي زمان معيّن، بحيث يمكن القول أنه عبارة عن حالة يغيب فيها الزمان والمكان.."*. ويقول فرد آخر: *".. وجب أن تكون هذه الحالة خارج نطاق المكان والزمان. وجب أن تكون كذلك، لأنه.. لا يمكن وضع المسألة ضمن حدود زمنية أو أي شيء آخر يتعلّق بالزمن.."*

يقول "رينغ" شارحاً: *".. بعد التسليم بأن الزمان والمكان ينعدمان تماماً بحيث لم يعد لهما أي معنى في عالم الذبذبات، هذا بالضبط ما نتوقع عندما نعتبر نظرياً بأن الاقتراب من الموت يمثّل حالة وعي هولوغرافية.."*

لكن السؤال هو، إذا كان عالم "الاقتراب من الموت" هو أكثر ميلاً للطبيعة الذبذبية بالمقارنة مع العالم العادي، لماذا يبدو بأنه يملك بُنية هيكلية أصلاً؟

بعد التسليم بحقيقة أن ظواهر "الخروج عن الجسد" و"الاقتراب من الموت" تمثّل دلائل وافية على إمكانية بقاء العقل مستقلاً خارج الدماغ، يعتقد "رينغ" بأنه لم يعد مُستغرباً أن نفترض بأن العقل يعمل بطريقة هولوغرافية أيضاً. وبالتالي، عندما يكون العقل في تلك المستويات الذبذبية العالية أثناء "الاقتراب من الموت" يستمرّ في فعل ما هو الأنسب بالنسبة له، وهو ترجمة الأنماط الذبذبية إلى عالم من

المظاهر البنيوية. أو كما يوصفها "رينغ" على طريقته الخاصة: *".. أعتقد بأن هذا عالم مخلوق بواسطة تفاعل البُنى الفكرية. هذه البُنى، أو الكينونات الفكرية تجتمع لتشكّل نماذج شكليّة، كما تفعل الموجات المتقاطعة عندما تشكّل نماذج شكلية على الصفيحة الهولوغرافية. وكما تظهر صورة هولوغرافية وكأنها حقيقية بعد إضاءتها بحزمة الليزر، كذلك الحال مع الصور التي تنتجها الكينونات الفكرية المتفاعلة، حيث تبدو حقيقية.."*

الدكتور "رينغ" ليس وحيداً في هذا النوع من التخمين. في المؤتمر العام للرابطة العالمية لأبحاث الاقتراب من الموت UANDS، أعلنت الدكتور "أليزابيث.و. فنسك" Elizabeth W. Fenske، وهي طبيبة نفس من فيلاديلفيا، أنها أيضاً تعتقد بأن حالات "الاقتراب من الموت" هي عبارة عن رحلات إلى العالم الهولوغرافي ذو الطبيعة الذبذبية عالية التردد.

هي توافق مع فرضية "رينغ" القائلة بأن المشاهد، المشاعر، البنية المادي،.. وغيرها من مظاهر العالم الآخر هي مصنوعة من تفاعل (أو تداخل) النماذج الفكرية. تقول معلّقة: *".. أعتقد بأننا وصلنا إلى نقطة معيّنة في مجال البحث بظاهرة الاقتراب من الموت، يصعُب عندها إجراء تمييز بين الفكر والنور في هذه الحالة، حيث يبدو أن الفكر هو نور.."*

الفردوس كـ"هولوغرام"

بالإضافة إلى تلك ذكرها كل من "رينغ" و"فينسك"، فإن لحالة "الاقتراب من الموت" مظاهر أخرى عديدة تدلّ على طبيعتها الهولوغرافية. كما "الخارجين عن الجسد"، بعد انفصال "المقتربون من الموت" عن الجسد المادي يجدون أنفسهم بأحد هيئتين، إما بهيئة غيمة من الطاقة، أو بهيئة جسم شبه هولوغرافي يخلقه الفكر. في حال تشكّل الهيئة الثانية، غالباً ما تكون طبيعة الجسم المخلوقة عقلياً واضحة بشكل مفاجئ بالنسبة للخارج عن جسده أثناء "الاقتراب من الموت". فمثلاً، أحد الأفراد الذين اختبروا هذه الحالة قال أنه أوّل ما خرج من جسده بدى وكأنه شيئاً يشبه

قنديل البحر (كائن هلامي) وسقط بخفّة على الأرض كما فقاعة الصابون. ثم تمدّد بسرعة متحولاً إلى صورة شبحية ثلاثية الأبعاد لرجل عارٍ من الألبسة. لكن وجود امرأتين في الغرفة دفعه إلى الشعور بالإحراج والخجل، ولشدة ذهوله، هذا الشعور أدى به فجأة إلى الظهور مرتدياً ألبسة (مع أن المرأتان لم تلحظا وجوده أصلاً ولم تبديا أي إشارة إلى رؤية أي مما يجري).

حقيقة أن مشاعرنا ورغباتنا العميقة هي المسؤولة عن خلق الشكل والهيئة التي نتخذها في البُعد التجاوزي هي أحد المظاهر الواضحة في تجربة "المقتربين من الموت". الأشخاص المقيّدون في كراسي المقعدين خلال وجودهم المادي يجدون أنفسهم بهيئة أجسام سليمة ونشيطة بحيث يمكنهم الركض والرقص. الذين لديهم أطراف مبتورة يجدون أنفسهم بهيئة جسم معافى كامل الأطراف. العجائز يجدون أنفسهم بأجسام يافعة ومفعمة بحيوية الشباب. والأمر الإرب هو أن الأطفال يجدون أنفسهم بهية أشخاص بالغين، وهذه حقيقة تعكس رغبة كل طفل لأن يكون بالغاً، أو يمكن أن تكون دلالة رمزية على أنه في أعماق نفوسنا بعضنا هو أكبر سناً مما يظنّ.

يمكن تفصيل هذه الأجسام الهولوغرافية بدرجة مذهلة. فمثلاً، في حالة الرجل الذي شعر بالإحراج من رؤية نفسه عارياً، الألبسة التي جسّدها لنفسه كانت مشغولة ومزخرفة بدقّة لدرجة أنه يستطيع رؤية درزات القُطب في القماش! وبشكل مماثل، رجل آخر تفحّص يديه خلال خروجه عن الجسد وصفها قائلاً بأنها *".. كانت تتألف من النور مع هياكل دقيقة داخلها.."*، وعندما دقّق النظر إليها استطاع أن يرى حتى *".. الخطوط الحلزونية لبصمات أصابعه وأنابيب ضوئية تجرى صعوداً إلى ذراعيه.."*

بعض من أبحاث "ويتون" Whitton وثيقة الصلة بهذا الموضوع. بشكل عجيب، عندما كان "ويتون" ينوّم المرضى مغناطيسياً ويسرجعهم إلى الحالة المتوسّطة بين "حياتين"، هم أيضاً وصفوا كافة المظاهر التي وصفها "المقتربون من الموت"، أي:

المرور عبر "نفق"، لقاء الأقارب والأصدقاء المتوفين/ أو كيانات مُرشدة، الدخول إلى عالم رائع مُفعم بالنور بحيث ينعدم فيه المكان والزمان، لقاء مع "كيانات نورانية"، واسترجاع سريع لكامل تفاصيل أحداث حياته.

في الحقيقة، وفقاً لأفراد "ويتون"، الغاية الرئيسية للاسترجاع السريع لأحداث حياتهم هي من أجل إنعاش ذاكرتهم وذلك لكي يتمكنوا من تخطيط حياتهم القادمة بشكل سليم، وهي عملية يشارك فيها "الكائنات النورانية" بطريقة لطيفة وغير قسرية.

مثل الدكتور "رينغ"، بعد دراسة متأنية لأقوال الأفراد استنتج "ويتون" بأن الأشكال والهيئات التي يدركها الفرد في عالم الحياة الأخرى هي عبارة عن كينونات فكرية يخلقها العقل. قال الدكتور "ويتون" معلقاً: *".. المقولة الشهيرة للفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" Rene Descartes ".. أنا أفكّر، إذاً أنا موجود.." تنطبق تماماً وكلياً على هذه الحالة التجاوزية.."*، ويضيف قائلاً: *".. ليس هناك أي اختبار لحالة الوجود دون فكر.."*

يبدو هذا صحيحاً بشكل أخصّ عندما يتعلّق الأمر بالهيئة التي خلقها أفراد الدكتور "ويتون" خلال وجودهم بحالة متوسط بين حياتين. عدد منهم قالوا بأنه لم يكن لديهم جسد أساساً إلا بعد أن بدؤوا يفكّروا بالأمر. قال "ويتون" واصفاً هذه الحالة: *"..أحد الأشخاص وصف الحالة قائلاً بأنه إذا توقّف عن التفكير يعود فوراً إلى اتخاذ هيئة غيمة صغيرة في رحاب غيمة لامتناهية.. لكن مجرّد أن بدأ بالتفكير، يتحوّل إلى شكله المألوف مرّة أخرى.."*

يقول "ويتون" بأن أجسام الأفراد تتخذ في البداية هيئة الأشخاص الذين تقمصوا دورهم في الحياة الحالية. لكن بعد اختبار الحالة المتوسّطة بين حياتين، يتحولون تدريجياً إلى مكوّنات هولوغرافية تتألف من كافة حيواتهم (جمع حياة) السابقة. هذه الهوية المركّبة الجديدة يكون لها اسم أيضاً، وهو مختلف عن كافة الأسماء التي

استخدمها الفرد في تقمصاته السابقة، لكن رغم ذلك كان الأفراد يعجزون عن لفظ الاسم مستخدمين الأوتار الصوتية الجسدية (لأنه اسم ذو طبيعة هولوغرافية).

كيف يبدو شكل "المقتربين من الموت" فعلياً قبل أن يخلقوا أجساد هولوغرافية لأنفسهم؟ يقول الكثيرون بأنهم لم يكونوا على علم بأي شكل محدّد وكانوا بكل بساطة مجرّد "أنفسهم"، أو "عقلهم". هناك آخرون لديهم انطباعات أكثر تفصيلاً ويصفون أنفسهم بهيئة "غيمة من الألوان"، أو "غشاوة"، أو "نمط ذبذبي"، أو "حقل من الطاقة"، وهي مصطلحات توحي مرّة أخرى بأننا في النهاية مجرّد ظواهر ذبذبية، أنماط معيّنة لنوع مجهول من الطاقة المتذبذبة منطوية ضمن نسيج عظيم من الحقل الذبذبي.

بعض "المقتربين من الموت" يؤكدون بأنه بالإضافة إلى التكوّن من ذبذبات ملوّنة من النور، نحن نتألف أيضاً من "الصوت". تقول إحدى ربات المنزل التي اختبرت حالة "الاقتراب من الموت" في طفولتها واصف الحالة: *".. أدركت بأن كل شخص وكل شيء لديه طيفه الخاص من النغمات الصوتية بالإضافة إلى طيفه اللوني.. إذا كنت تستطيع أن تتصوّر نفسك متنقلاً دون أي جهد بين إشعاعات ملوّنة من الضوء وسماع النغمة الموسيقية لكل شخص حيث تندمج مع نغماتك الخاصة عندما تمرّ بقربه أو تلمسه، سوف يتكوّن لديك فكرة عن ذلك العالم اللامرئي.."*

هذه المرأة التي التقت بالعديد من الأشخاص في عالم الحياة الأخرى، والذين تجلّوا بهيئة غيوم من الألوان والأصوات، تؤمن بأن النغمات العذبة التي تبعثها كل نفس هي ذاتها التي وصفها الأفراد أثناء قولهم بأنهم يسمعون موسيقى رائعة الجمال خلال حالة "الاقتراب من الموت".

مثل "مونرو"، بعض "المقتربين من الموت" يبلغون عن قدرتهم على الرؤية بكل الاتجاهات مرّة واحدة خلال وجودهم خارج جسدهم. مجرّد أن فكّر متسائلاً كيف كان شكله، قال أحد الأفراد بأنه وجد نفسه فجأة يحدّق إلى ظهره. "روبرت

سوليفان" Robert Sullivan، وهو باحث غير محترف في مجال "الاقتراب من الموت"، ومتخصّص في النظر إلى الحالات التي يختبرها الجنود خلال المعارك، أجرى مقابلة مع جندي سابق في الحرب العالمية الثانية قال بأنه استعاد هذه القدرة على الرؤية الشاملة حتى بعد أن عاد إلى جسده. قال "سوليفان" واصفاً الحالة: *".. لقد اختبر رؤية ٣٦٠ درجة خلال هروبه من مجال مدفع رشاش ألماني.. فأصبح بإمكانه ليس الرؤية أمامه فحسب، بل رؤية الألمان خلفه يوجّهون المدفع تجاهه.."*

المعرفة الفوريّة

الجانب الآخر من حالة "الاقتراب من الموت" الذي يحوز على الكثير من المظاهر الهولوغرافية هو الاسترجاع السريع لأحداث الحياة. يشير الدكتور "رينغ" إلى هذه العملية بأنها ظاهرة هولوغرافية بالتمام والكمال. وكل من الدكتور "ستانيسلاف غروف" Stanislav Grof و"جوان هاليفاكس" Joan Halifax، وهو أنثروبولوجي طبّي في جامعة "هارفارد" كما أنه اشترك مع "غروف" في تأليف الكتاب "مواجهة الإنسان مع الموت" The Human Encounter with Death، علقا على المظهر الهولوغرافي لعملية الاسترجاع الفوري لأحداث الحياة.

وفقاً لعدد من الباحثين في ظاهرة "الاقتراب من الموت"، بما فيهم الدكتور "مودي"، حتى الذين اختبروا هذه الحالة استخدموا الكلمة "هولوغرافي" خلال وصفهم لها. والسبب وراء هذا التصوير الوصفي يصبح واضحاً بعد أن نتعرّف على كلامهم عن طريقة اختبارهم لحالة "الاسترجاع الفوري" لكامل الأحداث التفصيلية التي حصلت في حياتهم. مراراً وتكراراً يستخدمون نفس الصفات والكلمات من أجل وصف هذه الحالة، يشيرون إليها على أنها عملية استرجاع ثلاثي الأبعاد، واضحة جداً، شاملة جداً، لحياتهم. يصفها أحدهم قائلاً: *".. الأمر يشبه الدخول مباشرة إلى فيلم سينمائي عن حياتك الشخصية.."*. ويقول آخر: *".. كل لحظة من كل سنة من حياتك يتم استعراضها أمامك بتفاصيل حسيّة كاملة.. استرجاع شامل كامل للذاكرة. وكل هذا يحصل خلال لحظة.."*. ويقول آخر: *".. الأمر بكامله كان غريباً. كنت هناك، أرى فعلياً كل هذه المقتطفات الاسترجاعية، وكنت أمشي فعلياً*

بينها، وكانت سريعة جداً، لكنها بنفس الوقت بطيئة بما يكفي لأن استوعبها جميعاً..".

خلال هذا التذكّر البانورامي (الشامل) واللحظي الذي يختبره "المقتربون من الموت"، يختبرون معه أيضاً كل المشاعر المبهجة والمحزنة المرافقة للأحداث التي يسترجعونها من حياتهم. وأكثر من ذلك، يشعرون بكل المشاعر التي انتابت الأشخاص الذين تفاعلوا معهم خلال تلك الأحداث. يشعرون مثلاً بالبهجة التي تملكت الأشخاص الذين أحسنوا إليهم، وإذا أساؤا إلى أحدهم، يشعرون بالألم الذي سببوه له كنتيجة لعملهم. بالإضافة إلى أنه ما من حدث يبدو تافهاً لدرجة تجعله مُلغى من عملية التذكّر هذه. خلال استرجاع ذاكرتها إلى فترة معينة من طفولتها، بدأت إحدى النساء تختبر فجأة كل مشاعر الفقدان والضعف التي انتابت أختها الصغيرة بعد أن خطفت لعبة من بين يديها.

كشف الدكتور "ويتون" عن دلائل على أن الأفعال الطائشة (عدم مراعاة مشاعر الآخرين) ليست الأشياء الوحيدة التي تسبب الندم البليغ عند الأفراد خلال عملية الاسترجاع الفوري لأحداث الحياة. بلّغ الأفراد تحت تأثير التنويم المغناطيسي بأن الإخفاق في تحقيق الأحلام والطموحات ــ أي الأمور التي أملوا تحقيقها خلال حياتهم لكنهم فشلوا ــ سببت لهم الأسى والحزن أيضاً. حتى الأفكار، أيضاً، يتم استرجاعها بدقّة تفصيلية خلال العملية. أحلام اليقظة، الوجوه التي يلمحها الفرد مرّة في حياته لكنه تذكرها لسنوات، أمور جعلته يضحك، البهجة التي شعر بها خلال النظر إلى لوحة فنيّة معيّنة، مشاكل الطفولة، أحلام اليقضة المنسية منذ زمن بعيد،.. كل هذه الأشياء، المليارات منها، تتجلّى في عقل الفرد خلال ثانية واحدة. يلخّص أحد "المقتربين من الموت" هذه الحالة قائلاً: *".. حتى أفكارك العابرة لن تضيع.. كل من هذه الأفكار يكون موجوداً..".*

وهكذا فإن عملية المراجعة الفورية لأحداث الحياة هي هولوغرافية ليس فقط بسبب طبيعتها ثلاثية الأبعاد، بل بسبب الإمكانية المذهلة للتخزين والمعالجة المعلوماتية

التي تستعرضها. بالإضافة إلى أنها تُعتبر هولوغرافية من ناحية ثالثة. إنها كما حرف "الألف" القباليّة (تعاليم القبالة)، عبارة عن نقطة خيالية في المكان والزمان والتي تشمل باقي النقاط الأخرى في المكان والزمان، إنها لحظة تشمل باقي اللحظات. حتى القدرة على إدراك واستيعاب "المراجعة الفورية" هذه تبدو هولوغرافية حيث تمثّل قدرة على عيش واختبار شيء يكون بحالتين متناقضتين بنفس الوقت، في الوقت الذي يتصف فيه بالسرعة الخاطفة، يكون أيضاً بطيء بما يكفي للتدقيق بالتفاصيل. وكما يعبّر عنها أحد "المقتربين من الموت" في العام ١٨٢١، إنها قدرة على *".. استيعاب الكلّ وجزئياته بنفس الوقت.."*.

في الحقيقة، فإن "المراجعة الفورية" لأحداث الحياة تحمل في طياتها تشابهاً مع مشاهد "الحساب" بعد الموت والموصوفة في النصوص المقدسة للكثير من الأديان العالمية الكُبرى، ابتداءً من أديان مصر ووصولاً إلى الأديان السماوية، لكن مع اختلاف واحد حاسم. كما أفراد الدكتور "ويتون"، يقول "المقتربون من الموت" دائماً وفي كل مكان بأنهم لم يُحاسبوا من قبل "الكائنات النورانية"، بل يشعرون فقط بالحب والتقبّل في حضورهم. المحاكمة الوحيدة التي تحصل هي المحاكمة الذاتية وتبرز تلقائياً لدى "المقترب من الموت" نتيجة شعوره بالذنب أو الندم. لكن في النهاية، تفرض "الكيانات النورانية" نفسها، لكن بدلاً من التصرّف بطريقة سلطوية، يعملون كمرشدين أو ناصحين أو مستشارين حيث غايتهم الوحيدة هي التعليم والهداية.

هذا الغياب الكلّي للمحاكمة الكونية و/أو أي نظام إلهي للمكافأة والعقاب يمثّل أحد المظاهر المثيرة للجدل حول ظاهرة "الاقتراب من الموت" بين المجموعات الدينية، لكنه مع ذلك يُعتبر أحد أكثر المظاهر المُبلّغ عنها من قبل كل من اختبر هذه التجربة التجاوزية. ما هو تفسير ذلك يا تُرى؟ يعتقد الدكتور "مودي" بأن الأمر بسيط بقدر ما هو جدليّ. نحن نعيش في كون أكثر خيراً وسماحة مما نتصوّره. أكثر بكثير.

لكن هذا لا يعني أن لا شيء يحصل خلال عملية "المراجعة الفورية" لأحداث الحياة. مثل الأفراد الذين نوّمهم "ويتون" مغناطيسياً، بعد وصولهم إلى عالم النور، يبدو أن "المقتربين من الموت" يدخلون حالة من الوعي عالي المستوى أو "ماوراء الوعي" meta-consciousness كما يسميها الدكتور "ويتون"، ثم يصبحون صادقين جداً خلال النظر إلى ذاتهم ومحاسبتها.

هذا لا يعني أيضاً بأن "الكائنات النورانية" لا توصي بأي من القِيم. فهي تشدّد دائماً وفي كافة حالات "الاقتراب من الموت" على شيئين مهمين. الأوّل هو أهميّة المحبّة. يكرّرون هذه الرسالة مراراً وتكراراً، حيث وجب أن نتعلّم كيف نستبدل الغضب بالمحبّة، التعلّم على الحبّ أكثر، التعلّم كيف نسامح ونحبّ كل فرد وبطريقة غير مشروطة، ونتعلّم حقيقة أننا محبوبون بدورنا. يبدو أن هذا هو المعيار الأخلاقي الوحيد الذي تستخدمه هذه "الكائنات".

حتى النشاطات الجنسية تتوقف عن الاتسام بذلك العار الأخلاقي الذي نحن البشر مولعون بالتعلق به. أحد أفراد الدكتور "ويتون" قال بأنه بعد عيش عدد من التجسيدات (تقمصات) المُحبطة والمنطوية، تم تشجيعه على رسم خطة لحياته التالية يتخذ فيها هيئة امرأة عاشقة ونشطة جنسياً، وذلك من أجل موازنة مسيرة التطوّر الشامل "للنفس" لديه. يبدو أنه في رأي "كائنات النور"، العاطفة والحنان تمثلان مقياس النعمة، ومرّة بعد مرّة كلما يتساءل "المقتربون من الموت" عن إذا كانت إحدى الأفعال التي اقترفوها خاطئة أو صحيحة، تجيبهم "الكائنات النورانية" بسؤال: *".. هل فعلت ذلك بدافع الحب؟ هل كان بحافز المحبّة؟.."*

".. لهذا السبب نحن موجودون هنا على الأرض.."، تقول الكائنات، *".. من أجل تعلّم حقيقة أن المحبّة هي المفتاح.."*. تُسلّم بأن هذه مهمّة صعبة وشاقّة، لكنها عملية جوهرية ومعوّل عليها من أجل وجودنا البيولوجي والروحي وبطرق معيّنة لم نبدأ حتى بمحاولة استيعابها. حتى الأطفال يعودون من عالم "الاقتراب من الموت" مع رسائل مطبوعة في أفكارهم بقوة. يقول أحد الأطفال والذي بعد صدمه

بسيارة تم إرشاده إلى العالم التجاوزي من قبل شخصين يرتديان عباءات "بيضاء جداً": *".. ما تعلمته هناك هو أهم شيء تفعله هو أن تحبّ خلال وجودك على قيد الحياة.."*.

الأمر الثاني الذي شدّدت عليه "الكائنات النورانية" هو المعرفة. دائماً يعلّق "المقتربون من الموت" قائلين بأن "الكائنات" كانت تبدو مسرورة متما تجلّت حادثة تتعلّق بالمعرفة أو العلم خلال "المراجعة الفورية" لحياة الفرد. بعض الأفراد كانوا يُنصحون صراحةً بأن يباشروا في طلب المعرفة بعد عودتهم إلى أجسادهم المادية، خصوصاً المعرفة المتعلقة بالتنمية والتطوير الذاتي أو تلك التي تعزّز قدرة الفرد على مساعدة الآخرين.

هناك أفراد يُحفّزون من خلال أقوال مثل: *".. التعلّم هو عملية دائمة وتبقى مستمرّة حتى بعد الموت.."*، وكذلك القول: *".. المعرفة هي إحدى الأشياء القليلة التي تستطيع اصطحابها معك بعد الموت.."*. إن تفوّق عنصر المعرفة في عالم ما بعد الحياة ظاهراً بطريقة أخرى. بعض "المقتربين من الموت" اكتشفوا بأنه في حضور "النور" أصبح بإمكانهم فجأة الحيازة على كل المعرفة. هذه الحيازة تجلّت بأشكال عديدة. أحياناً تأتي بشكل إجابات على تساؤلات معيّنة. أحد الرجال قال بأنه كل ما عليه فعله هو طرح سؤال، مثل *".. كيف سيبدو الأمر عندما أكون حشرة.."*، فيختبر هذه الحالة فوراً. هناك آخر وصف الأمر قائلاً: *".. يمكنك التفكير بسؤال.. وسوف تعرف الجواب مباشرة. بهذه البساطة. ويمكن أن يكون أي سؤال مهما كان نوعه. يمكن أن يتعلّق بموضوع لا تعرف عنه شيئاً، أي أنك لست بالوضعية المناسبة لاستيعابه، لكن "النور" سيوفر لك الجواب الفوري الصحيح ويجعلك تستوعبه.."*

بعض "المقتربين من الموت" قالوا بأنه ليس ضرورياً أن يطرحوا الأسئلة من أجل الدخول إلى هذا المخزن المعلوماتي الكوني. بعد مرحلة "المراجعة الفورية" لحياتهم، أصبحوا فجأة قادرين على معرفة كل شيء، كل المعرفة المتوفرة منذ

بداية الزمن حتى نهايته. هناك آخرين تواصلوا مع هذه المعرفة الكونية بعد أن قامت "كائنات النور" ببعض الإيماءات المعيّنة، مثل التلويح باليد. لكن البعض الآخر قال أنه بدلاً من الحيازة على المعرفة، قاموا بتذكّرها بكل بساطة، لكنهم نسوا معظم ما تذكروه مجرّد أن عادوا إلى أجسادهم المادية (وهي حالة فقدان ذاكرة مألوفة لدى كل "المقتربين من الموت" حول العالم والذين اطلعوا على هذه المعرفة). مهما كان الأمر، يبدو أنه بعد أن نصبح في رحاب العالم التجاوزي، لم يعد ضرورياً الدخول في "حالات وعي بديلة" من أجل الدخول إلى حقل المعرفة الكونية اللامحدودة، أو الحالة "المتجاوزة للنفس" transpersonal، وهو الوصف الذي أطلقه الدكتور "غروف" على الحالة التجاوزية التي اختبرها مرضاه.

بالإضافة إلى كونه هولوغرافي بكل الطرق المذكورة سابقاً، هذا الإدراك الفوري للمعرفة الشاملة لديه مظاهر هولوغرافية أخرى. غالباً ما يقول "المقتربون من الموت" بأنه خلال هذا الإدراك الفوري، تأتي المعلومات على شكل "قِطع" وتُسجّل فوراً في ذهن الفرد. أي بمعنى آخر، بدلاً من امتدادها بشكل طولي كالكلمات المصفوفة في جملة أو مشاهد مصفوفة في فيلم سينمائي، كل الحقائق، التفاصيل، الصور، وأجزاء المعلومات تتفجّر في وعي الفرد بشكل لحظي. أشار أحد "المقتربين من الموت" إلى هذه التفجّرات المعلوماتية على أنها *".. رُزم فكرية.."*. أما "مونرو" Monroe الذي اختبر أيضاً هذه التفجّرات المعلوماتية اللحظية خلال خروجه عن الجسد، فيسميها "كرات فكرية" thought balls.

وبالفعل، فإن أي شخص يحوز على قدرة وسيطيّة بدرجة معيّنة لا بدّ من أنه يألف هذه الحالة، حيث هذه هي الصيغة التي يتلقى عبرها المعلومات الغيبية. فمثلاً، عندما نلتقي أحياناً بشخص غريب (أو مجرّد سماع اسم شخص معيّن)، تلمع "كرة فكرية" فجأة في وعينا وتحمل معلومات عن هذا الشخص. يمكن لهذه "الكرة الفكرية" أن تشمل حقائق مهمة عن التكوين النفسي والعاطفي لهذا الشخص، وحتى حالته الصحيّة أو مشاهد من ماضيه. أنا شخصياً، يبدو أنني أميل خصّيصاً إلى تلقي "كرات فكرية" عن أشخاص يعانون من أزمات معيّنة.

فمثلاً، التقيت مؤخراً بامرأة وعرفت فوراً وتلقائياً بأن فكرة الانتحار تراودها. كما أنني عرفت بعض الأسباب التي تدفعها إلى ذلك. وكما أفعل دائماً في هكذا مواقف، بدأت أتكلّم معها ورحت أناور خلال الحديث متطرقاً إلى مواضيع روحية وتجاوزية. بعد اكتشافي بأنها تتقبّل هكذا مواضيع، واجهتها بالمعلومات التي لدي وهذا شجعها على البوح بمشاكلها. انتزعت منها وعداً بأن تسعى إلى نصيحة متخصّص بهذه الأمور بدلاً من البقاء على الخيار المظلم الذي اختارته لنفسها.

إن تلقّي المعلومات بهذه الطريقة يشبه تماماً تلك التي ندرك بها المعلومات خلال الأحلام. لا بد من أن كل منا راوده حلم بحيث وجد نفسه في موقف معيّن وأصبح فجأة على علم بكل ما يدور حوله دون أن يُعلمه أحد. فمثلاً، قد تحلم بأنك في حفلة وبطريقة معيّنة تعلم ما هي المناسبة ومن هو المعني بها. وبشكل مماثل، كل منا قد تراوده فكرة تفصيلية أو إلهام يتجلى في ذهنه بسرعة خاطفة، وتكون محمّلة بالكثير من المعلومات لدرجة أننا نحتاج وقت طويل لمعالجتها كاملة. هذه الحالات هي مشابهة تماماً لما نسميه تأثير "الكرات الفكرية" الذي تحدث عنه "المقتربون من الموت" لكن بدرجة أقلّ.

الأمر المثير هو أن هذه التفجّرات المفاجئة من المعلومات الوسيطية تأتي على شكل قطع غير متسلسلة (أي تكتلات)، ويتطلّب منّي أحياناً بعض الوقت لكي أترجمها إلى كلمات. كما الجيشتالتات gestalts النفسية التي يختبرها الأفراد خلال الحالات "المتجاوزة للنفس" transpersonal *(يقصد صور ذهنية شاملة تأتي على شكل دفعات كاملة متكاملة)*، هي هولوغرافية بالمعنى الذي يجعلها وحدات كاملة لحظيّة بحيث يدفع عقولنا (المعتادة على الإلتزام بالسياق الزمني المتسلسل) إلى الكفاح لبعض الوقت قبل أن تتمكّن من تحويل الأجزاء وترتيبها بطريقة تسلسلية.

ما هو الشكل الذي تتخذه المعلومات الكامنة في "الكرات الفكرية" التي يتلقاها "المقتربون من الموت"؟ وفقاً لهؤلاء، يتم استخدام كافة أشكال المعلومات، الأصوات، الصور شبه الهولوغرافية، وحتى التخاطر ــ وهي حقيقة يعتقد "رينغ"

بأنها تُثبت مرّة أخرى بأن العالم الآخر هو عالم وجودي يكون الفكر فيه هو الملك.

قد يتساءل القارئ النبيه مباشرة لماذا يُعتبر السعي للمعرفة مهماً جداً خلال الحياة في الوقت الذي نستطيع فيه الحصول عليها كاملة شاملة بعد الموت؟ عندما طُرح هذا السؤال على الذين اختبروا حالة "الاقتراب من الموت" أجابوا بأنهم غير متأكدين، لكنهم شعروا بقوة أن الأمر له علاقة معيّنة بالغاية من الحياة ومدى قدرة كل فرد على مساعدة الآخرين.

خرائط قدرية ومسارات زمنية متوازية

مثل الدكتور "ويتون" Whitton، "المقتربون من الموت" أيضاً كشفوا عن دلائل تثبت أن أقدارنا مُقرّرة مسبقاً، إلى درجة معيّنة على الأقلّ، وكل منا يلعب دوراً معيناً في خلق هذا المخطّط القدري. هذا الأمر كان واضحاً في مظاهر عديدة من هذه التجربة التجاوزية (الاقتراب من الموت). دائماً بعد الوصول إلى عالم "النور"، يُقال "للمقتربين من الموت" بأن "موعدهم لم يأتي بعد". كما يشير الدكتور "رينغ"، هذه الملاحظة وحدها تثبت بوضوح وجود نوع من "الخريطة القدرية" المقرّرة مسبقاً. والواضح أيضاً هو أن "المقتربين من الموت" يلعبون دوراً في صياغة هذه الأقدار، حيث يُمنحون غالباً حرية الاختيار بين البقاء والعودة. حتى أن هناك حالات يُقال فيها "للمقتربين من الموت" بأن موعدهم قد حان، لكن مع ذلك يُسمح لهم بالعودة.

ذكر الدكتور "مودي" إحدى الحالات التي راح خلالها رجل يجهش بالبكاء عندما أدرك بأنه قد مات لأنه كان خائفاً من أن تعجز زوجته عن تربية ابن أخيه في غيابه. بعد سماع هذا، قال له "الكائن النوراني" طالما أنه لم يسأل عن نفسه فسوف يُسمح له بالعودة. وهناك حالة أخرى جادلت خلالها إحدى النساء بأنها لم ترقص بما يكفي في حياتها. تعليقها هذا جعل "الكائن النوراني" يضحك كثيراً، وهي أيضاً مُنحت فرصة أخرى للعودة إلى جسدها المادي.

حقيقة أن مستقبلنا مُقرّر جزئياً على الأقلّ لها دلائلها أيضاً في الظاهرة التي أشار إليها "رينغ" باسم "الوميض الأمامي الشخصي" personal flash-forward. في بعض الحالات، خلال اختبار الرؤية المعرفية، يرى "المقتربون من الموت" لمحات عن مستقبلهم. في إحدى الحالات تحديداً، كُشف أمام طفل "مقترب من الموت" تفاصيل مختلفة عن مستقبله، وهذا يشمل حقيقة أنه سيتزوج في سن الثامنة والعشرين ويُرزق بولدين. حتى أنه رأى نفسه بالغاً وأولاده المستقبليون جالسون في إحدى حجرات المنزل الذي سيعيش فيه مستقبلاً، وخلال تحديقه إلى الحجرة لاحظ وجود شيء غريب مُثبّت على الجدار، وقد عجز عقله عن استيعاب ما هو.

بعدها بعقود، وكانت جميع التنبؤات قد تحققت فعلاً، وجد نفسه في ذات المشهد الذي رآه عندما كان طفلاً وأدرك بأن الشيء الغريب الذي عجز عن التعرّف عليه هو جهاز تسخين الهواء، وهو نوع جديد من المدافئ التي لم تكن مبتكرة عندما اختبر حالة "الاقتراب من الموت" في طفولته.

في حالة أخرى مذهلة من "الوميض الأمامي الشخصي" اختبرتها امرأة، رأت صورة للدكتور "مودي" وتعرّفت على اسمه الكامل، وقيل لها بأنه في الوقت المناسب مستقبلاً سوف تحدثه عن تجربتها. في العام ١٩٧١، لم يكن كتاب "مودي" (الحياة بعد الحياة) قد نُشر بعد، وبالتالي كان اسمه وصورتها لا يعنيان شيئاً بالنسبة لهذه المرأة. في هذه الفترة انتقل "مودي" وعائلته للسكن في نفس الشارع الذي عاشت فيه المرأة. وبعدها بقليل حلّ عيد "هالوين" Halloween حيث يدور الأطفال على المنازل بأزياء تنكّر، فطرق ابن "مودي" على باب المرأة ذاتها. بعد سماع اسم الولد، طلبت منه المرأة بأن يقول لوالده أنها ترغب في التحدث إليه. وعندما حضر "مودي" إليها روت له كامل القصةّ.

بعض "المقتربين من الموت" يدعمون بأقوالهم فرضية الدكتور "لوي" Loye القائلة بوجود عدة أكوان هولوغرافية متوازية، أو مسارات زمنية. في مناسبات معيّنة، يُستعرض أمام "المقتربين من الموت" وميض أمامية شخصية ويُقال بأن هذه

الأحداث المستقبلية ستتحقّق فقط إذا استمرّوا على دربهم الحالي. في إحدى الحالات الفريدة، استُعرض أمام إحدى "المقتربات من الموت" صيغة مختلفة تماماً لتاريخ الأرض، وهو تاريخ من المفروض أن يتطوّر لو لم تحصل "أحداث معيّنة" متزامنة مع أيام الفيلسوف والرياضياتي الإغريقي "فيثاغورث"، أي قبل ثلاثة آلاف سنة. كشفت هذه الرؤية عن حقيقة أنه لو أن هذه "الأحداث"، والتي امتنعت المرأة عن كشف طبيعتها، فشلت في التحقّق، لكنا الآن نعيش في عالم يسوده السلام والوئام، خالي تماماً من المنظمات الدينية المتناحرة والحروب الشرسة والهمجية التي فرضتها على البشرية. (كل من اطلع على التاريخ جيداً يعلم بأن تلك الفترة شهدت ظهور البذور الأوّلية التي أدّت في النهاية إلى نشوء الأديان المنظّمة). هكذا تجارب استثنائية تفترض بأن قوانين الزمان والمكان التي تعمل في الكون الهولوغرافي هي غريبة فعلاً.

حتى "المقتربين من الموت" الذين لم يختبروا دلائل مباشرة على الدور الجوهري الذي يلعبونه في تقرير مصيرهم يعودون عادةً مع فهم واضح وراسخ للإتصال المتداخل الهولوغرافي الذي يربط كل شيء ببعضه البعض. وكما يعبّر عنها رجل أعمال في الستين من عمره اختبر "الاقتراب من الموت" أثناء إصابته بسكتة قلبية، حين قال: *".. هناك أمر واحد تعلّمته وهو أننا جميعاً نمثّل أجزاء من كون واحد كبير. إذا ظننا بأننا نستطيع أن نؤذي شخص آخر أو أي كائن حيّ دون أذيّة أنفسنا أولاً فنحن مخطؤون بشكل محزن. أنا أنظر الآن إلى غابة أو زهرة أو عصفور، ثم أقول، هذا أنا.. هذا جزء منّي. نحن موصولون بكل الأشياء من حولنا، وإذا بعثنا الحبّ عبر هذه الوصلات التي تربطنا ببعض، حينها نكون سعداء.."*

تستطيع أن تأكل لكنك لست مضطراً لذلك

المظاهر الهولوغرافية المخلوقة عقلياً في عالم "الاقتراب من الموت" تتجلّى بعدد وافر من الطرق الأخرى. خلال وصفه للعالم الآخر قالت إحدى الأطفال بأن الطعام يتجلى متما شاءت وكيفما رغبت، لكن مع ذلك ليس هناك ضرورة للطعام،

وهذه ملاحظة تدعم مرّة أخرى الطبيعة الوهميّة وشبه الهولوغرافية لواقع الحياة الأخرى.

حتى اللغة الرمزية للنفس مُنحت شكلاً هدفياً. فمثلاً، قال أحد أفراد الدكتور "ويتون" بأنه عندما تم تقديمه إلى امرأة سوف تلعب دوراً بارزاً في حياته الأخرى، بدلاً من ظهورها بهيئة بشرية ظهرت على شكل من قسمين، نصفها اتخذ شكل وردة، والنصف الآخر شكل أفعى الكوبرا. بعد أن طُلِب منه استنتاج المعنى من هذه الرمزية، أدرك (بفضل المعرفة الفورية) بأنه والمرأة كانا يعشقان بعضهما البعض في حياتين سابقتين. على أي حال، كانت في كلا الحياتين مسؤولة عن وفاته. فبالتالي، بدلاً من تجلّيها بهيئة بشرية، أدى اختلاط العناصر المُحبّة والشريرة في شخصيتها إلى ظهورها بشكل هولوغرافي يرمز بشكل أفضل إلى هاتين الخاصيتين المتعاكستين.

لكن هذا الفرد ليس الوحيد الذي اختبر هذه التجربة. قال الصوفي الإسلامي "حضرت عِنايات خان" Hazrat Inayat Khan بأنه عندما يدخل في حالة صوفيّة ويسافر إلى "العوالم السماوية"، عادةً ما تظهر المخلوقات التي يلتقيها بهيئات نصف بشرية ونصف حيوانية. كما الفرد التابع للدكتور "ويتون"، يؤكّد "خان" بأن هذه الهيئات المتجليّة هي رمزية، وعندما يظهر المخلوق بهيئة نصف حيوان فهذا لأن الحيوان يرمز إلى سمة بارزة في شخصيته. فمثلاً، المخلوق الذي يتمتع بعزم شديد قد يظهر ورأسه بهيئة أسد، أو المخلوق الذي يتمتع بالحذاقة والمهارة قد يتخذ مظاهر شبيهة بالثعلب. افترض "خان" بأن هذا هو السبب الذي جعل الثقافات القديمة، مثل المصرية، تصوّر الآلهة التي تحكم العالم الآخر بهيئات تتخذ رؤوس حيوانات.

النزعة التي يتصف بها عالم "الاقتراب من الموت" تجاه قولبة نفسه إلى أشكال وهيئات هولوغارفية تعكس الأفكار والرغبات والرموز الساكنة في عقولنا تُفسّر السبب الذي يجعل الغربيين يميلون إلى رؤية "الكائنات النورانية" بهيئة شخصيات

مقدسة مسيحية، بينما الهنود يميلون إلى رؤيتها بهيئة شخصيات مقدسة وآلهة هندوسية، وهذا ينطبق على باقي الثقافات والمعتقدات الأخرى. إن ليونة عالم "الاقتراب من الموت" توحي بأن هكذا مظاهر خارجية قد لا تكون حقيقية أكثر أو أقل من الطعام الذي تجلّى نزولاً لرغبة الطفلة الصغيرة المذكورة سابقاً، وكذلك المرأة التي تجلّت بهيئة وردة/كوبرا، والألبسة الشبحية التي استحضرها إلى الوجود ذلك "المقترب من الموت" الذي شعر بالخجل من عراءه في حضور المرأتين.

هذه الليونة ذاتها تفسّر الاختلافات الثقافية الأخرى التي نجدها في حالات "الاقتراب من الموت"، كالسبب الذي يجعل بعض "المقتربين من الموت" يصلون إلى العالم الآخر من خلال السفر عبر نفق، بينما البعض يصل من خلال عبور جسر، وآخرون يسيرون فوق بحر من الماء، وهناك من يسير ببساطة على طريق. يبدو مرّة أخرى بأنه في واقع مخلوق كلياً من هياكل فكرية متداخلة ومتفاعلة، حتى المشهد الطبيعي بذاته تصنعه أفكار الفرد وتوقعاته المُسبقة.

عند هذا المفصل هناك نقطة مهمة تستحق المزيد من الانتباه وتسليط الضوء. بقدر ما يبدو عالم "الاقتراب من الموت" غريباً ومُذهلا، الدلائل المُقدمة في هذا الكتاب تشير جميعاً إلى أن مستوى وجودنا المادي قد لا يختلف عنه كثيراً. كما سبق ورأينا، نحن أيضاً نستطيع الحصول على معلومات غيبيّة، رغم صعوبة الأمر قليلاً بالنسبة لنا. نحن أيضاً يمكن أن تختبر "ومضات أمامية شخصيّة" فنكتسب معلومات مستقبلية، أو نلتقي وجهاً لوجه مع الطبيعة الوهمية للزمان والمكان. ونحن أيضاً نستطيع إعادة تشكيل وقولبة أجسادنا، وحتى واقعنا في بعض الأحيان، كل ذلك بالتوافق مع قناعاتنا ومعتقداتنا، الأمر يتطلب بعض الوقت والجهد الإضافي فقط.

وبالفعل، فإن القدرات التي استعرضها أشخاص مثل "ساي بابا" تفترض بأننا نستطيع حتى خلق الأشياء من العدم، كتجسيد الطعام مجرّد أن رغبنا بذلك،

والصوم الطويل الأمد الذي مارسه أشخاص مثل الجليلة "تيريزا نيومن" يوفّر أدلّة دامغة على أن الأكل قد لا يكون ضرورياً بالنسبة لنا بقدر ما هو غير ضروري بالنسبة للأفراد في عالم "الاقتراب من الموت".

وفي الحقيقة، يبدو أن الواقع الحالي وواقع العالم التجاوزي يختلفان في الدرجة، لكن ليس في النوعيّة. كلاهما هيكلان مركّبان هولوغرافياً. هما في الحقيقة واقع واحد لكنه متدرّج، بدءاً من المستوى الأكثر ليونة والأقلّ صلابة، ونزولاً إلى المستوى الأقلّ ليونة والأكثر صلابة. المسألة مسألة درجات. الطبيعة الهولوغرافية للكون تجعله مؤلّف من عدة وقائع، لكن جميعها في كل الأحوال تنشأ، كما يصفها "جاهن" و"ديون"، من تفاعل الوعي مع بيئتها المتدرّجة. أي بمعنى آخر، يبدو واقعنا الحالي بأنه نسخة مجمّدة للواقع التجاوزي. ففي واقعنا الحالي الصلب، يتطلّب الأمر المزيد من الوقت لقناعاتنا أن تعيد قولبة أجسادنا كخلق الندوب في الأيدي أو حتى إخفاء كتلة سرطانية بكاملها، بينما في الواقع التجاوزي لا يحتاج الأمر أكثر من تصوّر الشيء فيتجلّى فوراً.. أو نتوقف عن التفكير به فيعود ليختفي من جديد.

كل هذه الأمور وأكثر توحي لنا بشيء عظيم فائق الروعة، تكشف عن حقيقة أننا نعيش في كون خارق يتعذّر وصفه بكلمات، وبدأنا للتو في خطوتنا الأولى نحو محاولة فهمه واستيعابه.

معلومات عن العالم التجاوزي من مصادر أخرى

ليس من الضرورة أن يكون الفرد في أزمة صحيّة ليتمكّن من زيارة عالم ما بعد الحياة. هناك دلائل على أن هذا العالم التجاوزي يمكن وصوله خلال "الخروج عن الجسد". في كتاباته، يصف "مونرو" عدة زيارات إلى مستويات عالية من الواقع حيث التقى بأصدقاء متوفّين. هناك زائر آخر أكثر احترافاً في "الخروج عن الجسد" إلى بلاد الأموات، وهو الصوفي السويدي "إمانويل سويدنبورغ" Emanuel Swedberg.

مولوداً في العام ١٦٨٨، كان "سويدنبورغ" يُعتبر "دافينشي" زمانه *(نسبة لليوناردو دافينشي)*. كرّس السنوات المبكرة من حياته في دراسة العلوم. كان الرياضياتي الأبرز في السويد، وتكلّم تسع لغات، وكان نحاتاً، سياسياً، فلكياً، ورجل أعمال. بنى الساعات الميكانيكية وكذلك الميكروسكوبات كهواية، ألف الكتب حول علم المعادن، نظريات تتعلّق بالألوان، التجارة، الاقتصاد، الفيزياء، الكيمياء، المناجم، والتشريح. كما أنه ابتكر وصمّم نماذج أوّلية لآلات طائرة وكذلك غواصات.

رغم انشغاله بكل هذه الأمور كان يمارس التأمّل بشكل منظم، وعندما بلغ متوسّط عمره، طوّر قدرة على الدخول إرادياً إلى حالات غيبوبة عميقة مما مكّنه من مغادرة جسده حين الطلب وزيارة ما بدا له "الفردوس" وتحادث مع "الملائكة" و"الأرواح". ما من شكّ أن "سويدنبورغ" كان يختبر شيئاً عميقاً خلال رحلاته التجاوزية. أصبح شهيراً جداً بهذه القدرة لدرجة دفع ملكة السويد يوماً إلى سؤاله عن السبب الذي جعل أخاها المتوفى يمتنع عن الإجابة على رسالة بعثتها له قبل وفاته. وعد "سويدنبورغ" بأنه سيسأله ذلك في عالم الأموات، وفي اليوم التالي جاء مصطحباً معه رسالة اعترفت الملكة بأنها تحتوي معلومات لا يعرفها سوى هي وأخوها.

أجرى "سويدنبورغ" هذه الخدمة عدة مرات مع شخصيات متنوعة طلبت مساعدته، وفي مناسبة أخرى كشف لأرملة أين تجد خزنة سريّة في طاولة مكتب زوجها المتوفى حيث وجدت فيها الوثائق المهمة التي تبحث عنها. كانت هذه الحادثة الأخيرة شهيرة جداً مما جعلها تُلهم الفيلسوف الألماني " إمانويل كانت" Immanuel Kant ليؤلّف كتاباً كاملاً حول "سويدنبورغ" وعنوانه "أحلام مستبصر الأرواح" Dreams of a Spirit-Seer.

لكن الأمر الأكثر إذهالاً بخصوص أوصاف "سويدنبورغ" للعالم التجاوزي هو مدى التقارب الذي تعكسه مع أوصاف "المقتربين من الموت" العصريين. فمثلاً، تحدث "سويدنبورغ" عن المرور عبر نفق مظلم، ولقاءه مع أرواح مُرحّبة،

ومناظر فاتنة أكثر روعة وجمالاً من تلك التي في الأرض، وحالة انعدام الزمان والمكان، والنور المُبهِر الذي يبعث شعوراً بالحبّ، الحضور أمام "الكائنات النورانية"، والانغمار بهالة شاملة من السلام والسكون.

قال أيضاً بأنه سُمح له الحضور ومراقبة عمليات وصول المتوفون حديثاً إلى السماء، وشاهد كيف كانوا يخضعون لعملية "مراجعة فوريّة" لحياتهم، لكنه أشار إلى هذه العملية بـــ"فتح كتاب الحيوات" *(حيوات: جمع حياة)*. قال بأنه خلال هذه العملية، يشاهد الشخص *".. كل ما كان عليه وما فعله.."*، لكنه أضاف أمراً جديداً في العملية، حيث قال بأن المعلومات التي برزت خلال "فتح كتاب الحيوات" سُجّلت في النظام العصبي للجسم الروحي من الفرد. وهكذا، من أجل استحضار "مراجعة الفورية" للأحداث الحياتية، كان على أحد "الملائكة" أن يفحص كامل جسم الشخص، ابتداءً من أصابع يديه، ومكملاً إلى باقي أنحاء الجسم.

أشار "سويدنبورغ" أيضاً إلى "الكرات الفكرية" الهولوغرافية التي استخدمها الملائكة للتواصل، وقال بأنها لا تختلف عن "الصور الذهنيّة" التي يراها في "المحتوى الموجي" الذي يحيط بجسم الإنسان (يقصد "الهالة"). مثل معظم "المقتربين من الموت"، يوصف هذه "التفجّرات" المعلوماتية التخاطرية بأنها تمثّل لغة "صوريّة" وهي كثيفة جداً بالمعلومات لدرجة أن كل "صورة ذهنية" تحتوي آلاف الأفكار. إن دفعة واحدة متسلسلة من هذه "الصور الذهنيّة" قد تكون طويلة جداً بحيث يستغرق الفرد عدّة ساعات محاولاً استيعابها، مع أنه لا يستطيع فعل ذلك إلا إذا تناولها بشكل متسلسل. لكن حتى هنا أيضاً أضاف "سويدنبورغ" مظهر إضافي مذهل. بالإضافة إلى استخدامهم "الصور الذهنيّة" للتواصل، تستخدم الملائكة أيضاً نوع من "الكلام" الذي يحتوي مفاهيم تتجاوز الاستيعاب البشري. وفي الحقيقة، السبب الرئيسي الذي يجعلهم يستخدمون "الصور الذهنية" فحسب، هو لأنها تمثّل الوسيلة الوحيدة لخلق صيغة مُبسّطة عن أفكارهم بحيث تصبح مفهومة لدى الكائنات البشرية.

وقد أيّدت تجارب "سويدنبورغ" حتى بعض العناصر الأقلّ تبليغاً في ظاهرة "الاقتراب من الموت". أشار إلى أنه في عالم الأرواح لم يعد هناك حاجة لأكل الطعام، لكنه أضاف فكرة جديدة للعملية وهي أن المعلومات تأخذ مكان الطعام كمصدر التغذية.

قل أنه عندما تتكلّم الأرواح والملائكة، كانت أفكارهم تندمج دائماً مشكّلة صوراً رمزية ثلاثية الأبعاد، خصوصاً صور الحيوانات. فمثلاً، قال أنه عندما تتكلّم الملائكة عن الحب والعاطفة تتشكّل صوراً لحيوانات جميلة ورقيقة مثل "الخرفان" الصغيرة ــ لكن عندما تكلّمت الملائكة عن مشاعر شريرة، كانت تتشكّل صوراً لحيوانات مخيفة، أو قبيحة، أو عديمة الجدوى، كالنمور، الدببة، الذئاب، العقارب، الأفاعي، والفئران. يبدو أن الصور ثلاثية الأبعاد التي تتشكّل من كلام "الملائكة" هي في الحقيقة معاني ذبذبية تتجلى على شكل صور ذهنية في عقل "سويدنبورغ" بحيث تتناغم مع المعنى المقصود. أي بمعنى آخر، عندما يرى "سويدنبورغ" صورة فأرة، فهذا لا يعني أن "الكائنات النورانية" تقصد بأن الفأرة تحديداً هي شريرة، لكن بما أن القناعات الخاصة لــ"سويدنبورغ" تعتبر الفأرة كائن شرير (ربما لأنها كانت تقضم كتبه وثيابه) فهذا بالضبط ما تجلّى في ذهنه كرمز فكري لما تقصده الكائنات.

رغم أنه ليس مظهراً مُبلغاً من قبل "المغتربين من الموت" العصريين، لكن "سويدنبورغ" قال بأنه دُهِش لاكتشافه أنه في العالم السماوي يوجد أيضاً أرواح من كواكب أخرى، وهذا تأكيد مُذهل بالنسبة لإنسان عاش قبل أكثر من ٣٠٠ سنة.

الأكثر غرابة هي ملاحظات "سويدنبورغ" التي تشير إلى الخواص الهولوغرافية للواقع. فمثلاً، قال أنه بالرغم من أن الكائنات البشرية تبدو ظاهرياً أنها منفصلة عن بعضها، نحن جميعاً مندمجون في وحدة كونية واحدة. بالإضافة إلى لك، كل منا يمثّل فردوس مُصغّر، وكل إنسان، وحتى الكون المادي بكامله، هو عالم مُصغّر للعالم الإلهي الأكبر.

كما رأينا سابقاً، هو أيضاً آمن بحقيقة أن الواقع الأساسي الخفي هو ذو طبيعة موجيّة. وفي الحقيقة، عدد من الفقهاء المتخصصين في البحث بأعمال "سويدنبورغ" علّقوا على التشابهات العديدة بين بعض من مفاهيم "سيودنبروغ" ونظرية "بوهم" و"بريبرام". أحد هؤلاء هو الدكتور "جورج.ف. دول" George F. Dole، أستاذ في علم اللاهوت بمدرسة "سويدنبورغ" الدينية في ماساشوستس. يقول الدكتور "دول"، الحائز على شهادات من جامعة "يال" Yale، "هارفارد" Harvard و"أوكسفورد" Oxford، بأن أحد أكثر العقائد الأساسية في تفكير "سويدنبورغ" هي أن الكون هو مخلوق ومحافظ على بقاءه من قبل جريانين شبه موجيين، الأوّل يصدر من العالم السماوي والآخر يصدر من نفسنا أو روحنا. يقول: *".. إذا جمعنا هاتين الصورتين مع بعضهما، نخرج بتشابه مُذهل مع الهولوغرام.."*، ويتابع شارحاً، *".. نحن نتشكّل من تقاطع هذين الجريانين، الأوّل هو مباشر، قادم من العالم السماوي، والآخر غير مباشر، قادم من العالم السماوي عبر بيئتنا. نستطيع رؤية أنفسنا وكأننا "أنماط ذبذبية متداخلة" (وفق النظرية الهولوغرافية)، لأن الجريان الباطني هو في الحقيقة ظاهرة موجيّة، ونحن نمثّل نقاط التقاء هذه الموجات.."*

اعتقد "سويدنبورغ" أيضاً بأنه، رغم خصائصه الشبحية وسريعة الزوال، العالم السماوي يُمثّل في الحقيقة مستوى أكثر جوهرية للواقع بالمقارنة مع العالم المادي. يقول أنه يمثّل مصدر الأنماط الرمزية التي تتأصّل منها كافة الأشكال الأرضيّة، وإليها تعود كافة هذه الأشكال، وهذا مفهوم ليس بعيداً عن فكرة "بوهم" بخصوص "النظام المستتر" implicate order و"النظام المتجلّي" explicate order. بالإضافة إلى ذلك، هو أيضاً يؤمن بأن عالم ما بعد الحياة والواقع المادي يختلفان من حيث الدرجة وليس النوعية، وأن العالم المادي الصلب هو مجرّد نسخة مجمّدة للواقع السماوي المتشكّل فكرياً.

قال "سويدنبورغ" واصفاً: *".. المادة التي يتألف منها كل من العالمين السماوي والأرضي تجري عبر مراحل من المصدر الإلهي.."*، ويضيف، *".. في كل مرحلة*

جديدة تُصبح أكثر عمومية، وبالتالي أكثر خشونة والتباساً، وتصبح أكثر بطئاً، وبالتالي أكثر برودة ولزوجة.."

ملأ "سويدنبورغ" عشرين مجلداً تقريباً خلال حديثه عن تجاربه التجاوزية الاستثنائية، وعلى فراش موته سألوه إذا كان هناك أي مزاعم أو إدعاءات يرغب في التراجع عنها والاعتراف بالخطيئة والتعبير عن الندم. كان جوابه: *".. كل ما كتبته وقلته هو صحيح بقدر ما أنا ماثل أمام عيونكم. لكن ربما كشفت أكثر مما سُمح لي. بعد الموت سوف ترون كل شيء، وحينها سوف يكون لدينا الكثير لمناقشته حول الموضوع.."*

أرض اللامكان

"سويدنبورغ" ليس الوحيد في التاريخ الذي تمتع بالقدرة على مغادرة جسده والسفر إلى مستويات الواقع الخفية. الصوفيون الإسلاميون أيضاً استخدموا التأمّل العميق من أجل زيارة "البلاد التي تسكنها الرواح".

ومرّة أخرى، التشابهات بين أوصافهم والدلائل المذكورة في هذا الفصل هي مذهلة. زعموا أنه في هذا العالم الآخر يحوز الفرد على "جسم خفي" ويعتمد على حواس لا ترتبط دائماً بأعضاء جسدية معيّنة. أكّدوا بأنه عالم مسكون من قبل الكثير من المعلمين الروحيين، أو "الأئمة"، ويسمونه أحياناً "موطن الإمام المحجوب". اعتبروا بأنه عالم مخلوق كلياً من مادة "عالم المثال"، أو الفكر. حتى عنصر "المكان" ذاته، بما فيه "القُرب" و"البُعد"، والمواقع "البعيدة جداً"، جميعها مخلوقة بفعل الفكر. لكن هذا لا يعني أن موطن "الإمام المحجوب" هو غير حقيقي، أو لا يحتوي على أشياء ملموسة. ولا أنه مجرّد منظر طبيعي مخلوق من قبل العقل الفرد. إنما هو مستوى وجودي تم خلقه من قبل خيال الكثير من الناس، ومع ذلك يبقى لديه واقعيته وأبعاده الخاصة القائمة بذاتها، غاباته وجباله وحتى مُدنه المزدهرة.

كرّس الصوفيون نسبة كبيرة من كتاباتهم بهدف توضيح هذه النقطة التي هي غريبة جداً على طريقة التفكير الغربي لدرجة دفعت الباحث "هنري كوربن" Henry Corbin، الأستاذ المتخصّص في المذاهب الإسلامية في جامعة "السوربون" Sorbonne في باريس ومرجع بارز في الفكر الإسلامي الفارسي، إلى إيجاد المصطلح "الخيالي" لوصف هذا العالم التجاوزي، أي جعله يبدو عالم مخلوق خيالياً لكنه مع ذلك ليس أقلّ شأناً من العالم الحقيقي. قال "كوربن" شارحاً المسألة، معبراً عن اعتذاره لاضطراره إلى استخدام هذا المصطلح الناقص والذي لا يعبّر عن الأفكار الباطنية بشكل صحيح: *".. السبب الذي جعلني أشعر بضرورة إيجاد تعبير آخر هو أنه، لسنوات طويلة، تطلّبت منّي مهنتي أن أترجم النصوص العربية والفارسية، والتي أشعر بأنني أخون المعاني التي تتضمّنها إذا اكتفيت باستخدام كلمة [خيالي]..."*

بسبب الطبيعة الخيالية لعالم ما بعد الحياة، استنتج الصوفيون بأن "الخيال" ذاته يمثّل ملكة إدراكيّة، وهذه فكرة تضيف ضوء جديد على السبب الذي جعل أفراد الدكتور "ويتون" يجسّدون الأشياء، كالأيدي، مجرّد أن فكّروا بها، والسبب الذي يجعل عمليّة التصوّر ذات تأثير قوي على صحتنا وبنيتنا الجسدية عموماً. كما يُنسب إلى الصوفيين الاعتقاد بإمكانية استخدام التصوّر، وهي عملية تُعتبر "صلاة خلاقة"، بهدف إعادة صياغة قدر الفرد.

هناك ملاحظة أخرى مشابهة تماماً لأنظمة "بوهم" المستتر والمتجلّي، وهي اعتقاد الصوفيين بأنه رغم خواصه الخيالية، يمثّل عالم ما بعد الحياة "الرحم" الذي يولد منه كامل الكون المادي. *".. كل الأشياء في العالم المادي تنبعث من العالم الروحي.."*، يقول الصوفيون.

لكن مع ذلك، حتى أكثرهم فقهاً يجدون الأمر غريباً، حيث من خلال التأمّل والانتقال عميقاً إلى جوهر النفس، يصل الفرد إلى عالم باطني يبدو أنه *".. ينطوي خارجاً ليشمل، يحيط، يحتوي، أو يغلّف ذلك الذي يبدو في البداية بأنه ظاهرياً*

ومرئياً..". هذه الملاحظة هي طبعاً مجرّد تعبير عن الخصائص اللامكانية والهولوغرافية للواقع. كل فرد منا يحوي بداخله العالم السماوي بكامله. وأكثر من ذلك، كل منا يحوي بداخله موقع العالم السماوي. أو كما يعبر عنها الصوفيون: *"..بدلاً من البحث عن الواقع الروحي في [الأين]، هذا [الأين] هو بداخلنا..".* يبدو أن هذه الأفكار ليست جديدة لدى المسيحيين، حيث تم التعبير عنها من خلال المقولة *".. مملكة السماء هي بداخلك..".*

وبالفعل، خلال مناقشة المظاهر "اللامكانية" لعالم ما بعد الحياة، قال "السهروردي"، الصوفي الإسلامي الشهير، من الأفضل الإشارة إلى موطن الإمام المحجوب بالاسم "نا كوجا أباد"، وتعني بالفارسية "أرض اللامكان".

الأمر الجديد هو فكرة أن هكذا انطباعات تشير فعلياً إلى المظاهر "اللامكانية" لمستويات الواقع الخفية. تفترض مرّة أخرى بأنه عندما يغادر الشخص جسده قد لا يكون انتقل فعلياً إلى أي مكان. قد يكون ببساطة مبدلاً الهولوغرام الوهمي للواقع مما يجعله يشعر بأنه سافر إلى مكان ما. في الكون الهولوغرافي، الوعي ليس فقط موجود في كل مكان، بل موجود في اللامكان أيضاً.

ملاحظة: عبّرت عن هذه الحالة بطريقة أفضل خلال الحديث عن "الوعي الديناميكي" (في الجزء السابق)، حيث بفضل الخاصية اللامكانية "للوعي الديناميكي" لا ينتقل الفرد إلى أي مكان بل يبقى قابعاً مكانه.

فكرة أن عالم "ما وراء الحياة" يقبع عميقاً في الامتداد اللامكاني للنفس تم تلميحها أيضاً إلى بعض "المقتربين من الموت" حيث عبروا عنها بطرق مختلفة، كما فعل طفل عمره سبع سنوات حين قال: *".. الموت يُشبه السير إلى داخل عقلك..".* يوفّر "بوهم" نظرة لامكانية مشابهة إلى ما يحصل خلال الانتقال من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى، حيث يقول: *".. في الوقت الحاضر، كامل مجرياتنا الفكرية تقول لنا بوجوب تركيز انتباهنا هنا. لا تستطيع قطع الطريق، مثلاً، إذا لم تفعل ذلك.*

لكن الوعي يقبع دائماً في الأعماق اللامحدودة التي تتجاوز المكان والزمان، أي في المستويات الخفية من النظام المستتر. لهذا، إذا ذهبت عميقاً بما يكفي داخل الحاضر الفعلي، ربما لن تجد اختلافاً بين هذه اللحظة واللحظة التي تليها.."

قد تكون الفكرة الجوهرية أنه خلال تجربة الموت سوف تتمكن من الوصول إلى هذه الحالة الموصوفة في الفقرات السابقة. التواصل مع الأبدية هو قائماً في هذه اللحظة بداخلك، لكنه محجوب بحاجز "الفكر". المسألة هي مسألة "توجيه الانتباه"، لا أكثر ولا أقل.

صور ضوئية ذكية ومتناسقة

فكرة أن المستويات الخفية من الواقع قابلة للوصول عبر "تبديل الوعي" وحده تُعبر إحدى المرتكزات الأساسية في تقاليد "اليوغا". الكثير من تمارين "اليوغا" مُصممة خصيصاً لتعليم الأفراد على كيفية إجراء هكذا رحلات تجاوزية. ومرّة أخرى، الأفراد الذي نجحوا بهذه المغامرات العقلية وصفوا ذات المشهد الذي بدأنا نألفه الآن من خلال الاطلاع على الصفحات السابقة.

أحد هؤلاء اليوغيين هو المعلّم "سري يوكتسوار غيري" Sri Yukteswar Giri، رغم عدم شهرته لكنه يبقى جليل هندوسي واسع الاحترام، مات في "بوري"، الهند، في العام ١٩٣٦. "إيفانز ونتز" Evans-Wentz الذي التقى هذا الرجل الجليل في العشرينات، وصفه بأنه *".. رجل عالي الجودة وصاحب حضور محبّب للقلب.. ويستحق كل التبجيل الذي يتوجه به إليه أتباعه.."*

يبدو أن "سري يوكتسوار" كان موهوباً بشكل خصوصي بقدرة الانتقال السريع ذهاباً وإياباً بين هذا العالم والآخر، ووصف أبعاد العالم الماورائي بأنه مؤلف من *".. ذبذبات خفية متنوعة من النور والألوان.."*، و أنه *".. أكبر بمئات المرات من الكون المادي.."*. وقال أيضاً بأنه كان أجمل بدرجات لامحدودة من العالم المادي، وتكثر فيه *".. البحيرات المتلألئة، البحار الساطعة، والأنهار ذات الألوان*

القزحية..". لأن ذلك العالم هو *".. أكثر تناغماً مع النور الإلهي الخلاق.."*، نجد أن مناخه محبباً دائماً، وتجلياته الجويّة الوحيدة هي الهطول العرضي *".. للثلج الأبيض المضيء والمطر متعدد الألوان..".*

الناس الذين يعيشون في هذا العالم العجيب يستطيعون تجسيد أي شيء أو أحد يريدونه، ويستطيعون الرؤية من خلال أي منطقة يريدونها في أجسادهم. يستطيعون أيضاً تجسيد أي فاكهة أو طعام يرغبونه، رغم أنهم متحررون تقريباً من ضرورة الأكل و *".. أشهى المآدب التي يقيمونها هي تلك المتعلقة بالتهام معرفة كونية جديدة.."*

إنهم يتواصلون من خلال سلسلة تخاطرية من "الصور الضوئية"، يبتهجون للصداقة الأبدية، يفهمون مدى رسوخ الحب واستحالة فناءه، يشعرون بالألم الشديد إذا اقتُرف خطأ ما في السلوك أو في إدراك الحقيقة، وعندما يلتقون بحشود من الأقارب والآباء والأمهات والزوجات والأزواج والأصدقاء الذين حازوا عليهم أثناء "تقمصاتهم" المختلفة على الأرض، يقعون في حيرة من أمرهم في اختيار الذي يمنحونه الحب، لكنهم يتعلمون في النهاية كيف يمنحوا *".. حباً إلهياً متساوياً للجميع..".*

ما هي الطبيعة الجوهرية لواقعنا عندما نصبح من سكان هذه الأرض المنيرة؟ لهذا السؤال بالذات، قدّم "سري يوكتسوار" جواباً كان بسيطاً بقدر ما هو هولوغرافياً. قال:

".. في هذا العالم حيث يكون فيه الطعام وحتى التنفّس غير ضروري، حيث يمكن لفكرة واحدة أن تتجسّد بهيئة حديقة كاملة مليئة بالأزهار مع عبيرها، ويمكن لكل الجروح الجسدية أن تبرأ فوراً مجرّد أن رغبنا بذلك، نحن بكل بساطة عبارة عن صور ضوئية ذكية ومتناسقة.."

المزيد من المراجع المشيرة إلى الضوء

الجليل "سري يوكتسوار" ليس المعلّم اليوغي الوحيد الذي استخدم هكذا مصطلحات شبه هولوغرافية أثناء وصفه المستويات الخفية للواقع. هناك آخرون، مثل "سري أوروبيندو غهوس" Sri Aurobindo Ghose، وكان مفكر، ناشط سياسي، ومتصوّف، والذي بجّله الهنود بنفس الدرجة التي حازها "غاندي". مولوداً في العام ١٨٧٢ في عائلة هندية ارستقراطية، حاز "سري أوروبيندو" على تعليمه في إنكلترا، حيث أظهر مواهبه الاستثنائية التي أثبتت نبوغه العجيب. كان متحدثاً فصيحاً ليس بالإنكليزية فحسب، بل الهندوسية، الروسية، الألمانية، والفرنسية، لكنه أتقن أيضاً فيما بعد السنسكريتية القديمة.

كان باستطاعته قراءة صندوق من الكتب في اليوم الواحد (وقد قرأ في صغره كافة الكتب والمجموعات المقدسة في الهند، وتُعد بالمئات)، كما يستطيع إعادة التسميع عن ظهر قلب، وحرفياً، كل كلمة في كل صفحة قرأها. قدرته على التركيز كانت أسطورية، وقيل بأنه يستطيع الجلوس بنفس الوضعية طوال الليل خلال القراءة، دون أن يعير أي اهتمام لمحيطه، ولا حتى للسعات البعوض.

مثل "غاندي"، كان "سري أوروبيندو" ناشطاً في الحركة الوطنية في الهند وقضى أوقات طويلة في السجن بتهمة التحريض على العصيان. بالرغم من مواهبه الفكرية الاستثنائية وشغفه الإنساني، بقي "سري أوروبيندو" ملحداً (علماني/مادي) إلى أن جاء يوم شهد فيه عملية علاج فوري وسريع أجراها أحد اليوغيين المتجولين على أخيه الذي كان يعاني من مرض خطير يهدد حياته. منذ تلك النقطة كرّس "سري أوروبيندو" حياته لأنظمة التدريب اليوغية، ومثل "سري يوكتسوار"، من خلال ممارسة التأمّل، تعلّم أخيراً أن يصبح كما قال *".. مستكشفاً لمستويات الوعي.."*.

لم تكن المهمة سهلة بالنسبة لـ"سري أوروبيندو"، وإحدى العقبات العنيدة التي أضطرّ إلى تجاوزها للوصول إلى هدفه هي التعلّم كيف يُسكت العقل خلال

ممارسة التأمّل، أي إسكات الثرثرة اللانهائية للكلمات والأفكار التي تجري دون توقّف في ذهن الإنسان. إذا حاول الشخص إفراغ عقله من كل الأفكار المعشعشة فيه حتى للحظة أو اثنين سيكتشف مدى صعوبة هذه المهمّة. لكنها مع ذلك تُعتبر مرحلة ضرورية وجب تخطيها، وقد شددت النصوص اليوغية على هذه النقطة تحديداً. من أجل الغوص في المناطق الخفية والأكثر عمقاً في النفس، يبدو أن العملية تتطلّب توجيه الانتباه الذي تحدث عنه "بوهم". أو كما عبّر عنها "سري أوروبيندو": *".. من أجل استكشاف الموطن الجديد في داخلنا، علينا أولاً التعلّم كيف نترك القديم وراءنا.."*

استغرق الأمر سنوات عديدة قبل أن يتعلّم "سري أوروبيندو" كيف يُسكت عقله والسفر إلى الباطن، لكن مجرّد أن نجح بذلك اكتشف ذات البلاد الواسعة التي وصفها الروّاد الروحيون الذين ذكرنا بعضهم سابقاً. وصفه بأنه عالم متجاوز للزمان والمكان، ومؤلّف من عدد لانهائي من الذبذبات متعددة الألوان. ويسكنه كائنات غير جسدية متقدمة على الوعي البشري بأشواط عديدة لدرجة تجعلنا نبدو أطفال صغار أمامها.

قال "سري أوروبيندو" بأن هذه الكائنات تستطيع أن تتخذ لنفسها أي شكل ترغبه، حيث يمكن لنفس الكائن أن يظهر للمسيحي بهيئة قديس مسيحي، وللهندي بهيئة قديس هندوسي. لكنه شدّد بأن الغاية ليست الخداع، بل من أجل جعل أنفسها أكثر قبولاً للوعي المعني. وفقاً لـــ"سري أوروبيندو"، في جوهر هيئتها الحقيقية، تظهر هذه الكائنات على شكل "ذبذبة صافية". في عمله المؤلف من مجلّدين، وعنوانه "حول اليوغا" On Yoga، يُشبّه قدرتها على الظهور إما بهيئة مجسّم أو ذبذبة بالمفهوم الفيزيائي الحديث الذي يتحدث عن ثنائية الموجة/الجزيء. أشار "سري أوروبيندو" أيضاً بأنه في هذا العالم النوراني المشعّ لم يعد الفرد مقيّداً بتلقي المعلومات بطريقة متسلسلة، نقطة بعد نقطة، بل يصبح بإمكانه استيعابها على شكل "كُتل ضخمة"، وفي لمحة واحدة يستطيع إدراك "امتدادات واسعة من الزمان والمكان".

في الحقيقة، هناك عدد من تأكيدات "سري أوروبيندو" التي تتطابق مع الكثير من استنتاجات كل من "بوهم" و"بريبرام". قال بأن مُعظم الكائنات البشرية تحوز على "حاجز عقلي" والذي يمنعنا من الرؤية ماوراء "حجاب المادة"، لكن عندما يتعلم الفرد كيف يسترقّ النظر إلى ماوراء هذا الحجاب سوف يكتشف بأن كل شيء من حوله يتألف من "كثافات مختلفة ومتنوعة من الذبذبات المنيرة". كما أكّد بأن الوعي أيضاً مؤلف من ذبذبات مختلفة وآمن بأنه كل المواد (الجامدة) هي واعية بدرجة معيّنة. إذا لم تكن المادة واعية، لما كان باستطاعة أي يوغي أن يحرّك الأشياء بعقله، لأنه ستنعدم إمكانية التواصل بين اليوغي والشيء المستهدف. *(تذكّر موضوع التفاعل المعلوماتي بين الوعي الديناميكي والأشياء المستهدفة فكرياً، الوارد في الجزء السابق).*

أكثر ملاحظات "سري أوروبيندو" تطابقاً مع أفكار "بوهم" هي تلك المتعلقة بـــ"الكليّة" wholeness و"الجزئية" fragmentation. وفقاً لـــ"سري أوروبيندو"، أحد أهم الأشياء التي يتعلمها الفرد في "ممالك الروح العظيمة والمنيرة" هو حقيقة أن كل الاختلافات والانفصالات هي مجرّد وهم، وكل الأشياء في في النهاية موصولة ببعضها البعض وتمثّل الكلّ. لقد شدّد على هذه الحقيقة مرّة بعد مرّة في كتاباته، وقال بأنه فقط بعد الانحدار من المستويات الذبذبية العالية من الواقع إلى المستويات المنخفضة تبدأ خاصية "التجزئة" بالهيمنة على الوجود.

".. نحن نجزّئ الأشياء ونفصلها عن بعضها لأننا موجودون في مستوى منخفض من ذبذبة الوعي والواقع.."، يقول "سري أوروبيندو"، ويتابع: *".. نزعتنا الدائمة للتجزئة هي التي تمنعنا من اختبار قوة الوعي، والبهجة، والمحبّة، والمتعة في الوجود، وهذه السمات الأخيرة هي التي تسود في تلك العوالم الخفية السامية.."*.

وكما يعتقد "بوهم" بأنه لا يُمكن للعشوائية وعدم الانتظام أن يسودان في كون كلّي وغير مُجزّأ، اعتقد "سري أوروبيندو" بالأمر ذاته لكنه ينطبق أيضاً على الوعي. قال: *".. إذا كانت نقطة واحدة صغيرة في الكون غير واعية، فسوف يكون الكون*

بكامله غير واعي.."، وأضاف شارحاً: *".. إذا رأينا حصى صغيرة على جانب الطريق أو حبة رمل تحت أظفرنا بأنها عديمة الحياة وميتة، فالعيب هو في رؤيتنا التي تعاني من تأثير الوهم، وهذا ناتج من تأقلمنا المنهجي غير العقلاني للنظر إلى الأمور بعين التجزئة.."*

مثل "بوهم"، فهم "سري أوروبيندو" المتنوّر لــ"كليّة الوجود" جعله يدرك النسبية النهائية لكل الحقائق وكذلك الاعتباطية وراء محاولة تقسيم "التجلّي الهولغرافي غير المنفصل" إلى أشياء مجزأة. كان مقتنعاً جداً بفكرة أن أي محاولة لاختصار الكون إلى عدة حقائق مطلقة وعقائد غير قابلة للنقاش ومسلّمات غير قابلة للتغيير والتي أدت في النهاية إلى تحريف والتشويه، لدرجة جعلته يتخذ موقفاً مضاداً للأديان المنظّمة. وحاول طوال حياته التشديد على حقيقة أن الروحانية الأصيلة تأتي ليس من العقائد المنظّمة أو الكهنوتية، بل من الكون الروحي الذي بداخلنا. كتب يقول:

".. وجب علينا ليس فقط كسر قيود العقل والحواس، بل الهروب أيضاً من أشراك المفكّرين، وأشراك اللاهوتيين، وبناة المعابد، وكذلك من قيود الكلمة وعبودية الفكرة. كل هذه الأشياء تقبع بداخلنا تتربّص بالروح لاحتجازها داخل هيئات وأشكال وهمية ومظللة. لكن علينا دائماً تجاوز هذه الحدود، التخلّي دائماً عن الأصغر من أجل الأعظم، المحدود من أجل اللامحدود.. وجب أن نكون محضّرين للتقدم من تنوّر إلى تنوّر، من تجربة إلى تجربة، من حالة روحية إلى حالة روحية.. علينا عدم تقييد أنفسنا حتى بالحقائق التي نؤمن بها بثقة عمياء، فهي مجرّد هيئات وانطباعات محدودة تحاول وصف "المتعذّر وصفه" والذي يرفض أن يقيّد نفسه بأي هيئة أو انطباع محدّد.."

لكن إذا كان الكون في النهاية "متعذّر الوصف"، عبارة عن مزيج مختلط من الذبذبات متعددة الألوان، فما هي إذاً كل هذه الأشكال والمجسّمات التي نراها

حولنا؟ ما هو الواقع المادي الملموس؟ الجواب الذي قدمه "سري أوروبيندو" هو: *".. هو عبارة عن كتلة من النور المستقرّ.."*

العيش في اللامحدود

صورة الواقع التي وصفها "المقتربون من الموت" هي متلائمة بشكل مذهل وتم تأييدها أيضاً من قبل شهادات عدد كبير من أبرز المتصوّفين حول العالم. الأمر الأكثر عجباً هو أن هذه المستويات التجاوزية من الواقع، في الوقت الذي كانت فيه روعتها تخطف أنفاس زوارها الذين ينتمون إلى المناطق الأكثر تحضّراً في العالم (الغرب عموماً)، نجد أنها تُعتبر عوالم مألوفة وعادية لدى الشعوب البدائية.

مثلاً، الدكتور "إي. نانديسفارا نياكي ثيرو" E. Nandisvara Nayake Thero، وهو عالِم الأنثروبولوجيا *(علم الإنسان)* عاش مع مجتمع من السكان الأصليين في أستراليا aborigines لدراستهم عن كثب، أشار إلى أن مفهوم "زمن الحلم" dreamtime لدى هذا الشعب، وهو بُعد تجاوزي يزوره الشامانيون الأستراليون عبر الدخول في غيبوبة عميقة، هو متطابق تقريباً مع عوالم ماوراء الحياة التي وصفتها المصادر الغربية. هو العالم الذي تقصده أرواح البشر بعد الموت، وخلال وجوده هناك يستطيع الشاماني محادثة الموتى والحوزة على معلومات غيبية لا محدودة. ويوصفونه أيضاً بأنه البُعد الذي تزول فيه حدود الزمان والمكان، وغيرها من حدود أخرى نألفها في الحياة الدنيوية، وعلى الفرد الذي يزوره أن يتعلّم كيف يتعامل مع اللامحدود. لهذا السبب، عادةً ما يشير الشامانيون الأستراليون إلى الحياة ما بعد الموت بـــ"العيش في اللامحدود".

الأنثروبولوجي الألماني "هولغر كايويت" Holger Kaiweit، والمتخصص في علم النفس أيضاً، يعبّر عن الأمر بطريقة أفضل. بصفته خبير في التقاليد الشامانية والناشط أيضاً في أبحاث "الاقتراب من الموت"، يشير "كايويت" بأنه كافة التقاليد الشامانية حول العالم تشمل مواصفات عن ذلك العالم المتعدد الأبعاد الهائل بحيث تزخر بالإشارات إلى حالات "المراجعة الفورية" لأحداث الحياة، و"كائنات" روحية

سامية تُرشد وتعلّم الأفراد، و"الطعام" الذي يتجلّى مجرّد التفكير به، ومروج وغابات وجبال جميلة يتعذّر وصفها بكلمات، وغيرها من حالات ومشاهد متطابقة في كل مكان.

ليس فقط قدرة السفر إلى العالم الماورائي تُعتبر المتطلّب الوحيد ليصبح الفرد شامانياً، بل غالباً ما تمثل حالات "الاقتراب من الموت" المحفّزات الرئيسية التي تدفع الفرد إلى لعب هذا الدور في القبيلة. فمثلاً، قبائل "السينيكا" Seneca الهندية *(أمريكا الشمالية)*، وقبائل "السيوكس" Sioux الهندية *(أمريكا الشمالية)*، وقبائل "الياكوت" Yakut *(سيبيريا)*، وقبائل "الغواجيرو" Guajiro *(أمريكا الجنوبية)*، وقبائل "الزولو" Zulu *(أفريقيا الجنوبية)*، و"الكيكويو" Kikuyu *(كينيا)*، وقبائل "مو دانغ" Mu dang *(كوريا)*، وقبائل "منتاواي" Mentawai *(أندونيسيا)*، وقبائل "الكاريبو" Caribou *(الأسكيمو)*، جميعها لديها تقاليد تشمل أفراداً أصبحوا شامانيين بعد حادثة هددت حياتهم فانتقلوا في حالة موت مؤقّت إلى العالم الآخر (أي اختبروا حالة "الاقتراب من الموت").

لكن بخلاف "المقتربين من الموت" الغربيين الذين يعتبرون هكذا حالات غريبة عليهم، يبدو أن أولئك المستكشفون الشامانيون لديهم معرفة شاملة بجغرافية تلك العوالم التجاوزية بحيث يستطيعون العودة إلى أي موقع فيها مرّة بعد مرّة بإرادتهم. لماذا يا تُرى؟ يعتقد "كايويت" بأن السبب هو أن هكذا تجارب تجاوزية تدخل في الواقع اليومي لهذه الثقافات البدائية. بينما مجتمعاتنا المتمدّنة تقمع الأفكار المتعلّقة بالموت أو مجرّد ذكر اسمه. هذا بالإضافة إلى أنها قلّلت من قيمة المجال التجاوزي (الصوفي) في الوقت الذي راحت تنظر إلى الواقع من نافذة المصطلحات العلمية المادية. أما الشعوب القبلية فلازالت تتواصل يومياً مع الجانب الروحي للواقع، وبالتالي، لديهم فهم أفضل للقوانين التي تحكم تلك العوالم الباطنية، وهم أكثر براعة في الإبحار في رحاب مستوياتها وأقسامها اللامتناهية.

يمكن إثبات حقيقة أن هؤلاء الشامانيين يسافرون فعلياً إلى تلك العوالم الباطنية من خلال تجارب مختلفة بلّغ عنها الباحثون، كتلك التي اختبرها العالِم الأنثروبولوجي "مايكل هارنر" Michael Harner خلال وجوده بين هنود "الكونيبو" Conibo في أدغال الأمازون في البيرو. في العام ١٩٦٠، أرسلت إدارة "المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي" الباحث "هارنر" بمهمة استكشافية مدتها سنة كاملة إلى مناطق هنود "الكانيبو"، وبينما كان هناك طلب من المحليين الحديث عن معتقداتهم الدينية. أجابوه بأنه إذا رغب فعلاً بمعرفة ذلك، عليه تناول شراب شاماني مقدّس مصنوع من نبتة مخدّرة معروفة باسم "أياكاوسكا" ayakuasca، أي "كرمة النفس".

وافق "هارنر" ومباشرة بعد شرب هذا المحلول ذو الطعم المرّ دخل في غيبوبة ثم اختبر حالة "خروج عن الجسد" حيث سافر خلالها إلى مستوى تجاوزي مسكون من قبل ما يعتبرون آلهة وشياطين في أساطير شعب "الكونيبو". رأى هناك شياطين برؤوس تماسيح مبتسمة. راقب ما يشبه "كيان طاقي" خارجاً من صدره وطاف نحو سفينة ذات رأس تمساح يقودها شخوص قريبة الشبه بالنماذج المصرية لكن رؤوسها زرقاء معتدلة، وشعر بما ظنّه الخدران التدريجي البطيء لموته.

لكن التجربة الأكثر وقعاً التي اختبرها خلال رحلته الروحية هي لقاءه مع مجموعة من الكائنات المجنّحة المشابهة للتنّين والتي خرجت من عموده الفقري. بعد أن دببت زاحفة إلى خارج جسده، جسّدت شاشة أمامه حيث أروه من خلالها ما زعموا أنه التاريخ الحقيقي للأرض. من خلال التواصل معه عبر نوع من "اللغة الفكرية"، شرحوا له كيف أنهم مسؤولون عن أصل مسيرة نشوء وتطوّر الحياة على الكوكب، وأنهم لا يسكنون داخل الكائنات البشرية فحسب، بل في كل مظاهر الحياة، وقد خلقوا أعداد لا تُحصى من أشكال الحياة التي تسكن الكوكب وذلك من أجل توفير مخابئ لأنفسهم لحمايتهم من عدو خفي يقبع في الفضاء الخارجي (قال "هارنر" بأنه رغم أن الكائنات تشبه إلى حد كبير شكل "الحمض النووي" DNA، إلا أنه في ذلك الوقت، أي ١٩٦١، كان يجهل ما هو "الحمض النووي" أصلاً).

بعد انتهاء هذه السلسلة من الرؤيا المتتابعة، قصد "هارنر" شاماني أعمى في القبيلة سعياً للمزيد من التوضيح حول تجربته، حيث معروف عن هذا العجوز الأعمى مواهبه الماورائية الاستثنائية. استمع هذا العجوز، الذي أجرى رحلات عديدة إلى عالم الأرواح في حياته، إلى كامل رواية "هارنر" حول تجربته، لكن عندما جاء على ذكر الكائنات التي تشبه التنّين وزعمها بأنها تمثّل الأسياد الحقيون لكوكب الأرض، ابتسم الشاماني وقال مصحّحاً: *".. أه، هذه الكائنات تقول ذلك دائماً. لكنهم في الحقيقة يمثلون أسياد جانبنا المظلم.."*. صُدم "هارنر" بعد معرفة أن ما اختبره هو مألوف جيداً لهذا الرجل الأعمى حافي القدمين. وقد تعرف عليها أثناء رحلاته الاستكشافية إلى ذات العالم المحجوب الذي زاره "هارنر" مؤخراً.

لكن هذه ليست الصدمة الوحيدة التي تلقاها "هارنر" على أي حال. روى تجربته أيضاً إلى مبشّرين مسيحيين يعيشان بالقرب من المنطقة، وقد استغرب من أنهما كانا يعرفان عن ما يتكلّم. بعد انتهاءه من روايته، قالا بأن بعض هذه الأوصاف هي مطابقة مع ما ذُكر في بعض المقاطع من سفر "الرؤيا"، وكان "هارنر"، الغير متديّن، يجهلها ولم يتطلع عليها من قبل.

يبدو إذاً أن الشاماني العجوز في قبيلة "الكانيبو" ليس الوحيد الذي سافر إلى ذات الموقع التجاوزي الذي استكشفه "هارنر" مؤخراً. بعض الرؤيا و"الرحلات إلى الفردوس" الموصوفة من قبل أنبياء العهد القيم والجديد قد تمثّل ربما رحلات شامانية إلى العالم الباطني.

هل يُعقل أن ما نعتبره فلكلور وأساطير مشوّقة لكنها ساذجة هي في الحقيقة أوصاف عقلانية رفيعة الثقافة لخرائط المستويات الخفية من الواقع؟ يؤكّد "كايويت" بأن الجواب هو نعم. ويقول مشدداً: *".. في ضوء الاكتشافات الثورية للأبحاث الأخيرة حول طبيعة الموت، لا نستطيع بعدها اعتبار أديان الشعوب القبلية وأفكارها عن عالم الأموات بأنها مجرّد مفاهيم بدائية بسيطة. وبدلاً من ذلك، وجب اعتبار الشامان طبيب نفسي فقيه ومن الطراز الرفيع.."*

إشعاع روحي يتعذّر إنكاره

الدليل الأخير على واقعية تجربة "الاقتراب من الموت" هو تأثيرها التحوّلي على الذين اختبروها. اكتشف الباحثون حقيقة أن "المقتربون من الموت" يختبرون دائماً تغيير جذري شبه كامل بعد رحلاتهم المؤقّتة إلى العالم التجاوزي. يصبحون أكثر سعادة، أكثر تفاؤلاً، أكثر هدوءاً وسهولة في التعامل، وأقلّ اهتماماً بالمكتسبات والممتلكات المادية. والأمر الأكثر إذهالاً هو تطوّر قابلية كبيرة لديهم على الحب، والذي تتوسّع دائرته بشكل هائل.

الأزواج المتحفظون الباردون يصبحون فجأة دافئون وعاطفيون. المهووسون بالعمل المستمر يتحولون فجأة إلى أشخاص هادئون يكرّسون معظم وقتهم مع العائلة. وحتى الأشخاص المنطوون يتحولون إلى أشخاص منبسطون. غالباً ما تكون هذه التحولات جذرية جداً لدرجة أن المحيطين بالفرد الذي اختبر "الاقتراب من الموت" يلاحظون بوضوح أنه أصبح شخص مختلف تماماً. حتى أن هناك حالات كثيرة موثّقة عن مجرمين صحّحوا مسارهم كلياً، ورجال دين متعصّبون استبدلوا خطابهم المكفّر الداعي للقتل والذبح إلى خطاب مُفعم بالعاطفة والمحبّة.

الأمر المهم الآخر هو أن "المقتربون من الموت" يصبحون ميالين إلى الروحانية بشكل ملفت. يعودون من ذلك العالم ليس مقتنعين تماماً بأبدية النفس البشرية فحسب، بل أيضاً مع شعور عميق وراسخ بأن الكون هو عاقل ورحيم، وهذا الحضور المُحب يرافقهم دائماً. لكن هذه الصحوة الجديدة لا تجعلهم أكثر تديّناً بل أكثر روحانيّة، والفرق بينهما كبير.

مثل "سري أوروبيندو"، الكثير من "المقتربين من الموت" يشدّدون على أهميّة التفريق بين الدين والروحانية، وأكّدوا بأن الأخيرة هي التي أزهرت بأبهى حلّتها في حياتهم، وليس الأولى. وبالفعل، تبيّن الدراسات أنه بعد تجربتهم، يستعرض "المقتربون من الموت" انفتاحاً متزايداً على الأفكار الخارجة عن نطاق خلفياتهم الدينية، والاهتمام موجّه خصوصاً نحو الفلسفات الشرقية، مثل اليوغا.

لكن هذا الاهتمام المتزايد يمتدّ إلى مناطق أخرى أيضاً. فمثلاً، غالباً ما يطوّر "المقتربون من الموت" افتتاناً مميّزاً بمواضيع تشبه تلك المذكورة في هذا الكتاب، خصوصاً الظواهر العقلية والفيزياء الجديدة، كالنظرية الهولوغرافية. فمثلاً، أحد الأفراد الذين حقق بقضيتهم الدكتور "رينغ" كان سائق آليات ثقيلة ولم يكن يبدي أي اهتمام بالكتب أو المواضيع الأكاديمية قبل اختباره "الاقتراب من الموت". لكن خلال رحلته الوجيزة إلى العالم التجاوزي، تجلّت لديه "رؤيا معرفية شاملة"، ورغم عدم قدرته على تذكّر محتوى هذه الرؤيا بعد صحوته، بدأت بعدها خلال حياته اليومية تخطر في ذهنه مصطلحات فيزيائية غير مفهومة. في صباح أحد الأيام تلفّظ دون وعي كلمة "كمومي" quantum! وبعدها تلفّظ بشكل متقطّع كلمتي "ماكس" Max و"بلانك" Planck (وهو اسم الفيزيائي "ماكس بلانك")، وقال: *".. سوف تسمعون عنه في المستقبل القريب.."*. ومع مرور الأيام، راحت تتجلى في ذهنه أجزاء معادلات ورموز رياضياتية.

لا هو ولا زوجته عرفا ما تعنيه كلمة "كمومي" أو من هو "ماكس بلانك"، الوالد المؤسّس للفيزياء الكمومية، حتى ذهب الرجل إلى المكتبة وبحث عن معنى هذه الكلمات هناك. لكن بعد اكتشافه بأنه لم يُبربر كلمات فارغة، بدأ يقرأ بنهم، ليس كتب الفيزياء فحسب، بل مواضيع تتعلق بالباراسيكولوجيا والميتافيزيقيا وحالات الوعي السامية، وحتى أنه التحق بالجامعة للتخصّص بمجال الفيزياء.

بعثت الزوجة رسالة إلى الدكتور "رينغ" محاولة وصف التحوّل الجذري الذي جرى لزوجها، فكتبت قائلة:

".. مرات كثيرة يلفظ كلمة لم يسمعها أبداً من قبل في واقعنا، وقد تكون كلمة أجنبية تنتمي للغة مختلفة، لكنه يعلم لاحقاً بأنها تتعلّق بنظرية الضوء في مجال الفيزياء.. يتكلم عن أشياء أسرع من الضوء ويصعب علي استيعابها.. عندما يلتقط كتاباً يتعلّق بالفيزياء يكون عالماً مُسبقاً بالمعلومات التي يحويه ويشعر بأنه يعرف المزيد في هذا المجال.."

بدأ الرجل أيضاً يطوّر قدرات عقلية بعد تجربته التجاوزية، وهذا الأمر مألوف جيداً بين "المقتربين من الموت". في العام ١٩٨٢، أجرى الطبيب النفسي "بروس غريسون" Bruce Greyson، من جامعة ميشيغان، على ٦٩ "مقترب من الموت" استطلاع (بصيغة سؤال وجواب) صُمّم خصيصاً لدراسة هذا الموضوع بالذات، فوجد ازدياد نسبة الظواهر أو القدرات العقلية لدى الأفراد.

"فيليس أتواتر" Phyllis Atwater، وهي ربة منزل أصبحت مهتمة في البحث بظاهرة "الاقتراب من الموت" بعد أن اختبرتها بنفسها وشهدت تحولاً جذرياً في حياتها. أجرت مقابلات مع عشرات "المقتربين من الموت" وتوصّلت إلى نتائج مشابهة للسابقة. قالت: *".. التخاطر وموهبة العلاج هما الأكثر شيوعاً بين القدرات المطوّرة لديهم.. وكذلك القدرة على إدراك بعض الأحداث المستقبلية... يتوقف الزمان والمكان، وتعيش في تسلسل زمني مستقبلي بكل تفاصيله. وعندما يحصل الحدث المتوقّع، تميّزه مباشرة وتعلم أنك رأيته من قبل.."*

يعتقد الدكتور "مودي" بأن التغيرات العميقة والإيجابية التي يخوضها هؤلاء الأفراد تمثّل دليل قاطع على أن حالات "الاقتراب من الموت" هي فعلاً رحلات إلى مستوى روحي معيّن من الواقع. يوافقه بذلك الدكتور "رينغ" أيضاً، فيقول: *".. في جوهر تجربة الاقتراب من الموت، نجد تأثير روحي كامل دون شكّ.. هذا الجوهر الروحي هو مهيب جداً وغامر جداً لدرجة تدفع الشخص للتحوّل كلياً إلى صيغة عيش مختلفة تماماً.."*

الباحثون في ظاهرة "الاقتراب من الموت" ليسوا الوحيدون الذين بدؤوا يتقبلون فكرة وجود هذا العالم التجاوزي والجانب الروحي من الكائن البشري. الفيزيائي "بريان جوزفسون" Brian Josephson بذاته *(الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٧٣، كان حينها في سن ٢٢، وذلك لاكتشافه تأثير "جوزفسزن")* وهو ممارس دائم لرياضة التأمّل، مقتنع أيضاً بوجود مستويات خفية من الواقع، وهي مستويات قابلة للوصول عبر التأمّل ويمكن تمثّل المثوى الذي نقصده بعد الموت.

في ندوة أقيمت عام ١٩٨٥ في جامعة "جورجتاون" حول إمكانية الحياة ما بعد الموت البيولوجي، دعى إليها السناتور الأمريكي "كلايبورن بيل" Claiborne Pell، عبّر الفيزيائي "بول ديفيس" Paul Davies عن انفتاح ملفت تجاه هذه الفكرة. قال:

".. نحن متفقون جميعاً على أنه، فيما يتعلق بالكائنات البشرية على الأقلّ، العقل هو منتوج المادة، أو بشكل أصحّ، العقل يجد سبيلاً للتعبير من خلال المادة (أي الدماغ). الدرس الذي نستخلصه من الفيزياء الكمومية هو أن المادة تستطيع تحقيق وجودها الصلب والملموس فقط عبر اقترانها بالعقل. من الواضح أنه، إذا كان العقل نموذج بدلاً من كونه محتوى مادي، فهو قابل للتجلّي بهيئات، وعبر تمثيلات، كثيرة مختلفة.."

حتى الاختصاصية في علم المناعة العصبية النفسية psychoneuroimmunologist "كانيس بيرت" Candace Pert، وكانت حاضرة في الندوة، كانت متقبلة للفكرة. قالت:

".. أعتقد بأنه ضروري معرفة أن المعلومات تُخزّن في الدماغ، ويمكنني استيعاب فكرة أن هذه المعلومات قابلة لتحويل نفسها للتجلي في عالم معيّن آخر. أي تذهب هذه المعلومات بعد دمار الجزيئات (الكتلة) التي تحويها؟ لا يمكن للمادة أن تخلق أو تزول، وربما جريان المعلومات البيولوجية لا يمكن أن تختفي هكذا بعد الموت ولا بد أن تنتقل إلى مجال آخر.."

هل يُمكن أن ما سماه "بوهم" المستوى "المستتر" من الواقع هو ذاته العالم الروحي، مصدر الإشعاع الروحي الذي حوّل حياة الصوفيين عبر العصور؟ حتى "بوهم" ذاته لم يستبعد الفكرة. قال شارحاً:

".. يمكن للحقل المستتر أن يُسمى إما المثالية Idealism، الروح Spirit، أو الوعي Consciousness... إن الفصل بين الاثنين ــ المادة والروح ــ هو عمل تجريدي. الأرضية تبقى ذاتها.."

من هي الكائنات النورانية

لأن كل الملاحظات السابقة قد أجريت من قبل فيزيائيين وليس لاهوتيين، لا يمكن للفرد سوى التساؤل إذا كان الاهتمام بالفيزياء الحديثة التي استعرضها "المقتربون من الموت" الذي درسهم الدكتور "رينغ" تُمثّل دلالة إلى شيء أكثر عمقاً.

إذا كانت الفيزياء، كما يقترح "بوهم"، قد بدأت بغزوات إلى مناطق كانت تُعتبر سابقاً من الأقاليم التابعة للصوفية، هل يمكن أن تكون هذه الانتهاكات قد تم توقعها مسبقاً من قبل الكائنات التي تسكن عالم الاقتراب من الموت؟ هل لهذا السبب يُمنح "المقتربون من الموت" تعطشاً لا يُقاوم إلى هكذا معرفة؟ هل هذه الكائنات وكيلة عن العرق البشري، تحضره مسبقاً لمستقبل يحصل فيه التقاء بين العلم والروحانيات؟

سوف نبحث في هذه الإمكانية لاحقاً، لكن أولاً هناك سؤال آخر وجب طرحه. إذا أصبح وجود هذا العالم السامي واقعاً مسلّم به دون جدال، فما هي معالمه إذاً؟ وبشكل أخصّ، من هي الكائنات التي تسكنه، وكيف هي مجتمعاتها، أو دعوني أتجرأ بالقول "حضارتها"؟ هذه طبعاً أسئلة يصعُب الإجابة عليها.

عندما حاول الدكتور "ويتون" التحقّق من هذه "الكائنات" التي تنصح الأفراد خلال وجودهم بين "حياتين"، وجد الأمر مراوغاً بحيث يصعب الاستقرار على إجابة واضحة. قال: *".. الانطباع الذي قدمه الأفراد ــ الذين يستطيعون الإجابة على هذا السؤال طبعاً ــ هو أنها كيانات نجحت في إكمال دوراتها التناسخية هنا على الأرض.."*

بعد مئات من الرحلات إلى العالم الباطني، وبعد إجراء مقابلات مع عشرات المحترفين في ممارسة "الخروج عن الجسد" حول هذا الموضوع، خرج "مونرو" أيضاً فارغ اليدين. قال واصفاً: *".. مهما كانت هويتها، هذه الكائنات لديها القدرة على بعث إشعاع دافئ مُفعم بالصداقة فتستحضر ثقة كاملة في الفرد.. وإدراك*

أفكارنا يُعتبر مهمة سهلة بالنسبة لها.. وكامل التاريخ البشري على الأرض هو متوفّر لديها وبأدقّ التفاصيل.."

"مونرو" أيضاً يعترف بجهله عندما يصل الأمر إلى الهوية النهائية لهذه الكيانات غير المادية. لكنه متأكّد من أن مهمتها الرئيسية هي: *".. الاهتمام الكلّي بصالح الكائن البشري الذي يرتبطون به جوهرياً.."*

لا يمكن قول الكثير عن حضارات تلك العوالم الخفية، باستثناء الأفراد الذين مُنحوا امتياز زيارتها من كافة ثقافات العالم، والذين بلغوا عن رؤية الكثير من المدن الهائلة ذات الجمال السماوي. "المقتربون من الموت"، الخبراء اليوغيون، والشامانيون، جميعهم يوصفون تلك العواصم الغامضة بتماثل يثير العجب. حتى أن الصوفيون الإسلاميون كانوا يألفون هذه المدن جيداً لدرجة أطلقوا على بعضها أسماء لتمييزها.

المظهر الأبرز لهذه المدن العظيمة هو تألق نورها. وغالباً ما توصف أيضاً هندستها الغريبة، والتي كانت جميلة بشكل مهيب لدرجة أنه، وكما الحال مع باقي المظاهر الأخرى لتلك الأباعد السامية، تعجز الكلمات عن تعبير فخامتها. خلال وصفه لأحد هذه المدن، قال "سويدنبورغ" بأنها كانت *".. ذات تصميم هندسي صاعق، فاتن جداً لدرجة تجعلك تجزم بأنه موطن ومصدر الفن بذاته.."*

الأشخاص الذين يزورون هذه المدن يؤكدون مراراً بأن فيها عدد غير عادي من المدارس ومباني أخرى متعلقة بملاحقة العلم والمعرفة. معظم أفراد الدكتور "ويتون" تذكروا قضاء أوقات مضنية خلال وجودهم بمرحلة بين حياتين، بالتجوّل داخل صالات عملاقة للمعرفة والتعليم، مجهّزة بمكتبات وأقسام منتديات.

بلغ العديد من "المقتربين من الموت" عن رؤيتهم لمدارس، مكتبات، ومؤسسات تعليم عالي، خلال اختبارهم الحالة التجاوزية. يمكننا أيضاً إيجاد مراجع في

نصوص تعود إلى القرن الحادي عشر بالتبت، توصف مدن عظمى مكرّسة كلياً للتعلّم، لكن لا يمكن الوصول إليها سوى من خلال السفر إلى الأعماق الخفية للعقل. ويعتقد "أدوين بيرنباوم" Edwin Bernbaum، المتخصّص في التقاليد السنسكريتية بجامعة كاليفورنيا في "بيركلي" Berkeley، أن رواية "جيمز هيلتون" James Hilton التي بعنوان "الأفق الضائع" Lost Horizon، حيث ابتكر المجتمع الخيالي لمدينة "شانغرا لا" Shangri-La، قد استلهم روايته من أحد هذه الأساطير التبتية. بالإضافة إلى أنه اختبر نوعاً معيناً من هذه الزيارات التجاوزية، كتب قائلاً: *".. خلال سنوات دراستي الثانوية والجامعية كان يراودني أحلام واضحة ومتكررة بأنني ألتحق بصفوف دراسية عن مواضيع روحية، وذلك في جامعة غريبة وجميلة تقبع في مكان ماورائي خفي. هذه لم تكن أحلام عادية ناتجة من قلق المراهق حول الذهاب إلى المدرسة، بل كانت أحلام طائرة بشكل رائع وساحر، كنت أطوف خلالها دون أي وزن لحضور محاضرات حول حقل الطاقة الإنساني والتقمّص. وكنت ألتقي أحياناً خلال هذه الأحلام بأشخاص عرفتهم في هذه الحياة لكنهم ماتوا، والتقيت أيضاً بأشخاص عرّفوا عن أنفسهم بأنهم لازالوا أرواح لكن على وشك الولادة من جديد.."*

المشكلة الوحيدة هي أنه في عالم خيالي لا يمكن لهكذا أوصاف أن تعني الكثير. لا يمكن للفرد أن يتأكّد من إذا كانت الهياكل الهندسية الفخمة التي شاهدها "المقتربون من الموت" تمثّل وقائع فعلية أو مجرّد فنتازيات مجازية. فمثلاً، بلّغ كل من الدكتورين "مودي" و"رينغ" عن حالات قال فيها "المقتربون من الموت" بأن أبنية التعليم العالي التي زاروها لم تكن مكرّسة فقط للمعرفة، بل كانت مؤلّفة من المعرفة أصلاً. هذا الاختيار الغريب للكلمات خلال وصف المشهد يفترض بأنه ربما كانت الزيارات إلى هذه الصروح هي في الحقيقة لقاءات أو مواجهات مع أشياء تتجاوز حدود الاستيعاب البشري ــ ربما كانت في الحقيقة عبارة عن غيمة ديناميكية حيّة مُفعمة بالمعرفة، أو الحالة أو الصيغة التي تتحوّل إليها المعرفة بعد أن تتجلّى في المستوى التجاوزي ــ وأن ترجمتها إلى هولوغرام يمثّل بناء أو مكتبة هي الطريقة الوحيدة التي يمكن للعقل البشري معالجتها.

الأمر ذاته ينطبق على المخلوقات التي يلتقيها الفرد في الأبعاد التجاوزية. لا يمكننا الاستناد على مظهرها وحده لمعرفة ما هي. فمثلاً، "جورج روسل" George Russell، وهو مستبصر أيرلندي معروف في بدايات القرن الماضي كما أنه محترف واستثنائي في ممارسة الخروج عن الجسد، التقى بالكثير من "الكائنات النورانية" خلال رحلاته إلى ما سماه "العالم الباطني". عندما سؤل في إحدى المقابلات بأن يصف كيف تبدو هذه الكائنات، قال: *".. أتذكّر جيداً مظهر أوّل هذه الكائنات التي رأيتها: كان هناك في البداية كتلة متراقصة من النور، ثم رأيت أنه انبعاث ضوئي قادم من قلب هيئة طويلة لها جسم شبه شفاف وكأنه هواء متلألئ، وعلى طول الجسم من الداخل يجري ما يمكن وصفه بنار مشعّة أو كهربائية بحيث كان القلب مركز الدورة.. حول رأس هذا الكائن وعبر شعره المتموّج المنير، المتطاير حول كامل الجسم مثل الجدائل الذهبية، تتموّج هالة متمايلة متلألئة. يبدو أن النور ينبعث خارجاً من الكائن ذاته وبكل الاتجاهات، والتأثير الذي خلفه بداخلي بعد رؤيته كان البهجة والمرح والنشوة الاستثنائية.."*

الأمر الغريب هو لقائي عدد من الأشخاص، عادةً ما يتمتعوا بأكثر من مجرّد قدرة عقلية طبيعية، والذين تراودهم هذه الأحلام أيضاً. أحدهم كان مستبصر بارع من "تكساس" اسمه "جيم غوردون" Jim Gordon، وكان في طفولته مصاب بالحيرة والإرباك مما كان يختبره لدرجة كان يسأل دائماً والدته المحتارة أيضاً عن السبب الذي يجعله مضطراً للذهاب إلى المدرسة مرتين، الأولى في النهار مع باقي الأطفال، والثانية في الليل أثناء النوم.

من المناسب الذكر هنا بأن "مونرو" وعدد آخر من الباحثين بظاهرة الخروج عن الجسد يعتقدون بأن الأحلام الطائرة (السفر في المنام إلى عوالم أخرى) هي في الحقيقة حالات خروج عن الجسد لكنها منسيّة بمعظمها لدى الأفراد. وهذا يجعلني أتساءل ربما إذا كان بعضنا على الأقلّ يزور تلك المدارس التجاوزية حتى خلال حياتنا الأرضية. وأعتقد بأن الكثيرون ممن يقرؤون هذا الكتاب الآن قد اختبروا هذه التجربة بنفسهم.

على الجانب الآخر، يؤكّد "مونرو" بأنه مجرّد أن أصبح في حضور أحد هذه الكيانات غير المادية لبرهة، تلغي ظهورها تماماً ولم يعد باستطاعته رؤية شيئاً، رغم أنه يبقى شاعراً بوجود "الإنبعاث" الذي يمثّل هذا الكيان. مرّة أخرى، يبقى السؤال ذاته: عندما يلتقي أحد زوار العالم التجاوزي بـــ"كائن نوراني"، هل يكون ذلك الكائن واقعياً فعلاً أو مجرّد فنتازيا مجازية؟

الجواب هو، طبعاً، أنه يمثّل الجانبين معاً، حيث في كون هولوغرافي كل الأشياء هي مجرّد وهم، عبارة عن صور هولوغرافية تنشأ نتيجة تفاعل الوعي الحاضر في المكان، لكن في الوقت نفسه، وكما يقول "بريبرام"، الأوهام تستند على شيء موجود فعلاً. هكذا تكون المعضلات التي يواجهها الفرد في كون يبدو بالنسبة لنا بشكله المتجلّي لكن دائماً له مصدره في شيء يتعذّر وصفه، في النظام المستتر.

علينا أن نتشجّع بحقيقة أن الصور الهولوغرافية التي تخلقها عقولنا في العالم الآخر يبدو أن لديها على الأقلّ علاقة معيّنة بشيء موجود هناك فعلاً. عندما نلتقي بغيمة غير مادية تمثّل معرفة نقيّة، نحوّلها بعقلنا إلى مدرسة أو مكتبة. وعندما يلتقي أحدهم هناك بامرأة تربط بينهما سابقاً علاقة حب/كره، يراها بهيئة نصف وردة ونصف أفعى، وهو رمز يوضح بطريقة مفهومة جوهر شخصيتها. وعندما يلتقي المسافرون إلى العالم التجاوزي بما يمكن وصفها نقاط "وعي" غير مادية تقدم المساعدة والعون، يرونها بهيئة كائنات نورانية أو ملائكيّة.

أما بالنسبة للهوية الحقيقية والنهائية لهذه الكائنات، يمكننا الاستنتاج بناء على تصرفها بأنها أكثر بلوغاً، أكثر حكمة، ولها علاقة عميقة ومحبّة مع العرق البشري، لكن ما يتجاوز هذا التعريف يبقى تساؤلات يتعذّر إجابتها، مثل إمكانية أن تكون آلهة، ملائكة، أو أرواح بشرية تحررت من دورة التناسخ الأرضي، أو شيء آخر يتجاوز الاستيعاب البشري.

المزيد من التنظير في هذا المضمار قد يمثّل محاولات صفيقة أو حتى وقحة، حيث لن نصل إلى مكان أو نتيجة مجدية، وسيبقى السؤال قائماً كما كان ولا يزال منذ آلاف السنين من تاريخ البشر الذين عجزوا عن الوصول إلى جواب. ومجرّد الزعم بأجوبة افتراضية سيحوّل الأمر إلى عقيدة دينية سطحية وليس بيّنة روحيّة عميقة. وهذا يذكرنا بتحذير "سري أوروبيندو" ضد تحويل المعرفة الروحانية إلى مسلّمات دينية. مع تقدم العلم في جمع المزيد من الدلائل، لا بد من أن الجواب سيتوضّح مع الوقت، لكن حتى ذلك الحين، سيبقى السؤال حول هوية تلك الكائنات قائماً.

يبقى هناك أمر واحد نحن واثقون منه، أنه في كون هولوغرافي، كون ينعدم فيه الانفصال والاختلاف بحيث يمكن للمجريات العميقة للنفس أن تندلق خارجاً وتتحول إلى جزء مندمج مع المشهد كالأزهار والأشجار، يصبح الواقع ذاته يصبح حلم جماعي كبير. في الأبعاد الأعلى من الوجود، هذه المظاهر الوهمية تصبح أكثر وضوحاً وصلابة، وبالفعل علّقت تقاليد كثيرة على هذه الحقيقة. في "كتاب الأموات" في التبت، تم تكرار التشديد على الطبيعة الوهمية للعالم التجاوزي، ولهذا السبب، طبعاً، يشير إليه سكان أستراليا الأصليين باسم "زمن الحلم".

بعد أن نتقبّل هذه الحقيقة، أي أن الواقع في كل مستوياته هو كليّ التجلّي وله ذات الحالة الوجودية التي يملكها الحلم، يصبح السؤال: من الذي يحلُم هذا الحلِم؟

فيما يتعلق بالتقاليد الدينية والأسطورية التي تعالج هذا السؤال، معظمها تقدم ذات الجواب: إنه حلم عقل كلّي واحد، الله [جلّ جلاله]. تؤكّد الفيدا الهندوسية والنصوص اليوغية مرّة بعد مرّة بأن الكون هو حلم الإله الأعلى. تتلخّص هذه الفكرة الوجدانية في المسيحية بالمقولة المتكررة دائماً ".. نحن مجرّد خواطر في عقل الله.."، أو كما يعبّر عنها الشاعر "كيتس" Keats: *".. نحن جميعاً أجزاء من الحلم الإلهي السرمدي الطويل.."*

لكن هل يتم حلمنا من قبل عقل إلهي منفرد، الله [عزّ وجلّ]، أو يتم حلمنا من قبل الوعي الجماعي لكل الأشياء ــ أي من قبل الإلكترونات، ثنائية الجزيء، الفراشات، النجوم، الكائنات البحرية، الكيانات البشرية وغير البشرية الموجودة في الكون؟

هنا مرّة أخرى نصطدم بجدار مفاهيمنا المحدودة، حيث في كون هولوغرافي ليس هناك معنى لهذا السؤال. كيف يمكننا طرح هكذا سؤال في الوقت الذي يخلق فيه الجزء الكلّ، أو الكلّ يخلق الجزء، لأنه بكل بساطة، الجزء يمثّل الكلّ والكلّ يمثّل الجزء. لذلك، مهما كانت الأسماء أو المفاهيم المستخدمة فسوف لن تغير شيئاً. يتم المحافظة على بقاء الكون بفضل عمل إبداعي هائل يتعذّر وصفه لدرجة تمنعنا من اختصاره في مصطلحات ومفاهيم بشرية محدودة.

سوف تبقى إشكالية زئبقية يتعّذّر شرحها. وإذا حاولنا شرحها، سوف لن نجد أوضح من شعوب "البوشمان" Bushmen في صحراء "كالاهاري" الأفريقية، حين عبروا عنها بالقول: ".. الحلم يحلم نفسه.."

انتهى الاقتباس من كتاب "الكون الهولوغرافي"

سجناء الماتريكس

Prisoners Of The Matrix

"... الماتريكس هو في كلّ مكان. يحيط بنا من كل صوب. حتى الآن، في هذه الغُرفة، يمكنك رؤيته عندما تنظر من النافذة أو عندما تشغّل جهاز التلفاز. تشعُر به عندما تذهب إلى العمل، عندما تذهب إلى المعبد، وعندما تدفع الضرائب. إنه العالم الذي يتم استعراضه أمام عينيك لحجبك عن الحقيقة.."

ميرفيوس Morpheus

فيلم "الماتريكس" The Matrix

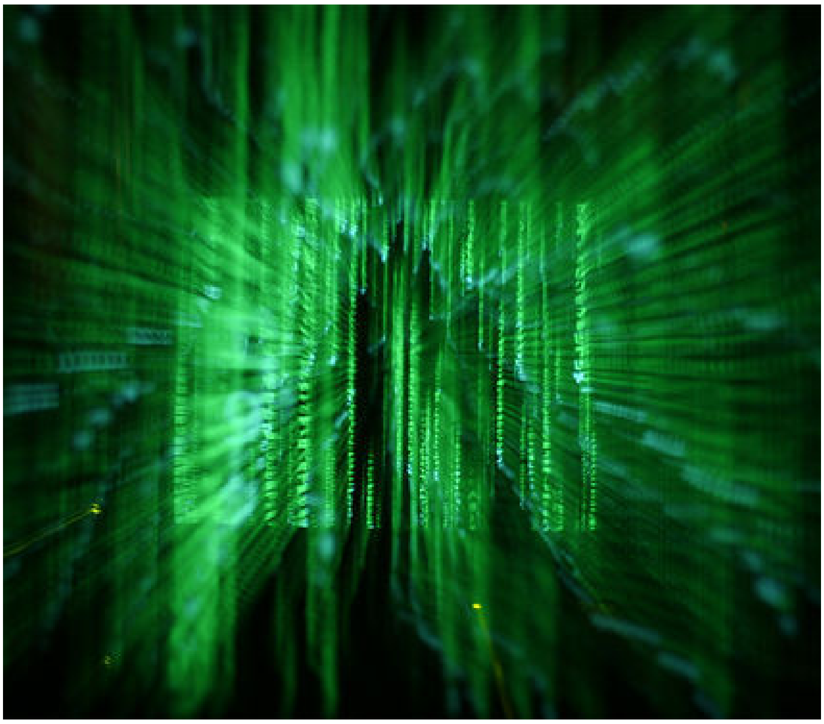

"الماتريكس" Matrix هو "البرماج العقلي" الذي يدفعنا إلى إدراك الواقع كما هو، فنتقبّله كما هو، ونصيغ أفكارنا ونظرياتنا وطريقة حياتنا بناء على هذا الواقع الذي ندركه ونتقبله كما هو. نحن منغمسون جداً بغمار أحداثه وفعالياته، ومنشغلون جداً

في التعاطي مع ظواهره ومظاهره لدرجة تجعلنا عاجزين عن إدراك حقيقة أنه مجرّد "ماتريكس".. "برماج عقلي" قابل للتغير وفق إرادتنا، بحيث يمكن استبداله بما هو أفضل وأكثر روعة.

من أجل استيعاب المعنى الفعلي لما يُشار إليه بـ"ماتريكس"، يبدو أن فقرة واحدة لا تكفي لتحقيق ذلك، حيث يتطلّب الأمر التعرّف على الكثير من المواضيع. فيما يلي وصف مختصر لما يمثّله "الماتريكس"، لماذا هو موجود، كيف يعمل، ومن يديره ويسيطر عليه.

".. الماتريكس" هو عبارة عن آلية هولوغرافية ميتافيزيقية نختبر من خلالها الواقع المرئي والملموس. هو ينسّق، يضبط، ويحافظ على الحلبة العامة التي نقوم فيها نحن، ككائنات واعية منفردة تتمتع بإرادة حرّة، بالصراع مع إرادات الآخرين ومواجهة العواقب المترتبة من أفعالنا. في المستويات العليا (الأبعاد الروحية)، هناك درجة أكبر من الشفافية بين الكائنات، أي أن الإرادات الحرّة تتخلل بعضها البعض دون صدام، بعكس الواقع المادي الذي تُحدث المواجهات فيه صداماً ملموساً وموجعاً.." ــ ".. الماتريكس هو الذي يضمن وجود واقع ملموس نتعلّم من خلاله، بفعل وجودنا الصلب والمحسوس، قيمة الانتصار على المِحن. من دون هذا الماتريكس، لا وجود للكينونة المادية الملموسة بالإضافة إلى غياب خطايا إرادات الآخرين الحرّة، وبالتالي لا نكتسب أي تجربة على الإطلاق لأنه لن يعد هناك تجربة لنختبرها أصلاً.." ــ ".. وحدة المعالجة المركزية لهذا الماتريكس تمثّل مستوى متدنّي من الوعي، وهو القسم "النائم" من العقل الكلّي، والذي يستخدمه لتوفير خميرة مناسبة لنتمكن نحن، العقول المنفردة، من الاندماج فيها. الجزء النائم من العقل الكلّي هو الواقع المادي الملموس، والذي يوفّر مرآة يستطيع من خلالها العقل العظيم من إكمال نفسه. إذاً، الماتريكس هو ببساطة أداة هدفها تنسيق الوقائع الفردية للكائنات الواعية في واقع واحد شامل. إن جمع وقائعنا المنفردة يمثّل وسيلة غريبة عجيبة للتعلّم.." ــ ".. الواقع الذي نختبره هو مجرّد واحد من بين الكثير، كل منها تختلف قليلاً من حيث قوانينها الوضعية وغاياتها البرمجية. عندما

نُكمل أحد هذه الوقائع البرمجية، ننتقل إلى الآخر. لكن البرمجات ليست لانهائية، وسوف ننتهي في النهاية من كامل الدورة لنشهد الحرية الحقيقية.."

Montalk *"مونتولك"*

Counterfeit Reality *الواقع المزوّر*

".. ما هو الماتريكس؟.. إنه مدرسة أو سجن، يعتمد الأمر على وجهة النظر التي تختارها. في الجانب الأول، هو يمثّل منظومة تعليمية فضائية فوقية hyperdimensional تساهم في تسريع معدّل تطوّرك الروحي من خلال توفير التجارب التحفيزيّة المناسبة لأفكارك، عواطفك، وتكوينك الروحي. لكن على الجانب الثاني، الكثير من هذه التجارب التي تختبرها تتجلّى على شكل قوى مفترسة تعيش على حساب ضعفك.." ـ ".. طبعاً، الطريقة الوحيدة لتجنّب إمكانية السيطرة علينا من قبل هذه القوى السوداء هو اكتشاف، وإدماج، وتحويل ضعفنا إلى قوّة، ومن ثم إحراز الغاية الأسمى من وجود الماتريكس أصلاً والمتمثّلة بمساعدتنا على تجاوز دورتها بسلام نحو الحريّة الحقيقية. مع ذلك، هذه القوى المفترسة "الفضائية الفوقية" تملك إرادة حرّة ولديها أجندتها الخاصة، وتتمثّل بتوسيع قاعدة سيطرتها والمحافظة على بقائها من خلال التغذية على الطاقة العاطفية البشرية، بالإضافة إلى المحافظة على إبقاء الجميع في جهل تام عن ما هو عليه وما يجري حوله، لأن كل من استطاع فعل ذلك سوف يفرض تأثيرات إيجابية موازنة على المزرعة/السجن الذي تديره هذه القوى على هذا الكوكب.." ـ ".. يمكن الإشارة إلى المجموع النهائي لمنظومة سيطرتهم الفضائية الفوقية بمصطلح "منظومة سيطرة الماتريكس" Matrix Control System ـ بقدر ما تمثّل هذه المدرسة ضربات موجعة تعمل على إضعاف أرواح ضعيفي الروح، فهي في الوقت نفسه تقوي أرواح الأقوياء روحياً، ويعتمد الأمر على اختيار الفرد بين الرغبة في البقاء ضحيّة خانعة أو التحوّل إلى مقاتل شديد.

Montalk *"مونتولك"*

Matrix Intro *مقدمة الماتريكس*

".. من هم أولاد الماتريكس؟ إنهم نحن. جميعنا. لقد وُلِدنا في عالم تسيطر عليه قوى غير مرئية وبأت بها الإنسانية وخضعت لسيطرتها لآلاف السنين. لا، هذا ليس فيلم من هوليوود، إنه يحصل معك الآن.. في هذه اللحظة، وسيبقى قائماً حتى إشعار آخر.." ــ ".. يمكنك النظر حولك وتظنّ بأن ما تراه هو حقيقي. لكنك في الحقيقة تعيش في وهم. وهم تم تصميمه لإبقائك في سجن عقلي، وعاطفي، وروحي.."

ديفيد أيك David Icke

أولاد الماتريكس Children of the Matrix

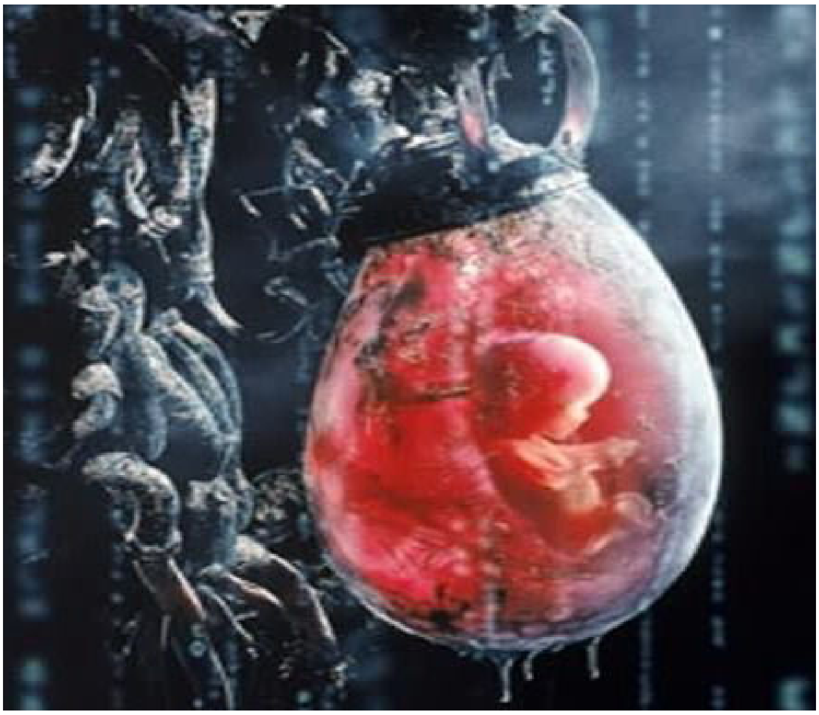

".. لقد التقينا بالعدو وجهاً لوجه.. فتبيّن أنه نحن!.." ــ ".. مقيّدون في سجونهم العقلية المظلمة، راح الأسرى يشاهدون تراقص الصور البرّاقة على الشاشة، مقتنعون تماماً بأنهم يشاهدون الواقع.." ــ ".. شاءت الصدف أن تمكّن أحد الرهائن من رؤية صفاء الحقيقة النقيّة، فكسر الأغلال وتحرّر من الظِلال

المخادعة. ثم، بسبب توقه إلى مساعدة الآخرين، يدخل إلى الكهف مجدداً متحدياً ظلامه الدامس، قاصداً فضح الأفكار المخادعة التي تبقي على رفاقه مقيّدين في الأسر. لكن كما "الغوليم" المصنوعون من تراب، جفل الأسرى مترددين، مفضّلون التراجع إلى العتمة الكئيبة بدلاً من التحرّر من عبودية الوهم. كانوا خائفين جداً من كسر الأغلال والانطلاق نحو نور الفجر الجديد.."

غيليان نورمان Gillian Norman

"***حروب عقلية***" Mind Wars

الماتريكس
The Matrix

اقتباس من كتاب "أولاد الماتريكس" Children of The Matrix، للباحث المستقلّ "ديفيد أيك" David Icke.

الفصل الثامن عشر

ــ دعني أقول لك لماذا أنت هنا. أنت هنا لأنك تعرف شيئاً. ما تعرفه لا تستطيع تفسيره لكنك تشعر به. لقد شعرت به طوال حياتك. أن هناك شيئاً خاطئاً في هذا العالم. أنت لا تعلم ما هو، لكنه هناك، كما الشظيّة العالقة في عقلك، وتدفعك إلى الجنون. هذا الشعور هو الذي جاء بك إليّ. هل تعلم عما أتكلّم؟

ــ الماتريكس؟

ــ هل ترغب في معرفة ما هو؟ الماتريكس هو في كلّ مكان. يحيط بنا من كل صوب. حتى الآن، في هذه الغُرفة، يمكنك رؤيته عندما تنظر من النافذة أو عندما تشغّل جهاز التلفاز. تشعُر به عندما تذهب إلى العمل، عندما تذهب إلى المعبد، وعندما تدفع الضرائب. إنه العالم الذي يتم استعراضه أمام عينيك لحجبك عن الحقيقة.

ــ أي حقيقة؟

ــ حقيقة أنك عبد يا "نيو". أنت مولود في العبودية كما كل فرد آخر. مولود في سجن لا تستطيع شمّ رائحته أو تذوّق طعمه أو لمسه. سجن يأسر عقلك. لسوء الحظ، لا يمكن وصف الماتريكس لأحد، عليك رؤيته واختباره بنفسك... أنا أحاول تحرير عقلك يا "نيو". لكن لا استطيع سوى إرشادك إلى الباب. أنت الذي يترتب عليه عبوره.

ميرفيوس Morpheus

فيلم "الماتريكس" The Matrix

نعتقد بأننا نعيش في "عالم" ظواهري، مع أننا في الحقيقة نعيش في مجال ترددي. هذا كل ما في الأمر. نحن محبوسون في مجال ترددي وبالتالي محبوسون في وهم. هذا هو الشيء الذي يسمونه في الفيلم الشهير اسم "ماتريكس" Matrix.

"العالم" الذي نراه حولنا هو مجرّد جزئية دقيقة من اللامحدود المتعدد الأبعاد والتي يمكن لحواسنا الجسدية المحدودة رؤيتها وسماعها ولمسها وشمّها وذوقها. العالم المادي الذي ندركه يشبه محطة الراديو وحواسنا الجسدية مولّفة على وتيرة

ترددها. لهذا السبب لا نرى سوى ما نراه. لكن في كل مكان من حولنا يوجد ترددات أخرى، أو كثافات من الخلق اللامحدود، وهي ذاتها التي يتنكر العلم المنهجي لوجودها بصفتها غير قابلة للقياس.

إنها تحيطنا من كل الجهات، وعلى وتائر ترددية تتجاوز مجال إدراكنا الحسّي. هذه هي الترددات التي يمكن رؤيتها أو إدراكها من قبل الحيوانات مثل القطط التي تستجيب لما نعتبره فضاء فارغ، والكلاب عندما تلتقط أصوات متجاوزة لمجال سمعنا. الأطفال حديثي الولادة أيضاً يستجيبون للفضاء الفارغ من حولهم قبل أن تُقمع حواسهم الخارقة لاحقاً بفعل التكييف الثقافي والاجتماعي. هي الترددات ذاتها التي يستشعرها الوسطاء الحقيقيون، متنبؤوا العالم القديم، الذي يستطيعون رفع وتيرة ذبذبتهم لكي تتوالف مع هذه العوالم غير المرئية.

في كتابها الرائع الذي بعنوان "لوه، لعبة الإنسان الكونية" LUH, Man's Cosmic Game تعبّر الفيزيائية الإيطالية "جيوليانا كونفورتو" Giuliana Conforto عن هذه الفكرة بالقول: *".. إن نسبة ٩٠% من كتلة محسوبة هي في الحقيقة مظلمة وغير مرئية، بينما نسبة ١٠% فقط يمكن رؤيتها بواسطة الضوء. الكون المرئي الذي نراه، بما يشمله من مليارات النجوم والمجرّات، هو بدوره مجرّد منظر ضيّق لنسبة ١٠% التي نستطيع رؤيتها. داخل كل جسد مادي هناك واقع خفي لكنه أضخم حجماً (٩٠%)، هو محتوى غير مرئي لكن يمكن الشعور به واختباره على شكل مشاعر وأحاسيس وحدس.."*

إنه في هذه المجالات من "المادة المظلمة" غير المرئية تعمل الكيانات ثلاثية الأبعاد، الخيّرة والشرّيرة (بما في ذلك الكينونات الفكرية المخلوقة بشرياً). تشير الفيزيائية "جيوليانا كونفورتو" أيضاً بأنه في بعض المجرّات، تفوق نسبة هذه "المادة المظلمة" الكتلة المادية التي نستطيع رؤيتها بمئة مرّة. نستطيع من مجالنا الترددي رؤية ٧% فقط مما هو موجود في هكذا مجرّات. أي إذا فتحنا عقولنا ووسّعنا المجال الترددي لإدراكنا سوف نكتشف المزيد من الكواكب والنجوم.

يُقال بأن "الذرّة" تمثّل أساس المادة الصلبة، ومع ذلك القسم الأكبر من فضائها يتعذّر لمسه وإدراكه لأنه "فراغ". تتألّف الذرّة، التي تُشكّل حجر بناء كافة الأشياء، من نواة مع إلكترونات تدور حولها كالنظام الشمسي المُصغّر. في كتابه الذي بعنوان "فتح العين الثالثة" The Opening Of The Third Eye، يقول الدكتور "دوغلاس بيكر" Douglas Baker بأنه: *".. إذا وسّعنا ذرّة الهيدروجين لتصبح بحجم الكاتدرائية، سوف تكون إلكتروناتها بحجم العملة المعدنية.."*

الأغلبية العُظمى من "الفراغ" داخل الذرّة هي "مادة مظلمة" تعمل وفق ترددات نعجز عن رؤيتها والأمر ذاته ينطبق على نظامنا الشمسي وكامل الكون المادي والملموس. لو كان العلم يتخذ التوجّه ذاته الذي تفكّر به الفيزيائية "جيوليانا كونفورتو"، بدلاً من التعصّب القائم حالياً في عالم الأكاديميا، لكنا نعيش اليوم في عالم مختلف نتمتع فيه بصحوة غير محدودة تجاه حقيقة من نحن وطبيعة الحياة.

لكن انظروا إلى الأرقام التي خرجت بها الفيزيائية "كونفورتو" وقارنوها مع إنكارات "العلم" لوجود أي حياة ذكية اخرى خارج هذا الكوكب. يطلبون منا الإعتقاد بأن الحياة كما نعرفها قد تطوّرت فقط على كوكب واحد بين مليارات الكواكب والنجوم في هذا الكون المرئي، والذي هو بدوره يمثّل جزئية صغيرة من "الضوء" المرئي، والذي يمثّل بدوره ١٠% من مجموع الكتلة. يا للمهزلة. ليحمينا الله من العلم الرسمي. مع العلم أن الأرقام التي خرجنا بها نتجت من حسابات أوّلية تقريبية، أي قد تكون نسبة ١٠% مبالغ بها أيضاً.

مملكة السماء هي بداخلك

في محيطك الآن، وفي حالة تقاسم لذات الفراغ الذي يشغله جسدك، يوجد كل أنواع موجات الراديو والتلفزيون المُرسلة إلى منطقتك. أنت لا تستطيع رؤيتها، وهي أيضاً لا تدرك وجود بعضها البعض لأنها تتردد بذبذبات مختلفة بحيث يمكنها المرور عبر بعضها وكذلك عبر جسدك لكن دون أن تؤثّر على بعضها

البعض. الحالة الوحيدة التي تؤثّر فيها على بعضها البعض هو عندما تتردد بوتيرة ذبذبية واحدة.

عندما تشغّل جهاز الراديو لديك، التردد الذي تولّف عليه يمرّ عبر نوافذ وجدران منزلك حتى يصل إلى جهاز الاستقبال، لأن وتيرة تردد بنية الجدران ووتيرة الموجة التي يلتقطها المذياع تختلفان كثيراً من حيث الكثافة الذبذبية. لهذا السبب تستطيع الكائنات الخفية أو حتى المخلوقات الفضائية المرور عبر الجدران، ولهذا السبب أيضاً يستطيع بعض الأشخاص رؤيتها بينما البعض الآخر يعجز عن ذلك، فالأمر يعتمد على إمكانية العقل لديك أن يتردد بنفس وتيرة ذبذبتها.

هذه الكائنات المختلفة التي تنتمي لأبعاد أخرى موجودة في كل مكان حولنا وتقاسمنا الفراغ ذاته. تستطيع أحياناً الشعور بحضورها حيث تتغيّر أجواء الغرفة وتحسّ ببرودة زائدة. لكن في حال حضور كائنات إيجابية، تشعر بجو مُفعم بالمحبة من حولك. هذه الكائنات قريبة جداً من مجال ترددنا لكنها خارج نطاقها قليلاً.

تحدث "كريدو موتوا" Credo Mutwa (شاماني أفريقي) عن "النقطة العمياء" الذبذبيّة التي تمنع الناس من رؤية هذه الكائنات، وأعتقد شخصياً بأن هذه الحالة مخلوقة اصطناعياً بطريقة ما، ربما يتم بثّ موجات ترددّية من مكان ما تحت الأرض، بحيث تعمل على تعطيل الإمكانيات متعددة الأبعاد التي تتمتع بها الحموض النووية DNA لدينا. هذه الحموض النووية تعمل كمُرسلات ومستقبلات للمعلومات الذبذبية وبالتالي يمكن إعادة برمجتها بواسطة حقول ذبذبية أو كهرومغناطيسيّة مولّد صناعياً. "نيكولا تيسلا" Nikola Tesla، الذي له الفضل في معظم ما نتمتع به اليوم من أنظمة كهربائية، فهم جيّداً حقيقة وجود ترددات أخرى خارج نطاق الذي نألفه، لكن مُعظم أبحاثه الاستثنائية تعرّضت لقمع والإخفاء. قال يوماً: *".. لا نستطيع التأكيد أو التشكيك في إمكانية وجودها (أي*

كائنات من أبعاد أخرى) هنا الآن في عالمنا، وحتى بيننا، حيث تكون بنيتها الذبذبية مكوّنة بطريقة تجعلها خارجة عن مجال إدراكنا.."

كما ذكرت سابقاً، عندما تحرّك مؤشّر الراديو وتولّف مع محطّة أخرى لم يعد باستطاعتك سماع المحطّة الأولى لأنك حرّكت المؤشّر بعيداً عن نطاق ترددها ولذلك أصبحت الآن تستمع لمحطة أخرى. لكن هذا لا يعني أن المحطة الأولى اختفت، بل تستمرّ في البثّ. لكن الفرق هو أنك لم تعد تسمعها. وإذا قرّرت إعادة المؤشّر إلى حيث يتوالف مع مجالها الترددي سوف تراها هناك، موجودة دائماً، وتستطيع بعدها الاستماع إليها ثانية. هكذا هي حال كامل الخلق في الكون. نحن نشبه قطران الماء وسط محيط من الطاقة اللامحدودة والتي تتخذ لنفسها أشكال متنوعة ولامتناهية. هذا المحيط من الطاقة يتجلى بكثافات مختلفة، أو ترددات مختلفة، وفي هذه اللحظة نحن موالفون مع هذا المجال الترددي الذي ندركه ونلمسه حولنا، أي لعالم المادي والملموس.

لكن هذا لا يمنع وجود ترددات أخرى مختلفة حولنا وتتخللنا في الوقت الذي لا ندرك سوى الكثافة التي تستطيع حواسنا رؤيتها وسماعها وتذوّقها ولمسها وشمّها، أي "الماتريكس" Matrix الذي نتفاعل معه. أما الكثافات الأخرى، والتي يشير إليها الفيزيائيون باسم "المادة المظلمة"، فنعجز عن إدراكها، وكما عبّرت عنها الفيزيائية "جيوليانا كونفورتو": *".. إن عجزنا عن إدراكها (أي المادة السوداء) لا يعني أنها غير موجودة، بل لأن الإدراك البشري محدود بشكل مأساوي.."*

استطاع الاستعراضي "بيل هيكس" Bill Hicks، الكوميدي الإمريكي المثقّف واللامع، التعبير عن هذه الحقيقة بشكل رائع حين قال: *".. المادة هي مجرّد طاقة لكنها تكاثفت إلى حالة ذبذبيّة بطيئة. نحن جميعاً نشكّل وعي واحد يختبر نفسه فعلياً. ليس هناك شيء يُسمى موت، والحياة هي مجرّد حلم. ونحن نمثّل خيال لأنفسنا.."*

أنظروا إلى معادلة أينشتاين الشهيرة [E=MC2] التي تبين كيف أن المادة هي مجرّد شكل من الطاقة وأن الطاقة لا يمكن تتلاشى أو تزول، بل التحوّل فقط من حالة إلى حالة. هذا يعني أنه حتى العلم المنهجي يسلّم بأن "الوعي"، الذي هو طاقة أصلاً، لا يمكن أن يتلاشى أو يزول. أي نحن نعيش إلى الأبد. الحقيقة هي ماثلة أمامنا دائماً. الأمر يشبه تحوّل الجليد إلى ماء مجرّد أن تغيّرت حرارته (ذبذبته)، وهذا التغيّر يؤدّي إلى تحويل الماء إلى بخار أيضاً، لكن هذا الأخير لا يختفي كما نظنّ، بل يعود ليندمج مع المكونات الجويّة، والتي يمكن إعادة تقطيرها إلى ماء مجدداً، فقط عبر تغيير حرارتها (ذبذبتها).

التغيير المتدرّج الحاصل للماء، من جليد إلى بخار، يتم بفعل تغيّر درجات الحرارة، والتي هي في الحقيقة ترددات ذبذبية مختلفة من الطاقة. إنها تمثّل ذات الطاقة، لكن في حالاتها المختلفة. تحتوي أجسادنا على عدد كبير من الترددات الفرعيّة ضمن نطاق ذبذبة المادي الملموس. أنظر إلى الأشعّة السينيّة X-rays. هي مولّفة على ترددات متناغمة مع البنية العظميّة وبالتالي فهي لا تبيّن اللحم الخارجي الذي يكسوها، لأن هذا الأخير متناغم مع ترددات مختلفة.

الأشعّة السينيّة لا تبيّن جدران الأبنية، فقط الحديد المسلّح داخلها وذلك للسبب الترددي ذاته. أنظر إلى العالم من منظار الأشعّة السينية وسوف تجده مختلفاً تماماً من ما نراه بعيوننا. يعتمد مظهر الأشياء والأشخاص على الوتيرة الذبذبية التي تنظر منها. بيّنة التقنيات الحديثة كيف أن الهالة البشرية (حقل الطاقة الإنساني) هي عبارة عن كتلة من الألوان المختلفة (ترددات) والتي تتغيّر وتتبدّل كلما طرأ تغييراً في أفكارنا وعواطفنا (تغيير في وتيرة تردّد الوعي).

الأشعّة السينية هي مثال واحد فقط من الترددات التي سلّم العلم المنهجي بوجودها رغم عجزنا عن رؤيتها. هناك الكثير من هذه الأشعّة التي يتعامل معها العلم، مثل فوق البنفسجيّة، غاما، تحت الحمراء، موجات الراديو،.. إلى آخره. لكن إذا افترضنا بأن هذه الترددات لم تُكتشف بعد، واقترحت إمكانية وجودها أمام أحد

العلماء المنهجيين، هل تتصوّر ما سوف تكون ردّة فعله تجاه هذا الاقتراح؟ الجواب بسيط: إما سيعتبره سخيفاً، أو خطيراً! حسب الحالة. المهم أن استجابته ستكون سلبية في كل الأحوال. لقد أثبت التاريخ، منذ فجر العصر العلمي، بأن كل "منهج" أو "قاعدة" أو "قانون" علمي تمسّك به العلماء بأسنانهم، بيّن في النهاية عن خطأه، أو عجزه عن تقديم صورة كاملة، أو غالباً ما يكون سخيفاً وغير معقول.

لكن رغم ذلك، نرى أن المجتمع، جيلاً بعد جيل، يعلّق آماله على "المنهج" العلمي الرسمي القائم في زمانه، مع قناعة كاملة (ومتعصّبة أحياناً) بأنه لا يُخطئ أبداً. بينما يستمرّ العلم في حكمه على الأشياء والظواهر مستنداً على "القوانين" التي لا تناسب سوى المجال الترددي لهذا العالم المادي، مع العلم بأن العلماء يعلمون جيداً أن ٩٠% من كتلة الوجود المرئي والملموس مؤلفة من "مادة مظلمة"، وهذه الأخيرة لا تخضع للقوانين التي يستندون عليها، كتلك المتعلقة بالجاذبية والحقل الكهرومغناطيسي. إذا أخذنا القوانين الفيزيائية القابلة للتطبيق في مجال ترددي واحد (يمثّل عالمنا الصلب) وأصرّينا على استخدامها للحكم على مجالات الترددية الأخرى، فسوف نبقى عالقين في ظلام الجهل إلى الأبد. القوانين التي تنطبق على مجال ترددي لا تنطبق على مجال آخر.

لقد تم وضع الأسس الأوّلية للعلم المنهجي science، "..الدين الجديد الذي اجتاح العالم.."، من قبل "الجمعية الملكية" Royal Society في لندن، وهذه الأخيرة مُستلهمة من قبل "فرانسيس بيكون" Francis Bacon (محفل الصليب الوردي). من بين المبادئ الأوّلية التي يلتزم بها هذا العلم المقدّس في مزاعمه هو أننا خُلقنا بالصدفة، من مصدر مجهول، ونمضي فترة مؤقتة في الحياة الأرضية، ومن ثم العودة إلى المجهول مجدداً.

حتى في تاريخها المُعلن رسمياً، تم إنشاء "الجمعية الملكية للعلوم" من قبل شخصيات ماسونية مثل "بنيامين فرانكلين" Benjamin Franklin. وهناك شخصية أخرى لها دور بارز في تشيدها وهو "إسحاق نيوتن" Isaac Newton،

رئيس محفل "صهيون" السرّي Priory of Sion، أحد الفروع المباشرة لمحفل "المتنورين" Illuminati، الذي يتحكم بمجريات العالم بتوكيل من سلالة العائلات المسيطرة. كما باقي مؤسّسي "الجمعية الملكيّة للعلوم"، كان "نيوتن" يعلم جيداً بأن مُعظم ما يقوله لنا العلم الرسمي هو مجرّد تفاهات سخيفة. لكن الفكرة الرئيسية من تشييد هذا "الدين العلماني المقدّس" الذي اجتاح العالم خلال القرنين السابقين، هي بيعنا الأكاذيب لإبقائنا بعيدين كل البُعد عن الحقيقة. لأنه من الأسهل السيطرة على الشعوب التي تؤمن بأنها مجرّد صدفة كونية، أي جاؤوا إلى الوجود نتيجة تفاعلات كيماوية عشوائية، وتعود إلى المجهول بعد الموت.

النقطة المهمة في خُلاصة "بيل هيكس" الرائعة حول الحقيقة المحجوبة هي: *"..نحن عبارة عن تخيّلات عن أنفسنا. حياتنا، وتجربتنا الأرضية، هي مجرّد تجليات لأفكارنا. نحن نمثّل ما نفكّره. إن تخيّلنا عن أنفسنا والعالم من حولنا هو الذي يصبح تجربتنا الأرضيّة. إذا فكّرت بأنك كيان عادي، فهذا ما ستكون عليه. إذا فكّرت بأنك عديم القوى، فهذا ما ستكون عليه. إذا فكّرت كيف أن الأمور الجيّدة تحصل للآخرين ما عداك، فهذا ما سيحصل بالضبط.."*

كل شي يُخلق بواسطة الفكر، أي أفكارنا. في هذا المجال الترددي الكثيف الذي نعيش وسطه (المستوى المادي)، سيبدو أن الوقت الفاصل بين الفكرة وتجسيدها المادي طويلاً جداً، لكن يبقى الفكر هو الخالق. فمثلاً، أنظر حولك الآن أينما كنت، الأبنية، الأثاث، التُحف، الحلي، أدوات المطبخ، كلها أشياء مصنوعة بفضل الفكر. لو لم يفكر أحد أن يصممها وفكّر في تصنيعها لما كانت موجودة أصلاً. دون فكر لما كان هناك خلق مادي. لكن في عوالم أخرى، حيث تكون الطاقة أقلّ كثافة وعامل الزمن معدوم، تكون الفكرة وتجلياتها متزامنة. أي أن الفكرة تتجلّى مادياً بشكل فوري.

كل هذا يعني أننا نعيش في عالم من الأوهام، لأن العالم هو انعكاس، مرآة، للفكر البشري. كيفما فكّرناه عن العالم، هكذا سيكون. أو على الأقلّ هكذا سندركه

بعقولنا. لاحظنا في فيلم "ماتريكس" Matrix كيف أن فتى صغير يلوي الملاعق وفق إرادته وبالتركيز العقلي. لكنه يقول أن الحقيقة الفعليّة هي: *".. ليس هناك ملعقة.. ليس الملعقة التي تلوي، بل أنت.."*

ما هو الحقيقي؟ الحقيقي هو ما تؤمن أنه حقيقي. كما يقول "ميرفوس" Morpheus في الفيلم: *".. الحقيقي هو عبارة عن إشارات كهربائيّة مُترجمة في دماغك.."*

بحق السماء، نحن لا نرى الأشياء حتى، بل فقط الضوء الذي تعكسه. أغلق الستائر وأطفئ الأنوار. ما الذي تراه؟ لا شيء. وإذا استطعت رؤية شيئاً فهذا لأنه لازال هناك مصدر ضوء منعكس مما تراه. يشير المصطلح "مادة مظلمة" إلى ما لا يعكس الضوء في مجالنا الترددي وبالتالي لا نستطيع رؤيته.

نحن لا نرى شيئاً، سوى الضوء المنعكس. حتى أننا لا نسمع الأصوات التي نسمعها. تحوّل آذاننا الضغط الهوائي المار عبر الفراغ إلى سلسلة من الموجات فيحوّل الدماغ هذه الموجات إلى صوت مُدرك. هذا بالضبط ما تفعله أجهزة الراديو والتلفزيون. البثّ الإرسالي لا يسافر في الهواء على شكل صور وأصوات، بل على شكل موجات ذبذبيّة، وما على أجهزة استقبال الراديو والتلفزيون سوى تحويلها إلى أصوات وصور.

تساؤلات

أصبح العلم يسلّم بحقيقة أن الإدراكات التي تتجلى في عقولنا هي عبارة عن ذبذبات تستقبلها الأعضاء الحسيّة ثم تحوّلها على شكل إشارات كهربائية إلى الدماغ ليعالجها بدوره إلى صور ذهنيّة. أي أن ما نراه ونسمعه ونلمسه ليس ضروري أن يكون موجود فعلاً هناك في الخارج، بل هو ما يصوّره الدماغ لنا. وهذا يطرح أسئلة مهمة يتعذّر الإجابة عليها بسهولة.

فمثلاً، الذين يشاهدون ألعاباً ناريّة في السماء، ويتمتعون بمنظرها الجميل، يعتقدون بأن ما يرونه هو حقيقي. لكن الحقيقة هي أنه يستحيل عليهم مشاهدة ألعاب نارية حقيقية. ما يرونه هو مجرّد إشارات كهربائية يتم معالجتها في الدماغ لتشكل صور ذهنيّة تتخذ شكل ألعاب ناريّة. وهنا تدخل الأسئلة الكُبرى: [١] ما هو هذا الشيء القابع في أدمغتنا والذي يتمتع بمشاهدة الإشارات الكهربائية التي تسببها الألعاب النارية؟ [٢] في الظلام الدامس داخل أدمغتنا المعزولة تماماً، ما هو هذا الشيء الذي ينبهر بالأنوار الساطعة للألعاب الناريّة، وكيف؟

ما هو ذلك الشيء القابع وسط الصمت المطبق داخل أدمغتنا، والذي يستمتع بسماع الموسيقى، ويحكم عليها بأنها جميلة؟

عندما نتذوّق طعم الليمونة وتلذعنا حموضتها، الذي يختبر هذه الحموضة ليس ألسنتنا بل أدمغتنا. أي قد لا يكون طعم الليمونة حامضاً بل النسخة في دماغنا تقول ذلك. السؤال هو: ما هو ذلك الشيء الذي يحدّد بأن الليمونة طعمها حامض؟

عندما تحمل بيدك حبّة درّاق وتشم رائحتها وترى لونها وتتلمّس الوبر الذي يكسو قشرها، ثم تستمتع بأكلها، ما الذي يجعلك تجزم بأن ما أكلته يتخذ ذات الشكل والون والرائحة والطعم الذي أدركته بحواسك؟ الحقيقة هي أن حبّة الدرّاق ليست سوى نسخة للكائن الأصلي الذي تتعامل معه هناك في الخارج. يستحيل عليك رؤية وشمّ أو تذوّق حبة الدرّاق الحقيقيّة.

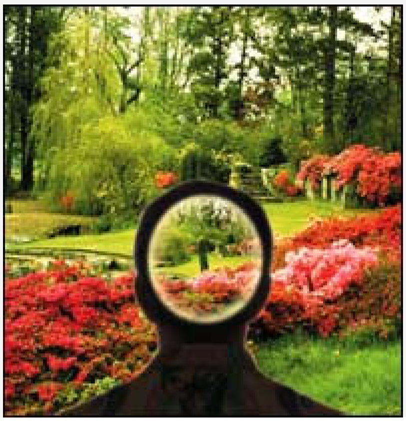

الشخص الذي يتمتع بمشاهدة منظر طبيعي جميل يفترض بأنه يشاهد أشياء ماثلة أمام عينيه. لكن الحقيقة هي أنها صورة ذهنيّة تتشكّل في الدماغ الذي يتألف من كتلة بروتينات ودهون. وبالتالي السؤال الكبير هو: ما هو ذلك الشيء الذي يتمتّع بمشاهدة هذا المنظر داخل الدماغ؟

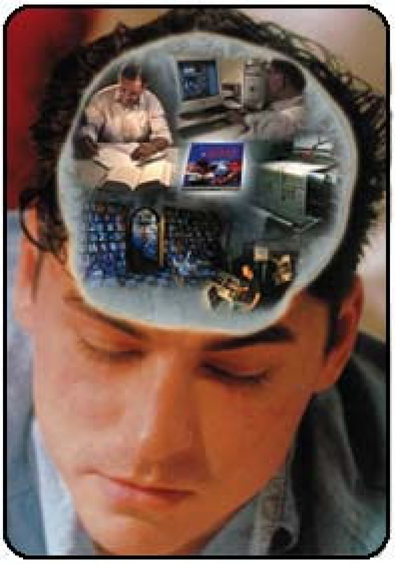

لقد أصبحت من المسلّمات العلمية الثابتة حقيقة أن كل ما نراه ونلمسه ونـسمعه من حولنا هو مجـرّد صـور ذهنيّـة متشكّلة في الدماغ، حيث تـم إثباتهـا بالتجربة العملية. لكن الـسؤال الكبيـر الذي فرضته هذه الحقيقة "العلميـة" لا زال قائماً: ما هو ذلك الشيء الذي ليس له عيون لكنه يشاهد المناظر عبر نوافذ أدمغتنا ويتأثّر بما يشاهده من مناظر؟

كل فرد من الحاضرين في مدرّج الملعب يشاهد لعبة منفصلة

الشخص الذي يدخل الاستاد لحضور لعبة رياضية يفترض بأنه سيشاهد ذات اللعبة مع آلاف الحاضرين الآخرين، لكن هذا أيضاً يُعتبر وهم كبير. الحقيقة هي أنه في دماغ كل فرد تتشكّل نسخة منفصلة ومميّزة للمشهد الحقيقي. ويكون عـدد هـذه النسخ المنفصلة بقدر عدد المشاهدين. المشاهدون لا يستطيعون رؤية ما يحـصل فعلياً في العالم الخارجي. لأنه يستحيل على أي فرد أن يخرج من نطاق الـشاشة

المتكوّنة في دماغه ويتفاعل مع المشهد الحقيقي. كل ما يستطيع هــؤلاء إدراكــه واختباره هو ما تترجمه أدمغتهم من معطيات ذبذبيّة تلتقطها عن المشهد الفعلي.

العالم الذي نختبره وندركه هو مجرّد نسخة في أدمغتنا لما هو موجود فعلاً. لكــن السؤال هو: من/ما الذي يقبع في أدمغتنا ويقرّر بأن يبدو العالم بالشكل الذي ندركه نحن؟ مجموع الإدراكات التي تتوحّد حولها كل الناس، لأنها تتشكّل بنفس الصيغة في أدمغتهم، هي التي تُؤلّف "الماتريكس". لكن السؤال هو: من الذي يصيغ هــذا "الماتريكس" الذي تتوحّد حوله المجموعات البشرية؟

انتهى التساؤل

أهلاً بك في عالمي الخاص

كل منا يعيش في عالمه الخاص، كونه الشخصي. وعندما يدخل الآخــرين إلــى نطاق فضائنا الشخصي يكونوا بذلك قد دخلوا عالمنا، أو واقعنا الخــاص. هنــاك مناطق مشتركة تتفق عليها عوالمنا بحيث تتواصل عبرها. فمثلاً، معظــم النــاس يتفقون على حقيقة وجود طريق عام خارج منزلك والسيارات تمرّ أمامــه ذهابــاً وإياباً. لكن بعيداً عن هذه الحقائق الأساسية التي نتفق عليها، يمكــن لعوالمنــا أن تختلف بشكل كبير. في عالمي الخاص مثلاً، فإن رياضة صــيد الثعالــب، عبــر مطاردتها على الخيول ومع مجموعة من الكلاب الشرسة التي تمزّقها إرباً، تُعتبر عمل فاحش ومقيت. لكن في عوالم أخرى، قد تُعتبر عملية مُمتعة وما من عيــب في الأمر.

في عالمي الخاص، هناك مجموعة من العائلات النخبوية تسيطر علــى الكوكــب عبر شبكة من المحافل السريّة المتحكمة بكل الجهات المتنازعة. لكن فــي عــوالم الآخرين، ليس هناك أي صلة تربط بين الجهات المتنازع والعالم مؤلف من عــدة آراء متنوعة ذات الإرادة الحرّة. في عالمي الخاص، بعض أشــهر الشخــصيات العالمية تجري طقوس شيطانية تعذّب وتقتل الأطفال كأضاحي للشيطان. لكن فــي

عوالم مُعظم الناس الآخرين لا يمكن استيعاب حقيقة أن هكذا فضاعات تحصل فعلاً، وبالتالي لا وجود لهذه الأمور. عقولنا تدرك العالم المرئي والملموس، وما نظنّه عنه يصبح واقعنا الخاص، أو عالمنا الشخصي. لأنني أرى العالم وأحداثه وفق مفاهيم وقناعات مختلفة تماماً عن مُعظم الناس، لا بدّ بالتالي من وجود نقاط اختلاف كبيرة بين عالمي الخاص وعالمهم. لهذا السبب، يعتبروني غريب الأطوار أو حتى "أهبل". لكن هذا لا يمثّل سوى نظرتهم تجاهي من زاوية عالمهم الخاص. هذا لا يعني أن ما يعتقدونه يمثّل الحقيقة. إنه مجرّد "وهم" مولّد ذاتياً.

هناك عدد لا متناهي من الأمثلة التي تثبت حقيقة أن العالم المادي محكوم جوهرياً بواسطة العقل غير المادي. أي قناعاتنا ومعتقداتنا هي التي تكوّن عالمنا الذي نختبره فعلياً. فمثلاً، يستطيع الساحر الاستعراضي أن يُقنع ملايين العقول بأنه حقّق "مُعجزة" مع أنها في الحقيقة مجرّد خداع بصري نابع من خفّة يد. هناك خدعة يتم خلالها تقييد فتاة جميلة ووضعها داخل صندوق كبير. يُغلق بعدها غطاء الصندوق، ومن ثم تُقرع الطبول لتحضير المشاهد للحث القادم، بعدها بقليل يفتح الساحر الصندوق ليجد الجميع بأن الفتاة قد اختفت.

ما فعلته في الحقيقة هو اختباءها في قسم خفي داخل الصندوق لكنه يحافظ على مظهر أنه فارغ. ثم ينتقل الساحر إلى صندوق آخر مطابق للأوّل في الجانب الآخر من المسرح. عندما يفتح غطاء الصندوق تظهر الفتاة منه وسط صفيق الجمهور المتحمّس للأعجوبة. أصبحت عقول الجمهور مقتنعة تماماً بأن الفتاة قد انتقلت بطريقة ما من صندوق إلى آخر. هذا بالتالي يُصبح واقعاً شخصياً لكل من اقتنع بهذه العملية، أي يصبح جزءاً من عالمه الخاص. لكن هل تعلم ما حصل فعلاً؟ الساحر الاستعراضي يستخدم خلال هذا العرض توأمين متطابقتين بالمظهر واللباس. بهذه البساطة يمكن خداه العقل.

جلست في إحدى المرات بجانب شخص خلال برنامج تلفزيوني وقد مزّق الصفحة الأولى لإحدى الصُحف اليومية وجعّد القطع ببعضها بيديه، ثم فتح يديه ليُبرزها

سليمة تماماً. كنت أبعد عنه متر تقريباً، ورأيته بأم عيني يمزّق الورقة قطعاً. لكنه لم يفعل ذلك بكل تأكيد. كل ما فعله هو أنه أقنع الحاضرين بأنه فعل ذلك (قـدرة عقليّة تشبه التنويم) وعندما يقتنع العقل بأمر ما يُصبح ذلك الأمر واقعاً ملموسـاً. المنوّم المغناطيسي الاستعراضي يستطيع إقناع أي شـخص متطـوّع مـن بـين الجمهور بأن بُراز الكلب هو قطعة حلوة لذيذة، أو أن المرأة الجالسة بجانبه هـي عارية، أو يستطيع جعله يعتقد بأنه حمار أو سائق سيارة سباق أو حتـى نـابليون بونابارت.

ما يفعله "المتنورون" (حكام العالم) ببساطة هو تطبيق تقنيات مشابهة لكـن علـى نطاق واسع، ذلك لأنهم يعلمون جيداً كيف تعمل هذه الأمور، بفضل المعرفة التي عملوا جاهدين على حجبها عنّا طوال العصور الماضية.

خلق واقعنا الخاص

نحن لا نمثّل أجسادنا الماديّة. فهذه مجرّد مستوى واحد منّا ولفترة مؤقّتـة بينمـا ننتهي من اختبار هذا المجال الترددي الأرضـي. الجـسد هـو مجـرّد إسـقاط هولوغرافي يسمح للوعي أن يتفاعل مع العالم المادي الكثيف. حتى أفلاطون نبّـه إلى هذه الحقيقة قائلاً بأن *"..كل الأجسام هي مجرّد ظِلال للواقع الحقيقي.."*. كل جزيء من الهولوغرام يحتوي على صورة لكامل المجسّم.

لهذا السبب نجد أن كل خليّة في الجسم تحتوي على كل المعلومات المطلوبة لخلق جسم كامل (كما في عملية التناسخ). الهولوغرام يمثّل وهم. هو ليس مجسّم ثلاثي الأبعاد، بل يبدو كمجسّم ثلاثي الأبعاد. الأمر ذاته ينطبق علـى الجـسد. الطـبّ المنهجي يركّز تحديداً على الصورة الهولوغرافية ويتجاهل القوى متعددة التـردّد مثل الأفكار والعواطف التي يمكنها إحداث تناغم أو خلـل فـي هـذه الـصورة الهولوغرافية.

إذاً، الطب الرسمي يركّز كلياً على الأعراض المرضية وليس المسببات المؤدية لها. نحن بكل تأكيد أكثر من أجسادنا بكثير. نحن في الحقيقة نمثّل "كل ما هو موجود"، كل ما كان موجوداً، وما سيوجد لاحقاً. أنا أنت، وأنت أنا، أنا كل شيء، وكل شيء هو أنا. نحن لا نمثّل جزء من الطاقة اللامحدودة التي انبعث منها كل شيء فحسب، بل نمثّل تلك الطاقة أصلاً. نحن هي، وهي نحن. في النهاية ليس هناك أنا وأنت ونحن، فقط "ذات" كبيرة.

أنظر إلى العالم من حولك. أنظر إلى الكواكب والنجوم في سماء الليل. كلها أنت، بل هي جزء منك فقط، أي الجزء الذي تستطيع حواسك رؤيته وإدراكه. كلنا نمثّل طاقة واحدة. الاختلافات بيننا هي أوهام، وهم كبير. الصراعات بيننا هي مجرّد صراعات وهمية داخل أنفسنا. الصراع الخارجي هو تعبير عن الصراع الداخلي، والذين يدخلون مجال عالمنا الخاص، سلبيين أو إيجابيين، هم عبارة عن إسقاطات خارجية لكينونتنا الداخلية. أي بمعنى آخر، أولئك الذين يكرهون أنفسهم والمجرّدون من احترام الذات يجذبون (بطريقة ذبذبيّة) إلى حياتهم، إلى عوالمهم الخاصة، أشخاص يرغبون في تأنيبهم وعقابهم. (قانون الجذب).

هم لا يعلمون بأنهم يفعلون ذلك، حيث الأمر يجري كلياً في العقل الباطن. أنظر إلى حالة النساء اللوات يُضربن من قبل شركائهنّ دائماً، أي كلما أنهت المرأة علاقتها بشريكها المتوحّش لتبدأ علاقة جديدة يكون الشريك الجديد أكثر وحشيّة. أنا أعرف نساء كثيرات غيّرن علاقتهنّ أكثر من أربع أو خمس مرات ورغم ذلك ينتهي بهنّ الأمر مع شركاء ساديين. المسكينات لا يعرفن بأن العيب يكمن داخلهنّ وليس في عالمهن الخارجي. إلى أن نغيّر نفوسنا الداخليّة، لا يمكن للتجليات الخارجية أن تتغيّر أبداً. كافة الإجابات تكمن في الداخل، ليس الخارج. بدّل طريقة تفكيرك ونظرتك للعالم، يتغيّر كل شيء من حولك. لكن هناك من لا يرغب في تشجيعنا على التفكير بهذه الطريقة. يعمل "المتنورون" جاهدين على توجيهنا إلى النظر خارج أنفسنا بحثاً أن أجوبة. لأنهم يعلمون جيداً أنه بهذه الطريقة لا يمكننا إيجاد الجواب أبداً.

يريدوننا أن نؤمن بأن الأجوبة تقبع هناك في العالم الخارجي، المرآة، في الوقت الذي هو مجرّد انعكاس لما نبعثه من داخلنا. وهكذا، جعلونا نعتاد على إيجاد الأجوبة على مشاكلنا في قوانين جديدة وسلطة إضافيّة للشرطة والسلطات الحكومية، المحليّة والعالمية، مع أنها في الحقيقة مجرّد خطوة جديدة في زيادة سيطرتهم علينا، وانحرافنا أكثر وأكثر عن المسألة الحقيقية ــ المتعلقة بالحالة المزاجيّة للنفس الباطنيّة، وعينا.

"المتنورون" مسرورون بهذه الحالة لأنهم يعلمون جيداً بأن ما من شيء جوهري سيتغيّر إلا إذا لجأنا إلى مصدر كل التجارب الوجوديّة: داخل أنفسنا. يريدوننا أن نؤمن بأننا نستطيع تغيير الفيلم السينمائي من خلال التركيز على الشاشة أمامنا، مع أن الطريقة الوحيدة لتغيير الفيلم هي تغيير ما يتم إسقاطه على الشاشة. مثال بسيط هو: إذا أحببنا بعضنا البعض، سوف لن يكون هناك صراعات في العالم. لكن لأننا لا نفعل ذلك، نجد الصراعات في كل مكان. المسألة هي مسألة خيار، والخيارات التي نتخذها تتجلّى مباشرة في أخبار الصحف وفي حياتنا اليومية.

لقد صُممت كامل خطّة "المتنورين" بطريقة تحافظ على إبقائنا محبوسون في الوهم المادي وبالتالي الحرص على إمكانيّة السيطرة علينا والتحكم بنا بواسطة الواقع الوهمي الذي صنعوه لنا، ويتم تعزيزه بأفكار مُلفّقة وتأثيرات أخرى صنعوها بطريقة تصدر من البعد الرابع أو المستوى النجمي (كينونات فكريّة ناتجة من طقوس سحرية وفي مواعيد فلكيّة محدّدة). لهذا السبب من بين أمور كثيرة فعلوها، قاموا بالأعمال التالية:

ــ دمّروا أو حجبوا، بشكل منهجي، أكبر قدر ممكن من المعرفة القديمة، لأنها احتوت على فهم حقيقي لما نحن عليه والطبيعة الحقيقية للحياة.

ــ اختطفوا كافة الدراسات والأبحاث المتعلّقة بالمعرفة القديمة المحجوبة وكذلك كافة الآثار حول العالم التي تؤدّي أو تشير إلى هذه المعرفة، وذلك حرصاً منهم

على أن لا يُكتشف شيء يمكن أن يبيّن لنا أصولنا وطبيعتنا الحقيقية. إن أي اكتشاف أثري من هذا النوع يتعرّض للحجب فوراً.

ـ أنشئوا الأديان المنظّمة من أجل أسر عقول الجماهير، ملئهم بشعور المحدودية والوضاعة، وبالإضافة إلى تصوير العلوم الإيزوتيرية (التجاوزية) على أنها "شرّ مطلق" من أعمال الشيطان. وبدلاً من إرشاد الرعايا نحو الروحانية الأصيلة، تعلّمهم كيف يحملون السواطير والسيوف ضدّ الآخرين.

ـ أنشئوا "العلم المنهجي" من أجل التعامل فقط مع المادي الملموس، وإنكار وجود مستويات أخرى للحياة، وقمع المعرفة التي تتحدث عن إنسان متعدد الأبعاد. يتم ذلك عبر مكافأة أولئك الذين يرددون كلام الأسياد كالببغاوات وتدمير سمعة الذين يمتنعون عن ذلك.

ـ أنشئوا "وسائل الإعلام" من أجل اغتصاب عقولنا عبر فرض واقع وهمي يرغبه "المتنورون"، ومن أجل التهجّم، والاستهزاء، وتدمير أي شخص يهدّد بفضح الخدعة الكبرى والوهم الذي تسوّقه.

ـ قصفنا بعربدة صارخة من الإثارة الجنسية والمنبهات الجسدية الأخرى، بالإضافة إلى ميول ماديّة بحتة تفرض علينا التعلّق بالدنيا أكثر وأكثر، وزرع في وجداننا قناعة تقول بأن ".. النجاح يعتمد على ما تملكه وليس ما أنت عليه.."

ـ تركيز اهتمام العالم بأسره، عبر الإعلام الفتاك، على كل ما هو مادي ـ المال، ربح الجائزة الكُبرى، الممتلكات، تسويق الهوس بالجنس كتجربة جسدية بدلاً من كونه تجربة روحيّة. الجنس المرتكز على الشهوة وحدها يُخفض من ذبذبة كينونتنا لأن العملية هي مادية صرف. بينما الجنس المرتكز على الحبّ يرفع من وتيرة ذبذبتنا لأنه يعيد وصلنا مع مستوى "الحب النقي".

ــ قاموا بعزل طاقة الذكر عن طاقة الأنثى، مما أدى إلى خلق ازدواجية منفصلة تمنع اندماج طاقتي الأنثى والذكر داخل كل منا والتي من المفروض أن تساهم في خلق قوة ثالثة عالية الذبذبة، فتحرّرنا من السجن الترددي الذي نحن فيه، أي الماتريكس.

التوازن = الانسجام ... عدم التوازن = عدم الانسجام

إذا أردت عدم الانسجام فأنت بحاجة إلى خلق عدم توازن. هذه بديهية بسيطة لكنها لعبت دوراً جوهرياً في تكتيكات "المتنورين" خلال سيطرتهم على البشرية.

الذي لا يعرفه مُعظمنا هو أن "طاقة الأنثى المتوازنة" هي طاقة البديهة والحدس وإعادة الاتصال مع المستوى التجاوزي. من هنا جاءت فكرة "حدس المرأة". يميل جسد الأنثى إلى تجسيد طاقة الأنثى بدرجة أكبر من الوفرة، ولهذا السبب نرى أن مُعظم كهنة معابد النبوءة، والوسطاء الأرواحيين، والمستبصرين في العالم القديم وحتى في الزمن الحاضر هم نساء. لكن ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك. فالرجال يتمتعون بنفس الدرجة من إمكانية التواصل مع قطبيتهم الأنثوية واستخدام هذه القوى الخلاقة للاتصال مع مستويات حدسيّة عُليا في داخلهم.

لكن عملية التواصل هذه هي آخر ما يرغبه "المتنورون" (رعاة البشرية). لأنهم يريدون للإنسانية أن تبقى في "سجن الوعي" الذي تقبع فيه الآن. لهذا السبب فعلوا كل ما يمكنهم فعله من أجل قمع استخدام هذه الطاقة الأنثوية الموازنة. استخدموا الأديان الشمولية من أجل الحطّ من قيمة النساء وجعلهنّ خانعات أمام الرجال مع تجريدهن من أي فرصة للتعبير عن أنفسهنّ بكامل مجدهنّ.

في الوقت نفسه، قاموا بقمع قطبية الأنثى عند الذكور، وذلك عبر خلق وتسويق النموذج الذي وجب أن يمثّل الرجل الحقيقي. أي الشخص الرجولي القاسي والعدواني والمقدام وعديم الرحمة (مع أنه يبقى في داخله مجرّد طفل صغير

وخائف). هؤلاء "الرجال الأشداء" الذين تنتجهم التقاليد والأعراف الاجتماعية هـم منفصلون جداً من طاقة الأنثى لديهم لدرجة تجعل إمكانية تواصلهم مـع "الـنفس العليا" شبه معدومة.

ــ يدسّون في طعامنـا، شـرابنا، أدويتنـا ولُقاحنـا، ماءنـا، هوائنـا، وبيئتنـا الكهرومغناطيسية الطبيعيّة كل أنواع الكيماويات والتـرددات الذبذبيـة المُـصمّمة خصيصاً لقمع قدرتنا على التعبير عن كينونتنا متعددة الأبعاد، وإعاقة القنوات التي تتواصل عبرها ذاتنا العُليا مع ذاتنا الدنيا.

ــ تلاعبوا بحموضنا النووية DNA بشكل مباشر وعبر وسائل التفافيـة بهـدف إعاقة الاتصال بالعوالم العُليا. أجندة "الشيفرة الجينيّة" التي تُـسوّق لنـا بطريقـة إيجابيّة بحجّة أنها تهدف إلى منع الأمراض تخفي بطياتها في الحقيقة دوافع خبيثة وشرّيرة.

ــ كانوا ولا زالوا يقيمون طقوس وشعائر شيطانيّة في مواقع على الأرض تُعتبـر مراكز دوامات طاقة رئيسيّة (هندسة أثيريّة) وذلك من أجل إخفاض مستوى وتيرة تردّد حقل الطاقة لكامل الكوكب ــ وهو الحقل الترددي الذي تعمل ضمنه حقـول الطاقة لدينا. بهذه الطريقة يتم قمع حقول الطاقة لدينا من الناحية الذبذبيّة وذلك من خلال إبقائنا في العيش ببيئة دنيوية ذات وتيرة منخفضة.

ملاحظة: هذه العملية تتطلّب المزيد من الشرح قبل وضوح الفكرة جيداً، لكن يمكن الاستناد على ما اكتسبناه من معلومات في الأجزاء السابقة لتكوين صورة معيّنـة. القصد من الطقوس الشيطانية هنا هو خلق طاقة "سايكوترونيّة" تؤثّر على ميـول الإنسان وتفكيره، فتدفعه نحو الانغماس بالشؤون الدنيّوية وملذّاتها، وهذا التوجّـه الدنيوي يساهم في خفض وتيرة تردده، فيبقى عالقاً في المستوى الدنيوي مع عجز كامل عن الارتقاء إلى مستويات أعلى. أي بمعنى آخر، الطقوس التـي يجرونهـا تُشبه إلى حد كبير تلك التي كان يجريها أجدادنا على البيدر للتخلّص من النمـل،

لكن الفرق هو أن غاية "المتنورين" هي شريرة وعلى نطاق أوسع بكثير بحيث يشمل العالم أجمع.

ــ يصنعون الحروب والنزاعات المُدبّرة مسبقاً بين كافة مستويات وشرائح المجتمعات البشرية، وكرّسوا حالة التبعيّة المالية والإفلاس الدائم، وكل ذلك من أجل إبقائنا في حالات عاطفية وفكرية منخفضة الوتيرة الترددّية، مثل الخوف، الذنب، الغضب، الامتعاض، والإحباط.

هذه هي الفكرة التي يعجز معظم الناس استيعابها، خصوصاً خلال الحديث عن الغاية الفعليّة وراء عمل "المتنورين" على تكريس استمراريّة النزاعات والحروب والثورات والانقلابات وغيرها من حالات طوارئ متشنّجة بين شعوب العالم، وما يتبعها من حالات إفلاس وتبعية مالية. وكل هذا بالتنسيق مع كامل قيادات الجهات

المتنازعة. قد يتساءل أحدهم: طالما أن الهدف لا يتعلّق بدعم وتغليب جهة على أخرى (سياسة)، أو الربح المالي (الاقتصاد الحربي القائم على النزعات والحروب)، فما هو السبب من إشعال كل هذه النزاعات؟

الجواب هو سهل وبسيط، لكن استيعابه يتطلّب المزيد من المعرفة والإلمام، بالإضافة إلى التحرّر من الأوهام الأيديولوجيّة التي نشأ عليها الفرد. يمكن اختصاره بعبارة واحدة فقط: الهدف من تكريس النزاعات في العالم هو خلق حالات عاطفية وفكرية منخفضة الوتيرة الترددّية بحيث تمنع الإنسان من الارتقاء إلى، أو التواصل مع، مستويات تجاوزية عُليا.

السجن الذبذبي

هذه الصيغة من السيطرة والتلاعب، مصحوبة مع الوهم المادي، تعني أننا لا نتواصل سوى مع جزئية صغيرة من إمكانيات الوعي لدينا. نحن في "سجن ذبذبي" بكل ما تعنيه الكلمة، منقطعون (بفعل كل هذه الإجراءات المذكورة سابقاً) عن المحيط متعدد الأبعاد الذي يمثّلنا حقيقةً. تلك "الكيانات النجميّة" (القوى المتشكّلة في المستوى "النجمي" astral نتيجة الإجراءات المُتخذة) تعمل وتحافظ على تمديد وتوسيع هذه الحالة وبالتالي تحافظ على توسيع سيطرة النخبة على مليارات البشر العالقون في هذا "الوهم الكبير".

في الوقت نفسه، الطاقة العاطفيّة ذات التردد المنخفض، والمتولّدة من هذا الوهم، تدفعنا إلى توليد المزيد من هذه الذبذبة المنخفضة في النطاق الترددي للمستوى النجمي الأدنى (القريب من المستوى المادي). هذا يعني خلق دورة يستطيع خلالها المسيطرون استخدام الطاقة لإنشاء أحداث وظروف تناسبهم على المستوى المادي. هذه الأحداث والظروف تسبب ردود فعل عاطفيّة تعمل على توليد طاقة عاطفيّة معيّنة، وهذه الطاقة العاطفيّة الزائدة تتدفق إلى العالم المستوى النجمي، فتقوم

الكيانات النجمية بإعادتها إلينا مجدداً من أجل استمرارية الدورة وتعزيزيها أكثر وأكثر.

في فيلم "الماتريكس"، قيل بأننا نعيش في عالم أحلام يولّده برنامج كمبيوتر، وذلك من أجل إبقائنا تحت السيطرة وبالإضافة إلى استخدام الكائنات البشرية كالبطاريات (التي تزوّد النظام بالطاقة المطلوبة للمحافظة على استمراريته). هي صحيحة من الناحية الرمزيّة. الوحيدون الذين يستطيعون كسر هذه الدورة المستمرّة من التغذية الطاقيّة هم نحن، وذلك من خلال التوقّف عن الانخداع بالوهم الذي خلقوه لنا وبالتالي نتوقّف عن توليد الطاقة العاطفيّة التي يرغبها المسيطرون للمحافظة على استمرارية نظامهم "الذبذبي"، السجن الذي يحبسنا.

يقول "ميرفيوس" لـ"نيو" في فيلم "الماتريكس" The Matrix:

".. الحقيقة هي أنك عبد يا "نيو". أنت مولود في العبودية كما كل فرد آخر. مولود في سجن لا تستطيع شمّ رائحته أو تذوّق طعمه أو لمسه. سجن يأسر عقلك. لسوء الحظ، لا يمكن وصف الماتريكس لأحد، عليك رؤيته واختباره بنفسك... أنا أحاول تحرير عقلك يا "نيو". لكن لا استطيع سوى إرشادك إلى الباب. أنت الذي يترتب عليه عبوره.."

أو كما قال عالِم الطيران الفضائي الدكتور "غوردون ألن" Gordon Allen في كتابه "لغز الخيال" Enigma Fantastique بعد أبحاث استنزفت حياته بالكامل:

".. الغاية القائمة اليوم هي ذاتها التي كانت قائمة في زمن العلماء/السحرة في العصور الغابرة، وهي الغاية ذاتها التي سعى إليها الكهنة المسيطرون في مصر القديمة، وكذلك القياصرة الرومان، وكنيسة العصور الوسطى، ومحاكم التفتيش. كافة العائلات النخبوية الحاكمة عبر الدين/السياسة سعت إلى هدف واحد لا غير، وهو السيطرة على الحشود عبر أجسادهم المادية المتجلّية في هذا المستوى الأرضي.. أي السيطرة على أمة واقعة تحت تأثير خفي (أو سحري) يتحكم

بمجرياتها. الأمم التي تخوض الحروب في المستوى الأرضي تعكس الحروب الحاصلة في السماء.."

"الحروب في السماء" تمثّل الصراع الأزلي الحاصل في المستوى "النجمي" بين المسيطرين الأبالسة والطبيعة الإلهيّة للكائن البشري. المؤامرات التي نتعرّض لها على المستوى الأرضي، والتي هي معروفة عموماً، لا تمثّل شيئاً لما يحصل هناك في المستوى النجمي، حيث تعاني النفس البشرية من ألم الضربات المستمرّة التي يسددها إليها الأبالسة.

أعتقد بأن هناك مصداقيّة في الأساطير والخرافات التي تتحدث عن وقوع الوعي في شرك المجال الترددي الكثيف (العالم المادي)، ومع انخفاض تردد الوعي الذي رافق هذا السقوط، أصبح من الصعب جداً الخروج من هذه الحالة. نحن نتكلّم هنا عن ملايين، أو ربما مليارات، السنين عندما حصل هذا السقوط. ربما "سقوط الإنسان" الذي تتحدث عنه النصوص المقدسة يرمز فعلياً إلى سقوطه "الذبذبي". أنا شخصياً اعتقد بأنه في المراحل الأولى لحضارات أطلنطس أو ليموريا الأسطورية التي نعرفها، كانت قائمة في عالم رُباعي الأبعاد وليس ثلاثي الأبعاد، وقد لاتزال قائمة في ذلك الواقع رباعي الأبعاد.

الواقع رباعي الأبعاد هو قريب جداً من هذا الواقع الذي نحن فيه، ومن الممكن أن تسلسل الأحداث التي طرأت على تلك المجتمعات القديمة جداً، الحضارات الذهبيّة، أدى إلى زيادة تكاثف عالمهم بشكل تدريجي إلى أن انحدر ذبذبياً إلى الواقع ثلاثي الأبعاد. وبعدما انتهى بهم الأمر هنا، في هذا الواقع، ساهم كل من محدودية الإدراك والمغريات الحسيّة لهذا الواقع في إدمان الوعي على اختبار هذا المستوى والتعلّق به.

كتبت الفيزيائية الإيطالية "جيوليانا كونفورتو" تقول: *".. الجسد البشري مؤلف من محتوى مادي، أو الحالة الصلبة من المحتوى، وهذا الأخير هو "المحتوى الفكري*

الكوني"، أو البايومعلومات الكونية. الأكوان المتوازية العديدة هي بالتالي أنماط مختلفة من التفكير، أو البرامج. وهي نماذج ماديّة إما صلبة أو مزدوجة، أو أكثر سيولة وبالتالي متناغمة مع الوحدة الكونيّة. السقوط حرارياً من كون موازي أكثر سخونة، خضع الجسد البشري لمرحلة تحوّلية أدت إلى تقسية محتواه وتيبيس نمط تفكيره. وإذا كان الأمر كذلك، يمكننا فهم السبب الذي يجعله ممكناً لجسد الإنسان أن يرتقي مرّة أخرى، وهذا ما تقترحه التقاليد الهرمزيّة أيضاً.."

هناك أولئك الذين يؤمنون بأنه عندما يموت الجسد، يعود وعينا إلى عالم سماوي رائع. أشخصياً لا أتقبّل فكرة أن هذا ما يحصل فعلياً. الموت ليس علاجاً للجهل وعندما نغادر هذا العالم بعد موت الجسد، ننجذب إلى حيث حيث يركّز الوعي لدينا. حالتنا الذبذبية هي التي تحدّد المكان الذي نذهب إليه. أي بمعنى آخر، نحن الذين نحدّد توجّهنا النهائي بعد الموت. ذلك عبر أفعالنا وسلوكنا الأرضي.

إذا كنا نمثّل تجسيدات للحب النقيّ فعلاً، سوف نزيل قشورنا الخارجيّة، كما الدُمى الروسيّة، ويُصبح وعينا شرارة الحب النقيّ الذي يتخلّل كل الوجود. لكن إذا كنا عالقين في شباك الوهم، وهذه حالة مُعظم الناس اليوم، ربما لن نرتقي أعلى من المستوى النجمي، لأن حالتنا الذبذبيّة سوف تُمسك بنا هناك. وهناك سنبقى.

عندما يجري الشيطانيون أحلافاً مع الكائنات الشريرة، حيث يوقّعون معهم معاهدات بالدم، فهذه تكون في الحقيقة أحلافاً ذبذبيّة. مقابل منحهم السلطة وكل ما يتمنوه من هذا العالم الدنيوي، يقبل الشيطانيون بأن يُصبحوا مملوكون من قبل تلك الكائنات الشيطانيّة بعد موتهم ومغادرتهم العالم المادي. بعد مغادرتهم أجسادهم، ينتقل الشيطانيون مسافة ذبذبيّة بسيطة إلى القسم الأدنى من المستوى النجمي أو البُعد الرابع، هذا كل ما في الأمر. كلما كثُر عدد "النفوس" (الطاقة) التي تجمعها تلك الكيانات الشريرة في مجالها الترددي، كلما زادت قوّة السجن الذبذبي الذي يحيط ويتخلّل البُعد الثالث (المستوى المادي).

أما بالنسبة للذين ليسوا شيطانيين، بل يبقوا خاضعين لسيطرة "الوهم" (الماتريكس)، فسوف يغادرون المستوى المادي بعد الموت وينتقلون إلى مستويات أعلى من المجال الترددي النجمي لكنهم سيختبرون "وهماً" آخر هناك. أنا شخصياً مُقتنع بأن مُعظم الناس في كوكب الأرض محبوسون في دورة تناسخيّة بين "وهم" المستوى النجمي و"وهم" المستوى الأرضي، وهكذا تستمرّ الدورة إلى لا نهاية. وفي نهاية المطاف، يمكن للأفراد أن ينفصلوا ذبذبياً من العوالم العُليا بشكل كامل فيستمرّوا في العمل كجزئيّة منفصلة كلياً أو "نفس ضائعة" lost soul كما يسمونها في الكتب الروحيّة.

هذه هي الحالة بالضبط التي طالما عملت كيانات البُعد الرابع جاهدة لخلقها. لكن الوعي الكامن في المستويات العُليا لم يقف حيادياً حيال الأمر، بل حاولت، ولاتزال، كشف هذه الخدعة التي سحرت عقل الإنسان بالوهم الذي يتخبّط فيه، وطالما أرسلت أرواحاً نورانيّة تقمّصت في الكثير من الأشخاص الأرضيين، فكانت النتيجة أنه حتى هؤلاء الأشخاص (ذوات الأرواح النورانيّة) علقوا بالوهم ونسوا لماذا جاؤوا أصلاً. هذا العالم الدنيوي يمثّل مدرسة قاسية وصعبة المراس، لأن ذبذباته بطيئة جداً وبالتالي طاقته كثيفة.

لكن إذا استطعنا تركيز الوعي لدينا، وكذلك واقعنا، على العوالم العليا في الوقت الذي لازلنا نقبع في جسدنا المادي، ما نفعله هو أننا نجذب، أو نستمدّ من، ذلك الوعي (طاقة) عالي المستوى إلى حالتنا الأرضيّة الكثيفة مما يؤدّي إلى رفع قدرة تمييزنا للوهم وكذلك رفع وتيرة تردد المجال الذبذبي لكوكب الأرض. عندما نُحرز مستوى عالي من ذبذبة الوعي، نصبح مجرّد سكان مؤقتين لهذا العالم الدنيوي وليس منتمين إليه. *(ملاحظة: تحدثت عن رفع الوعي في الجزء الرابع من مجموعة "من نحن؟"، وسوف أتحدث عن موضوع "سقوط الإنسان" في أجزاء لاحقة).*

إذاً، ماذا يعني كل هذا؟ ــ نحن نقبع في سجن ذبذبي منخفض الوتيرة، أي "ماتريكس"، ونعيش "وهم" يومي في حياتنا الأرضيّة. إنه الوهم الذي يُحافظ على

تماسك العرض الذي نشاهده أمامنا. لقد صمّم "المتنورون" كامل مسرحيّة عالم العجائب الذي يخطف اهتمامنا، وسائل الإعلام، العلم، التعليم، الأديان، الطب، المال والأعمال، الاقتصاد، السياسة، الحروب المُدبّرة.. وغيرها وغيرها، من أجل اغتصاب عقولنا الواعية واللاواعية برسائل مُصمّمة خصيصاً لتعزيز برنامج "الوهم" أكثر وأكثر في إحساسنا بالواقع. إذا تقبلنا هذا كله ووقعنا في الشرك، وهذا ما يفعله مُعظم الناس، سوف لن نتمكّن من كسر القيود والخروج للحريّة الأبدية.

خلاصة خلاصات أجندة "المتنورين" هي التلاعب بـ"تصوّرات الكائن البشري عن نفسه". في غياب هذا الأمر، سوف تصبح أجندتهم مستحيلة. بعد التعرّف على هذه الحقائق أصبحت الآن أمام خيارين: إما الاستمرار في العيش داخل "الوهم" العظيم، أو تقرّر الانتقال إلى "اللامحدود" العظيم. أي بمعنى آخر: هل تريد الفردوس أم السجن؟ إذا كان خيارك الفردوس، فهناك إجراءات مستوجبة في انتظارك.

انتهى الاقتباس

مؤامرة أزلية تستهدف الوعي البشري

المؤامرة الهادفة إلى خِفض أداء الوعي البشري إلى مستوى متدنّي من "الإدراك الفكري الدنيوي" تعود أصولها إلى آلاف السنين. هذا ما تشير إليه الدلائل بوضوح. على مدى قرون، كانت عملية اجتثاث وتقطيع أوصال كافة المقومات الذهنية والعضوية المسؤولة عن القوى العقلية التجاوزية للإنسان تجري ببطء وعبر مراحل، إلى أن اختفت أخيراً من المفهوم الثقافي العام وأصبحت اليوم مقتصرة على مجموعة قليلة من الصوفيين والوسطاء الفطريين. والأمر العجيب هو أننا اليوم أصبحنا على قناعة تامة بأن "الوعي" الضيّق والمحدود الذي نتمتع به حالياً يمثّل النموذج القياسي السليم لما هو طبيعي وعادي.

إن ما نعتبره "وعي" طبيعي هو كذلك بالمعنى الإحصائي فحسب. أي أنها الحالة الوحيدة التي نألفها اليوم بسبب عموميتها على الجميع. وهنا يكمن سوء الفهم للمسألة الحقيقية وعدم تقدير المشكلة بشكل سليم. هذه الحالة الوضيعة من "الوعي" التي نتمتع بها، والمقولبة ضمن حدود صحوة ضيّقة مؤلفة من إدراك فكري دنيوي، عند مقارنتها مع حالات معيّنة من "الوعي التجاوزي" التي يختبرها بعض الأشخاص المميّزين، يظهر الفرق بوضوح، ويبدو واضحاً أن غير الطبيعي وغير العادي هو "وعينا" وليس حالات الوعي الأخرى.

الوعي التجاوزي

".. بدا وكأن الحدود بين ذاتي ومحيطي زالت، وشعوري بالانفصال عن محيطي اختفى تماماً... شعرت فجأة وكأنني صرت حيّاً لأوّل مرّة.. كأنني صحوت من سبات عميق لأجد نفسي في العالم الحقيقي.."

Wendy Rose-Neill "واندي روز أونيل"

".. رأيت بأن الكون ليس مؤلفاً من مادة ميتة، بل بالعكس، كان حضوراً حياً. أصبحت واعياً تماماً لأبدية الحياة. هذا لم يكن من تأثير قناعاتي الراسخة بأزلية الحياة، بل الوعي الفعلي بحقيقة أن كينونتي أزلية.. أدركت فعلا كيف أن كل الناس خالدون.."

"ريتشارد موريسبروك" Richard Maurice Bucke

".. بدا وكأنني استوعبت طبيعة الأشياء. فهمت جيداً بأن برنامج الكون هو خيّر، وليس شرّير كما تعلّمنا ثقافتنا الاجتماعية منذ طفولتنا. كل الناس أخيار في ذاتهم. لا يوجد في هذا المستوى الوجودي لا زمان ولا مكان.."

"كلير مايرز أوين" Claire Myers Owen

اقتُبست هذه المقولات من كتاب "ما وراء الخفي" Beyond the Occult للكاتب "كولن ويلسون" Colin Wilson. لقد ساهم هذا الكاتب اللامع (كما الكثيرون غيره) في إغناء نظرتنا تجاه هذا المجال ومن زاوية تخلو من الصبغة السوداء التي طالما وُصم بها عبر العصور.

الأمر لا يقتصر على حيازة الكائن البشري على طيف واسع من قدرات كامنة لازال يجهل وجودها، بل تتجاوز عظمته هذا الحدّ بمراحل عديدة. إنه بكل بساطة أعجوبة مذهلة وجبّارة. يستطيع تحويل عالمه إلى فردوس إذا أراد. الأمر لا يتطلّب أكثر من إجراء تغيير في وعيه. لهذا السبب نجد أن المرّة الوحيدة التي يكتشف فيها عظمته بالصدفة، كقدرته على تجسيد ظاهرة خارقة مثلاً، هي خلال حالات معيّنة لها علاقة بالوعي. قد تكون حالة شرود ذهنيّ، أو نوم، أو عندما يمارس اليوغا مثلاً. هذه الحقيقة تكفي لجعلنا نعيد النظر في فكرة "الوعي الطبيعي" الخاطئة التي تحكم عقولنا.

في كتاب "ما وراء الخفي"، يُخمّن الباحث "كولن ولسون" بأننا *".. فقدنا هذه القوى بالتدريج.. لأننا لم نعد بحاجة إليها.."*. قد يكون هذا التفسير صحيح، لكن إلى حدّ

معيّن. يبدو أن هذا الزمان يفتقد للشروط أو البيئة المناسبة لتكاثر تلك النوعيّة من البشر والمتمتعة بقوى عقليّة مميّزة. لكن السؤال هو، هل غياب الشروط والبيئة المناسبة كان طبيعياً أم مدبّراً ومقصود؟ أي بمعنى آخر، كيف خُلِق "الماتريكس" الذي نعيش وسطه اليوم، والذي يمنعنا عن الارتقاء بوعينا بحيث يمكّننا من تجسيد العجائب؟ هل تشكّل بالصدفة، أم بطريقة مدروسة؟

لكي أوضّح الفكرة جيداً سوف استعين بحالة "انقراض" مشابهة حصلت منذ فترة ليست بعيدة زمنياً. سوف لن أعود كثيراً إلى الوراء في التاريخ، بل إلى مئة عام فقط. في تلك الفترة، كان العالم يبدو مختلفاً تماماً عن ما هو عليه اليوم (ماتريكس مختلف). خصوصاً في بلادنا التي بالكاد بدأت تتلمّس الحضارة العصرية التي نعيش ذروتها الآن. كانت الحياة مختلفة تماماً بكافة جوانبها الاجتماعية، الاقتصادية، الأمنية، السياسية.. إلى آخره.. لدرجة يستحيل تصوّر نفسك تعيشها إذا اضطررت يوماً لذلك. أنا واثق بأنك ستموت انتحاراً. والسبب بسيط: "لكل زمن رجاله"!. لقد كان زمن السيف والطبنجه، ركوب الخيل لساعات دون الشعور بالتعب، العمل طوال اليوم في الحقول والمزارع تحت حرقة الشمس دون استراحة. زمن انعدام الأمن بحيث يمكن لأن يتعرّض منزلك وأسرتك للاعتداء في أي ليلة مظلمة. في تلك الأيام، كان السفر مئة كيلومتر مشياً على الأقدام يُعتبر أمراً عادياً. كان جدي يمشي على قدميه من جبل العرب (جنوب سوريا) إلى لبنان أو فلسطين، للتسوق ثم العودة بعد أيام.. وكان الناس يعتبرون هذا الإنجاز أمراً عادياً. البنية الجسدية كانت مختلفة، وكذلك طريقة التفكير. كل شيء كان مختلفاً.. الآمال، التطلعات، القناعات، القِيم، المُثل العليا.. إلى آخره. كان "ماتريكس" مختلف بكل معنى الكلمة.

في الظروف القاسية التي كانت سائدة في تلك الفترة، حيث البنية الجسدية كانت الأساس وليس المؤهلات العلمية، كانت الشخصيات البارزة في المجتمعات، أي "القبضايات" الذين يُحسب لهم حساب (كما شخصيّة "العقيد" في مسلسل "باب الحارة")، تتمتع بمواصفات معيّنة: جسم متين، منكبين عريضين، أيدي قويّة

تستطيع تفتيت الحجر.. شهامة في المواقف، البحث عن البطولة في كل جانب من الحياة، مهما كان تافهاً.. إلى آخره. هذا هو المثل الأعلى الذي يتطلع إليه رجال ذلك الزمن. سوف لن استفيض في وصف أخلاقياتهم العالية لكنهم كانوا "نشاما" بكل ما تعنيه الكلمة. هؤلاء كانوا أسياد المجتمع، ليس لأنهم يحوزون على مؤهلات علمية أو حيثيات سياسية أو غيرها، بل الظروف هي التي فرضت هذا المعيار الاجتماعي للرجل المثالي، وليس أي اعتبار آخر.

لكن ماذا عن اليوم؟ من هم أسياد المجتمعات العصرية؟ من هم "قبضايات" العصر الحديث؟ بسبب توفر كافة أسباب العيش الرغيد والمرفّه، لم يعد الزمن الحالي بحاجة إلى العضلات المفتولة والأيدي التي تفتت الحجر، ولا مواقف الرجولة والشهامة حيث يلتزم الرجل بكلمته دون حاجة لاتفاقيات مكتوبة وموقّعة عند المحامي. لقد اختلف الأمر الآن. لقد أصبح عصر "التكتكة" و"الشطارة"، وهي المواصفات ذاتها التي كان "قبضايات" الزمن القديم يعتبرونها "سرسرة" و"نفاق". بعد أن تحوّلت شعوب العصر الحديث إلى مجتمعات استهلاكية تتمحور تطلعاتها وكافة جوانب حياتها حول عنصر "المال"، أصبح "صعاليك" الزمن القديم هم أسياد المجتمعات اليوم، ليس لشيء سوى أنهم يجيدون لعبة "السرسرة" و"النفاق".

أما "القبضايات" ذوي العضلات المفتولة والأخلاقيات العالية، فلم يستطيعوا التأقلم مع زمن يتوجب على الفرد فيه أن يعتمد "التكتكة" و"الشطارة" من أجل البقاء مكرماً معززاً وذو مكانة معتبرة في المجتمع، فاختفوا من الساحة الاجتماعية كنتيجة حتمية للتحولات. وإذا بحثت عن هذه النوعية اليوم، ستجدهم نادرين، وكأنهم اختفوا بطريقة غامضة. ربما تجدهم بين العمال البائسين الجالسين في الساحات العامة ينتظرون من يأتي لأخذهم إلى ورشات العمل والمزارع للقيام بالأعمال اليدوية التي لم يبرعوا سوى بها. ومن المؤكّد أنهم سيختفون تماماً من صفوف الجنس البشري بعد عدة عقود.

لا نستطيع القول بأن سبب انقراضهم يعود إلى إقامة حملات إبادة استهدفتهم تحديداً ولاحقتهم في كل مكان للقضاء عليهم وعلى ذريتهم، ولا وباء معيّن استهدفهم تحديداً من بين المجتمعات لمحوهم من الوجود، بل هناك سبب منطقي، وهذا السبب نادراً ما نفكر به لأنه من اختصاص النخبة العالمية (الأسياد الكبار) التي تمتهن إدارة شؤون العالم. السبب هو عدم توفر الظروف المناسبة لتكاثر هذه النوعية وازدهارها.

نوعية "القبضايات" التي سادت في القرن الماضي لم تنقرض نتيجة مؤامرة مقصودة دبرها المسيطرون لتستهدفهم تحديداً، بل كان نتيجة حتمية للتغييرات الاجتماعية الهائلة التي صمموها وسوّقوها طوال القرنين الماضيين، فاجتاحت بلادنا (وكل بلاد العالم) حاملة لشعارات براقة مثل "العصرنة"، "العلمانية"، "التحرّر"، "التعليم المجاني".. وغيرها من مسرحيات أوقعت بنا، خلال عقود قليلة من البهجة الزائفة، تحت أقدام مجموعة من الرأسماليين القابعين في جحورهم الموزّعة بين "لندن" و"نيويورك" ويتحكمون منها باقتصاد العالم أجمع، وكذلك سياساته، عبر وكلائهم التجاريين والمصرفيين ومسوّقي نظامهم الاقتصادي العالمي الموحّد.

على أي حال، إذا كان انقراض "قبضايات" الزمن القديم مجرّد أثر جانبي للمشروع الأساسي الذي سوّق له المسيطرون (تحويل العالم إلى مجتمعات استهلاكية)، هناك نوعية أخرى من البشر والتي كانت هدف حملات مكثّفة ومقصودة من قبلهم. النوعيّة التجاوزيّة. وهي ذاتها التي تضمّ أفراد نسميهم وسطاء أو مستبصرين أو غيرها من أسماء ونعوت سلبية/إيجابيّة. "المتنورون" يجيدون العمل وفق القانون الذهبي القائل: ".. إذا أردت القضاء على نوعية معيّنة من البشر، كل ما عليك فعله هو توفير الظروف المناسبة التي تؤدي لانقراضهم تلقائياً..". ويتم ذلك عبر الهندسة الاجتماعية التي برعوا بها لدرجة يستطيعون عبرها إكثار نوعية بشرية معيّنة على حساب نوعية أخرى. أي بمعنى آخر، يجيدون خلق "ماتريكس" يناسب تكاثر نوعيّة تخدم غاياتهم ومآربهم.

لكن خلال حملاتهم المتلاحقة للقضاء على هذه "النوعية التجاوزيّة"، لم يكتفوا بالقانون الذهبي المذكور سابقاً، بل ذهبوا أبعد من ذلك بكثير. كافة الحملات التي أقيمت بحجّة القضاء على الشعوذة والسحر في القرون الماضية، لأسباب وحجج دينية، كانت تندرج في سياق الهندسة الاجتماعية الهادفة إلى انقراض نوعية معيّنة من البشر. هذه الحملات لم تكن لتخليص المجتمعات من أدوات الشيطان، بل أهداف استراتيجية بحتة. وفي الحقيقة، لا تستطيع استيعاب مدى أهمية هذه السياسة وسبب الإمعان في إتباعها إلا بعد أن تتعرّف على الطبيعة الرائعة للكائن البشري وامتداده التجاوزي الهائل والجبار. حينها ستتوضّح لديك الأمور جيداً. فتستنتج بأن هذا المستوى من العظمة يتطلّب فعلاً هذا القدر من المجازر والتدمير والتخريب للنجاح في إخماد شعلة الإنسان الحقيقي.

كل الإجراءات القمعية التي اتُخذت في القرون السابقة، مثل تقليد حرق الساحرات الذي دام قرون طويلة في أوروبا، وتهمة التعامل مع الشيطان التي كان يتجنبها الفرد كما لو أنها الموت بعينه،.. كلها كانت إجراءات مندرجة ضمن سياسة متبعة للقضاء على نوعية بشرية معيّنة، وليس هذا فحسب بل الحرص على عدم ظهور هذا الجانب الرائع من الإنسان أبداً في المستقبل!

كل المؤسسات العلمية/التجاوزيّة التي كانت تدعم وتعزّز هذا الجانب من الإنسان تعرّضت للتدمير والطمس والاندثار الكامل كنتيجة مباشرة لإتباع هذه السياسة الإبليسية التي دعمت الحروب والغزوات والاجتياحات الأيديولوجيّة حول العالم.

لقد تعرّضت قوانا العقلية للنسيان والإهمال لفترة طويلة فأصيبت بالضمور، وذلك بسبب الحملة الشرسة والهوجاء، والخالية من الرحمة، التي شنّتها عليها سلسلة طويلة وغير منقطعة من الإجراءات والأيديولوجيات الشمولية المتناوبة على حكم الإنسان من خلال السيطرة على روحه وعقله. هذه المؤامرة الشاملة على "الوعي" البشري لم تتوقف إبان ظهور العلم الحديث، كما يعتقد الكثيرون (التنوّر المزوّر). وجب العلم بأن الأيديولوجيات "العلمانية/المادية" هي الأخطر والأكثر فتكاً لهذا

الجانب التجاوزي الرائع من الإنسان. يستند المذهب العلمي "المادي" Materialism على العقيدة القائلة بأنه "*.. لا يوجد شيء في الفضاء سوى المادة..*"، أما أبرز ثمراتها فتتمثّل في نشوء الميل الصارخ إلى عبادة المال، حيث وسط هذا العالم الموبوء بعقيدة صراع البقاء، والبقاء هو للأنسب، وغياب أي مظهر إلهي في الوجود،...، أدّت الحياة المنحرفة والمُسيّرة كلياً بهكذا حِكم ومبادئ إلى سيادة قناعة تامة بأن الوفرة المادية هي أعلى القيم وأسلمها. على مدى قرنين تقريباً، نجح هذا المذهب العلمي المادي في غسيل أدمغة عدد كبير من الأجيال الصاعدة بفكرة أنه "*..لا يوجد سوى هذا الوعي الدنيوي المحصور ضمن حدود العقل، وهو الوحيد الذي يحتاجه الإنسان للمحافظة على بقاءه وازدهاره..*"

أما حالات الوعي غير المألوفة (التجاوزية)، فيعرّفها العلم المنهجي (الخاضع لسيطرة المذهب المادي) بأنها حالات عقلية مختلّة، شريرة، غير طبيعية، ومُضعفة للقوى!.. إلى آخره. حتى الأشخاص الذين تكلموا عن مواضيع مثل "قوى عقلية كامنة" أو "حالات وعي بديلة" أو غيرها من مواضيع كانوا يُصنفون في خانة "الشاذين"، "غريبي الأطوار"، "معتوهين"، "حمقى"، "منحرفين".. إلى آخره! يُنعتون بهذه الصفات حتى لو كانوا علماء منهجيين ويُعتبرون من ألمع الأكاديميين! لهذا السبب لم نسمع كثيراً عن تعليقات أكاديمية جادة بخصوص هذا المضمار. هي موجودة، لكنها غير محبّبة لدى وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية الرسمية، الخاضعة كلياً للأسياد الكبار. لا أحد يجرؤ على تجاوز خطوط المسلّمات العلمية التي رسمها كهنة هذا الدين "العلماني" المقدّس.

لهذا السبب نفهم القليل، أو نجهل كلياً، عن موضوع "الوعي". وسوف تستمرّ الحال كذلك طالما بقي معتبراً وفق التعريف العلمي الرسمي بأنه مجرّد خاصية غير مادية، أو أنه يمثّل حالة "صحوة" فحسب! لذلك نجد أن العلماء يدرسون التأثيرات المادية التي يخلّفها "الوعي"، كالموجات الدماغية مثلاً، أو الحالات النفسية، وليس "الوعي" بعينه.

لكن الأمر لا يتوقّف عند هذا الحدّ، بالإضافة إلى العمل على تكريس النظرة الماديّة عبر إبراز الحقائق العلميّة التي تعزّز هذا التوجّه، يتم بنفس الوقت قمع وإخفاء الكثير من الحقائق العلميّة المناقضة له. أي بمعنى آخر، هذه الطريقة المحدودة من البحث العلمي لم تمنع بعض العلماء من تحقيق اكتشافات ثورية خرقت المسلمات العلمية. وفيما يلي بعض العيّنات.

العقل البشري ودماغه

حصل الكثير من الاكتشافات الثورية عبر العقود الماضية، والتي تجاوزت حدود المسلّمات العلمية (المقدّسة) التي رسمها أسياد العلم. من بينها تلك المتعلقة بعلم الأعصاب وعلم النفس، والتي سار وفقها العلماء المنهجيون لعقود طويلة بشكل أعمى وانصياع كامل دون محاولة النظر في مدى صحّتها. أهم المسلّمات المخترقة هي تلك المتعلقة بالدماغ والذكاء البشري والتي تقرّ بأنه:

١ـــ مستوى الذكاء هو مُحدد جينياً وبالتالي يتعذّر تغييره مهما كانت الأحوال. أي وكأنهم يقولون: [أ] الأشخاص الذين يتمتعون بدرجة ذكاء عالية ولدوا بهذه الموهبة فطرياً ولم تطوّر خلال حياتهم. [ب] لا تستطيع عوامل مثل الخبرة والتمرين والممارسة المستمرّة أن ترفع درجة الذكاء المحددة فطرياً. كما أن هذه العوامل لا تستطيع إحداث أي تغيير في بنية الدماغ.

٢ـــ كافة خلايا الدماغ يكتمل نموها تماماً في سن الثانية من العمر، وبعدها لم تعد "العصبونات" neurons (الخلايا العصبية) قادرة على إنتاج نفسها مجدداً.

لكن رغم ذلك كله، نتائج الاختبارات التي أجراها العلماء في جامعة "بيركلي" Berkeley، كاليفورنيا، قلبت رأساً على عقب كافة القواعد والمفاهيم التي استندت عليها الأبحاث في مجال الدماغ والذكاء. *(مقالة بعنوان "الخبرة، الذاكرة، والدماغ" Experience, Memory, and the Brain، وردت في المجلّة العلمية "أمريكان ساكولوجي*

American Psychologist " *[نيسان ١٩٨٤]، بقلم "مارك.ر. روزنويغ" Mark R.Rosenzweig)*. اكتشفوا بأنه:

١ــ أظهرت الفئران مستويات أعلى من أنزيمات [AChE] *(وهي أنزيمات دماغية مرتبطة بالتعلّم والذاكرة)* عندما تم وضعها في "بيئة غنيّة" (قفص واسع ذو إنارة جيّدة، مليء بالمراجيح والمزالج وغيرها من ألعاب ووسائل ترفيه وتحدّي، تساهم في تفعيل تشكيلة واسعة من المنبهات). هذا يعني أنه يمكن زيادة درجة الذكاء.

٢ــ هذه الفئران التي تم وضعها في "بيئة غنية" شهدت أيضاً زيادة في وزن الدماغ. هذا يعني أن النشاطات التي قام بها الفأر، والتي فعّلت تشكيلة واسعة من التنبيهات العصبية لديه، أدت إلى زيادة نمو دماغه.

إذا وُضع الفأر في قفص واسع ذو إنارة جيّدة، مليء بالمراجيح والمزالج وغيرها من ألعاب ووسائل ترفيه وتحدّي، سوف يساهم ذلك في تفعيل تشكيلة واسعة من المنبهات العصبية، مما يؤدي إلى زيادة نمو الدماغ لديه وكذلك درجة ذكاءه.

أثبتت الباحثة "ماريان دايموند" Marian Diamond، المتخصصة في تشريح الجهاز العصبي، أن الفئران التي تُربى في "بيئة غنية" تظهر ما يلي:

ـ زيادة في سماكة "القشرة الدماغية" (المادة الرمادية)

ـ زيادة بنسبة ١٥% في الحجم الفعلي للعصبونات neurons في القشرة

ـ زيادات ملحوظة للبروتين بالدماغ بالموازاة مع وزن لحاءه، مما يثبت بأن النمو كان متجسّداً في الأنسجة وليس فقط في زيادة السوائل الدماغية.

ـ زيادة في كمية الشعيرات البروتوبلازمية المشجرة في العصبون dendrites *(هي عبارة عن ألياف شعرية صاعدة بأعداد كبيرة من كل عصبون neuron ومهمتها تلقي المعطيات من العصبونات الأخرى فتنقلها إلى الخلية العصبية، وبالتالي، الزيادة في عدد تفرعاتها يعني زيادة في كمية المعلومات المتوفرة لكل عصبون).*

ـ زيادة في عدد نتوءات هذه الشعيرات *(هي عبارة عن نتوءات شوكية تغطي سطح الشعيرة dendrite)*

ـ زيادة في عدد المشابك العصبية synapses وكذلك زيادة في مساحة منطقة التماس بين كل منها. *(المشابك العصبية هي النقاط التي توصل فيها العصبونات neurons ببعضها وتمثّل نقاط التواصل بين هذه العصبونات)*

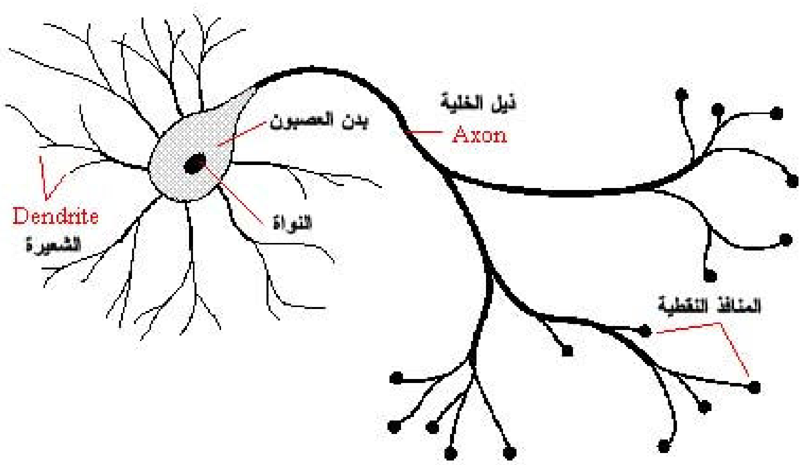

تشريح عضوي للعصبون (النيرون neuron أو الخلية العصبية)

ـ زيادة في النسبة بين وزن اللحاء الدماغي cortex ووزن باقي الدماغ. *(هذا يعني أن "البيئة الغنية" لا يتوقف دورها على تحفيز وإطلاق عملية النمو في كامل الدماغ، بل تعمل خصوصاً على تنمية ذلك الجانب من الدماغ والمسؤول عن التفكير، التعلّم، والذاكرة).*

ـــ زيادة بنسبة ١٥% في عدد الخلاليا الدبقية glial cells، وهي الخلايا "اللاصقة" الأكثر عدداً في الدماغ، والتي تدعم وتعزّز وتحافظ على تماسك العصبونات. وتلعب أيضاً دور مرشد النمو العصبي، وبالتالي تعزّز عملية التعلّم. ويبدو أنها تشكّل شبكة اتصالات غامضة بطريقتها الخاصة.

أظهرت دراسات لاحقة بأنه يمكن حصول تغييرات جذرية في البنية الدماغية للفئران بشكل فوري مجرّد أن وُضعت في "بيئة غنية". *(مقالة بعنوان: " قضاء أربع ساعات في بيئة غنية كافية لأن يزيد من حجم اللحاء الدماغي"، بقلم "ب.أ. فرشمن" P.A Ferchmin و"ف.أ. أتروفيك" V.A. Eterovic، وردت في المجلة العلمية: Society for Neuroscience Abstracts, Vol. 6, p. 857)*

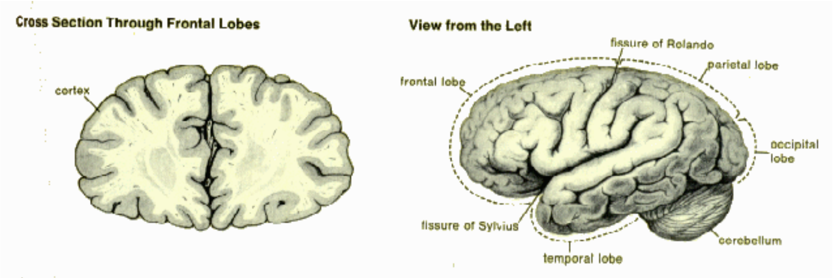

هل يُعقل أن عدة ساعات في بيئة غنية كافية لأن تزيد من حجم اللحاء الدماغي؟!

حجم الدماغ البشري هو أكبر بخمس مرات من دماغ القرد (شيمبانزي)، لكنه رغم ذلك يحتوي على عصبونات أكثر بنسبة ٣٠ إلى ٥٠% فقط. الفرق بين دماغ الإنسان والقرد يكمن في نسبة نمو القشرة الدماغية cerebral cortex وزيادة عدد الخلايا الدبقية glial cells. القشرة الدماغية هي طبقة الخلايا العصبية التي تشكّل القشرة الملتوية الخارجية فوق الدماغ، وتُعتبر "القُبعة المفكّرة" أو "المادة الرمادية" المغطية للدماغ التي يحصل فيها التفكير أو النشاطات الفكرية عالية. *(المرجع: مقالة بعنوان "علاقة غرامية مع الدماغ" A Love Affair With the Brain، بقلم "مريان دايموند" Marian Diamond، مجلة Discover العلمية، أيار ١٩٨٤)*

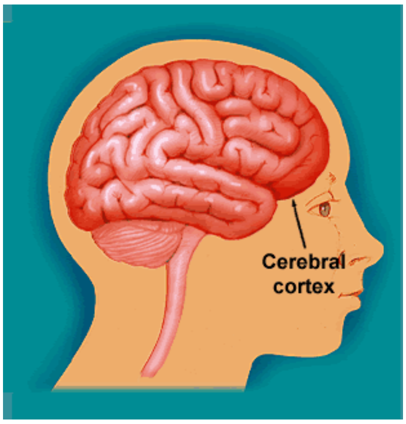

القشرة الدماغية cerebral cortex

كافة الدراسات الواردة في الفقرات السابقة ركّزت على استنتاج واحد: إن زيادة التنبيه الدماغي في "بيئة غنيّة" تؤدي إلى، ليس فقط حصول زيادة ملحوظة في حجم ووزن القشرة الدماغية، بل يعمل على تغيير وتحسين جودتها بالكامل. لكن بالمقابل، ماذا يفعل أسياد العالم بخصوص توفير "البيئة الغنيّة" هذه؟ لا شيء إطلاقاً! بل بالعكس، إنهم يمعنون في ترسيخ الظروف التي تخلق بيئة مضادة لتطورنا العقلي/الروحي.

بيئة مضادة للوعي التجاوزي

من أجل قمع المستويات العليا من الوعي البشري، كل ما عليك فعله هو خلق بيئة غير مناسبة للإنسان. أنظر حولك وتأمّل.. هل البيئة التي تعيش فيها هي مناسبة لنمو العناصر العضوية والذهنية لارتقاء الوعي لديك؟

البيئة الصاخبة بالأصوات المُزعجة والملوّثة بالإشعاعات والكيماويّات ــ المنهج التعليمي المُحبط للعقل والمعيق للجانب لتجاوزي ــ التلفزيون الذي أعاق قدرتنا على الخيال بسبب توفّر الصور الجاهزة ــ الانغماس المريع في الشؤون الدنيوية

وملذاتها ــ العقليّة الداروينيّة (البقاء للأنسب) المجرّدة من الأخلاق ــ متطلبات الحياة التي تنشّط الميول الماديّة البعيدة كل البُعد عن القيم الروحية ــ الحروب ــ ترويج المخدرات .. إلى آخره.، إلى آخره.

سوف نتعرّف على المزيد من هذه العوامل المعيقة لنمو الوعي التجاوزي من خلال الاطلاع على اقتباس مأخوذ من كتاب "السرّ الأكبر" للباحث المستقلّ "ديفيد أيك" David ikce، والذي زعم بأن إجراءاتهم لم تتوقّف عند حد منع توفير البيئة المناسبة، بل تجاوزتها إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، حيث يحضّرون الآن للمرحلة الفلكية القادمة، والتي ترفع من وعي الإنسان تلقائياً، وقد اتخذوا كل الإجراءات التي تمنع هذا الارتقاء الذي سيشهده الإنسان في المستقبل القريب. كتب "أيك" واصفاً بعض هذه الإجراءات والتدابير:

منذ زمن بعيد كان "المتنورون" يحضّرون لعمليّة كبح التحوّل الكبير الذي سيختبره الوعي البشري في بدايات القرن المقبل. وقد ساعدتهم في ذلك الطبيعة الهرميّة لبنيتهم التنظيميّة والتي مكنتهم من تسويق الخطّة المبيّتة عبر عدد كبير من المؤسسات والوكالات المختلفة. أوّل ما فعلوه هو انتهاك مستوانا المادي (أجسادنا) بواسطة الأدوية الكيماويّة، المواد المُضافة للأغذية، ومواد مثل الفلورايد المُضافة إلى ماء الشرب ومعجون الأسنان.

أما وسائل العلاج التقليديّة العريقة (المعروفة اليوم بالطب البديل أو التكميلي) فهي تتعرّض دائماً وبشكل مستمرّ للاعتداء والتهجّم من قبل المؤسسات الطبيّة الرسميّة التي إداراتها موبوءة بالشخصيات الماسونيّة والخاضعة لسيطرة كارتيلات اقتصاد الأدويّة المحكومة بدورها من قبل "المتنورين".

إمبراطورية "روكفيللر" Rockefeller وحدها تملك اليوم أكثر من ٦٠% من اقتصاد الأدوية في الولايات المتحدة. هذه الأفرع وغيرها من فروع الاقتصاد الطبّي العالمي يتفقون على تمويل الأبحاث الساعية لعلاجات جديدة، وطبعاً،

العلاجات التي يتوصلون إليها تخرج دائماً على شكل "أدوية كيماويّة". هناك كتاب رائع بعنوان "المافيا الطبيّة" The Medical Mafia ألفه طبيب من كندا اسمه "جولاين لانكتوت" Guylaine Lanctot يشرح كامل تفاصيل هذه اللعبة المخادعة.

كارتيلات الاقتصاد الطبّي العالمي هم في حالة تعاون وتنسيق دائم مع كارتيلات الاقتصاد الغذائي العالمي، مثل الصناعات الغذائية الكُبرى "نستله" Nestle و"كيلوغ" Kellogg و"بروكتور&غامبل" Proctor and Gamble وغيرها. عبر هذه الشبكة المتداخلة من اقتصاد الدواء والغذاء، يستطيع "المسيطرون" تدبير هجوم كاسح على الجسم البشري ومجرياته العقلية عبر ترويج الأدوية الكيماوية والمخدّرة، اللقاحات، والمواد المُضافة للأغذية.

الحيوانات والأغذية المُهندسة جينياً تمثّل جزء من هذه الخطة المبيّتة أيضاً. بعد أن ظهر أحد العلماء البريطانيين، المتورّط في تطوير أغذية مطوّرة جينياً، للعلن متسائلاً عن مدى سلامة هذا العمل طُرد من عمله مباشرة. هكذا تُواجه "حريّة التعبير" الحقيقية في بلاد الديمقراطية المزيّفة. "الفلورايد" Fluoride المُضاف إلى ماء الشرب يُعتبر من المواد المعيقة لتطوّر العقل، وكذلك الحال مع المحلّيات مثل "الأسبرتام" aspartame الذي نجده في مُعظم المشروبات الغازية. هذه المواد المُضافة مُصمّمة لجعل الأمر صعباً على الدماغ وخلاياه للتوليف مع ترددات ذبذبية جديدة. العاملون في المصانع الغذائية ليس لديهم فكرة عن ما يجري خلال إتباعهم الأوامر وتنفيذ المهمات الموكّلة إليهم. القرارات تُصنع في مستويات عالية من هذا الاقتصاد.

الأمر ذاته ينطبق على "اللقاحات" vaccinations، التي تُعتبر أكبر خدعة طبيّة. الأطباء العاديون، وكذلك الممرضات، لا يعلمون شيئاً عن مدى الضرر الذي يسببونه لأجسام لأطفال وجهازهم المناعي خلال إخضاعهم للقاح. لكن الذين يديرون برامج اللقاح حول العالم يعلمون جيداً ما يجري.

لقد أنشأ المسيطرون أيضاً شبكة تكنولوجية واسعة ومعقّدة تهدف إلى القبض على الوعي الجماعي البشري وفصله عن من طبيعته متعددة الأبعاد. تبدأ هذه المؤامرة في الفضاء عن طريق ما تُسمى "تقنيات حرب النجوم" والتي تمثّل جزءاً من الشبكة الكهرومغناطيسية الهائلة المحيطة بالكوكب. من بين ما تشمله:

ــ أجهزة توليد "ترددات شديدة الانخفاض" ELF تُرسل إشاراتها إلى جميع أنحاء العالم.

ــ تسليط موجات ميكرويّة microwave على أولئك الذين يستهدفهم "المسيطرون" تحديداً بهدف قتلهم (توقيف القلب) أو السيطرة على مزاجهم وتفكيرهم.

ــ شبكة اتصالات الهاتف الجوّال mobile phone التي تسبّب ضرر عقلي وجسدي هائل، هذا بالإضافة إلى إمكانية تتبّع أثر صاحب الهاتف وتحديد مكانه في أي مكان على وجه الأرض، حتى لو كان الهاتف مُقفلاً.

ــ انبعاثات صادرة من التلفزيونات، الكمبيوترات، أفران الميكروويف، وغيرها من تقنيات مشابهة.

ــ وأخيراً يأتي دور "الرقائق الإلكترونيّة" microchip التي يتم تسويقها الآن عبر حجج مظلّلة وأسباب بريئة ظاهرياً حيث يتم حجب الغاية الفعليّة منها. هذه الرقائق سوف تلعب دوراً مهماً في المستقبل القريب.

مقارنة حجم الكبسولة الإلكترونيّة مع حجم حبّة الأرز، والإبرة التي تُستخدم لحقنها في الجسم

السبب الرئيسي وراء حملات تسويق فكرة زرع الرقائق الإلكترونيّة في أجسام الجماهير هو قمع الصحوة القادمة في المستقبل القريب وفصلنا عن الذبذبات الكونيّة التي ستؤدي إلى تحريرنا (اقتراب موعد تأثيرات فلكيّة إيجابيّة). قال لي أحد العلماء العاملين مع وكالة المخابرات المركزية CIA بأن زرع الجماهير برقائق إلكترونيّة سيمكّن المسيطرين من التحكّم بأفكار الشخص وعواطفه وحالته الصحيّة.

أطلعني أحد المنخرطين في عالم المال والأعمال على إحدى الخلفيات المحجوبة وراء أنظمة الطاقة العصرية. لقد عمل مع عدد من مخترعي أجهزة توليد الطاقة المجانيّة، وأدرك بأن أحد مظاهر تكنولوجيا الطاقة الحرّة هو أنها تعمل بدوران متوافق مع اتجاه عقارب الساعة، أي بنفس اتجاه دوران "الشاكرات" chakras (مراكز الطاقة في الجسم) وبالتالي هو دوران متناغم مع الطبيعة. لكن مُعظم التقنيات الكهربائيّة التقليدية تدور باتجاه معاكس لعقارب الساعة، أي معاكس لدوران "الشاكرات"، وبالتالي يتعارض مع مسار الطبيعة. هذا الشخص يعتقد بأن نموذج حركة التقنيات الكهربائية التقليدية يساهم في إعاقة منظومة "الشاكرات" وكذلك في قطع اتصال الإنسانية مع مستويات الوعي الأخرى. هذا أحد الأسباب التي دفعت "المسيطرين" إلى قمع تقنية توليد الطاقة المجانية، عبر قتل المخترعين عموماً، ومنعها من التطوّر. نظام التمديد الكهربائي العادي الذي نراه في المنازل يتذبذب بوتيرة ٦٠ دورة في الثانيّة، وهذه الوتيرة مضرّة جداً للجسم وتؤثّر على نشاط الموجات الدماغيّة.

أخبرني العالِم "بريان ديسبورو" Brian Desborough كيف تطوّرت آلام في الظهر لدى الأفراد، بالإضافة إلى علل أخرى، وذلك بسبب التصاق أسرّتهم بالجدران التي تحوي تمديدات كهربائيّة. وغالباً ما تزول هذه المشاكل الصحيّة بعد إبعاد السرير مسافة معيّنة من الجدار. نحن نعيش في بحر كهرومغناطيسي متذبذب تولّده التقنيات العصرية التي نتمتع بها اليوم، وهذا يؤثّر باستمرار على صحّة الإنسان النفسيّة، العقليّة، والجسديّة.

جسد الإنسان وعقله وعواطفه تتعرّض لانتهاك هائل يتزايد باستمرار مع اقتراب العدّ التنازلي نحو التغيير الكوني العظيم (الموعد الفلكي) لأن "المسيطرون" يستقتلون من أجل الحرص على ضمان فشل الإنسانية في إحراز وثبة الوعي العظيمة التي تنشلها من "السجن الذبذبي" الذي تتخبّط فيه.

من بين الوسائل المهمة التي اتبعها "المسيطرون" لقمع الصحوة الحقيقية للإنسان نجد طريقة صياغتهم للنظام التعليمي، بالتنسيق الدائم مع وسائل الإعلام، بهدف إبقائه محبوساً فيما يُسمى "سجن الدماغ الأيسر". القسم الأيسر من الدماغ يمثّل المنطقة التي تتعامل مع العالم المادي كما نعرفه، أي "التفكير المنطقي" الذي لا يتعامل سوى مع ما هو مرئي وملموس (القسم [٢] من الدماغ في الشكل التالي). أما القسم الأيمن من الدماغ (القسم [١] في الشكل التالي)، فيتعامل مع البديهة والحدس ويمثّل صلة وصلنا مع الأبعاد العُليا. هنا بالذات تجد الإبداع الخيالي والموهبة الفنيّة التي تُلهم آليتنا الفريدة في التفكير والتعبير عن الذات (تفاعل القسمين مع بعضهما البعض كما يعبّر عنهما السهمان المتعاكسان في الشكل).

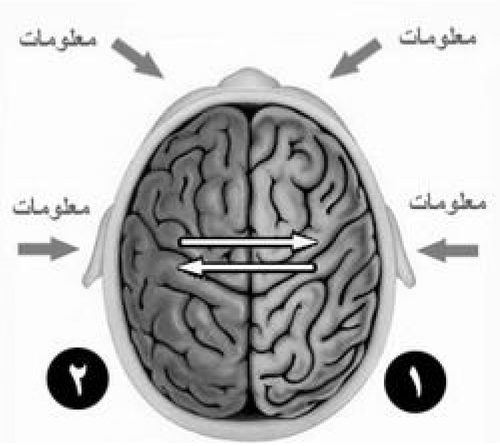

عندما نفتح قلوبنا وعقولنا معاً نُفعّل بذلك القسم الأيمن من الدماغ [١]، المسؤول عن الحدس والإلهام الموصولان مباشرة بالكون. فيتفاعل مع القسم الأيسر [٢] بطريقة متناغمة وسليمة، فتنتج الإبداعات الرائعة. التفكير السليم (المبدع والخلاق) هو الذي يفعّل قسمي الدماغ معاً.

بعض مقومات <u>النصف الأيمن</u> من الدماغ: البديهة والحدس، البصيرة، رؤية الأمور بنظرة شمولية، تواصل غير لفظي مع الأشياء، انعدام الحسّ بالزمن، لا يجده ضروري الاعتماد على المنطق

والحقائق الملموسة، فهم الأشياء عبر جمعها ببعضها لتشكيل كليّات شمولية، رؤية العلاقة المجازية بين الأشياء.

بعض مقومات النصف الأيسر من الدماغ: التوصّل إلى الاستنتاجات بالاعتماد على المنطق، أي التسلسل المنطقي للأمور، التفكير وفق ترابط الأفكار بشكل متسلسل، أي كل فكرة تتبع الأخرى، استخدام الكلمات في سبيل التسمية والوصف والتعريف والتواصل، الالتزام بالسياق الزمني، تسلسل كل حدث بعد الآخر، التوصّل إلى استنتاجات بالاعتماد على المنطق والحقائق الملموسة، فهم الأشياء خطوة خطوة، أو جزء بعد جزء، استخدام الرموز لتمثّل الأشياء (كما في الرياضيات والكيمياء)، معالجة الأرقام في التعداد والحساب.

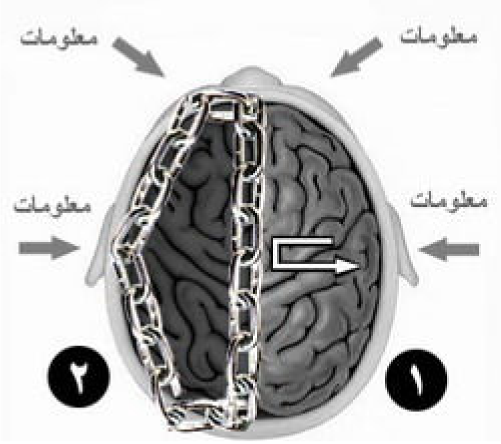

يسعى "المسيطرون" إلى حبس تجليات النفس البشرية في القسم الأيسر من الدماغ، المسؤول عن التفكير المنطقي الذي لا يؤمن سوى بما هو مرئي وملموس. وهذا بالضبط ما تفعله الأنظمة التعليمية الرسمية ووسائل الإعلام. كل المعلمين، الأساتذة، المحاضرين، العلماء، والصحفيين، هم سجناء القسم الأيسر من الدماغ.

النظام التعليمي وتفرعاته، مثل وسائل الإعلام والعلم المنهجي، مُصمّم خصيصاً للتعامل مع القسم الأيسر من الدماغ وتعطيل التفكير المتناغم مع القسم الأيمن كلياً. لهذا السبب نرى الشحّ في دعم الدروس الفنيّة وتشجيعها في كافة المدارس حول العالم، بينما نجد في المقابل فرض قسري للبرامج الفكرية المتعلّقة بالقسم الأيسر، كالرياضيات (التعامل مع الأرقام والمعادلات والرموز الرياضيّة)، والمواد التي تتطلّب الحفظ عن ظهر قلب. يعمل النظام التعليمي على ملئ القسم الأيسر بمعلومات مُعظمها خاطئة وغير دقيقة، ويأمر التلاميذ بحِفظها في ذاكرتهم من أجل استفراغها لاحقاً أثناء الفحص النهائي. إذا قمت بذلك كالروبوت سوف تنجح. لكن على الجانب الآخر، إذا استخدمت القسم الأيمن من الدماغ لتحرير تلك

المعلومات لتكتشف بأنها خاطئة فتقول *".. يا إلهي.. هذا كلام فارغ!.."* سوف لن تنجح أبداً في المدرسة، حتى لو كنت تقول الحقيقة. أليس التعليم شيئاً رائعاً؟!

انتهى الاقتباس

مسوّقو الماتريكس وحرّاسه

رأينا كيف أن "الماتريكس" قد لا يمثّل الواقع الحقيقي بل "واقع مزوّر" من صنع المسيطرين، لكنه يبدو حقيقياً ومألوفاً في وعي الشعوب بسبب استمراريته عبر الأجيال المتعاقبة مما يزيد من رسوخه. يعود سبب استمرارية هذا "الواقع المألوف" ورسوخ مفاهيمه ومسلماته عبر الأجيال المتعاقبة إلى عوامل كثيرة أهمها التعليم، التكيّف، الإقناع، الدعاية، التحريم والتحليل وغيرها من وسائل تسويق وحقن وفرض للمعلومات والمعتقدات والأفكار التي تتبعها طبقة الصفوة من خلال السلطات الاجتماعية والعلمية وحتى الروحية التي هي تحت سيطرتها تماماً.

وإذا شكّ الناس، واستبعدوا حقيقة أن مجموعة قليلة من الأشخاص يستطيعون السيطرة على هذا الكوكب بالكامل، بحجة أن هناك عدد كبير من السكّان بحيث يستحيل السيطرة عليهم، فكل ما على المتشككين فعله هو النظر إلى ما يحصل يومياً مع قطعان الأغنام حول العالم. لو عبّرت هذه الأغنام عن حقيقتها وتميّزها واستقلاليتها، ولم تستسلم للخوف، لكان من المستحيل السيطرة عليها. لا تستطيع استيعابها وتنظيمها عملياً. إذا أردت التحكم بمجموعة كبيرة من البشر، جسدياً وبشكل مباشر، فانسى الأمر، لأن ذلك سيكون مستحيل. لكن أنت لست مضطراً لذلك. ليس هكذا يتم إنجاز الأمر، فهذا ليس ضرورياً. لكي تتحكّم بقطيع من الغنم جسدياً ومباشرة، أنت بحاجة إلى ٦ أو ٧ أشخاص لكل غنمه، وقد يفشلون في السيطرة عليها. لكن كيف يتم ذلك إذاً؟..

يتم إنجاز ذلك بعاملين أساسيين، بحيث يدخلان، ليس فقط في عملية السيطرة على الأغنام، بل السيطرة على الإنسانية أيضاً، ثانية بثانية، يوم بعد يوم. هذان العاملان هما: ***أم رياع..*** و***كلب الراعي***. ربما لاحظ كل منا هذه العملية خلال مشاهدة قطعان الأغنام في المراعي. يقوم الراعي بإخراج الأغنام من الزريبة، تتقدّمهم "أم رياع" (الغنمة التي يُعلّق على رقبتها جرس)، فيتبعها الجميع بشكل أعمى. لكن من حين لآخر سترى أن هناك غنمة أو غنمتان تخرجان عن القطيع لترعى على هواها في أماكن أخرى، هنا يدخل العامل الآخر: "كلب الراعي"، فينبح عليها عدّة مرّات أو يقوم بمناورة أو اثنتين حولها، فتمتثل الأغنام المتمرّدة مباشرة بفعل الخوف. هذان العاملان، فقط لا غير، يعملان على تنظيم والسيطرة على جميع القطعان حول العالم، يوماً بعد يوم. دون حاجة لأي عمل جسدي من قبل أحد. فقط بعض النباح هنا وهناك. لكن بعد تطبيق هذا النموذج على البشر، سنجد أننا أكثر غنماً من الغنم! نحن نمثّل الغنمة والكلب معاً، نحن نراقب بعضنا البعض، ونتحكّم ببعضنا البعض. وما يعنيه ذلك هو أن الذي يقيم المناهج والنماذج وطريقة العيش في المجتمع، أي تحديد ما يُعتبر صحيح وخاطئ، أخلاقي وغير أخلاقي، مستحيل أو ممكن، عقلاني أو جنون... يقوم بتشييد ***حظيرة*** غير مرئية "معنوية نفسية اعتقادية" مشابهة لحظيرة الأغنام، بحيث يعيش فيها معظم الناس، لأنهم بكل بساطة لا يفكرون بأنفسهم، ويعتمدون على أفراد آخرون يلعبون دور ***"أم رياع"*** كمثل أعلى لهم.

الجميع يفضّل الالتزام بالمجالات والمواضيع والمفاهيم التي تتماشى مع التيار الفكري العام ... ***المنطق المألوف*** .. المنطق المتّفق عليه، بكل ما يحتويه من توجهات وأفكار ومعتقدات، أيديولوجية، وروحية. وهناك أقلية جداً، تنظر إلى حدود هذه الحظيرة البشرية، أي "النموذج الاجتماعي العام الذي يحدد طريقة الحياة"، فيكتشفون مباشرة بأنها محدودة جداً، مزوّرة، وأنها أقيمت أساساً بهدف السيطرة والتحكّم من قبل الآخرين. لكن هؤلاء لا يفعلون شيئاً إزاء ذلك، ويفضلون العيش في الحظيرة رغم اكتشافهم للحقيقة. والسبب طبعاً هو **الخوف**. الخوف مما سيظنّه الآخرون، الخوف من ما سيقوله الآخرون، الخوف من أن

يصبحوا مختلفون، الخوف من أن يصبح بحوزتهم حقيقة مخالفة للنمــوذج العــام، والأسوأ من ذلك، الخوف مما سيفعله الآخرون لهم كعقوبة على تمرّدهم إذا فعلــوا ذلك فعلاً.

جميعنا ننتمي إلى حظائر بشرية تتألف من:
الراعي، كلب الراعي، أم رياع (الجرس)، والأغنام

وعندما تصبح على حافة الخروج من أسوار الحظيرة، "الحافــة الحرجــة" كمــا يسمونها، وتعلم بأنك إذا أكملت السير قدماً وعبّرت بصدق عن حقيقة ما تشعر به، أو عيش حياتك بطريقة مختلفة وفقاً لما اكتشفته من حقائق جديدة، سوف تتردّد في البداية، لأنك على علم يقين بأنك إذا تابعت السير سوف تواجه الإدانة والاســتنكار والتجريم، والشجب والتنديد، أو حتى السخرية كعقوبة لجريمــة اقترفتهــا. هكــذا سيعتبرونها عندما تخرج عن القطيع وتصبح مختلفاً. ما هو مصدر ذلك الخــوف الذي يجعلك تتردّد في اجتياز سور الحظيرة؟ إنه ليس الخوف من الأشخاص الذين

في المراتب العالية. إنه ليس الخوف من المجموعة المسيطرة على العالم. ليس الخوف من الماسونية أو فرسان الهيكل أو الإلوميناتي... هذا الخوف الذي يتملكك ويمنعك من اجتياز الأسوار هو من ما سيقوله عنك أقرب الناس إليك، والديك، أقربائك، أصدقائك، زملائك، مجتمعك... وبكلمة أخرى نقول: إن الأشخاص الذين يخيفون الآخرين لكي يمتثلوا هم ذاتهم ممتثلون أصلاً. لأن الذين يريدون أن يمنحوا عقولهم وحياتهم لنموذج محدد من الواقع الذي صنعه لهم الآخرون، فهذا جيّد لا مشكلة هنا، لكن المشكلة هي إصرارهم على أن يمتثل الآخرون. فالعامل الأساسي والمهم الذي يجعل حكام العالم يسيطرون على سكان الكوكب بسهولة لا يقتصر على رسم أسوار الحظيرة البشرية التي نعيش فيها، حيث أن هذه العملية لا تضمن لهم النجاح الأكيد في السيطرة. الذي يساعدهم على النجاح في هذه العملية هو أن ***"الذين يمتثلون لنموذج العيش الذي رسمه الآخرون، لا يكتفون بذلك بل يصرّون على أن يمتثل الجميع معهم"***... وحينها يصبح الكائن البشري، ليس فقط الغنمة، بل كلب الراعي أيضاً. هذه هي النقطة، وهذا هو السرّ. نحن نراقب بعضنا البعض ونحرس بعضنا البعض، فنجبر بعضنا البعض على ***الامتثال***.

إذا كنت تمثّل مجموعة قليلة من الأشخاص، الذين يسيطرون على ٦,٥ مليار من السكان على هذا الكوكب، فإنه من الجوهري جداً أن تجعل هذا العدد الهائل من البشر يراقبون بعضهم البعض ويجبرون بعضهم على الامتثال. لأنه ليس هناك عدد كافي للسيطرة عليهم جسدياً. بالإضافة إلى أنك ***لا تستطيع السيطرة عليهم مباشرةً***، وجها لوجه، لأنهم كائنات جبارة لا يمكن السيطرة عليها سوى من خلال التحكّم بطريقة تفكيرها. لذلك، فعندما تتشكّل أسوار الحظيرة، والتي هي قائمة منذ آلاف السنين، تبدأ الناس بمراقبة بعضها البعض تلقائياً وبشكل منهجي طبيعي.

هذه الحظائر الفكرية التي نعيش داخلها، هي محدودة جداً وضيقة جداً، لدرجة أنه ليس هناك أفكار مضادة أو متعاكسة. لذلك سوف يصنعون أفكار متعاكسة لكي تكرّس سياسة ***فرّق تسد***.

الخطوة الأخرى التي تقوم بها كمسيطر، هي تقسيم هذه الحظائر البشرية إلى مجموعات متحاربة ومتناحرة. تقوم بتشكيل منظمات ومعتقدات تكره بعضها البعض وفي حالة قتال دائم، كالأديان، أحزاب سياسية، مؤسسات اقتصادية، وغيرها من مجموعات وحظائر بشرية مختلفة. ثم تجعلهم يتنافسون ويتقاتلون ويتحاربون.. إذاً نحن لسنا مجرّد أغنام بشرية خانعة تنتسب إلى حظائر مختلفة، بل نقاتل بعضنا البعض أيضاً! وبشراسة! (يا لها من مهزلة). وخلال شتم بعضنا البعض ومناوشة بعضنا البعض، ولوم بعضنا البعض، والتآمر على بعضنا البعض، نرى أن الأقلية الحاكمة تتلاعب بالخيوط المربوطة بجميع الجهات. والأمر الحاسم والأهم في هذه العملية هو أنه لم يجرؤ أحدنا على التوقف لبرهة كي يفكّر ويتأمّل، ثم يتساءل مع أحد أفراد الحظيرة الخصم قائلاً: "لماذا هذه الخيوط المربوطة بكم هي ذاتها مربوطة بنا، والممسك بها في الأعلى يمثل الجهة ذاتها؟ وطالما أن هذه الخيوط مصدرها واحد، هذا يعني أن هناك عامل مشترك يجمعنا، لماذا إذاً نحن في صراع مع بعضنا البعض؟.. صدقوني... لا أحد يستطيع فعل ذلك. ليس خوفاً من المتحكمين الذين في الأعلى، بل من أفراد حظيرته المحيطين به. سيكون بذلك قد اخترق المسلمات وعقابها لو أنكم تعلمون هو شديد....

جميعنا ضحايا "الواقع المألوف".. جميعنا ضحايا توجه فكري وجداني و روحي محدد.. خط مرسوم وجب سلوكه بدقة.. وإذا خرجنا عنه أصبحنا غير منطقيين.. غير عقلانيين.. وغير مقبولين في أوساطنا العلميَّة والاجتماعيَّة والروحيَّة.. إلى آخره.

يُعرّف الواقع المألوف على أنه كلُّ ما اتفق عليه مجموعة كبيرة من الناس وآمنوا به على أنه يمثل الحقيقة.. "ماتريكس". يتجسد الواقع المألوف عندما يتفق الجميع حول مفاهيم معيّنة، وينسى هؤلاء بأنهم لا يجسدون سوى طريقة محددة في التفكير وليس الواقع بحد ذاته. فالواقع الحقيقي لا يمكن أن يُصنع لأنه موجود أساساً.. وطريقة النظر إليه هي التي تُصنع فقط.. (ماتريكس).

حتى لو شاركنا الآخرين في المفاهيم ذاتها والاعتقادات ذاتها.. هذا لا يعني أن المفاهيم والاعتقادات هي صحيحة، بل يمكن أن يعني أننا نشاركهم بالأوهام ذاتها وليس من الضرورة أن تكون حقائق ثابتة.. (ماتريكس مُشترك).

جميعنا مخدوعين بالواقع الذي نراه... بكل مفاهيمه وقوانينه ومظاهره ... نحن لا نعرف أننا نعيش في عالم وهمي غير حقيقي.. لأن المفاهيم التي نستند عليها في النظر إليه هي مفاهيم وهمية غير صحيحة.. والسبب الذي جعلها تبدو حقيقية هو أن الجميع يشاركنا بنفس المفاهيم ويتفق معنا على أنها حقيقية.

المشكلة في هذا الواقع المألوف (الماتريكس الحالي) هي أنه يمنع أو يعيق ظهور نشاطات كثيرة، كالوعي التجاوزي والإبداع في مجالات معيّنة يعتبرها الواقع المألوف أنها مستحيلة، أو طريقة مختلفة للعيش أو التفكير يعتبرها الواقع المألوف بأنها محرّمة. وهنا تكمن اللعبة التي يديرها "المتنورون".

القليل من الناس يفطنون لهذه الحقيقة حيث أن الجميع يظن بأنه متحرر فكرياً، خاصة في هذا العصر. لكنني واثق تماماً بأنكم إن لم تسمعوا عن هذا الموضوع من قبل هذا يعني أنكم ضحايا عملية غسيل دماغ أو يتم التحكم بكم والسيطرة على تفكيركم دون أن تدركوا ذلك. إننا نعيش في حلم.. في عالم من الأوهام تصنعه لنا طبقة الصفوة العالمية من خلال سيطرتها التامة على جميع السلطات القائمة إن كانت علمية أو روحية أو سياسية... رغم أن الأمر يبدو غير ذلك.

حرّاس البوابة

The gatekeepers

مُقتبس من الفصل التاسع عشر من كتاب "أولاد الماتريكس"
للباحث المستقلّ "ديفيد أيك"

".. الماتريكس هو نظام يا "نيو"، والنظام هو عدوّنا. عندما تكون داخله، ثم تنظـــر حولك، ماذا ترى؟ رجال أعمال، معلمون، محامون، نجارون، عقول الأشـــخاص التي نحاول إنقاذها. لكن حتى ننجح في هذا المسعى، سوف يبقى هؤلاء جزءاً من النظام وهذا يجعلهم أعدائنا. وجب أن تفهم بأن مُعظـــم هـــؤلاء غيـــر مـــستعدون للانفصال. والكثير منهم يعتمدون على هذا النظام بشكل كلّي وميئوس لدرجة أنهم سيقاتلون من أجل حمايته.."

Morpheus ميرفيوس

The Matrix فيلم "الماتريكس"

هذه مقولة رائعة وتستخلص الورطة المستعصية التي نحن واقعون فيهـــا. أنـــا لا أعتبر الأشخاص المنتمون للماتريكس أعدائي الشخصيين لأنه مجرّد النظر للمسألة على أنها حالة خصومة بين جهتين (نحن ــ هُم) فهذا سيكشف عن مـــدى تأثّرنـــا بالماتريكس الذي يُمسك بنا. إن التفكير بصيغة "نحن ــ هُم" هي صـــيغة تنتمـــي لماتريكس، أي إدراك وتقييم وفق ما يمليه علينا الماتريكس. وجب عـــدم النظـــر للأمر بأنه "صراع" لأنك ستصبح ما تُصارعه في النهاية (قانون الجذب).

لكن الأشخاص المأخوذة عقولهم بالماتريكس هم أعداء الحريّة بكل تأكيد. أعـــداء حريّتهم وحريّة كل ما هو موجود ضمن هذا الوهم الكبير. إنهم حـــرّاس بوابـــات الماتريكس، يقمعون يومياً الأفكار والرغبات والأفراد والمعلومات وغيرهـــا مـــن عوامل يمكنها أن تحرّرنا وتحرّرهم. لكن طبعاً، العملاء العارفون الذين يخـــدمون "المتنورين" يحتلون مناصب السلطة في كافة المجـــالات، الاقتـــصادية، العلميّـــة،

التجارية، الإعلاميّة، السياسية، القانونيّة، التعليميّة، والعسكرية، وكل ذلك من أجل المحافظة على تماسك الحظيرة البشرية العاطفية/الفكرية التي أنشئوها (كما يفعل رُعيان الأغنام بالضبط). لكنهم مع ذلك لا يستطيعون إنجاز هذه المهمة وحدهم.

عليهم توجيه البشرية بطريقة تجعل أفرادها يراقبون بعضهم البعض وقمع بعضهم البعض. تعمل الإنسانية نفس عمل الحارس الأمني. هذا الأخير لا يعلم ما يحرسه أو لماذا يفعل ذلك. هو كائن أوتوماتيكي، ينفّذ المهمة التي وُكّلت إليه حرفياً وبكل تفاصيلها، ولم يفكّر أبداً بإمكانية أو ضرورة أن يشغّل عقله وتقييم حالة معيّنة بالاعتماد على استحقاقاتها. المسألة بالنسبة له هي إما أسود أو أبيض، ليس هناك شيء رمادي. التعليمات هي تعليمات هذا كل ما يفهمه.

كل شخص مندمج مع الماتريكس هو عدو، أو عدو مُحتمل، للحريّة. لكن بعضهم متحمسون بشكل متعجرف لمنظومة الماتريكس، أي بمعنى آخر، متأثّرون بالوهم بدرجة أكبر من غيرهم. إذا أردنا فعلاً التحرّر من هذا السجن الذبذبي علينا أولاً الاستقالة من وظيفتنا كعملاء للشرطة الفكرية في هذه المنظومة.

من أجل أن نتحرّر، علينا تحرير كلّ الآخرين. من أجل التوقّف عن لعب دور "الغنمة"، علينا أولاً التوقّف عن لعب دور "كلب الراعي". بقدر ما يبدو الأمر بسيطاً، إلا أنه صعباً بالنسبة للأفراد الواقعين تحت تأثير التنويم المغناطيسي للماتريكس. لكن نستطيع التوقّف عن لعب دور "كلب الراعي" على الأقلّ، خصوصاً بعد إدراكنا لحقيقة أننا مجرّد "كلاب راعي" ومدفوعون من نوازعنا الفطرية للتحكّم بالآخرين، وتوقنا الغريزي للسيطرة على حياة وأفكار من هو أضعف منا.

اسأل أي شخص إذا كان يؤمن بالحريّة. الجميع بكل تأكيد سوف يقول "نعم". هذا ليس أمراً يرغب الناس في معارضته. المسألة مسألة عُرف عام. نحن إذاً نؤمن بالحريّة بطريقة بديهيّة، لكن عندما يتعلّق الأمر بالتطبيق العملي، هل نعيش ما

نؤمن به في حياتنا اليوميّة؟ لا بد أنك تمزح. نحن نؤمن بالحريّة بطريقــة غيــر عقلانيّة، لأنه عندما تأتي ساعة الجدّ سوف نتحوّل "لاإرادياً" إلى كلاب الراعي! لو كنا نؤمن بالحريّة فعلاً، لما كان هناك أي سبب لتــأليف هــذا الكتــاب والكتــب الأخرى. لكنا الآن نحلّق عالياً في فردوس الحريّة الحقيقية، بعد إعادة وصل أنفسنا مع جانبنا التجاوزي متعدد الأبعاد.

من هم حرّاس البوابة في الماتريكس؟ من هم حرّاس السجن، حرّاس حدود "الوهم الكبير"؟

نحن طبعاً!

انتهى الاقتباس

مراجع

-The Orion Mystery- Robert Bauval& Adrian Gilbert
-Complete Handbook of Nature Cures- H.K.Bakhru
-The Projection of the Astral Body - Sylvan Muldoon& Hereward Carrington
-Journeys Out of the Body- Robert Monroe
-Far Journeys - Robert Monroe
-Astral Projection: A Record of Out-of-Body Experiences- Robert Crookall
-The Mahabharata. Tr. by E. R. Rice. New York: Oxford, 1934.
-The Mahavira. Ahmedabad: Sri Jaina Siddhanta Society, 1948—1951.
Man (London).
-The Secret Teaching Of All Ages- Manly P. Hall [1927]
-The Biggest Secret- David Icke [1999]
-Children of The Matrix-David Icke
-Beyond the Occult-Colin Wilson
-Greek Popular Religion- Martin P. Nilsson [1940]
- Holographic Universe- Michael Talbot

مراجع كتاب الكون الهولوغرافي ــ مايكل تالبوت

8. TRAVELING IN THE SUPERHOLOGRAM

1. Dean Shields, “A Cross-Cultural Study of Beliefs in out-of-the-Body Experiences,” Journal of the Society for Psychical Research 49 (1978), pp. 697-741.
2. Erika Bourguignon, “Dreams and Altered States of Consciousness in Anthropological Research,” in Psychological Anthropology, ed. F. L. K. Hsu (Cambridge, Mass.: Schenkman, 1972), p. 418.
3. Celia Green, Out-of-the-Body Experiences (Oxford, England Institute of Psychophysical Research, 1968).
4. D. Scott Rogo, Leaving the Body (New York: Prentice-Hall, 1983), p. 5.
5. Ibid.
6. Stuart W. Twemlow, Glen 0. Gabbard, and Fowler C. Jones, “The Out-of-Body Experience-. 1, Phenomenology; II, Psychological Profile; III, Differential Diagnosis” (Papers delivered at the 1980 Convention of the American Psychiatric Association). See also Twemlow, Gabbard, and Jones, “The Osit-of-Body Experience: A Phenomenologica! Typology Based on Questionnaire Responses,” American Journal of Psychiatry 139 (1982), pp. 450-55.
7. Ibid.
8. Bruce Greyson and C. P. Flynn, The Near-Death Experience (Chicago: Charles C. Thomas, 1984), as quoted in Stanislov Grof, The Adventure of Self-Discovery (Albany, N.Y.r SUNY Press, 1988), pp, 71-72.
9. Michael B. Sabom, Recollections of Death (New York: Harper &. Row, 1982), p. 184.

10. Jean-Noel Bassior, "Astral Travel," New Age Journal (November/December 1988), p. 46.
11. Charles Tart, "A Psychophysiological Study of Out-of-the-Body Experiences in a Selected Subject," Journal of the American Society for Psychical Research 62 (1968), pp. 3-27.
12. Karlis Osis, "New ASPR Research on Out-of-the-Body Experiences," Newsletter of the American Society for Psychical Research 14 (1972); see also Karlis Osis, "Out-of-Body Research at the American Society for Psychical Research," in Mind beyond the Body, ed. D. Scott Rogo (New York: Penguin, 1978), pp. 162-69.
13. D. Scott Rogo, Psychic Breakthroughs Today (Wellingborough, Great Britain: Aquarian Press, 1987), pp. 163-64.
14. J. H. M. Whiteman, The Mystical Life (London: Faber & Faber, 1961).
15. Robert A. Monroe, Journeys Out of the Body (New York: Anchor Press/Doubleday, 1971), p. 183.
16. Robert A. Monroe, Far Journeys (New York: Doubleday, 1985), p. 64.
17. David Eisenberg, with Thomas Lee Wright, Encounters with Qi (New York: Penguin, 1987), pp. 79-87.
18. Frank Edwards, "People Who Saw without Eyes," Strange People (London: Pan Books, 1970).
19. A. Ivanov, "Soviet Experiments in Eyeless Vision," International Journal of Parapsychology 6 (1964); see also M. M. Bongard and M. S. Smirnov, "About the 'Dermal Vision' of R. Kuleshova," Biophysics 1 (1965).
20. A. Rosenfeld, "Seeing Colors with the Fingers," Life (June 12,1964); for a more extensive report of Kuleshova and "eyeless sight" in general, see Sheila Ostrander and Lynn Schroeder, Psychic Discoveries Behind the Iron Curtain (New York: Bantam Books, 1970), pp. 170-85.
21. Rogo, Psychic Breakthroughs, p. 161.
22. Ibid.
23. Janet Lee Mitchell, Out-of-Body Experiences (New York: Ballantine Books, 1987), p. 81.
24. August Strindberg, Legends (1912 edition), as quoted in Colin Wilson, The Occult (New York: Vintage Books, 1973), pp. 56-57.
25. Monroe, Journeys Out of the Body, p. 184.
26. Whiteman, Mystical Life, as quoted in Mitchell, Experiences, p. 44.
27. Karlis Osis and Erlendur Haraldsson, "Deathbed Observations by Physicians and Nurses: A Cross-Cultural Survey," The Journal of the American Society for Psychical Research 71 (July 1977), pp. 237-59.
28. Raymond A. Moody, Jr., with Paul Perry, The Light Beyond (New York: Bantam Books, 1988), pp. 14-15.
29. Ibid.
30. Elisabeth Kubler-Ross, On Children and Death (New York: Macrnillan, 1983), p. 208.
31. Kenneth Ring, Life at Death (New York: Quill, 1980), pp. 238-39.
32. Kubler-Ross, Children, p. 210.
33. Moody and Perry, Light, pp. 103-7.

34. Ibid., p. 151.
35. George Gallup, Jr., with William Proctor, Adventures in Immortality (New York: McGraw-Hill, 1982), p. 31.
36. Ring, Life at Death, p. 98.
37. Ibid., pp. 97-98.
38. Ibid., p. 247.
39. Private communication with author, May 24, 1990.
40. F. W. H. Myers, Human Personality and Its Survival of Bodily Death (London: Longmans, Green & Co., 1904), pp. 315-21.
41. Ibid.
42. Moody and Perry, Light, p. 8.
43. Joel L. Whitton and Joe Fisher, Life between Life (New York: Doubleday, 1986), p. 32.
44. Michael Talbot, "Lives between Lives: An Interview with Joel Whitton," Omni WholeMind Newsletter 1, no. 6 (May 1988), p. 4.
45. Private communication with author, November 9, 1987.
46. Whitton and Fisher, Life between Life, p. 35.
47. Myra Ka Lange, "To the Top of the Universe," Venture Inward 4, no. 3 (May/June 1988), p. 42.
48. F. W, H. Myers, Human Personality.
49. Moody and Perry, Light, p. 129.
50. Raymond A. Moody, Jr., Reflections on Life after Life (New York: Bantam Books, 1978), p. 38.
51. Whitton and Fisher, Life between Life, p. 39,
52. Raymond A. Moody, Jr., Life after Life (New York: Bantam Books, 1976), p. 68.
53. Moody, Reflections on Life after Life, p. 35.
54. The 1821 NDEer was the mother of the English writer Thomas De Quincey and the incident is described in his Confessions of an English Opium Eater with Its Sequels Suspiria De Prafundis and The English Mail-Coach, ed. Malcolm Elwin (London: Macdonald & Co., 1956), pp. 511-12.
55. Whitton and Fisher, Life between Life, pp. 42-48.
56. Moody and Perry, Light, p. 50.
57. Ibid., p. 35.
58. Kenneth Ring, Heading toward Omega (New York: William Morrow, 1985), pp. 58-59.
59. See Ring, Heading toward Omega, p. 199; Moody, Reflections on Life after Life, pp. 9-14; and Moody and Perry, Light, p. 35.
60. Moody and Perry, Light, p. 35.
61- Monroe, For Journeys, p. 73.
62. Ring, Life at Death, p. 248.
63. Ibid., p. 242.
64. Moody, Life after Life, p. 75.
65. Moody and Perry, Light, p. 13.
66. Ring, Heading toward Omega, pp. 186-87,
67. Moody and Perry, Light, p. 22.
68. Ring, Heading toward Omega, pp. 217-18.

69. Moody and Perry, Light, p. 34.
70. Ian Stevenson, Children Who Remember Previous Lives (Charlottesville, Va.: University Press of Virginia, 1987), p. 110.
71. Whitton and Fisher, Life between Life, p. 43.
72. Wil van Beek, Hazrat Inayat Khan (New York: Vantage Press, 1983), p. 29.
73. Monroe, Journeys Out of the Body, pp. 101-15.
74. See Leon S. Rhodes, "Swedenborg and the Near-Death Experience," in Emanuel Swedenborg: A Continuing Vision, ed. Robin Larsen et si. (New York: Swedenborg Foundation, 1988), pp. 237^40.
75. Wilson Van Dusen, The Presence of Other Worlds (New York: Swedenborg Foundation, 1974), p. 75.
76. Emanuel Swedenborg, The Universal Human and Soul-Body Interaction, ed. and trans. George F. Dole (New York: Paulist Press, 1984), p. 43.
77. Ibid.
78. Ibid., p. 156.
79. Ibid., p. 45.
80. Ibid., p. 161.
81. George F. Dole, "An Image of God in a Mirror," in Emanuel Swedenborg; A Continuing Vision, ed. Robin Larsen etal. (New York: Swedenborg Foundation, 1988), pp. 374-81.
82. Ibid.
83. Theophilus Parsons, Essays (Boston: Otis Clapp, 1845), p. 225.
84. Henry Corbin, Mundus Imaginaiis (Ipswich, England: Golgonooza Press, 1976), p. 4.
85. Ibid., p. 7.
86. Ibid., p. 5.
87. Kubler-Ross, Children, p. 222.
88. Private communication with author, October 28, 1988.
89. P&Tamaivm&3.Yoganan<i&, Autobiography of a Yogi (Los Angeles: Self-Realization Fellowship, 1973), p. viii.
90. Ibid., pp- 475-97.
91. Satprem, Sri Aurobindo or the Adventure of Consciousness (New York: Institute for Evolutionary Research, 1984), p. 195.
92. Ibid., p. 219.
93. E. Nandisvara Nayake Thero, "The Dreamtime, Mysticism, and Liberation: Shamanism in Australia," in Shamanism, ed. Shirley Nicholson (Wbeaton, III-: Theosophical Publishing House, 1987), pp. 223-32.
94. Holger Kalweit, Dreamtime and Inner Space (Boston: Sharobhala Publications, 1984), pp. 12-13.
95. Michael Hamer, The Way of the Shaman (New York: Harper & Row, 1980), pp. 1-8.
96. Kalweit, Dreamtime, pp. 13, 57.
97. Ring, Heading toward Omega, pp. 143-64.
98. Ibid., pp. 114-20.
99. Bruce Greyson, "Increase in Psychic and Psi-Related Phenomena

Following Near-Death Experiences," Theta, as quoted in Ring, Heading toward Omega, p. 180.
100. Jeff Zaleski, "Life after Death: Not Always Happily-Ever-After," Omni WkoleMind Newsletter 1, no. 10 (September 1988), p. 5.
101. Ring, Heading toward Omega, p. 50.
102. John Gliedman, "Interview with Brian Josephson," Omni A, no. 10 (July 1982), pp. 114-16.
103. P. C. W. Davies, "The Mind-Body Problem and Quantum Theory," in Proceedings of the Symposium on Consciousness and Survival, ed. John S. Spong (Sausalito, Calif.: Institute of Noetic Sciences, 1987), pp. 113-14.
104. Candace Pert, Neuropeptides, the Emotions and Bodymind in Proceedings of the Symposium on Consciousness and Survival, ed. John S. Spong (Sausalito, Calif.: Institute of Noetic Sciences, 1987), pp. 113-14.
105. David Bohm and Renee Weber, "Nature as Creativity," Revision 5, no. 2 (Fall 1982), p. 40.
106. Private communication with author, November 9, 1987.
107. Monroe, Journeys Out of the Body, pp. 51 and 70.
108. Dole, in Emanuel Swedenborg, p. 44.
109. Whitton and Fisher, Life between Life, p. 45.
110. See, for example, Moody, Reflections on Life after Life, pp. 13-14; and Ring, Heading toward Omega, pp. 71-72.
111. Edwin Bernbaum, The Way to Skambhala (New York: Anchor Books, 1980), pp. xiv, 3-5.
112. Moody, Reflections on Life after Life, p. 14; and Ring, Heading toward Omega, p. 71.
113. W. Y. Evans-Wentz, The Fairy-Faith in Celtic Countries (Oxford: Oxford University Press, 1911), p. 61.
114. Monroe, Journeys Out of the Body, pp. 50-51.
115. Jacques Vallee, Passport to Magonia (Chicago: Henry Regnery Co., 1969), p. 134.
116. Private communication with author, November 3, 1988.
117. D. Scott Rogo, Miracles (New York: Dial Press, 1982), pp. 256-57.
118. Michael Talbot, "UFOs: Beyond Real and Unreal," in Gods of Aquarius, ed. Brad Steiger (New York; Harcourt Brace Jovanovich, 1976), pp. 28-33.
119. Jacques Vallee, Dimensions: A Casebook of Alien Contact (Chicago: Contemporary Books, 1988), p. 259.
120. John G. Fuller, The Interrupted Journey (New York: Dial Press, 1966), p. 91.
121. Jacques Vallee, Passport to Magonia, pp. 160-62.
122. Talbot, in Gods of Aquarius, pp. 28-33.
123. Kenneth Ring, "Toward an ImaginaJ Interpretation of 'UFO Abductions,' " ReVision 11, no. 4 (Spring 1989), pp. 17-24.
124. Personal communication with author, September 19, 1988.
125. Peter M. Rojcewicz, "The Folklore of the 'Men in Black': A Challenge to the Prevailing Paradigm," ReVision 11, no. 4 (Spring 1989), pp. 5-15.
126. Whitley Strieber, Communion (New York: Beech Tree Books, 1987),

p. 295.
127. Carl Raschke, “UFOs: Ultraterrestrial Agents of Cultural Deconstruction,” in Cyberbiological Studies of the Jmaginal Component in the UFO Contact Experience, ed. Dennis Stilungs (St. Paul, Minn.: Archa-eus Project, 1989), p. 24.
128. Michael Grosso, “UFOs and the Myth of the New Age.” in Cyberbiological Studies of the Imaginal Component in the UFO Contact Experience, ed. Dennis Stillings(St. Paul, Minn.: Archaeus Project, 1989), p. 81.
129. Raschke, in Cyberbiological Studies, p. 24.
130. Jacques Vallee, Dimensions: A Casebook of Alien Contact (Chicago: Contemporary Books, 1988), pp. 284-S9.
131. John A. Wheeler, with Charles Misner and Kip S. Thome, Gravitation (San Francisco: Freeman, 1973).
132. Strieber, Communion, p. 295.
133. Private communication with author, June 8, 1988.

9. RETURN TO THE DREAMTIME
1. John Blofeld, The Tantric Mysticism of Tibet (New York: E. P. Dutton, 1970), pp. 61-62.
2. Garma C. C. Chuang, Teachings of Tibetan Yoga (Secaucus, N J.: Citadel Press, 1974), p. 26.
3. Blofeld, Tantric Mysticism, pp. 61-62.
4. Lobsang P. Lhalungpa, trans., The Life of Milarepa (Boulder, Colo.: Shambhala Publications, 1977), pp. 181-62.
5. Reginald Horace Blyth, Games Zen Masters Play, ed. Robert Sohl and Audrey Carr (New York: New American Library, 1976), p. 15.
6. Margaret Stutley, Hinduism (Wellingborough, England: Aquarian Press, 1985), pp. 9, 163.
7. Swami Prabhavananda and Frederick Manchester, trans., The Upanishads (Hollywood, Calif.: Vedanta Press, 1975), p, 197.
8. Sir John WoodrorTe, The Serpent Power (New York: Dover, 1974), p. 33.
9. Stutley, Hinduism, p. 27.
10. Ibid., pp. 27-28.
11. WoodrorTe, Serpent Power, pp. 29, 33.
12. Leo Schaya, The Universal Meaning of the Kabbalah (Baltimore, Md.: Penguin, 1973), p, 67.
13. Ibid.
14. Serge King, “The Way of the Adventurer,” in Shamanism, ed. Shirley Nicholson (Wheaton, 111.: Theosophical Publishing House, 1987), p. 193.
15. E. Nandisvara Nayake Thero, “The Dreamtime, Mysticism, and Liberation: Shamanism in Australia,” in Shamanism, ed. Shirley Nicholson (Wheaton, 111.: Theosophical Publishing House, 1987), p. 226.
16. Marcel Griaule, Conversations with Ogotemmeli (London: Oxford University Press, 1965), p. 108.
17. Douglas Sharon, Wizard of the Four Winds: A Shaman’s Story (New

York: Free Press, 1978), p. 49.
18. Henry Corbin, Creative Imagination in the Sujism of Ibn 'Arabi, trans. Ralph Manheim (Princeton, NX: Princeton University Press, 1969), p. 259.
19. Brian Brown, The Wisdom of the Egyptians (New York: Brentano's, 1923), p. 15G.
20. Woodroffe, Serpent Power, p. 22.
21. John G. Neihardt, Black Elk Speaks (New York: Pocket Books, 1972), p. 36.
22. Tryon Edwards, A Dictionary of Thought (Detroit F. B. Dickerson Co., 1901), p. 196.
23. Sir Charles Eliot, Japanese Buddhism (New York: Barnes & Noble, 1969), pp. 109-10.
24. Alan Watts, Too: The Watercourse Way (New York: Pantheon Books, 1975), p. 35.
25. F. Franck, Book of Angelas Silesius (New York: Random House, 1976), as quoted in Stanislav Grof, Beyond the Brain (Albany, N.Y.: SUNY Press, 1985), p. 76.
26. " 'Holophonic' Sound Broadcasts Directly to Brain," Brain/Mind Bulletin 8, no. 10 (May 30, 1983), p. 1.
27. "European Media See Holophony as Breakthrough," Brain/Mind Bulletin 8, no. 10 (May 30, 1983), p. 3.
28. Ilya Prigogine and Yves Elskens, "Irreversibility, Stochasticity and Non-Locality in Classical Dynamics," in Quantum Implications, ed. Basil J. Hiley and F. David Peat (London: Routledge & Kegan Paul, 1987), p. 214; see also "A Holographie Fit?" Brain/Mind Bulletin 4, no. 13 (May 21, 1979), p. 3.
29. Marcus S. Cohen, "Design of a New Medium for Volume Holographic Information Processing," Applied Optics 25, no. 14 (July 15, 1986), pp. 2288-94.
30. Dana Z. Anderson, "Coherent Optical Eigenstate Memory," Optics Letters 11, no. 1 (January 1986), pp. 56-58.
31. Willis W. Harman, "The Persistent Puzzle: The Need for a Basic Restructuring of Science," Noetic Sciences Review, no. 8 (Autumn 1988), p. 23.
32. "Interview: Brian L Weiss, M.D.," Venture Inward 6, no. 4 (July/ August 1990), pp. 17-18.
33. Private communication with author, November 9, 1987.
34. Stanley R. Dean, C. 0. Plyier, Jr., and Michael L. Dean, "Should Psychic Studies Be Included in Psychiatric Education? An Opinion Survey," American Journal of Psychiatry 137, no. 10 (October 1980), pp. 1247-49.
35. Ian Stevenson, Children Who Remember Previous Lives (Charlottesville, Va.: University Press of Virginia, 1987), p. 9.
36. Alexander P. Dubrov and Veniamin N. Pushkin, Parapsychology and Contemporary Science (New York: Consultants Bureau, 1982), p. 13.
37. Harman, Noetic Sciences Review, p. 25.
38. Kenneth Ring, "Near-Death and UFO Encounters as Shamanic

Initiations; Some Conceptual and Evolutionary Implications," Revision 11, no. 3 (Winter 1989), p. 16.
39. Richard Daab and Michael Peter Langevin, "An Interview with Whitley Strieber," Magical Blend 25 (January 1990), p. 41.
40. Lytle Robinson, Edgar Cayce's Story of the Origin and Destiny of Man (New York: Berkley Medallion, 1972), pp. 34, 42.
41. From the Lankavatara Sutra as quoted by Ken Wilbur, "Physics, Mysticism, and the New Holographic Paradigm," in Ken Wilbur, The Holographic Paradigm (Boulder, Colo.: New Science Library, 1982), p. 161.
42. David Loye, The Sphinx and the Rainbow (Boulder, Colo.: Shambhala Publications, 1983), p. 156.
43. Terence McKenna, "New Maps of Hyperspace," Magical Blend 22 (April 1989), pp. 58, 60.
44. Daab and Langevin, Magical Blend, p. 41.
45. McKenna, Magical Blend, p. 60.
46. Emanuel Swedenborg, The Universal Human and Soul-Body Interaction, ed. and trans. George F. Dole (New York: Paulist Press, 1984), p. 54.
47. Joel L. Whitton and Joe Fisher, Life between Life (New York: Doubleday, 1986), pp. 45-46.

SYKOGENE.COM

الفهرس

الدلفي، الفترة الذهبية لمعابد النبوءة الإغريقية ٥
مراكز الوحي الإغريقية ٨
نهاية العصر الذهبي لمعبد دلفي ١٩
التقليد الديني النبوئي ٢١
العرافون والمتنبؤون ـــ اقتباس من كتاب الديانات الشعبية الإغريقية ٢٩
تجاوز حاجز الزمن، مظهر بيولوجي متجلي في كل مكان في الطبيعة ٥٠
الإدراك المتجاوز للزمن، وتجلياته المختلفة لدى الإنسان ٥٧
الهاجس المسبق ٥٨
الإدراك المُسبق ٦٥
التنبّؤ ٦٩
التكهّن ٧١
العرّافة ٧٢
ما هو الزمن؟.. نظرة علمية ٧٥
تمرين بسيط لتحريف الزمن ٩٤
كاميرات زمنية ١٠٢
الكاميرات الزمنية هي أجهزة "راديونيكس" ١٠٥
دور العقل ١١٦
لغز الانزلاق الزمني ١٢٣
الانتقال اللّحظي بين مكانين ١٣٤
نيكولا تيسلا، وتقنية نقل الأشياء الصلبة عبر الأسلاك ١٤١

وحدة الزمان والمكان

الطبيعة اللامكانية للعقل ١٥٥

الماضي بصفته هولوغرام ١٦٠
المستقبل الهولوغرافي ١٦٥
الإشكالية الزئبقية للقدر ١٧٠
القِوام المبهمة للنفس ١٧٣
الفكر بصفته العامل البنّاء ١٨٤
إشارة إلى ما هو أعمق ١٨٧
الأحلام الجماعية بالمستقبل ١٨٩
تغيير الماضي ١٩٢
التنزّه عبر حديقة الزمن ١٩٤

جولة في عالم النور

الحياة عند الموت ١٩٨
الخروج عن الجسد كظاهرة هولوغرافية ٢٠٥
حالة الاقتراب من الموت ٢١٣
التفسير الهولوغرافي لظاهرة الاقتراب من الموت ٢٢٠
الفردوس كـ"هولوغرام" ٢٢٣
المعرفة الفوريّة ٢٢٧
خرائط قدرية ومسارات زمنية متوازية ٢٣٤
تستطيع أن تأكل لكنك لست مضطراً لذلك ٢٣٦
معلومات عن العالم التجاوزي من مصادر أخرى ٢٣٩
أرض اللامكان ٢٤٤
صور ضوئية ذكية ومتناسقة ٢٤٧
المزيد من المراجع المشيرة إلى الضوء ٢٤٩
العيش في اللامحدود ٢٥٣
إشعاع روحي يتعذّر إنكاره ٢٥٧
من هي الكائنات النورانية ٢٦١

الماتريكس

سجناء الماتريكس ٢٦٨
مؤامرة أزلية على الوعي البشري ٣٠٠
مسوّقو الماتريكس وحرّاسه ٣١٨
حرّاس البوابة ٣٢٤

مراجع ٣٢٧